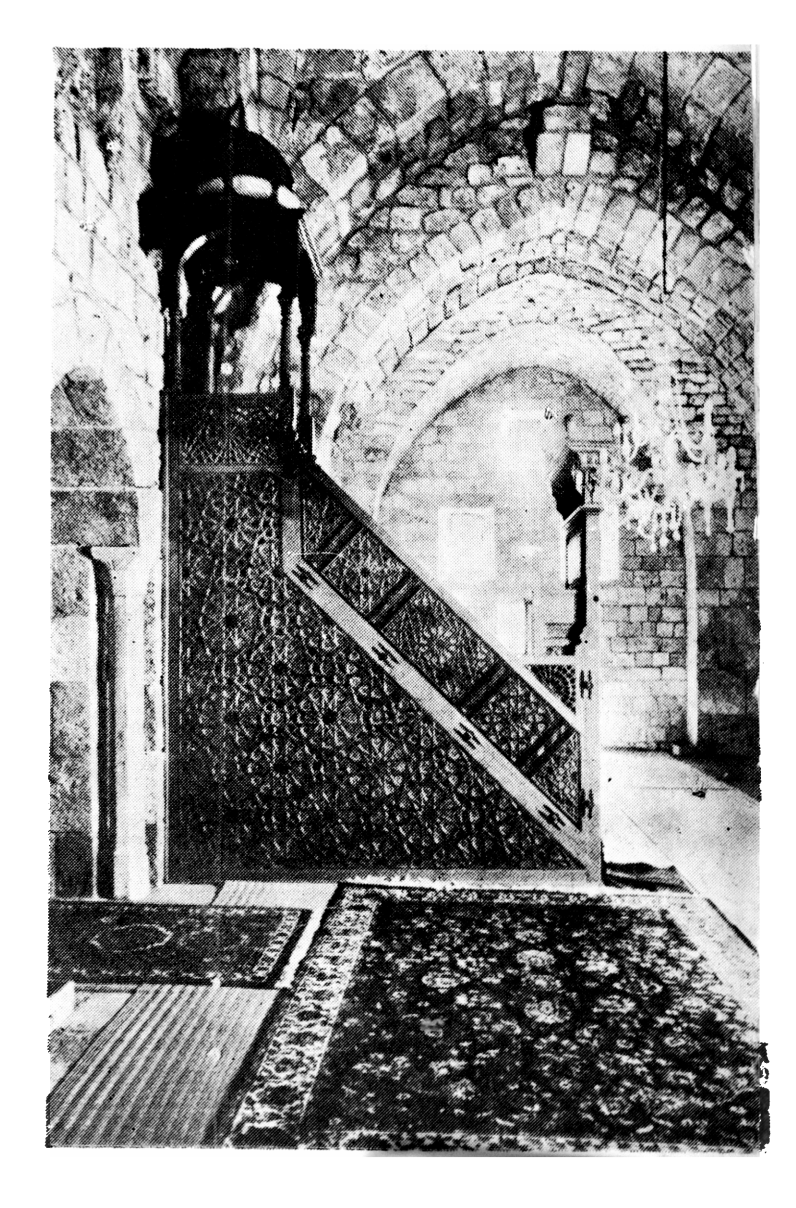


تاريخ طرابلس

قديماً وحديثاً

منذ اقدم الأزمنة حتى عصرنا الحاضر



تأليف الاستاذ
سميح وجيه الزين

دار الأندلس
للطباعة والنشر - بيروت

تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً

تاريخ طرابلس

قديماً وحديثاً

منذ اقدم الأزمنة حتى عصرنا الحاضر

تأليف الاستاذ

سميح وجيه الزين

مجاز في الصحافة

دار الاندلس

للطباعة والنشر - بيروت

الطبعة الاولى
بيروت – لبنان
١٣٨٩ هـ. – ١٩٦٩ م

المقدمة

وانما اطلق على هذه الصفحة وما يتلوها « اسم المقدمة » لأن المؤلفين دأبوا على ان ما يبتدىء به كتاب ما إنما هو مقدمة لهـذا الكتاب ، واعتقد ان هذا السفر الذي اقدمه ليس بحاجة لمقدمة ، الا لذكر باختصار فيما يحتويه بين دفتيه ، ذلك ان طرابلس معروفة لا منذ عشرات بل منذ مئات السنين ولا تخلو دائرة من دوائر المعارف من ذكر طرابلس، وذكر لمحة من تاريخها على ممر الزمن .

وبامكان قارئي ان يطلق على كتابي هذا اسم تاريخ طرابلس ، فقد جمعت فيه كل ما ورد في كتب المتقدمين والمتأخرين عن المراحل التي مرت على طرابلس ، ولم انس تسجيل ما جمعته من افواه المتقدمين بالسن ما عرفوه او سمعوه ممن تقدمهم ، من مجريات الحوادث التي مرت على هذه البلدة وما زالت عالقة بالأذهان .

وقد تعمقت في سرد صحة الفصول التي يحتويها كتابي هذا ، ولم أذكر إلا ما كنت واثقا من حقيقته وانه قد حدث فعلاً ، ذلك اني محصت كل التمحيص ما ورد عن طرابلس في مختلف كتب التاريخ من قديم ومن حديث ان كان للشرقيين او للغربيين ، ولم ارغب في اتباع طريقة بعض المؤرخين العرب في ذكر الحوادث سنة فسنة ، بل فضلت سرد هذه الحوادث عهداً عهداً متسلسلاً لأضع بين أيدي الراغبين في تتبع تاريخ طرابلس صورة متواصلة عن تاريخها على مدى الأزمان .

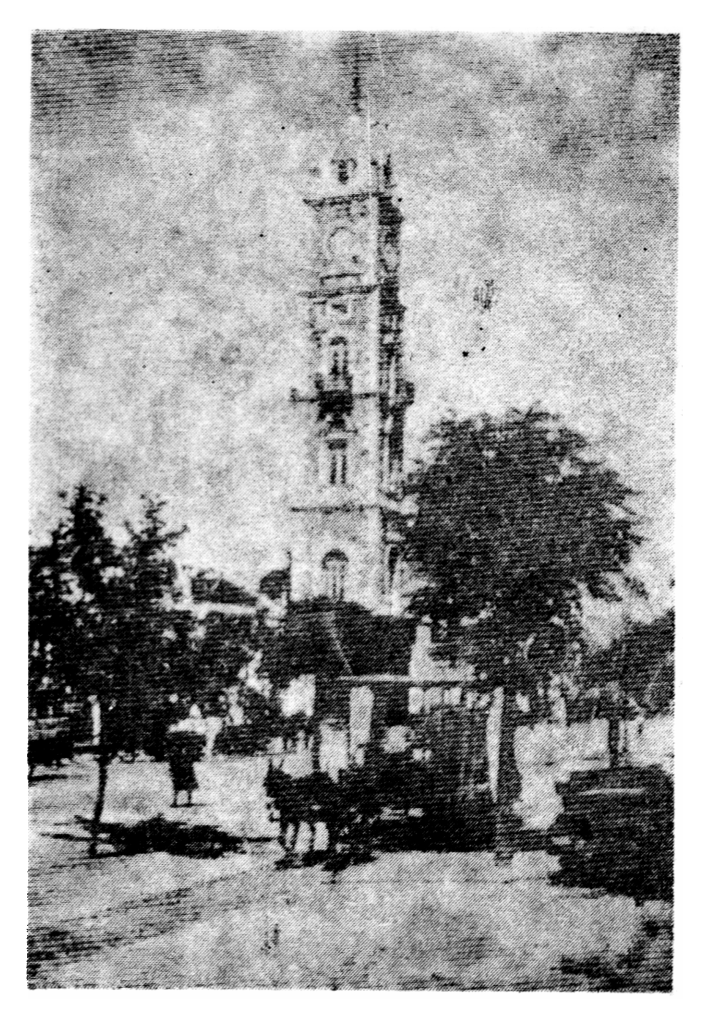
وقد استنرت بعـــدد ممن سبقوني في وضع تاريخ خاص لمدننا العربية ، فالخطيب البغدادي هو اول من وضع تاريخاً لمدينة عربية ، فقد كتب تاريخاً لمدينة بغداد في عشرة أجزاء ، وقد جرى على نمطه ابن عساكر بتأليفه تاريخ دمشق جاء بعدة مجلدات ، لم يترك لا شاردة ولا واردة عن العاصمة الأموية إلا ذكرها .

وابن ابي الدم جارى ابن عساكر في وضعه تاريخاً لحلب ، كما كتب صالح ابن يحيى تاريخاً لبيروت ، وتعمل مدينة صيداء على وضع تاريخ لها .

وما طرابلس بالمدينة التي لعبت دوراً في مراحل التاريخ، لأنها ما هي الا بالبلدة الثانوية ، ولم تعرف الاستقلال التام إلا في عهد بني عمار ولمدة وجيزة من السنين ، ثم احتلها الصليبيون وقلبوها الى امارة صليبية ،وهي وان كانت مستقلة ، لكن صلاتها كانت متواصلة مع جيرانها من بقية المدن اللبنانية .

وهكذا بقيت طرابلس بدون تاريخ خاص ، واذا ذكرها المؤرخون فانما يذكرونهـــا في سياق عرض وقائع التاريخ ، لذلك أصبح وضع تاريخ خاص بطرابلس من الصعوبة بمكان اذ ينبغي على واضعـــه قضاء الوقت الطويل في التفتيش عن المراجع التي يمكن الركون اليها ، ثم ليس في طرابلس مكتبة عامة تحتوي على هذه المراجع ،فهو والحالة هذه مضطر الى اللجوء الى مكتبة الجامعة الأميركية ومكتبة اليسوعية ودار الكتب الوطنية وغيرها مزمكتبات بيروت العامة .

ومنذ سنين عديدة فكرت بوضع تاريخ لطرابلس ، واضطرني تحقيق هذا المشروع الى ابتياع عــدد لا يستهان به من المراجع ، ابتعته شيئاً فشيئاً على مدى السنين ، كما اخذت بالتردد على مختلف مكتبات بيروت منقباً في مختلف الكتب عما ورد عن طرابلس، وكثيراً ما كنت اكتب البحث ثم أعود فألغي قسماً كبيراً منه خوفاً من ان يكون ما ورد فيه يسيء لمن ورد ذكرهم ، او اضيف عليه أشياء لم ترد فيه ، ذكرها لي المتقدمون بالسن ممن عاصروا



الترام الذي كانت تجره البغال وهو يجتاز شارع التل

الأحداث او سمعوا شيئاً عنها ممن تقدمهم .

وقد مر على طرابلس عهود كثيرة ، منها العهد الفينيقي الذي اسست خلاله ودام عدة قرون ، وتلاه العهد الاغريقي ثم الروماني . وقد انتقلت طرابلس كبقية المدن اللبنانية الى الحكم العربي ، فهناك العهد الراشدي ثم الأموي ثم العباسي ، وتخلله العهد الفاطمي فالأخشيدي فالطولوني فبني عمار ثم العهد الصليبي فالمملوكي فالعثماني فالانتداب واخيراً الاستقلال .

وقد وجدت انه من الصعب عليّ جداً ذكر المراجع في أسفل الصفحات بالنظر لتعددها ، لذلك اكتفيت بتنظيم قائمة بها ، وأهم هذه المراجع : تاريخ سوريا لجرجي يني ، وتاريخ الحروب الصليبية للدكتور عاشور ، وطرابلس الشام للدكتور سالم ، وتاريخ بربر للأب خوري ، عدا عن ابن الاثير وابي الفداء وابن خلدون وجواد بولس في كتابه الاخير « تاريخ شعوب شرق المتوسط » .

وقد أفردت في نهاية كتابي هذا فصلاً لآثار طرابلس ذكرتها بصورة مفصلة وتكلمت عن تاريخ كل منها ، كما أتيت بفصل تال على تراجم علماء طرابلس وأدبائها وشعرائها ، ثم اختتمت الكتاب بذكر مكتبات طرابلس من قديمة وحديثة .

وآمل أن يلاقي كتابي استحساناً لا في لبنان فحسب ، بل في سائر الأقطار العربية لأنه على ما أعتقد سد فراغاً في عالم تاريخ المدن العربية .

اسكلة طرابلس — لبنان

سميح الزين

أسباب
وضع تاريخ للمدن

•

شعر الانسان ، منذ أوائل عهده بحاجة لتدوين الحوادث التي تمر عليه ، وانه من الضروري ان يكون على علم بما مرّ عليه بسالف الزمن، وذلك ليتخذ من هذه الحوادث انموذجاً يتمشى عليه ويقيس عليها ما ينبغي ان يقوم به لحل مشكلاته وقد قال الشاعر :

ان رمت شيئاً في الزمان الآتي قس على ما مرّ من اوقات

وقد دون الانسان مجريات حياته ، قبل ان يخترع الورق على وسائله البدائية فنقش حوادثه على اللوحات الحجرية وأقامها في الساحات العامة استلفاتاً للنظر ، وفي القرب من مصب نهر الكلب ، عدد من اللوحات، أقامها الفاتحون على مختلف مراحل الزمن ، آخرها اللوحة التي سطرت انه جلا آخر جندي أجنبي عن لبنان بتاريخ ٣١ كانون الاول سنة ١٩٤٦ .

الفرق بين التاريخ العام وتاريخ المدن

والتاريخ العام ابتدأ الانسان بتدوينه للاسباب التالية :

١ – بيان اوقات تأسيس الدول وكيف قامت على سواعد مؤسسيها.

٢ – بيان الفتوحات التي قام بها ملوك هذه الدول وكيف تغلبوا على اعدائهم وما حدث في عهودهم من حوادث .

٣ – بيان اسماء الملوك التي تتالت على كرسي الحكم وبيان اعمالهم .

٤ – بيان أسماء الاسر التي انتهى اليها الحكم .

٥ – الحوادث التي جرت في عهد كل ملك .

٦ – تدوين الشرائع التي سنها هؤلاء الملوك وهل كانت ملائمة لرغبات الشعب لكي يعمل الملوك في مستقبل الزمن على تعديلها .

٧ – تدوين تاريخ الوافدات الصحية التي أتت على البلاد وما جرى من ترتيبات لاتقائها .

هذه هي أهم الاسباب التي دعت لتدوين التاريخ العام ، أما تاريخ المدن فهناك أسباب اخرى دعت لكتابته ، فقد شعر المؤرخون بضرورة تدوينه ، وانه يختلف عن التاريخ العام طبقاً لما يلي :

١ – تاريخ المدينة يبتدىء من تاريخ بنائها والضرورة التي دعت لذلك ولاقامة هذه المدينة وانفاق الاموال الطائلة في هذا السبيل ونقل السكان لها وقد انفقت مؤخراً حكومة البرازيل الملايين في سبيل تأسيس وبناء العاصمة الجديدة برازيلا .

٢ – في أغلب الأحيان تبنى المدينة ، إما لتتخذ عاصمة جديدة بالنظر لوقوعها في موقع حصين، او للضرورة بالنظر لوقوع مركزها في مختلف الطرق أو في وسط البلاد .

بنى الخليفة العباسي المنصور مدينة بغداد بالنظر لوقوعها على مختلف طرق القوافل ، وبنى الأقدمون مدينة حلب بالنظر لوقوعها أيضاً على ملتقى طرق القوافل ، وبنى الفنيقيون مدينة طرابلس لوقوعها في مكان متوسط بين أرواد وصور وصيداء .

٣ – تقضي الضرورة الحربية في بعض الأحيان الى هدم مدينة بأجمعها كما فعل السلطان قلاوون المملوكي، فقد أمر بهدم طرابلس ليمنع تعدي البيزنطيين كما أمر باعادة بنائها على بعد ميلين عن الساحل .



مدخل طرابلس

٤ - كثيراً ما يمر على المدن من الحوادث حتى قال الشاعر :

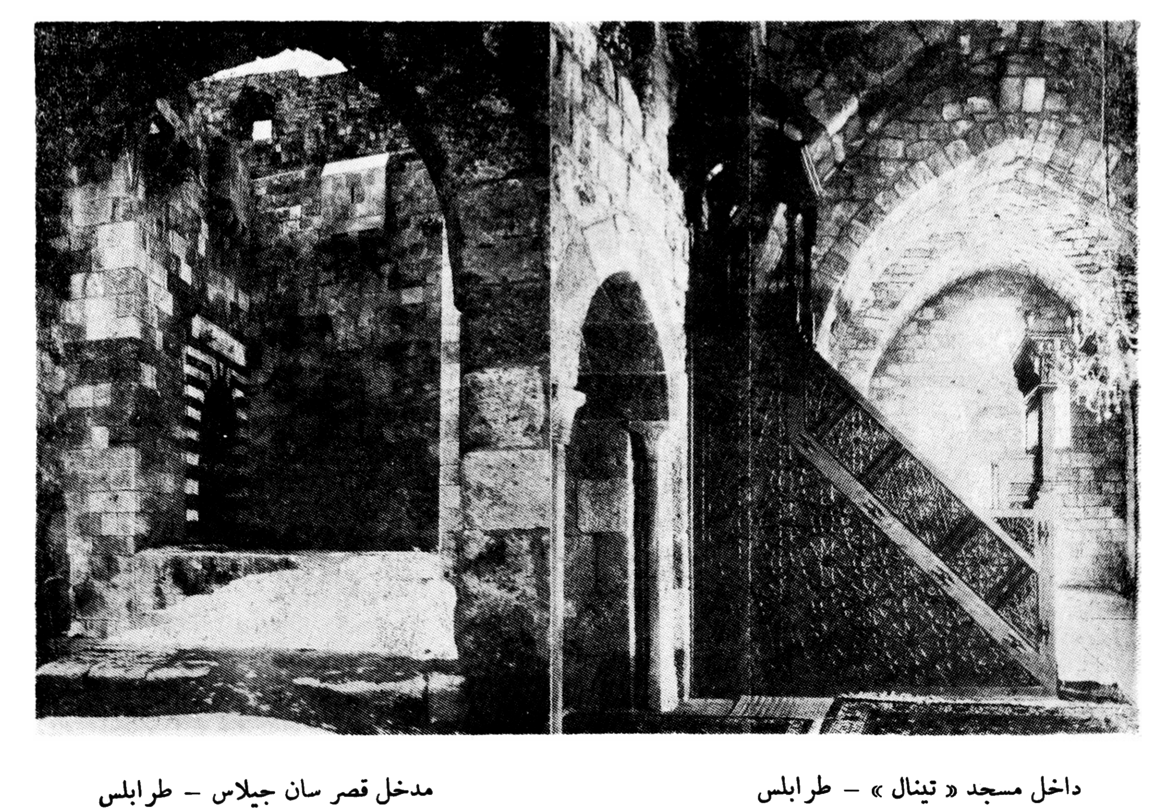
واذا نظرت الى البلاد رأيتها   تشقى كما تشقى العباد وتسعد

٥ - تاريخ المدن موضوعي، فالحوادث التي تمر عليها يذكرها مؤرخ تاريخ المدن باسهاب ، ويذكر أبطال هذه الحوادث ومجرياتها وأسبابها أمـا مؤرخ الدول فياتي على هذه الحوادث باختصار ، لأن همه ذكر تاريخ الدولة وتاريـخ ملوكها وجلوسهم على العرش ويتصل تاريخهم دائماً بتاريخ العاصمـــة بخلاف تاريخ المدينة، ففي بعض الاوقات لا تكون عاصمة بل مدينة ثانوية لا يذكرها التاريخ العام الا صدفة ، اذا احتلها عدو أو قامت بها ثورة .

٦ - تاريخ المدينة يذكر ما اقيم بها من عمران ، بخلاف التاريخ العـام فلا يذكر ذلك الا على سبيل العرض .

والتاريخ الذي وضعناه لمدينة طرابلس انما يرتكز على الأسباب المذكورة آنفاً ، فطرابلس لم تكن في خلال زمن من الأزمان عاصمة ، الا في عهد امارة الصليبيين وفي عهد بني عمار القصير الأجل ، وفي باقي عهودها كانت مدينة ثانوية تتبع غيرها من العواصم .

ومعظم الحوادث التي تؤرخ في تاريـخ المدن إنما ترتكز في تدوينهـا على المتقدمين في السن الذين عاصروا الاحداث وشاهدوا ما جرى فيها وعرفوا اسبابها الحقيقية ، ولا ترتكز البتة على السجلات الرسمية إلا في تعيين الحـكام والموظفين ، وهؤلاء إنما همهم في ذكر محاسنهم وما قاموا به من اعمال جليلة في نظرهم .



داخل مسجد « تينال » – طرابلس

مدخل قصر سان جيلاس – طرابلس



منظر عام لطرابلس الجديدة

الباب الأول

طرابلس في العهود الأولى

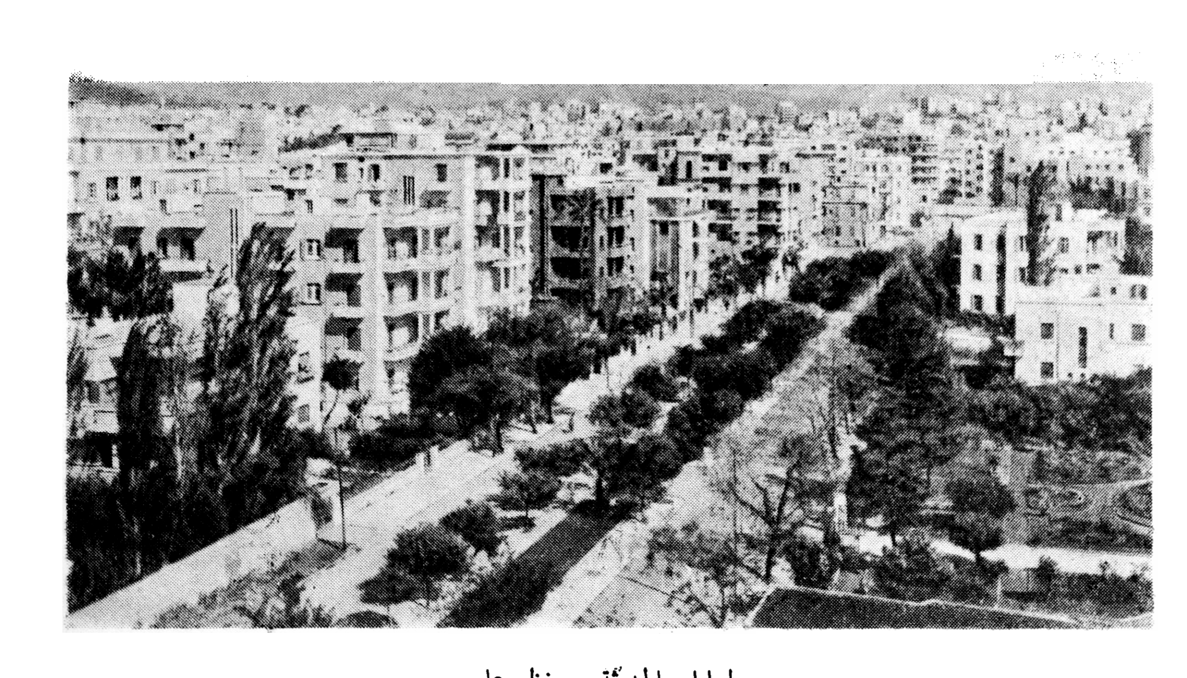
تمهيد في سبب بناء طرابلس

●

قبل أن نتكلم عن تاريخ طرابلس نأتي على الأسباب والمسببات التي كانت أصلاً لبنـاء هذه المدينة التي تعود الى العصر الفينيقي ، فموقع طرابلس هو عبارة عن لسان ممتد في البحر المتوسط ، مساحته ما يقارب الكيلومتر طولاً في أقـل من كيلومتر عرضاً ، بمعنى أن مساحة طرابلس الأصلية لا تتعدى الكيلومتر المربع تقريباً .

والناظر الى هذه البقعة اذا تخيلها جرداء لا بناء عليها ، لا يسعه إلا أن يتصورها مدينة أو روضة غناء منبسطة يكتنفها البحر من جهاتها الثلاث ، لذلك فان الصوريين والأرواديين والصيدانيين رأوا ان الطبيعـة تجبرهم على اتخاذ هذه البقعة مكانا صالحاً لاجتماعاتهم ، فاختار كل منهم مكاناً لاقامته أثناء انعقاد مؤتمرهم للنظر في الشؤون المتبادلة بينهم وتقرير ما فيه صالح الجميـع وهكذا نشأت طرابلس مع الزمن وعمرت الأحيـاء الثلاثة، واكتسبت اسم طرابلس على ما يجيء في الصفحات التالية :

وبالنظر لموقع طرابلس فإن البحر يحيطها من ثلاث جهات، وبالنظر لضيق



طرابلس الحديثة – منظر عام

المسافة التي تصـل بين محلة فوق الريح على البحر ومحلة بين الأبراج من الجهة الشرقية ، فقد حاول ابراهيم باشا حين احتلاله لطرابلس وقيام الثورة عليـه فيها ، حاول قطع الميناء عن البلدة فجمع جنوده وحفروا خلال الليل خندقاً يمتد بين البحرين من الجهتين الغربية والشرقية بحيث أصبحت الميناء عبارة عن جزيرة. لكن قطع المدينة عن الميناء لم تطل مدته بل ردم هذا الخندق وعاد توحيد الأسكلة مع البلدة .

والميناء كما قلنا أعلاه منبسطة كل الانبساط وتعلو عن سطح البحر مقدار المترين على الأكثر لذلـك اضطرت البلدية حين قامت بانشاء المجارير الجديدة الى اقامة محطة لضخ المياه المالحة وايصالها للبحر بالنظر لأنه ليس هنـاك انحدار كاف .

وفي الصفحات التالية يجد القارىء تاريخ طرابلس على مختلف العصور التي مرت عليها من وقت تأسيسها في العهد الفينيقي حتى عهد الاستقلال الحالي .

اسم طرابلس

•

بين طرابلس واطرابلس

فرقت بعض المصادر العربية بين طرابلس الواقعة في آسيا على ساحل المتوسط في الشرق العربي وبين طرابلس في افريقيا الواقعة ايضاً على ساحل المتوسط بأن اطلقوا على الأولى « اطرابلس » وعلى الثانية « طرابلس » بدون ألف وقد وردت طرابلس اللبنانية في معجم البلدان لياقوت الحموي بزيادة الألف إلا ان المتنبي ذكرها بدون الألف حين قال في مدح اهل طرابلس :

اكارم حسد الأرض السماء بهم   وقصرت كل مصر عن طرابلس

ومنعاً للالتباس اطلق قبل العهد الحالي على طرابلس الآسيوية اسم «طرابلس الشام » وعلى الاخرى الافريقية اسم « طرابلس الغرب » لكن بعد ان ضمت طرابلس الشامية الى الجمهورية اللبنانية الوطن الأم واعلن استقلال لبنان أصبحت طرابلس تعرف باسم طرابلس لبنان .

لفظة طرابلس

ولفظة طرابلس يونانية الأصل وتعني « ثلاث مدن » ويقول الأستاذ جواد بولس في تاريخ أمم الشرق الأدنى أن طرابلس قديماً كانت عبارة عن ثلاثة أحياء مسورة متحاجزة وهي حي الصوريين وحي الصيدانيين وحي الارواديين. ويقول القلقشندي نقلاً عن الروض المعطار للحميري: ان معنى لفظة طرابلس الثلاث مدن وقيل مدينة الناس ، أما أبو المحاسن بن تغري بردى فينقل عن

شرف الدين محمد بن موسى المقدسي في السيرة المنصورية ، ان طرابلس كانت عبارة عن ثلاثة حصون مجتمعة ولذلك أطلق عليها اسم طرابلس باللسان الرومي .

ويؤكد الأستاذ بولس في تاريخه السالف الذكر ان تاريخ طرابلس غير معروف على وجه الدقة ويغلب الظن على أن طرابس تأسست في حوالي القرن السابع أو الثامن والعشرين قبل الميلاد ، أسسها الفينيقيون من أبناء صور وصيدا وارواد وكانوا يجتمعون في مكانها للتداول فيما بينهم وتقرير ما فيه مصلحة المدن الثلاث .

أما الأستاذ فريحة فيرجح ان لطرابلس اسماً فينيقياً هو « تربيل » انحداراً من لفظة تربل وهو الجبل الواقع في سفح طرابلس ومعنى «تربل» جبل الآلهة وليس بالمستبعد ان يكون اسم طرابلس تحريف لتربيل أو تربل الجبل الآنف الذكر ولعل أيضاً ان تربيل تحرف فيما بعد الى تريبوليس اللفظة اليونانية التي تعني ثلاثة بلاد . وهناك كثير من الأمثلة على التحريف والعرب ومؤرخوهم اكثروا من تحريف الاسماء .

موقع طرابلس

وطرابس اليوم عاصمة لبنان الشمالي وثاني بلدة في الجمهورية اللبنانية تقع على الشاطىء اللبناني ويخترقها «نهر ابو علي » فيشطرها الى شطرين وقد قامت مؤخراً وزارة الاشغال العامة بتقويم مجرى النهر المشار اليه ابتداء من وحلة المولوية الواقعة شرقي طرابلس حتى مصبه بقرب برج رأس النهر ، من بقايا المماليك كما سيمر عند ذكر آثار طرابلس .

ويغلب الظن ان اسم«ابوعلي»الذي يطلق على نهر طرابلس نسبة الى ابي علي بن عمار احد الذين تولوا طرابلس من بني عمار خلال العهد الفاطمي . ويطلق على هذا النهر من منبعه « اسم نهر قاديشا » حيث ينبع من مغارة قاديشا الواقعة تحت الأرز ويجري في واد عميق يعتبر من اشد اودية لبنان عمقاً ووعورة

وينحدر انحداراً سريعاً ماراً في انحناءات وتعرجات فيمر تحت قرية حدث الجبة ويشكل منظراً خلاباً قل ان تجد مثله روعة وجمالاً ثم يواصل مسيره حتى قرية رأس كيفا ثم ينتهي الى محلة المولوية في شرقي طرابلس بعد ان يمر في سفح زغرتا فيخترق جنائن المرجة ثم يخترق طرابلس ويمر بعدئذ بجنائنها حتى مصبه في محلة برج رأس النهر .

ولنهر أبي علي عدد من الروافد في خلال الشتاء أما روافده الدائمة فهي نبع رشعين بالقرب من القرية التي تحمل هذا الاسم ثم نبع المخاضة في زغرتا القرية الواقعة بالقرب من طرابلس وعندما يصل النهر لطرابلس يشطرها لشطرين على يمينه تلة تدعى قبة النصر وعلى شماله تلة تدعى تلة أبي سمراء حيث تقع قلعة صنجيل وكلا التلتين تكتظ بالسكان .

ولنهر ابي علي أطيب الأثر في طرابلس وبسبب مياهه قامت الجنائن الغناء وشكلت لطرابلس ثروة زراعية لا يستهان بها بعد ان انتشرت زراعة الليمون وهي زراعة مستجدة في طرابلس إذ قبل الليمون كانت طرابلس تزرع التفاح والرمان وكانت المراكب الهوائية تأتي للاسكلة وتحمل الرمان والتفاح لثغر الاسكندرية ودمياط في القطر المصري .

وفي خلال الحرب الروسية العثمانية عام ١٨٧٧ كان في الجيش العثماني جندي من آل الرواس من طرابلس ، أسره الروس واقتادوه لموسكو العاصمة وهناك شاهد ان أسعار الليمون الحامض مرتفعة جداً . وبعد انتهاء الحرب عاد لطرابلس وعبأ عدداً من صناديق ليمون الحامض من مزروعات طرابلس وسافر بها الى موسكو وعن طريق أوديسا ، لأنه تعلم الروسية خلال مدة أسره وباع صناديق الليمون المشار اليها بأسعار حسنة فأعاد الكرة وجمع ثروة طائلة من تجارة الليمون .

وهكذا اقتلع الطرابلسيون شجر التفاح والرمان واستعاضوا عنها بشجر الليمون وتمكنوا من جني ثروات لا يستهان بها خصوصاً قبل الحرب العالمية الأولى.

طرابلس الحالية

وطرابلس الحالية بلدة حديثة بناها الملك المنصور قلاوون بعد فتحه لطرابلس القديمة واستخلاصها من ايدي الصليبيين كما يجيء حين نتكلم عن العهد المملوكي. اما طرابلس القديمة فهي الميناء التي تقع على بعد ثلاث كيلومترات من طرابلس البلدة وتصلها بها ثلاث شوارع مستقيمة هي شارع الميناء وشارع عزمي وشارع المايتين وشارع الميناء قديم اما شارع عزمي فشقه عزمي بك الوالي التركي خلال الحرب العالمية الأولى وشارع المايتين شقته شركة سكة الحديد سنة ١٩١٢ .

وأمام الميناء عدد من الجزر منها جزيرة البقر وهي التي كان يطلق عليها خلال العهد الصليبي اسم جزيرة سان توماس وهرب اليها الصليبيون خلال الفتح المملوكي ، ثم جزيرة سنني وجزر المقاطيع وجزيرة الأرانب أو النخيل لأن قنصل فرنسا وضع فيها عدداً من الأرانب تناسلت وتكاثرت واطلق على الجزيرة اسم جزيرة الأرانب وفي هذه الجزيرة شط بحر من الرمل الابيض الناعم وتصلح لأن تكون حمامات بحر لا مثيل لها ثم جزيرة الفنار حيث تضع وزارة الاشغال العامة فيها فناراً لارشاد السفن وتبعد هاتان الجزيرتان عن الاسكلة نحو ستة أميال .

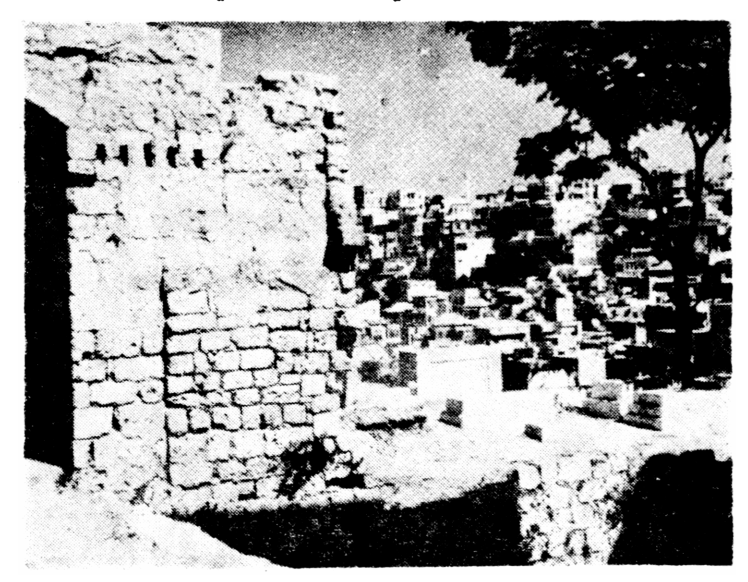
وفي الميناء او أسكلة طرابلس من الآثار القديمة الجامع الكبير وقد بني على الاغلب على أنقاض جامع قديم بناه محمد بن أبي بكر ، وجدّد بناءه المرحوم عبد القادر علم الدين ووقف له جد مؤلف هذا الكتاب عقارات لاقامة الأذان فيه ، شرط أن يتولى هذه الوظيفة أحد بني الزين أو من يوكله . ثم هناك كنيسة مار جرجس وتقع في الحي المسيحي والكنيسة تعود لعهد ابراهيم باشا أحد ولاة طرابلس وغير ابراهيم باشا المصري ثم كنيسة مار الياس وهي كنيسة صغيرة بناها البحارة ممن كانوا يغطسون على الاسفنج وسيأتي ذكر هذه الآثار في القسم الخاص بها .

الفينيقيون

●

جزيرة العرب

شكلت جزيرة العرب مهداً للجنس السامي فمن هذا الصقع حيث لا ينمو نبات ، تدفقت موجة إثر موجة في هجرات متتالية ومتتابعة من خلائق



المدينة القديمة كما تبدوا من أعالي القلعة

اقوياء لا يهابون الردى نحو البلاد المجاورة بعد ان وجدوا انه لا سبيل للعيش في تلك الصحراء القاحلة ، وقد اطلق التاريخ على الشعوب التي هاجرت نحو هذه البقعـــة الكائنة على الشاطىء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط اسم

« الفينيقيين » . ولا بد أن نتساءل من هم أولئك الفينيقيون الذين تردد ذكرهم في تاريخ شعوب البحر الأبيض المتوسط ولم يخل ثغر من تجارهم يساومون فيه ويبيعون ويشترون وينتقلون من ثغر لآخر في شتى اقطار هذه البقعة من الأرض.

إن المؤرخ ليس بوسعه إلا الاعتراف بأنه لا يعرف شيئاً من التاريخ الباكر أو المتأخر لهذا الشعب الذي نراه في كل مكان من الأصقاع المعروفة في الكرة الأرضية ، وهكذا لا تعرف بصورة باتة من أين جاء الفينيقيون ومتى جاؤوا كما أننا لسنا على ثقة من أنهم ساميون ثم بشأن تاريخ قدومهم نضطر للاعتراف بما صوره « هيرودوت » من أن أجداد الفينيقيين قدموا الى سواحل لبنان من شواطىء الخليج الفارسي وانهم شادوا المدن المختلفة على شواطىء البحر الأبيض المتوسط خلال ما نسميه القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد . ثم ان اسمهم من المشاكل العسيرة فربما سيكون معنى لفظة «فوانيكس» الذي اشتق منه اليونان هذا الاسم المنحدر من الصبغة الحمراء الأرجوانية الذي كان يبيعها تجار صور وصيدا. وربما معناه أيضاً شجرة النخيل التي ترعرعت على الشواطىء الفينيقية ، تلك الشواطى التي شكلت شريطاً من الأرض يمتد نحو مائة ميل بعرض يزيد على العشرة أميال ويشكل حالياً حدود الجمهورية اللبنانية بمجموعها . وكان ولا يزال محصوراً بين البحر وسوريا الداخلية، كان ذاك ما أطلق عليه اسم «فينيقية» وقد قنع ساكنوه بالاستيطان في هذه البقعة ورضوا بان يظل هذا الحاجز بينهم وبين البلاد المجاورة، يحميهم من الأمم ذات النزعة الحربية والتي كانوا يحملون بضائعها الى خلجان البحار البعيدة .

الفينيقيون وظهر البحار

وقد اضطرهم رضاهم بهذه البقعة من شرق البحر الابيض المتوسط الى العيش على ظهر البحار ، وظلوا من عهد الأسرة السادسة المصرية الى ما بعدها من أنشط تجار العالم القديم ، ولما تحرروا من حكم مصر حوالي سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد ، اضحوا سادة البحر الابيض المتوسط ، ولم يكتفوا بنقل التجارة ،

بل كانت لهم مصنوعات خاصة توصلوا لاتقانها كالزجاج والمعادن والمزهريات المنقوشة والاسلحة والحلى والجواهر . وقد احتكروا لانفسهم صنع الصباغ الأرجواني الذي استخرجوا مادته من حيوان بحري يكثر بالقرب من شواطئهم . وقد اشتهرت أيضاً نساء صور ، باستخدام الألوان الزاهية الجميلة التي كن يصبغن بها ما برعن في تطريزه من الأقمشة . ثم كان الفينيقيون ينقلون هذه المصنوعات والفائض لديهم مما كان يمكن نقله مما يأتيهم من غلات الشرق الاقصى والهند ، من حبوب ومنسوجات **وحجارة كريمة** وغيرها ، الى الموانىء القريبة أو البعيدة عنهم . وهكذا كانت سفنهم تعود من هذه الموانىء مثقلة بالرصاص والذهب والحديد يحملونها من شواطىء البحر الأسود الجنوبية ، وبالنحاس وخشب السرو والغلال من جزيرة قبرص الكائنة مقابل شواطئهم ، وبالعاج من افريقيا والفضة من أسبانيا والقصدير من بريطانيا وبالعبيد من كل مكان . كان الفينيقيون تجاراً دهاة لا يتوانون عن استبدال ما لديهم بالقصدير والفضة واسر الاهلين وغيرهم للعمل في المناجم في سبيل ما هم بحاجة للحصول عليه .

فالفينيقيون ككل التجار في الازمنة القديمة لم يكونوا يفرقون في أعمالهم ولا في أخلاقهم بين التجارة والغدر ، أو بين اللصوصية ، بل كانوا يسرقون الضعيف ويبتزون مال الغبي بكل وسيلة تمكنهم غير مفرقين ، وأما ما عدا هذين الأمرين فكانوا يراعون ما يقضي به الشرف . كانوا يستولون على السفن الماخرة في عرض البحار ، يصادرون منها ما فيها من بضائع ، ويأسرون من فيها من ملاحين . وكثيراً ما كانوا يخدعون الأهلين المتشوقين الى الاستطلاع فيغرونهم في زيارة سفنهم ، ثم يبحرون بهم ويبيعونهم عبيداً . وكان لهم النصيب الأكبر في تشويه سمعة التجار الساميين الأقدمين وبخاصة لدى اليونان الاولين الذين جاروهم أيضاً في أفعالهم .

وقد تمكنوا من صنع سفن خفيفة ضيقة طولها نحو السبعين قدماً شكلوا

فيها طرازاً جديداً في بناء السفن ، ذلك انهم لم يحذوا فيها حذو السفن المصرية ، المنحني مقدمها الى الداخل ، بل جعلوه ينحني الى خارجها وينتهي بطرف رفيع يشق الريح أو الماء أو مراكب الاعداء . صنعوا لكل سفينة شراعاً واحداً مستطيلاً ومرفوعاً على سارية مثبتة في قاع السفينة . وكان هذا الشراع يساعد العبيد الذين يدفعون السفينة بصفين من المجاذيف . أما الجند فكانوا يقفون على سطح السفينة فوق المجاذيف يحرسونها ، وهم في تمام الاهبة للاتجار أو للحرب على السواء . وكانت سفنهم لا تسترشد ببيت الإبرة أو البوصلة ولا يزيد غاطسها على خمسة أقدام . لذلك كانت تخشى ان تبتعد عن الشاطىء كثيراً ، وظلت زمناً طويلاً لا تجرؤ على السفر في الليل . وقد ارتقى فن الملاحة شيئاً فشيئاً حتى استطاع الفينيقيون ان يسترشدوا في سفنهم بالنجم القطبي أو النجم الفينيقي كما كان يسميه اليونان ، ويتوغلوا في البحار ، ثم تمكنوا من الطواف حول افريقيا ، فساروا أولاً بازاء الساحل الشرقي متجهين نحو الجنوب وتوصلوا لاكتشاف رأس الرجاء الصالح قبل ان يكتشفه فاسكودي جاما بنحو الف عام .

ويقول المؤرخ هيرودوت انهم نزلوا الى البر في خلال الخريف ، وزرعوا الأرض وانتظروا الحصاد ثم حصدوا الحب ، واقلعوا بسفنهم مرة أخرى وقضوا في سفرهم هذا نحو السنتين ، وصلوا في السنة الثالثة الى مصر بعد ان قطعوا أعمدة هرقل أو جبل طارق الحالي .

مستعمرات الفينيقيين

وقد اقام الفينيقيون في خلال رحلاتهم عدداً كبيراً من المستعمرات المختلفة على ساحل البحر المتوسط ، بقيت تنمو حتى اصبحت مدناً غاصة بالسكان ، اقاموها: قرطاجنة ومرسيليا ومالطة وصقلية وسردينية وكورسيكا وانكلترا البعيدة ، واحتلوا قبرص ، وميلوس ورودس ، ونقلوا الى هذه المستعمرات الفنون والعلوم من مصر وكريت والشرق الأقصى والأدنى ، ونشروا علومهم

وفنونهم في اليونان وفي ايطاليا وافريقيا واسبانيا ، وربطوا الشرق والغرب بشبكة من روابط التجارة والثقافة، وأخذوا ينتشلون اوروبا من الهمجية التي كانت تغرق بها .

أما مدن فينيقية ، فقد ازدهرت كل الازدهار ، بالتجارة الواسعة التي كانت تمارسها ، وكان يحكم هذه المدن عدد من التجار الأثرياء، حذقوا جميعهم فنون السياسة الخارجية والمالية ، كما ضنوا بثروة البلاد ان تتجزأ وتبدد في الحروب الخارجية . وقد أصبحت مدن فينيقية على ممر الأيام من أغنى مدن العالم وأقواها . ومن هذه المدن ، مدينة بيبلوس التي كانت تعلن نفسها أقدم مدن العالم كلها وان الإله أنشأها في بداية الزمان . وظلت هذه المدينة إلى آخر ايامها ، القصبة الدينية الفينيقية ، وكان البردي من أهم سلعها ، فاشتق اليونان من اسمها في لغتهم « بيبلوس » ومنها اشتقت هذه الكلمة « بيبل » التي أطلقناها على الكتاب المقدس .

مدينة طرابلس

وعلى بعد خمسين ميلاً منها جنوباً ، نشأت مدينة طرابلس في حوالي القرن السابع أو الثامن والعشرين قبل الميلاد ، وعلى بعد خمسين ميلاً أخرى، نشأت مدينة صيداء ، ولم تكن في بداية أمرها إلا حصناً من الحصون ، كما ان طرابلس كانت أيضاً ، في بداية أمرها ، مجتمعاً لمدن فينيقية الثلاث ، صيداء وصور وارواد كما سيجيء . وقد نمت صيداء بسرعة فازدهرت وغنيت غنى فاحشاً أمدها بأحسن المراكب . ولما حاصرها الفرس ، واستولوا عليها ، أبت انفة الصيداويين وعزة نفوسهم أن يسلموا مدينتهم طائعين ، فأضرموا فيها النار ودمروها على آخرها وهلك في هذه الموقعة الكثيرون .

لكن صيداء عادت فنمت بسرعة أيضاً، وحين جاءها الاسكندر الكبير، كما سنفصله فيما بعد ، وجدها مدينة زاهرة ، وسار بعض تجارها في جيش الاسكندر بقصد الاتجار .

وتتلو مدينة صور مدينة طرابلس وصيداء ، فقد كانت صور أيضاً من أعظم مدن فينيقية ، وأطلق عليها اسم صور ، أي الصخرة ، انشئت على جزيرة تبعد عدة أميال عن البر ، وبدأت أيضاً كحصن ، لكن ميناءها الأمين وسلامتها من غزو الفاتحين ، سرعان ما جعلاها حاضرة البلاد الفينيقية كلها ومأوى الخليط من التجار والعبيد ، جاؤوها من جميع بلدان البحر المتوسط . وما ان حل القرن التاسع قبل الميلاد حتى كانت صور غنية غنى فاحشاً أيضاً ، خصوصاً في عهد الملك حيرام صديق الملك سليمان . وفي ايام زكريا حوالي عام ٥٢٠ قبل الميلاد ، كانت الفضة تجمعت في صور كالتراب ، وكان الذهب كأنه الوحل ، ويقول المؤرخ استرابون ان بيوت صور كانت تتألف من عدة طبقات ، بل انها كانت أكثر طبقات من بيوت روما نفسها وهكذا ظلت ثروتها وبسالة أهليها تزدهر حتى جاءها الاسكندر الكبير . ورأى هذا الملك الشاب المتغطرس في استقلال صور تحدياً لعظمته ، فأخضعها بأن بنى طريقاً لها في البحر جعل منها شبه جزيرة ، ثم قضى عليها القضاء الأخير مما سنفصله في فصل آت ، ثم زاد بناء مدينة الاسكندرية في القضاء على مركزها .

آلهة الفينيقيين

كان للفينيقيين الهة متعددة ، شأنهم في ذلك شأن كل أمة تشعر بالتيارات العالمية المعقدة ، وهكذا كان لكل مدينة من مدن فنيقية سيدها أو إلهها الخاص بها ، وهو في اعتقاد اهلها ان الملوك منحدرة عن هذا الإله ، وانه السبب المباشر في خصب ارضها ، فكانت جميع المحصولات من حبوب وخمور وتين وكتان وغيرها من عمل هذا الاله المقدس. كان إله صور يسمى «ماكرث» وكان إله القوة يدعى « كهرقول » وكان عشتروت اله آخر . ومن خصائص هذه الآلهة انها كانت تعبد في بعض الأماكن على انها آلهة الطهر ، وفي اماكن اخرى على انها آلهة الفجور والحب الشهواني، وقد جعلها اليونان في هذه الصفة

الاخيرة كصورة عن إلهتهم افروديت . وكما كانت الالهة اشتار ميلتا في بابل تتقبل بكارى العابد ، هكذا كانت النساء اللاتي يعبدن عشتروت في بيبلوس يقدمن لها غدائرهن أو يستسلمن لأول غريب يعرض عليهن حبه في جوار الهيكل . وكما احبت اشتار تموز ، كذلك احبت عشتروت ادناي الرب . وكان يحتفل في بيبلوس وقبرص في كل عام بمقتله على أنياب خنزير بري ، بالنحيب وضرب الصدور .

وكان من حسن حظ « ادناي » انه يقوم من بين الأموات كلما فارق الحياة ويصعد الى السماء على مشهد من عباده . وكان من آلهتهم أيضاً «مولوخ» – اي الملك – وهو الإله الرهيب ، وكان الفينيقيون يتقربون اليه باطفالهم ويحرقونهم احياء امام ضريحه . وقد حدث في قرطاجنة اثناء حصارها ان أحرق على مذبح هذا الاله الغاضب ، مائتا غلام من ابناء أرقى أسرها .

وللفينيقيين اثر خالد في محراب الامم المتحضرة ، ذلك ان تجارهم هم الذين علموا الامم القديمة الكتابة بوضعهم الحروف الهجائية ، وقد استناروا بوضعها بالاشارات التي وضعها المصريون ، وبالنظر لعلاقتهم الوثيقة مع باقي الأمم ، وتبادلهم التجارة معهم ، دعتهم الحاجة الى التفكير بوضع قواعد واصول للكتابة ، وهكذا فان التجارة هي التي أوجدت رابطاً قوياً مع الثقافة ، وكان هذا الرابط منتجاً ومثمراً ، اكتسح العالم اجمع ولولاه لما تمكن العالم المتمدن من تدوين ما بلغ به من حضارة .

وتؤكد الرواية ان الفينيقيين هم الذين ادخلوا الحروف التي وضعوها الى اليونان ، وكما قلنا اعلاه ، ان الفينيقيين استناروا بالحروف المصرية واستناروا بالحضارة المصرية فنقلوا عن مصر البردي للكتابة ، وهناك دلائل تبين ان الفينيقيين عام١١٠٠ قبل الميلاد كانوا يستوردون اوراق البردي من مصر وكان لهذا النبات فائدة عظمى لا تقدر ، اذ بواسطته تمكن المصريون من حفظ السجلات الحسابية ونقلها من مكان لآخر ، وذلك لما فيه من اليسر ، اذ ان

وزن الالواح الطينية الثقيلة التي كانت تستخدم في الجزيرة للتدوين كان يصعب نقلها ، بخلاف اوراق البردي . ناهيك بالحرف الهجائي المصري الذي كان ارقى بكثير من المقاطع السمجة التي كانت تستخدمها في غير مصر بقية شعوب الشرق الأدنى . ومثالاً على ذلك ان حيرام ملك صور ، وهب احد الآلهة عام ٩٦٠ قبل الميلاد كوباً من البرونز عليه نقوش الحروف الهجائية الفينيقية ، وكذلك ميشا مؤداب اراد في عام ٨٤٠ قبل الميلاد ان يخلد مجده فنقش على حجر موجود الآن في متحف اللوفر في باريس نقشاً بإحدى اللغات السامية مكتوبا من اليمين الى اليسار بحروف شبيهة بالحروف الفينيقية.

وقد قلب اليونان اتجاه الحرف من اليمين الى اليسار لأنهم كانوا يستعملون هذه الطريقة التي تمشت عليها الأمم الغربية فيما بعد ، ولكن الحروف التي تمشى عليها اليونانيون كانت في جوهرها هي نفس الحروف التي نقلوها من الفينيقيين . ومن اليونان انتقلت هذه الحروف الى اوروبا ، وهكذا نجد ان هذه الحروف او الرموز التي وضعها الفينيقيون هي اثمن ما ورثته الحضارة الحالية من الامم القديمة .

اكتشاف الحرف

وأقدم ما اكتشف من كتابات بالحروف الهجائية التي وضعها الفينيقيون ، لم تكتشف في فينيقية ، بل في سيناء . فقد عثر المستشرق السير وليم فنلند رزبتري في سراية الخادم ، وهي قرية في موضع كان المصريون الاقدمون يستخرجون منه الفيروز ، عثر المستشرق المومى اليه على نقوش بلغة عجيبة ، يرجع تاريخها الى وقت غير معروف لدى المستشرقين على وجه التحقيق . وقد ظن المستشرقون انه يرجع الى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد . ولم تحل هذه النقوش بعد ، ولكن من الجلي انها ليست مكتوبة بالخط الهيروغريفي ولا بالكتابة المسمارية المقطعية ، بل مكتوبة بحروف هجائية . وكذلك وجد بعض علماء الآثار من الفرنسيين في قرية زابونا في سورية ، مكتبة كاملة من الالواح

الطينية بعضها مكتوب بالهيروغروفية وبعضها مكتوب بحروف هجائية سامية ، ولما كانت زابونا قد دمرت حوالي عام ١٢٠٠ ق.م. قبل ان تستكمل نموها ، فان اكبر الظن ان هذه الالواح يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وهي توحي الينا مرة اخرى بما كانت عليه الحضارة من التقدم في القرون التي يحملنا فرط جهلنا على ان نعزو إليها بدايتها .

كانت سوريا تمتد خلف فينيقيا في حجر تلال لبنان ، وتتجمع ايضاً فيها قبائلها تحت حكم الحاضرة التي لا تزال تفخر على العالم بأنها اقدم مدنه، وهي مدينة دمشق في سوريا وعاصمتها الحالية ، وتعد مأوى المتعطشين الى الحرية. وقد ظل ملوك دمشق زمناً طويلاً يسيطرون على اثنتي عشرة امة صغيرة حولهم ، وأفلحوا في مقاومة ما كان يبذله الاشوريون من جهود لاخضاع سوريا لحكمهم . وكان سكان دمشق من التجار الساميين الذين استطاعوا ان يجمعوا ثروة طائلة من تجارة القوافل التي كانت تجتاز سوريا وسهولها . وكانوا يستخدمون في اعمالهم العبيد والصناع ، ولم يكن هؤلاء سعداء او راضين ، فنحن نسمع ان البنائين نظموا لهم اتحادات عظيمة ، وتحدثنا بعض النقوش عن اضراب الخبازين ، وهكذا تشعر من خلال القرون الطوال بما كان في احدى المدن السورية القديمة من نزاع ، وما كان يحصل من اضطرابات في الحركات التجارية . وقد حذق الصناع السوريون في تشكيل الفخار الجميل وفي نحت العاج والخشب وصقل الحجارة الكريمة وايضاً في نسج الاقمشة ذات الالوان الذاهية يزينون بها نساءهم .

كانت الازياء في فينيقيا شديدة الشبه بنظائرها في بابل وهكذا العادات في بابل تعد كما هي باريس اليوم . فخصب التربة في سوريا رمز له كما كان يرمز في بلاد آسيا الغربية كلها بأم عظيمة او إلهة اتصالها الجنسي بعشيقها هو الذي يوحي الى جميع الجهود الطبيعية وعملياتها الانتاجية . ولم تكن التضحية بالأبكار في الهيكل عملاً يتقرب به الى الإله عشتروت فحسب ، بل كان فوق

ذلك مشاركة في التهتك الذي يرجى منه ان يوحي للأرض ايحاء قوياً لا تستطيع مقاومته ، وان يضمن تكاثر النبات والحيوان والانسان . وكان عيد الاله عشتروت السوري عيداً عظيماً يحتفل به ابان الاعتدال الربيعي بحرارة تكاد تبلغ الجنون . فكانت نغمات الناي والطبول بأصواتها المزعجة وعويل النساء المتزايد على سيد عشتروت الميت وكان الكهنة من الخصيان يرقصون رقصاً عاصفاً عجاجاً ويضربون اجسامهم بالسكاكين . وفي آخر الامر كانت الحماسة تغلب الكثيرين من الرجال الذين لم يأتوا الى الحفل إلا ليشاهدوه ، فيخلعون ثيابهم ويخصون أنفسهم ليبينوا انهم وهبوا حياتهم لخدمة الإلهة ، فاذا جن الليل جاء الكهنة الى المكان بنور خفي مجهول ربما كان نور النفط فيفتحوا قبر الإله الشاب وينادوا ظافرين ان الاله سيرضى عن عباده لتضحياتهم في سبيله .

الآثار الباقية من العهد الفينيقي في طرابلس

كان الفينيقيون رجال سفر وأصحاب اسطول بحري هوائي لا يستهان به وعليه اعتمدوا في رحلاتهم عبر البحار وبما ان طرابلس عبارة عن لسان يمتد في البحر على طول نحو الألف متر ، وبما ان الارياح من شمالية وجنوبية تهب خلال فصل الشتاء لذلك عمد الفينيقيون الى اقامة حاجز في الطرف الشمالي من الميناء أو ما يسمونه اليوم بكاسر الامواج ، أقاموه لحماية سفنهم من الرياح الجنوبية وبقي هذا الحاجز بالرغم من تقادم الايام ومختلف العواصف حتى جاءت الحكومة الفرنسية فأنشأت الحاجز الحالي وأزالت الحاجز الفينيقي .

أما في الجهة الجنوبية فقد أقام الفينيقيون شبه حاجز يطلق عليه البحارة في الاسكلة اسم « تندريا » وبالنظر لعمق البحر في هذه الجهة لم يتمكن الفينيقيون من اقامة حاجز بل كانوا يرسون بمراكبهم بالقرب من الشاطىء حين تهب الرياح الشمالية .

ويتبقى من آثار الفينيقيين في الجهة الغربية ما يدعى بالحمام المقلوب وهو عبارة عن بناء صخري قديم العهد اقيم للاتصال مع المراكب الراسية بالقرب من صخور الشاطىء حين هبوب الرياح الشمالية .

وفي الاسكلة آثار السور الفينيقي ويمتد هذا السور من الجهة الغربية ويبتدىء من البناء الذي اقامه المرحوم عادل عبد الوهاب الهندي وتشغله الآن احدى معاهد وزارة التربية ثم يتجه شمالاً مخترقاً الاسكلة ماراً بحارة الشهداء حتى يصل الى سوق الاسلام . وقد زالت معالم هذا السور بتمامها إلا الأساسات التي ترتكز عليها جدران الأبنية التي اقيمت في شارع الشهداء آخرها البناء الذي كانت تتخذه الشرطة مقراً لها وقد جرى هدمه في حوادث عام ١٩٥٨ .

أما الجزيرة القريبة من شاطىء الاسكلة فقد كان الفينيقيون يستخدمونها ايضاً كمرسى، وقد سكنها الصليبيون ولجأوا اليها اثناء الفتح الاسلامي واضطر المسلمون الى هدمها ولم يتبق منها إلا آثار لا قيمة لها .

اما في البلدة الحالية فلا يوجد أي اثر للفينيقيين بالنظر لانها كانت عبارة عن اراض جرداء تفصل الميناء عن الجبل .

فينيقية والسيادة المصرية

●

العلاقات بين فينيقية ومصر

بدأت العلاقات بين فينيقية ومصر على أساس تجاري ، ولكنها ما لبثت أن أصبحت سياسية ، فإن فراعنة مصر ما بين ١٦٠٢ و١٦٢٨ قبل الميلاد ، بدأوا بفرض السيادة المصرية على فينيقية بجعل بلدانها على شاطىء فينيقية والبلدان الواقعة على الشاطئين الفلسطيني والسوري يتبعون السيادة المصرية ، ولكن هذه السيادة لم تكن تامة على الأرجح وإن تكن فرضت على البلاد بشدة ، ودليلنا على ذلك النقوش المنحوتة على الصخور على مختلف القبور والتي تعود إلى سنوات حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد ، وتشير أسماء المدن والأمكنة الظاهرة على هذه النقوش الكائنة على الشاطىء اللبناني بأكمله من الناقورة حتى النهر الكبير ، أي حدود لبنان الحالية ، وعلى النقوش الكائنة في حوران ودمشق وفي جزء كبير من سهل البقاع كلها تبين خضوع فينيقية للنفوذ المصري ، ولعل جميع هذه الأماكن المشار إليها كانت عند نهاية حكم امنحت الثالث أي حوالي سنة ١٦٩٠ – ١٦٤٢ تدور في فلك الحكم المصري ودليلنا على ذلك قصة سنوحي التي وصلتنا وحدثت حوادثها خلال هذا العهد .

قصة سنوحي

ومؤلف هذه القصة أحد أمراء القصر المصري واسمه « سنوحي » الذي وجد انه من الحكمة عندما تولى سنوسرت الأول عرش مصر وذلك عام ١٨٠٠ قبل الميلاد ، أن يهرب من مصر نظراً للخلاف الذي كان بينه وبين الملك الجديد ، وهكذا فر إلى بلاد « رتنو » وهو اللفظ الذي كان يطلقه المصريون على سوريا . فعاش بين البدو سنين عديدة، وأخيراً عاد لمصر وكتب مذكراته عن السنين التي عاشها في فينيقية وفي سوريا . يقص كيف آواه شيخ بدوي على الحدود المصرية ثم كيف وصل إلى جبيل ، ومنها انتقل إلى سهل البقاع . ثم اخذ ينتقل من مكان لآخر إلى أن حط رحاله لدى أحد مشايخ إحدى القبائل ، وتزوج من ابنته واقطعه أبوها أرضاً طيبة غرس فيها شجر التين والعنب . وأخيراً عندما تقدم بالسن شعر بالحنين إلى وطنه الأول فعاد إلى مصر حيث كتب مذكراته .

وفي المتحف الوطني في بيروت يرى الزائر صندوقاً من حجر بركاني لوضع الحلى والجوهرات عليه اسم أمنحت الرابع، اهداه إلى الأمير « يب – شمو » الفينيقي . وهذا الصندوق يدلنا على انه كان لفراعنة مصر خلال هذه الحقبة من السنين سفراء أو ممثلون أو مفوضون في فينيقية . ولا شك ان الصلات الفنية والفكرية كانت على ازدياد بين الطرفين ، فان الصناع الفينيقيين اخذوا يزينون المصنوعات المعدنية بحفر الرسوم الهيروغروفية والرموز المصرية التي كان المصريون يستعملونها في كتابتهم .

السيطرة المصرية

تغلب على مصر « الهكسوس » وهم شعب مزيج في اكثره سامي العرق بسط سيطرته على لبنان وانتصر على سكانه ، وكان للجواد فضل كبير في هذا **الانتصار** فقد اخترع الهكسوس المركبات الحربية التي تجرها الجياد ،

وبواسطتها تغلبوا على جميع جيرانهم ، كما ادخلوا ايضاً إلى فينيقيا السيوف الحديدية المقوسة وحوالي عام ١٤٩٠ – ١٤٣٦ قام تحوتمس الثالث بحملة تمكن بواسطتها من احلال السيادة المصرية محل الاقطاع الهكسوسي ، ففتح لبنان وبنى قلعة مصرية ، وتوجد قائمة حجرية نقش عليها الاسلاب التي حصل عليها هذا الفرعون المصري من تغلبه على فينيقية أو بالحقيقة على لبنان .

وقد اكتسح تحوتمس المشار إليه جزيرة ارواد فهدم المدينة بما فيها من مخازن للحبوب وقطع ما فيها من اشجار وفرض عليها الجزية كما استولى على عدد كبير من المراكب الفينيقية ، حمل على ظهرها الاسلاب كما نقل عليها قسماً من جيشه . ونقل ايضاً كميات كبيرة من خشب الارز نقله من غابات الارز الكائنة في الغابات في اعالي لبنان فوق مدينة طرابلس .

لكن الفراعنة الذين خلفوه لم يبدوا الكثير من الاهتمام بالاحتفاظ بفينيقية أو بلبنان وهكذا شيئاً فشيئاً اخذت السيادة المصرية بالاضمحلال وتقلصت ووجد مبعوث مصر نفسه يائساً من تمكنه من القيام بمهمته لدى أمير جبيل حتى انه لم يكن لديه الكمية اللازمة من المال لكي يدفع للبنانيين ثمن خشب الارز التي استحضرها من غابات الارز في اعالي لبنان فوق طرابلس لشحنها إلى مصر .

الفرس وفينيقية واتحاد مدن فينيقية

اندفع الفرس غرباً نحو الشواطىء الكائنة على البحر الابيض المتوسط وكانت امبراطوريتهم مترامية الاطراف ، فتمكنوا من احتلال جميع الشواطىء الفينيقية وقسموا مملكتهم إلى ٢٠ ايالة ، كانت صيداء تشكل الايالة الخامسة وضمت إليها سوريا ولبنان وجزيرة قبرص . وقد جهز الفرس صيداء بقصر فخم اشادوه لكي يقيم به الحاكم الفارسي . كانت ايالة صيداء تضم من

مدن فينيقية صور وجبيل وارواد، وكل واحدة من هذه المدن كان لديها شبه استقلال داخلي .

الاساطيل الفينيقية

شكل الفينيقيون عوناً كبيراً للفرس بأساطيلهم الحسنة التنظيم ومن الواضح ان الفرس لولا الاساطيل الفينيقية ما كانوا ليتمكنوا من الاستيلاء على مصر ولا على الجزر الكائنة في البحر الايجي . فقد نشبت الحرب بين الفرس والاغريق وكانت بالحقيقة حرباً بين الاغريق والفينيقيين الذين كانوا هم أمراء البحر وقادة الاسطول ، ولما خسر الفرس معركة سلاميس ، أمر ملك الفرس احشوش بقطع رأس بعض القواد الفينيقيين . فأبى حينئذٍ باقي القواد من الفينيقيين استئناف الحرب وانسحبوا في خلال الليل متجهين بمراكبهم نحو فينيقية . وفي خلال السنين التالية لم يعد الفينيقيون يشتركون في حروب الفرس . كان الصيداويون ابطال جميع المعارك البحرية التي ربحها الفرس على الاغريق وهكذا اطلق الفرس اسم الصيدانيين على الفينيقيين .

ولم يلمع اسم الفينيقيين كمحاربين فحسب بل لمع ايضاً كمهندسين وبنائين ، فقد اشتركوا في بناء الجسور الخشبية على السفن لمحاربة الاغريق على الشواطىء الاوروبية، واشتركوا ايضاً في حفر القناة في المضيق الذي يقع بين جبل اثوس والبر ، وأصروا على ان يكون عرض القناه واحداً في قعرها وعلى سطحها ، مما يدل على حذقهم وبراعتهم في الفنون الهندسية .

اتحاد المدن الفينيقية وطرابلس

يتبين لنا ان المدن الفينيقية التي وقعت تحت الحكم الفارسي كانت تتمتع باستقلال ذاتي ، فقد حاولت هذه المدن المؤلفة من صور وصيدا وارواد على انشاء اتحاد فيما بينهـا تحت رئاسة طرابلس التي تتألف ، كما بينا سابقاً ، من ثلاث جاليات صيداوية وارروادية وصورية ، وقد اتحدت فيما بينها في السنة

الاولى لملك ارتحششتا الثالث ٣٥٩ – ٣٣٨ وأطلق على هذا الاتحـــاد اسماً ساميا ً« اثرا » او ما يشابهه ، كما يبدو على بعض النقوش التي يعود عهـــدها للعام ١٨٩ قبل الميلاد .

لكن الاغريق أطلقوا على عاصمة الاتحاد اسم « طرابلس » ومعناه المدن الثلاث ، لأن المدن الفينيقية الثلاث الآنفة الذكر كانت تعقد موتمراتها السنوية في طرابلس فيحضر هذه المؤتمرات اكثر من ٣٠٠ معتمد يبحثون ويتذاكرون ويقررون كافة الامور والمشاكل التي حدثت بين المدن الثلاث الفينيقية المستقلة والتي لها علاقات عامة بين المدن المشار اليها . وأشهر مؤتمر عقد كان في عام ٣٥١ قبل الميلاد وتقرر فيه عزم المدن الفينيقية على اعلان الاستقلال التام ، وهكذا تكون طرابلس مركزاً لأول ثورة وطنية للمطالبة بالاستقلال وبمثابة عاصمة اتحادية للمدن الثلاث المذكورة .

طرابلس والثورة على الفرس

بدأت الثورة على الحـــكم الفارسي من الحي الصيداوي في طرابلس ضد ارتحششتا الملك الفارسي ، ومن طرابلس امتدت الى باقي المدن الفينيقيـــة ، وانتشرت بسرعة كلية حتى عمت جميع الشواطىء اللبنانية الفينيقية . وكان من الطبيعي ان تمد مصر الفينيقيين بالعون والتشجيع عدا عن العدة والعدد. لكن الثورة انتقلت من طرابلس الى صيداء ، فقادها ملك صيداء « نتس » ، وقد اغتنم اهل صيداء هذه الثورة لاتلاف وابادة كل ما هو فارسي في بلدتهم فابتدأو بقطع اشجار الحديقة الملوكية الكائنة في مقر الحاكم الفارسي ، وعادة قطع أشجار العدو قديمة وشائعة في لبنان ، فإذا أراد احدهم الانتقـــام من عدوه بادر الى قطع اشجار اراضيه . وقد أشعل الصيداويون النيران في التبن والحشيش في مستودعات الفرس وكانوا يختزنونه علفاً لمواشيهم .

وقد اسرع الفينيقيون فجمعوا الجيش واستحضروا مراكب حربيـــة من ذات الطبقات المتعددة ، كما جمعوا الأسلحة والذخيرة اللازمة عـدا عن المواد

الغذائية . وهكذا كان استعدادهم كافياً للمعركة المقبلة . أما الفرس فلم يضيعوا وقتهم بل ترك ملكهم ارتحششتا بابل وقام على رأس جيش قوامه ٢٠٠ الف مقاتل و٣٠ الف فارس ، وجهز في البحر ٣٠٠ مركب حربي و ٥٠٠ مركب تجاري ، وفي طريقه حيث مر في العراق التقى ببعض ولاته في سوريا وفينيقيا وكيليكيا ممن حاولوا قمع الثورة الفينيقية ، لكن اللبنانيين كانوا هزموهم وطاردوهم لأن جميع مدن فينيقية هبت هبة واحدة لطرد الفرس من فينيقية بأية واسطة كانت وأعلنوا استقلالهم التام .

أما ملك صيداء ، فعندما سمع بقدوم الفرس على رأس جيش عرمرمي ، خاف على نفسه وسلم للفرس رشوة على أمل ان ينجو من موت محتم ومؤكد . لكن اهالي صيداء صمموا على الموت نهائياً او الاستقلال وفضلوا ان يقضوا أحراراً من ان يعيشوا أذلاء للفرس لا سيما حين قتل الفرس ٥٠٠ من أهالي صيداء ممن خانوا مدينتهم وزحفوا لملاقاة الفرس يحملون أغصان الزيتون . وفي ساعة قنوط ، أحرق الصيداويون مراكبهم خوفاً من ان يفر بعضهم على ظهر هذه السفن ، ودخلوا بيوتهم وأغلقوا عليهم أبوابها واستسلموا للموت حرقاً . ويقال ان أكثر من ٤٠ الفاً هلكوا في الحريق الهائل الذي احدثه الصيداويون انتقاماً من الفرس . وكان رماد بقايا الجثث المحترقة كبيراً وبينه الكثير من الحلى الذهبية . وقد باع ارتحششتا هذه البقايا بالمزاد العلني . وهكذا اصبحت هذه المدينة الزاهرة عروسة البحار كومة من الرماد واحترق فيما احترق سائر السجلات .

كان لاستسلام صيداء وحرقها نتيجة سيئة على باقي المدن الفينيقية ومنها طرابلس التي استسلمت جميعها الواحدة تلو الاخرى للفرس. اما هذا الاحتلال فلم يدم طويلاً اذ تلاشت القوى الفارسية تحت ضربات الاغريق الحاسمة فانتقموا لفينيقية من الفرس اشد انتقام .

طرابلس في العهد الاغريقي

فينيقية والاسكندر الكبير

في سنة ٣٣٤ ق. م. زحف على العالم الشرقي ملك شاب ذو مطامع لا حد لها فاكتسحه بسرعة ونشر فيه مدنية الاغريق . كان هـذا الملك هو الاسكندر المكدوني المعروف بالاسكندر الكبير ابن فيليبس الذي كان على رأس جيش مؤلف من ٣٥ الف مقاتل بكامل عدتهم وعددهم فعبر الاسكندر بجيشه مضيق الدردنيل واجتاح آسيا الصغرى التي كانت تحت حكم الفرس . ثم تابع سيره الى كيليكيا فجبال طوروس ، وما كاد يصل الى سهول سوريا المنخفضة حتى التقى بداريوس ، ملك الفرس على رأس جيش خليط من مختلف الشعوب يفوق جيش الاسكندر عدداً بثلاث مرات . ويقول المؤرخ اليهودي يوسيفيوس الذي وضع تاريخه سنة ٧٠ للميلاد ان جميع سكان آسيا كانوا على يقين من ان الجيش المكدوني لن يجرؤ على مقابلة الجيش الفارسي بسبب تفوق الفرس بالعدد على الجيش الاغريقي . لكن التقديرات لم تتحقق فقد هزم جيش الاسكندر في عام ٣٣٣ ق. م. الجيوش الفارسية المتفرقة . ولما رأى ملك الفرس ان الدائرة دارت على جيشه اركن للفرار . واحياء لذكرى هذه المعركة ، بنى الاسكندر مدينة الاسكندرونة على شاطىء البحر المتوسط على الخليج الفاصل بين سوريا والاناضول ، وهكذا عم الرعب في فينيقية خوفاً من غارات الاسكندر .

رأى الاسكندر انه من الحكمة عدم تتبع الجيش المنهزم فأرسل كتيبة شقت طريقها في وادي العاصي لاحتلال دمشق **عاصمة سوريا** ومركز حكومة الفرس فيها ، بينما سار هو في محاذاة الشاطىء ، واخذت المدن الفينيقية تفتح ابوابها الواحدة تلو الأخرى مستقبلة جيوش الاسكندر فقد ارسل ملك ارواد ابنه ليقدم عبوديته للاسكندر واضعاً بين يديه تاجاً من

الذهب ، وهكذا فعل ملك جبيل وخضعت ايضاً للاسكندر طرابلس وبيروت . اما صيداء فبسبب احتراقها كما ذكرنا آنفاً فلم تكن تملك قوة تذكر . وحين قابله اثنان من وجهاء صيداء عرض احدهم تاج المدينة عليه فأبى باعتبار ان الملك يجب ان يكون من العائلة المالكة الصيداوية وهكذا نصب الاسكندر على صيدا ملكاً من العائلة المالكة وكان فقيراً يتعهد بستان احد الملاكين ، واطلق عليه اسم عبد اومنس .

صور ورفضها الحكم الاغريقي

كانت صور المدينة الوحيدة الفينيقية التي وقفت في وجه الاسكندر ، وسدت ابوابها بوجه جيشه الظافر . كانت صور البحرية مبنية على جزيرة طولها ميلان وتبعد عن الشاطىء مسافة نصف ميل يحيط بها سور علوه ٥٠ قدماً إلى جهة البحر . وكان التيار فيما بينها وبين البر شديداً خصوصاً في المضيق الفاصل بينها وبين البر حين تكون الرياح الجنوبية شديدة . وكانت صور تملك ايضاً اسطولاً كبيراً تعتمد عليه في الدفاع عنها ، وقد تعهدت قرطجنة في المساهمة بالدفاع عنها ولكن هذه المساعدات تلاشت وتعرضت المدينة لأقصى حصار عرفته على مدى التاريخ . ويظهر ان الاسكندر رغب بأن يجعل جرأة هذه المدينة على عصيانه عبرة لمن اعتبر ، لذلك لم يأبه للخسائر البشرية ، فأمر بردم البحر وانشأ طريقاً عرضها ٢٠٠ قدماً تربط صور باليابسة ، وقد حصل على الحجارة لردم هذا المضيق من ركام البيوت التي هدمها من صور البرية ، واقتطع الاخشاب من اشجار لبنان . وكان هذا الردم يتقدم شيئاً فشيئاً ووضع الجنود على رؤوسهم الستائر من الجلود ليتقوا نبال الصوريين من أعلى السور . وقد انشأ الصوريون مراكباً حملوها بالنفط والنار والكبريت لعرقلة ردم المضيق لكن الاسكندر نجح بالحصول على ثمانين مركباً أتى بها من صيداء وجبيل وارواد ولما رأى الصوريون انه لا سبيل للمقاومة ، جمعوا النساء والاطفال والعجزة وارسلوهم إلى قرطجنة . وظلت المدينة تقاوم حتى

منتصف شهر تموز لعام ٣٣٢ ق.م. حين استسلمت بعد ان مكثت مدة طويلة ترد هجمات الاغريق وقد قتل من سكانها نحو ثمانية آلاف رجل ولم ينج إلا الذين لجأوا إلى الهيكل وكان من جملتهم ملك صور عز الملك . وقد دخل الاسكندر صور بكامل اسلحته على رأس جيشه وقدم الذبائح للآلهة شكراً على هذا النصر .

نهاية الحكم الفارسي

خلف الاسكندر وراءه صور قاعاً صفصفاً بعد أن كانت مركزاً تجارياً ، ثم سار نحو مصر مخترقاً فلسطين ، وبعد استيلائه على مصر قفل راجعاً لسوريا فقطع سهل البقاع ، واتجه نحو الفرات ، ومر ما بين النهرين ، وهناك وقعت الموقعة الحاسمة بينه وبين الفرس ، فانتصر على داريوس الفارسي مرة ثانية ، وهرب هذا من المعركة ، وتبعه الاسكندر ، واغتاله متآمران عليه ، واقام الاسكندر نفسه وريثاً شرعياً لآخر ملوك الفرس ، وهكذا انتهى الحكم الفارسي في فينيقية .

طرابلس تحت الحكم الاغريقي

كان لموت الاسكندر الفجائي الأثر الفعال على الامبراطورية الشاسعة التي انشأها فقد سقطت هـذه الامبراطورية بموته ، ودب الخلاف بين قواده الأربعة ، وكانت فينيقية بمثابة الكرة تتقاذفها الأيدي فتنتقل من حكم قائد لآخر ، فمن بطليموس الى انطيغونيس حاكم آسيا الصغرى ، الى سلوقس ، مؤسس المملكة السلوقية في سوريا ، وكانت حدودها عرضة للتقلص من آن لآخر ، وتوالى عليها النشاط والازدهار ، ثم التردد والوقوف ، وعندما أخذ الحكم السلوقي بالافول ، تهيأت فينيقية لنيل استقلالها ، ونالت أرواد شبه استقلال بان تكون ملجأ سياسياً ثم تلتها بنيل الاستقلال، بقية المدن الفينيقية

ابتداءً بطرابلس ثم جبيل وصور وصيداء وعكا وقد صكت طرابلس نقوداً باسمها علامة الاستقلال .

طرابلس تحت الحكم الروماني

في عام ٦٤ قبل الميلاد، ضم القائد الروماني بومبي، لبنان الى الامبراطورية الرومانية ، وهكذا بقيت طرابلس خلال ستة قرون كاملة تحت الحكم الروماني ، الى ان جاءها العرب فاتحين . وفي هذه المرحلة من الزمن لا نجد ذكراً لطرابلس، ولم تلعب اي دور في مسرح الحياة ومسرح التاريخ الفينيقي بل بقيت عبارة عن مدينة ثانوية ، تتبع صور وصيداء وأرواد في تقدمها وفي جميع نشاط هذه المدن الثلاث التجاري . وليس بوسعنا أن نأتي بوضوح على هذا العهد سوى ان المسيحية انتقلت الى فينيقية خلال هذا العهد وبالتالي الى طرابلس، وجاء المردة فسكنوا في اعالي الجبال المحيطة بطرابلس ونقلوا معهم المذهب الماروني وبالتالي اصبحت قرى الجبل مركزاً للمارونية ومقراً لبطريركها .

بيد ان انتغونيوس ، أحد خلفاء الاسكندر المكدوني، اهتم ببناء السفن، فكانت طرابلس من المدن التي أُنشئت فيها المصانع لبناء هذه السفن ، وجيء بالأخشاب من أعالي لبنان وجرى نقلها بواسطة عدد كبير من الثيران ، بالنظر لتعذر نقلها بواسطة نهر قاديشا ، وبني عدد كبير من السفن لخدمة انتيغونيوس المشار اليه آنفاً .

وكما قلنا أعلاه لم يكن لطرابلس أهمية تذكر بين بقية المدن الفينيقية غير أنها ذكرت بعد حين في أخبار المكابيين الذين حكموا فينيقية ، فقد قيل بأن ديميتريوس بن سولوقس باتر العاشر من الملوك السلوقيين الذي جلس على سرير الملك سنة ١٦٢ كان في رومية حين حدثت مشاغبات في سوريا ، وقد حظر عليه السانانو في رومية الرجوع الى سوريا، لكنه بالرغم من ذلك هيأ اسطولاً

وعدداً من الجيوش حملها على عـــدد كبير من السفن وجاء الى ثغر طرابلس ونزل فيها .

وقد ذكر صاحب كتاب سفر الاخبار بأن طرابلس خلال ايام الرومانيين سجدت للمشتري ، وان هناك علاقات لانطونيوس مع كليوباتره ملكة مصر ، وان هناك آثاراً عليها ذكر انطونيوس وكليوباتره ونيرون .

وحين جاءت الديانة المسيحيـة ، على ما ذكرنا أعلاه ، وتفرقت الرسل ليبشروا بالدين الجديد ولينذروا بالانجيل المقدس في سائر أقطار المعمورة ، مر بطرس الرسول في طرابلس في طريقه من صور الى انطاكية فأقام فيهـا ردحاً من الزمن ، وعيَّن أسقفـاً لها واثناعشر كاهناً واستودعهم ارشادات ونظامات ، على ما رواه صاحب سفر الاخبار .

وقد استشهد في طرابلس عدد من المسيحيين ، ويقول المؤرخ يوسيفيوس ان بمبيوس الروماني في مروره في طرابلس قتل رجلاً قيل انه حاكمها واسمه ديويوس ، ولعله حين رأى ان الدولة الرومانية السلوقية أشرفت على الخراب أشهر العصيان عليها .

وفي سنة ٣٢٧ م بنى الامبراطور قسطنطينيوس عدداً من المدن او القرى في نواحي طرابلس وأطلق عليها اسمه ، لكن هـــذه القرى اندرست بعد الفتح الاسلامي .

وبالرغم من مرور الزمن ، فقـــد بقي في طرابلس عدد من الألفاظ الآرامية نذكر بعضها فيما يلي على سبيل المثال :

اللفظة العربية	اللفظة الآرامية	اللفظة العربية	اللفظة الآرامية
مغفل	بهلة	وخز	دقر
تحرك	زاح	حصر	زرب
مكتب	طبلية	خارجاً	برّا
عصر	داس	حارس	ناطور
أغلق	سكر	قطع	فرم

الباب الثاني

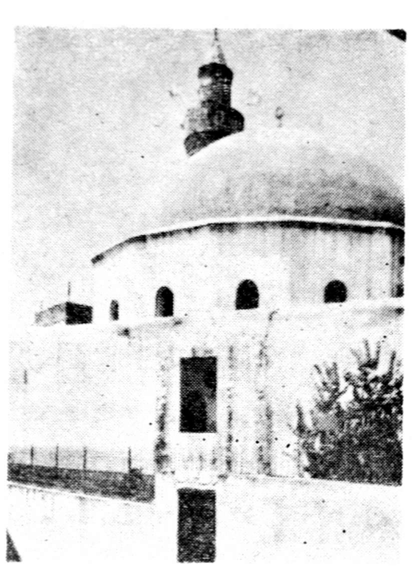
طرابلس في العهد العربي

●

تمهيـــد :

فصلنا في الفصول السابقة مختلف العهود التي مرت على طرابلس منـــذ تأسيسها على يد الفينيقيين ثم انتقالها للسيادة المصرية وبعدهـــا للسيادة الفارسية واخيراً للسيادة الاغريقيـة والرومانية .

وفي الفصل التالي سنأتي على تاريخ طرابلس في خلال العهد العربي الذي يمتد منذ سنة ٦٣٨ ب . م . الى سنة ١١٠٩ب. م. حين استولى الصليبيون على طرابلس وينطوي تحت هذا العهد خضوع طرابلس أولاً للخلفاء الراشدين ثم للأمويين ثم للعباسيين وبعدهـــا للفاطميين ولبني عمار الذين كانوا آخر

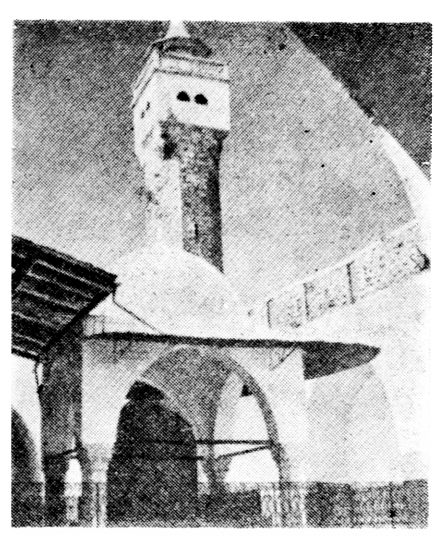


الطراز المغربي في جامع سيدي عبد الواحد .

حكام طرابلس على العهد العربي .

فتح طرابلس

اكتسح المسلمون جميع البلاد الداخلية السورية ، ولم تقف في وجههم اية مدينة ، ولما انتهوا من فتح البلدان الداخليــة ، رأوا ان الضرورة تقضي للمحافظة على سوريا بأن يستولوا على المدن الساحلية ، ليتم لهم الفتح، وهكذا وجه يزيد بن ابي سفيان جيشه لفتح المدن المشار اليها ، ولم يأت عــام ١٧ للهجرة حتى كان المسلمون قد استولوا على السواحل بمجموعهـا ، فدانت لهم صيداء وعرقا وجبيل وبيروت . وقد ساعد يزيد بن ابي سفيان اخوه معاوية على فتح السواحل فتولى معاوية فتح عرقا ، ويقول البلاذري نقلاً عن ابي حفص الشامي عن سعيد الوضين ، ان يزيد بن أبي سفيان وجه معاوية أخاه الى سواحل دمشق فاحتلها جميعهـا سوى طرابلس نظراً لمناعتها ، ولأن فتحها يستلزم حصاراً من البر والبحر في آن واحد ، لذلك رأى يزيـد بن ابي سفيان ان يرجىء فتح طرابلس الى أن تتوفر فيه الامكانيات ، ذلك



جامع التوبات

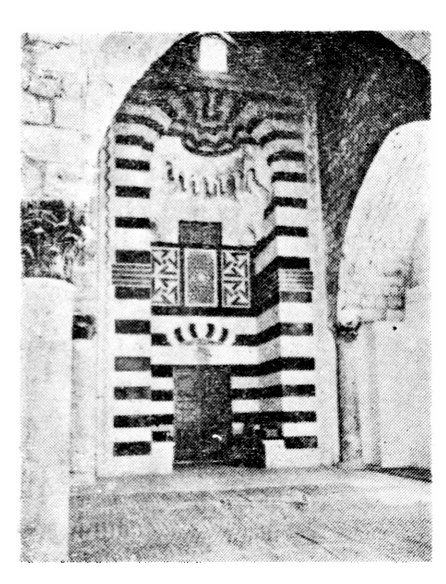
لأن العرب لم تكن لديهم الخبرة التامة بالحصار البحري ثم ان طرابلس كانت تمتد شمالاً على البحر بشكل شبه جزيرة ، والامدادات كانت تأتيها من البحر والبيزنطيون يواصلون تحريضها على الثبات بالرغم عن المسلمين الذين كان بامكانهم قطع مياه نهر قاديشا عنها واجبارها على الاستسلام.

وقد توفي يزيد بن أبي سفيان في عام ١٨ للهجرة بطاعون عمواس، وخلفه

اخوه معاوية على دمشق وسواحلها ، ورأى معاوية ضرورة انشاء اسطول بحري لحماية السواحل ، فكتب للخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه ، فلم يأذن له بذلك ، بل كتب له بوجوب زيادة القوات البرية وتزويدها بمعدات الحصار وتشديد هذا الحصار .

البيزنطيون والسواحل اللبنانية وطرابلس

صعب على البيزنطيين ان يحتل العرب السواحل والداخل ويجلوهم عنها ، لذلك واصلوا على الاغارة على المدن الساحلية السورية ، وتمكنوا في آخر خلافة عمر بن الخطاب، وأوائل خلافة عثمان بن عفان ، من التغلب على هذه السواحل ، وأخذ قنسطاز الثاني الامبراطور البيزنطي ، يعمل جهده لاسترداد الشام ، معتمداً على تفوق البيزنطيين البحري ، فأرسل في عام ٢٥ للهجرة عمارتين بحريتين ، الأولى لمهاجمة الأسكندرية ، والثانية لمهاجمة سواحل الشام ، وقد نجحت حملة الاسكندرية ، وتمكنت من الاستيلاء على المدينة ، لكن عمرو بن العاص عامل الخليفة الراشدي على مصر وفاتِحها ، تمكن من التغلب على البيزنطيين وأجلاهم عن الاسكندرية. اما حملة الشام فقد تمكنت من استرداد بعض المدن، لكن معاوية بن أبي سفيان تصدى للروم واسترجع منهم ما استولوا عليه .



التناسق بين الأعمدة الرومانية والباب العربي في جامع طينال .

وهكذا رأى معاوية بن أبي سفيان انه من الضروري الاستيلاء على

طرابلس ، التي تشكل قاعدة للروم على السواحل اللبنانية ، وسواحل الشام، فاستأذن الخليفة عثمان بن عفان في المدينة، الذي سمح له بانشاء أسطول بحري، وفعلاً أنشأ هذا الاسطول في عكا ، واستعان بكثير من الملاحين من الشاميين من سكان البلاد الاصليين ، واستخدم خشب الأرز في صنع هذا الاسطول.

ويقول البلاذري ان معاوية بن ابي سفيان ، بعد ان تهيأت له الأسباب لفتح طرابلس ، وجّه لهذا الغرض سفيان بن مجيب ، الذي بنى على أميال من طرابلس حصناً منيعاً سماه حصن سفيان، ثم قطع عن اهل طرابلس المؤن وحاصرها من البر بجنوده ومن البحر بالاسطول الذي أنشأه لهذه الغاية .

سقوط طرابلس

ويضيف البلاذري ، ان اهل طرابلس لما اشتد عليهم الحصار ، كتبوا للبيزنطيين يسألونهم أن يمدوهم بالمؤن او ان يبعثوا لهم بالمراكب لنقلهم الى بيزنطية ، فأرسل لهم البيزنطيون مراكب كثيرة ركبوها وهربوا ليلاً وتركوا المدينة خالية ، وفي الصباح التالي وجد العرب أبواب المدينة مفتوحة وخالية من السكان ، وكان ذلك في خلال سنة ٦٣٨ ميلادية .

سفن العرب

ويظهر ان سفن العرب كانت قليلة حتى تمكن أهالي طرابلس من فك الحصار البحري الذي ضربه العرب حولها من البحر، فهربوا ليلاً كما قلنا اعلاه الى القسطنطينية، ثم ان البيزنطيين عجزوا عن الدفاع عن طرابلس وحمايتها ، ففضلوا الهرب بأهاليها ، وهكذا كتب سفيان بن مجيب لمعاوية بن أبي سفيان، والي دمشق ، يبشره بفتح طرابلس ، فأمر معاوية بإسكانه في طرابلس مع جماعة كبيرة من اليهود ، وقد أدرك معاوية أن اليهود جماعة لا هم لهم إلا تأمين مصالحهم الخاصة ،وأن الكثيرين منهم لم يتورعوا عن خيانة البيزنطيين، لذلك أسكنهم معاوية في طرابلس .

طرابلس في مختلف عصور العهد العربي

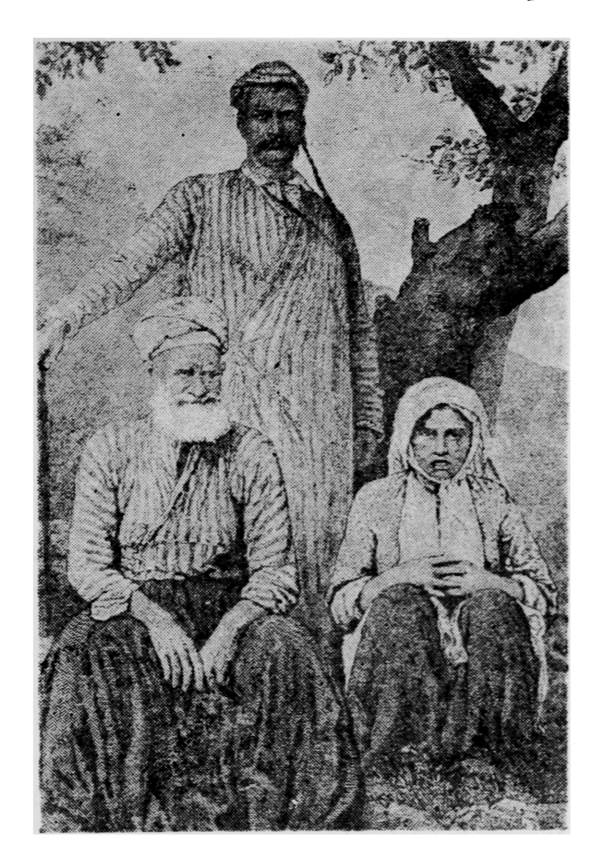
ظلت طرابلس خلال أربعة قرون ونيف تحت الحكم العربي من الخلفاء الراشدين ، ثم بنو أمية والعباسيون وتلاهم الفاطميون وبنو عمار ، وقد



لوحة قديمة كانت في كنيسة حوقا يظن انها للقديس مارون

انتقلت طرابلس شيئاً فشيئاً من الحكم الراشدي الى الحكم الأموي حين أنشأ معاوية بن ابي سفيان الدولة الاموية وحين انتقل الحكم من أموي الى عباسي،

بالطبع جرى على طرابلس مـا جرى على بقية المدن الشامية ، ويحيط بهذه المرحلة من الزمن كثير من الغموض، ذلك ان طرابلس لم تكن إلا بلدة ثانوية، تقع ضمن شبه جزيرة أو لسان ممتد في البحر ، محدودة السكان ومن طرفيها



ماروني واثنان من الشيعة

اللاذقية في الشمال وانطاكية وعكا وصور وصيداء في الجنوب ، واذا حاولنـا تجريد تاريخ طرابلس عن تاريخ هذه المدن وجدنا صعوبة كلية فلا التواريخ العربية ولا التواريخ الافرنجية تشفي غليلاً .

الهجرة لطرابلس

على اثر الفتح العربي وتحويل طرابلس من بلدة بيزنطية الى بلدة عربية وخلوها من السكان الأصليين ، تدفقت بعض الجموع من سكان الهلال الخصيب للسكنى في طرابلس ، وفي سنة ٦٦٣ جاء معاوية بن أبي سفيان بجموع من الفرس أسكنها في طرابلس مع بقية الجموع التي أسكنها في بيروت وصيداء ، وقصد بذلك وضع حد في هذه المدن لرد هجمات الروم المتتالية ، ذلك ان معاوية بن ابي سفيان كان اول من أدرك أهمية الجبل اللبناني الستراتيجية فكان اول خليفة حاول ان يخضع سكان لبنان من النصارى للحكم العربي ، لكنه أخفق في محاولته كما اخفق من جاء بعده وحاول نفس المحاولة .

الجراجمة

ويحسن بنا ونحن في هذا السياق ان نذكر شيئاً عن أصل الجراجمة ، فهم جنود من المرتزقة كان الروم يستخدمونهم لشن الغارات على سوريا ، وشكلوا عنصراً هاماً جعل العرب يحسبون حسابه . والتاريخ لا يعرف لهم أصلاً ثابتاً ، وانما اسم الجراجمة هو نسبة لمدينة جرجمة الواقعة في جبل اللكام ، ويظهر انهم كانوا يتمتعون بشيء من الاستقلال الداخلي ، وقد استخدمهم العرب كأدلاء حين فتحوا انطاكية ، وبما انهم كانوا يحترفون الحرب لذلك كانوا في الجانب الذي يدفع لهم اكثر .

بدأ الجراجمة يتسللون الى سورية من جبل اللكام وجبال طوروس ، وأخذوا يشنون الغارات المتوالية على سورية ، تشد ازرهم فرق الروم البيزنطية وساندهم الاسطول البيزنطي ، وتمكنوا من الوصول الى قلب لبنان واحتلوا عدداً من المواقع الستراتيجية .

كان العالم الاسلامي في شغل شاغل بحل مشاكله الداخلية ، فالخلافات بين الامام علي الذي خلف عثمان بن عفان وبين معاوية بن ابي سفيان الذي كان

يطمح للخلافة باستخلاصها من الامام علي ، لذلك رأى من الحكمة ان يتحاشى المردة أو الجراجمة بأن يتفق مع الروم البيزنطيين على دفع جزية لهم مقابل انقطاعهم عن مساندة الجراجمة . وبقيت هذه الهدنة حتى عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان . ففي عام ٦٨٩ عاد الجراجمة فاجتاحوا لبنان كما سبق لهم في عهد معاوية بن أبي سفيان ، فاضطر الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان الى دفع الف دينار في الاسبوع الواحد للجراجمة حتى يكفوا عن حملاتهم ومناوءتهم للحكم الأموي .

وهكذا اكتظ الجبل اللبناني ، وعلى الخصوص القسم المتاخم لطرابلس والكائن فوقها مباشرة ، بجموع الجراجمة الذين اندمجوا مع سكان الجبل الاصليين واتخذوا من كهوف شمالي لبنان بأعالي الجبل في شرق طرابلس ملجأ لهم ، وأطلق عليهم اسم المردة وصاروا يعرفون بهذا الاسم ، وأسفر هذا الاندماج عن قيام الطائفة المارونية التي اتخذت من شمال لبنان مقراً لها .

الطائفة المارونية

وبما ان الطائفة المارونية تشكل عنصراً كبيراً في طرابلس وكان لها الاثر البعيد في مختلف الأزمنة الآتية في تاريخ طرابلس خصوصاً في ابان العهد الصليبي ، وكان لاندماج الموارنة مع المسلمين اندماجاً كلياً بحيث لم يعد هناك من فرق بين السكان واصبحت المعاملات الجارية بين الطرفين لا تفرق بين المسلم والموراني ، وكان لحسن هذه العلاقات الاثر الطيب والبعيد المدى لذلك يحسن بنا ان نأتي على تاريخ هذه الطائفة .

تنتسب الطائفة المارونية للقديس مارون شفيعها ، وقد عاش هذا القديس في أواخر القرن الرابع الميلادي ، وتوفي في حوالي عام ٤١٠ للميلاد في البرية التي تقع ما بين انطاكية وكوروش . وقد نزح تلامذة القديس مارون — صاحب الترجمة — الى قلعة المضيق على نهر العاصي بسبب خلاف عقائدي بينهم وبين الروم

الارثوذكس ، وشيدوا هناك كنيسة على اسم القديس مارون شفيعهم ، ويقال انهم حملوا رفات هذا القديس معهم ومن هناك نقلت فيما بعد الى لبنان .

وفي القرن السابع وقعت خلافات بين الموارنة واليعاقبة اسفرت عن هجرة الموارنة إلى شمالي لبنان الذي أصبح فيما بعض الموطن الأصلي للطائفة المارونية ، وفي خلال القرن السابع نبغ القديس يوحنا مارون ، اول بطريرك رسمي على الطائفة المارونية المتوفى سنة ٧٠٧ للميلاد ، وفي عهده برزت الخصائص التي وحدت بين الطائفة المارونية .

ولد البطريرك يوحنا مارون في سوريا بالقرب من انطاكية ؛ والتحق في شبابه بدير مارون على العاصي ، وفي حوالي سنة ٦٧٦ سيم اسقفا على البترون وكان مقره أولاً في بلدة سمار جبيل ثم اتخذ من دير قنوبين البناء الصخري الواقع في وادي قنوبين على نهر قاديشا مقراً للبطريركية الجديدة .

وقد نمت الطائفة المارونية وتكاثر الموارنة في شمالي لبنان واواسطه وجنوبه وهاجر منهم قسم لحلب وقسم آخر لجزيرة قبرص وتبعت الطائفة المارونية المقر البابوي في رومية واتخذت تقاليد دائمة تقضي حين خلو الكرسي البطريركي بان يقوم المطارنة في سائر الانحاء بانتخاب البطريرك الجديد الذي يبقى على رأس الطائفة حتى وفاته وبقيت هذه التقاليد حتى البطريرك الحالي الذي تم تعيينه من قبل الكرسي البابوي وليس بالانتخاب كبقية البطاركة السابقين.

والبابا في رومية يمنح دائماً البطريرك الجديد الدرع البابوي علامة على موافقته على انتخابه ، وفي خلال العهد العثماني كان البطاركة لا يعترفون بسلطة الحكومة العثمانية حتى خلال الحرب العالمية الأولى فقد اضطر البطريرك الياس الحويك الى الاعتراف بسلطة حكومة الآستانة التي منحته مكافأة على هذا الاعتراف وساماً من الدرجة الأولى .

طرابلس خلال الحكم الاموي

لم نتمكن بما حصلنا عليه من مراجع ، العثور على اسماء حكام طرابلس في

خلال العهد الاموي ، الا أننا عثرنا على ان معاوية الخليفة الاموي الأول ، جاء لطرابلس في عهد الخلفاء الراشدين ، وبنى اسطولاً بحريا ضخما مؤلفا من عدد كبير من المراكب الهوائية وافتتح بهذا الاسطول جزيرة قبرص وضمها الى الحكم العربي. وقد ازدهرت صناعة المراكب في العهد الأموي في طرابلس بالنظر لقربها من غابات الارز والصنوبر ان كان في اعالي لبنان الشمالي في قرى بشري واهدن وحصرون او في غابات عكار، وكانت الاشجار تنقل على ظهور الدواب لطرابلس التي كانت في ذلك الحين الميناء الحالية ودام هذا العهد حتى نهاية الحكم الاموي .

طرابلس في العهد العباسي

عثرنا بين المراجع العديدة التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا التاريخ على اسماء بعض حكام طرابلس في العهد الاسلامي العباسي والفاطمي في مؤلف الأب اغناطيوس الخوري في كتابه عن مصطفى بربر وبدورها نقلها عن تاريخ الازمنة للعلامة البطريرك اسطفان الدويهي وقد حاولنا العثور على هذا التاريخ فلم نصل لنتيجة لقدم عهده وندورته لذلك اكتفينا بنقل ما اورده الاب اغناطيوس مضيفين عليه ما تمكنا من العثور عليه في مختلف مراجعنا :

اسم الحاكم	تاريخ تعيينه بالهجري	بالتاريخ الميلادي
١ – ريان الخادم	٣٦٤	٩٧٤
٢ – ابو منصور هفتكين	٣٦٤	٩٧٤
٣ – نزال	٣٧٣	٩٨٣
٤ – الكتامي	٣٧٨	٩٨٨
٥ – جيش بن صمصامة	٣٨٣	٩٩٣
٦ – علي بن فلاح	٣٨٣	٩٩٣
٧ – الامير تميم	٣٨٣	٩٩٣

٨ – ابن حيدرة الكلبي	٣٨٧	٩٨٧
٩ – ميسور الخادم	٣٩٠	٩٩٩
١٠ – ابو سعادة	٤٠٠	١٠٠٩
١١ – ابو سعادة	٤٠٧	١٠١٦
١٢ – مختار الدولة الكتامي	٤٠٧	١٠١٦
١٣ – ابو طالب بن عمار	٤٦٢	١٠٦٩
١٤ – جلال الملك ابو حسن بن عمار	٤٦٥	١٠٧٢
١٥ – ابو علي بن عمار	٤٩٤	١١٠٠
١٦ – علي بن عمار	٤٩٥	١١٠١
١٧ – ذو المناقب بن عمار	٤٩٩	١١٠٥

العباسيون بعد الأمويين

انهار الحكم الأموي سنة ١٣٢ هـ الموافق سنة ٧١٧ م. وتمكن أبو مسلم الخراساني من التغلب على الدولة الأموية وقتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين . ويعزى سبب اضمحلال الدولة الاموية ثم انقراضها الى تكتل الاحزاب ضدهم من علويين وعباسيين من جهة، ثم الى استهتار الخلفاء الامويين وانصرافهم الى اللهو ومعاقرة الخمرة ، وهكذا تكاثرت الحركات الهدامة ضد الدولة العَربية بكل ما في الكلمة من معنى وانهارت اول وآخر دولة عربية بحت بما لها وعليها . وعبثاً حاول مروان بن محمد الاصلاح فلم يتمكن وبقتله تغلبت عليه الحركة العباسية، وبايع المسلمون أبا العباس الملقب بالسفاح لكثرة ما سفك من الدماء، ونصب خليفة على المسلمين وشيئاً فشيئاً التحقت سوريا وكذلك لبنان بالحكم العباسي الذي انتقل الى بغداد وغدت دمشق مدينة ثانوية.

معركة الزّاب

وتعتبر معركة الزاب من المعارك الفاصلة في التاريخ الاسلامي ، وقعت في

خلال شهر كانون الثاني لعام ٧٥٠ ميلادية ، فقد وقف في خلالهـا جيش الامويين من جهة عند الضفة الشمالية لنهر الزاب الأعلى ، وهو أحد روافد نهر دجلة، تحت قيادة مروان الثاني الآنف الذكر، كما وقف أمامه جيش العباسيين تحت قيادة عبد الله بن علي عم العباس. دامت المعركة تسعة ايام كاملة استبسل فيها الطرفان ، لكن الغلبة كانت للجيش العباسي ، وانكسر الجيش الاموي وانكفأ وانسحب مروان بن محمد من المعركة بعد أن دارت الدائرة على جيشه. استسلمت فيما بعد دمشق للجيش العباسي بعد مقاومة طفيفة،وتبعتها سائر المدن السورية واللبنانية الواحدة تلو الاخرى ، بالنظر للنقمة التي كانت قد انتشرت ضد الامويين وضد حكمهم لاستهتار الحكام ، كما قلنـا اعلاه ، وتابع الجيش العباسي انتصاراته ولحق بالخليفة مروان بن محمد الى مصر حيث ألقى القبض عليه وحز رأسه وأرسل مع شارات الخلافة الى السفاح .

كان سقوط الدولة الاموية وانتقال الحكم الى الدولة العباسية ضربة فادحة على سوريا ولبنان ، لأن النفوذ والحكم والعاصمة كل ذلك انتقل من دمشق الى الانبار ثم الى بغداد وتحولت دمشق من عاصمة الخلافة الى بلدة عادية ، وأصبحت بغداد المدينة التي بناها المنصور المدينـة الاولى ، واشتهرت بغداد مع الزمن بأنها مدينة العلم والثقافة والزي والجمال والغناء ، وفقدت دمشق مركزها السابق .

لبنان والثورة على العباسيين وموقف طرابلس

حاول العباسيون كل المحاولة استمالة السوريين واللبنـانيين الى جانبهم ، لكنهم لم يوفقوا في مسعاهم ، وظلت هذه المنطقة في حالة اضطراب ، إن لم نقل في حالة ثورة ، والدليل على ذلك ما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال ، ان جعومة أحد الناقمين على المنصور ، حين قال له « ان الله أعدل من ان يجمعك علينا مع الطاعون » ، تأثر المنصور من هذه العبارة وظهر الغضب

على وجهه وأمر بقتله فوراً . وكان عمال العباسيين يظلمون السكان ويضعون على كاهلهم الضرائب الباهظة .

وفي سنة ٧٥٩ نشبت في قرية المنيطرة – وهي قرية واقعة بالقرب من أفقا – نشبت ثورة كبيرة ، وثار السكان ضد تعسف العامل العباسي وجوره وفرضه الضرائب عليهم ، فزحفوا على البقـــاع واستولوا على عدة قرى تحت قيادة شاب لقب نفسه بالملك لكن صالح بن علي العامل العباسي هاجم القرى الثائرة وتغلب على الثوار وشتت شملهم .

وقد أخذت الدولة بالانحلال بعد الخليفة الرشيـد ، وكان للحوادث التي طرأت بعد وفاته بين ولديه الأمين والمأمون الأثر البعيد في لبنان كما كان ايضاً نفس الأثر حين خلف المعتصم أخاه المأمون وجلب الجند من الاتراك ثم بناؤه لمدينة سر من رأى أو سامرا لايواء الأتراك ونقله كرسي الخلافة اليها ، وهكذا بعد القطر الشامي كثيراً عن العاصمة العباسية . وقد حاول المتوكل استعادة العهد العربي والتخلص من الاتراك بنقل كرسي الخلافة ثانية الى دمشق ، وفعلاً اتى دمشق ومكث فيها وقتاً طويلاً ، لكن الاتراك تغلبوا عليه وقتلوه أخيراً هو ووزيره الفتح بن خاقان .

ولبثت طرابلس خلال قرن ونيف تابعة لدمشق ، يتولاها عامل عباسي تابع لعامل دمشق ولم يحدث خلال هذه الحفنة من السنين اي شيء يستحق الذكر ، والمصادر العربية لا تذكر طرابلس خلال هـــذه المدة لا بقليل ولا بكثير .

العهد الطولوني

عين العباسيون عاملاً على مصر قائداً تركياً اسمه أحمد بن طولون وذلك في سنة ٨٦٨ ولم يلبث هذا العامل الطموح الا ان اغتنم ضعف الدولة العباسية ، فأعلن استقلاله عن بغداد واستقل بمصر ، وصادف ان توفي عامل العباسيين على

سوريا في دمشق ، فزحف أحمد بن طولون على سوريا فاستولى على المدن الداخلية ، ثم ارسل جنده فاحتلوا الساحل بما فيه بيروت وعكا وطرابلس وغيرها، وقبض على البلاد بيد من حديد ومهد لحكم قوي لبث طيلة حياته. ولما توفي خلفه ولده خمارويه ، واتفق هذا مع الخليفة في بغداد على ان تكون سوريا ولبنان ومصر تحت حكمه المباشر مقابل ٣٠٠ الف دينار يدفعها سنوياً للخليفة العباسي في بغداد . كان خمارويه مبذراً للغاية انفق الكثير من المال وأرهق الشعب بالضرائب، وحين زوج ابنته للخليفة العباسي حملها من الاموال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وكل ذلك على حساب الشعب المسكين . وأخيراً توفي خمارويه مغتالاً وخلفه ابنه ثم أخوه ، واغتنمت بغداد فرصة انحلال الحكم الطولوني فأرسلت جيشاً احتل لبنان وسوريا ثم مصر وهكذا رجعت طرابلس الى الحكم العباسي .

طرابلس تحت الحكم الفاطمي

اسس عبيد الله الفاطمي والمولود بالسليمية بالقرب من حمص ، دولة في المغرب لم يلبث خلفاؤه ان استولوا شيئاً فشيئاً على مصر ثم على سوريا ولبنان وعلى سائر الشواطىء اللبنانية بمجموعها ، بما فيها طرابلس وما يجاورها . لكن الروم لم يتركوا الفاطميين يستريحون بل قام ملوكهم بالاعتداء على سوريا ولبنان وفي عام ٩٧٤ للميلاد ، قام يوحنا زيمس بحملة على سوريا استولى بها على بعض المدن وفرض الجزية على صيداء وصور وبيروت بعد ان نهبها بالرغم عن دفاع سكانها ، وقد حل بجبيل ما حل ببقية المدن . وفي سنة ٩٩٥ توفي هذا الامبراطور وفي سنة ٩٩٩ قام بعده الامبراطور باسيل الثاني بحملتين على طرابلس باءت كل منها بالفشل الذريع بالنظر لان طرابلس كانت اشد المدن الساحلية تحصيناً، ويقول ابن القلانسي ان اسوارها وقفت سداً منيعاً امام هجمات الروم .

وقد استمر حكام طرابلس محتفظين بسيطرتهم بمعاونة الفاطميين من جهة

والعباسيين من الجهة الاخرى، ويقول ابن حوقل الذي زار طرابلس في خلال القرن العاشر الميلادي انه اعجب كل الإعجاب بخصب تربتها ، ويعزو ذلك الى مياه نهر أبي علي كما يعجب من رخص اثمان السلع التي تنتجها طرابلس .

الرحالة ناصر خسرو

وفي سنة ١٠٤٧ زار الرحالة ناصر خسرو طرابلس في خلال فصل الشتاء حيث تكون المزروعات على احسن وجه فاعجب بجودة قصب السكر وبمختلف انواع البرتقال الحلو وببساتين الموز والنخيل، ويقول ايضاً ان الفنادق بطرابلس كثيرة ومنها ما يتراوح عدد طبقاتهـا بين أربع وست طبقات، وفي طرابلس جميع اصناف اللحوم والمآكل والفاكهة. وكل ما في بلاد فارس من مأكل ومشرب يستطيع الانسان ان يجده في طرابلس . بيوتها نظيفة حتى إنها اشبه بالقصور وفي سوقها عين ماء يتدفق من خمسة ميازيب وفيها رباطات للعباد والمتقشفين وتحمي المدينة حامية من الجنود الفاطميين ، وفي أعالي أسوارهـا نصبت المانجنيقات. تؤم ميناء طرابلس مراكب من بلاد اليونان ومن الفرنجة واسبانيا والمغرب ومنها تسير مراكب الفاطميين الى بلاد اليونان وصقلية والمغرب .

ويصنع في طرابلس ورق يفوق الورق المصنوع في سمرقند حسناً ، واكثر سكان طرابلس يتبعون المذهب الشيعي .

الغارات البيزنطية على طرابلس

حملة ابن الشمشقيق

واجه الفاطميون متاعب كثيرة اثناء اقامتهم في ربوع الشام ، وخضعت لسلطانهم ، وكان البيزنطيون يغتنمون الفرص السانحة للاغارة على السواحل الشامية. وقد اغتنم الامبراطور زيمسكيس الذي يلقبه العرب بابن الشمشقيق

فرصة تضعضع القوى الفاطمية فاغار على الربوع الشامية ، واستولى على عدة مدن وحاصر بيروت وافتتحها، ووصلت قواته لأبواب طرابلس مرهقة فحاصرتها ولكنها لم تستطع ان تستولي عليها لمناعة اسوارها وحصانتها. اشتبكت حامية المدينة يعاونها الأسطول الفاطمي مع القوات البيزنطية بقتـــال عنيف انتهى بهزيمة البيزنطيين . لكن حصار ابن الشمشقيق طال على طرابلس ويقول ابن القلانسي انه استمر أربعين يوماً يقاتل البيزنطيون اهل طرابلس بدون ان يصلوا لنتيجة واخيراً رفع البيزنطيون الحصار وعادوا الى انطاكية حيث توفي ابن الشمشقيق .

حملة بسيل الثاني الأولى

في سنة ٣٨٥ هـ ارسل سعيد الدولة ابو الفضائل الحمداني صاحب حلب يستنجد بسيل الثاني البيزنطي على الفاطميين ، فأجاب هذا طلبه خوفاً من استفحال أمر الفاطميين ، وزحف بجيش كبير وعاونه الحمدانيون ، فافتتح معظم البلاد السورية ، ويقول ابن القلانسي انه واصل زحفه حتى طرابلس فحاصرها اكثر من اربعين يوماً ، لكنه اخفق في افتتاحها . ويذكر يحيى بن سعيد الانطاكي ، ان بسيل المشار إليه نزل على طرابلس وحاصرها ، وخرج إليه واليها المظفر بن نزال، وجملة من وجوه البلدة وطرحوا انفسهم بين يديه، واعلموه انهم في طاعته ، فخلع عليهم واحسن اليهم ، وعادوا على ان يسلموه المدينة . وكان في طرابلس قاض يعرف بعلي بن حيدرة ، فاقفل هو واهالي طرابلس الباب في وجوههم ، واخرج عيال نزال من طرابلس فاخذهم هذا وسار مع البيزنطيين إلى انطرطوس .

وغزا ايضاً ذميانوس الدوقس البيزنطي طرابلس وتمكن منها واخذ الكثير من اهلها اسراء .

حملة بسيل الثاني الثانية

عز على الخليفة الفاطمي العزيزبالله،ان يتراجع جيشه امام حملة البيزنطيين، لذلك فقد اعتمد على الخروج بنفسه على رأس حملة برية بحرية ، لاستعادة الأراضي التي احتلها البيزنطيون، فخرج على رأس حملة كبيرة وارسل اسطوله لطرابلس ، لكنه لم يتوفق في حملته ، إذا انه لم يكد يصل لبلبيس حتى وافته المنية عام ٣٨٦ هـ ، كما تعرض اسطوله ايضاً لعاصفة شديدة حطمته بالقرب من طرابلس واسر البيزنطيون بعض رجال الاسطول الفاطمي .

وامام هذا التخاذل فكر الامبراطور البيزنطي بسيل بالحملة على الشواطىء الشامية واحتلالها، وصادف ان ثار بمدينة صور على الحكم الفاطمي ملاح يدعى « علاقة » فارسل عامل الفاطميين جيشاً لمنازلة علاقة المذكور ، ثم سير عدداً من السفن الحربية لمعاونة الجيش البري ، وكتب لوالي طرابلس يطلب معاونته فأرسل اسطوله لمحاصرة صور، فاستغاث علاقة بالامبراطور البيزنطي بسيل ، الذي ارسل عدة مراكب مشحونة بالرجال والعدد فالتقت بمراكب المسلمين، ودارت الدورة علىالروم وقتل منهم المسلمون عدداً كبيراً ،وأسروا علاقة . وقد امر بسيل ، إزاء هذه الهزيمة ، جيشه بمهاجمة المسملين، لكن قوات الفاطميين تصدت للمهاجمين وانزلت بهم الهزيمة.وقد حاول البيزنطيون الاخذ بالثأر فجيشوا جيشاً عظيماً وهاجموا بر الشام حتى بلغوا حمص ووصلوا الى طرابلس سنة ٣٨٩ هـ . ويصف ناصر خسرو هذه الموقعة فيقول ان الجانب الشرقي من طرابلس كان مبنياً بالحجر المصقول وباعلاه شرفات ، تتوزع منها المقاتلات فخندق الروم حول معسكر المسلمين ونشب القتال بين الروم وحامية طرابلس في سنة ٣٩٠ هـ وقتل المسلمون عدداً كبيراً من الروم واضطر هؤلاء الى الانكفاء والرحيل عن طرابلس .

السياسة العربية في طرابلس

طرابلس والامويون

تحولت طرابلس بسرعة من مدينة بيزنطية الى مدينة عربية تحت حكم الأمويين ، وأنشأ بها معاوية بن أبي سفيان داراً لصناعة المراكب بالنظر لوجود خشب الأرز والصنوبر بالقرب منها في الجبل . وكان معاوية يرسل لطرابلس من حين لآخر وفي كل عام جماعة كبيرة من الجند لحمايتها من غارات البيزنطيين ، وواصل خلفاء معاوية على القيام بهذا العمل ، وكانت الحامية تقيم في الصيف ، فاذا حل فصل الشتاء عادت لدمشق بالنظر لانغلاق البحر ولشدة الامواج التي تضع مراكب البيزنطيين في حالة حرجة تمنعهم من الاقتراب من ميناء طرابلس .

وقد تمكن الروم بالرغم من ذلك ، خلال خلافة معاوية ، من الاغارة على طرابلس وذبح عاملها العربي واحراق بعض قطع الاسطول الاسلامي . ويضيف جرجي يني ان معاوية تمكن من القضاء على هذه الحركة ، ورأى من الضروري نقل جماعة من الفرس للساحل اللبناني والسوري ومن بينها طرابلس على ما مر سابقاً ، ويقول اليعقوبي ان مدينة طرابلس اهلها من الفرس سبق للخليفة الأموي معاوية بن ابي سفيان ان نقلهم اليها .

الأب شيخو وطرابلس

اما الأب شيخو فيقول في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى الذي نشره ، ان بني أمية سلموا سواحل الشام للفرس لحمايتها من غزوات المردة الذين استقدمهم الروم للدفاع عن لبنان من غزوات العرب ، وان بيروت بقيت تحت حكم أمراء الفرس الذين منهم الارسلانيون والتنوخيون. ولما صار الامر لبني العباس ، أقروا الامراء المذكورين في حكمهم على الساحل . ومعنى ذلك انه

ينسب الارسلانيين والتنوخيين الى الفرس ، لكن هذا الرأي يفتقر لاثبات .
ثم ان معاوية لم يكن يرضى بجلب الفرس لساحل الشام ، لأن الفرس خلال الفتح العربي ، لم يكونوا اعتنقوا الاسلام بعد ، وصلحوا للدفاع ضد المردة لذلك ليس من المعقول ، على ما يقول الاستاذ دروزة ، ان يأتي معاويـــة بالفرس لإسكانهم في السواحل السورية .

اما الشدياق في كتابه « أخبار الأعيان في جبل لبنان » فينسب التنوخيين والارسلانيين الى النعمان بن المنذر بن ماء السماء اللخمي ، وانهم قدموا من العراق مع خالد بن الوليد .

وفي عهد خلافة عبدالملك بن مروان الأموي ثار أهل طرابلس على الحكم الأموي فتحصنوا داخل اسوار مدينتهم ، ولم يتمكن الامويون من استرجاع طرابلس إلا في خلال خلافة الوليد بن عبدالملك . أما البلاذري فيوضح هذه الثورة بما يلي :

الرواية الأولى : انه في خلال خلافة عبدالملك بن مروان قدم بطريق من بطارقة الروم ومعـــه بشر منهم كثير ، فسأل ان يعطى الأمان على ان يقيم بطرابلس ويؤدي الخراج ، فأجيب الى طلبه ، لكنه بعد سنتين ، حين جلا الجند عن طرابلس ، أغلق باب المدينة وأسر ومن معه الجند الباقين في طرابلس ، وقتل عامل المدينة والتحق بمن معه بالروم ، لكن المسلمين فيما بعد لحقوا به وأدركوه وقتلوه وقتلوا من معه واسروا جانباً منهم . وفي رواية اخرى ، انهم أسروه وأرسلوا به الى عبد الملك فصلبه .

الرواية الثانية : يقول البلاذري ، ان عبد الملك بن مروان ارسل من حصره بطرابلس ، وأخذه سالماً الى دمشق ، حيث قتله عبد الملك وصلبه هو وأصحابه وهرب قسم منهم الى بلاد الروم .

الرواية الثالثة : قال علي بن محمد المدائني عن عتاب بن ابراهيم ، ان

طرابلس فتحها سفيان بن مجيب ثم نكص اهلها ايام عبد الملك فعاد وفتحها الوليد ثانية خلال خلافته .

وظلت طرابلس بعد ان استرجعها المسلمون في خلافة الوليد بن عبد الملك تتبع في سياستها وفي طريقة الحكم فيها لدمشق، يتولاها نائب عن الخليفة الدمشقي. وهكذا كانت طرابلس تعتبر من سواحل دمشق عاصمة الخلافة الاموية ، ويقول الاسطخري في كتابه « المسالك والممالك » والمتوفى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، ان طرابلس ثغر تابع لدمشق .

وقد عمل الامويون جهدهم على تحصين طرابلس والاحتفاظ بها والدفاع عنها ضد غارات البيزنطيين المتكررة .

سياسة العباسيين في طرابلس

بيّنا في فصل سابق ان أبا مسلم الخراساني في عام ١٣٢ للهجرة تمكن من تأسيس دولة العباسيين وقضى على مروان بن محمد آخر خليفة اموي ، وأن الاتراك تغلبوا فيما بعد على الحكم العباسي حتى أن الدولة غدت عبارة عن دولة تركية بخليفة عباسي عربي .

وواصل العباسيون سياستهم في طرابلس على نمط سياسة الامويين، وهكذا بقيت طرابلس تابعة لولاية دمشق التي كان يتولى شؤونها عامل للعباسيين من قبل الخليفة في بغداد أو سامرا فيما بعد ، وكان من جملة اختصاص عامل العباسيين ان يتولى شؤون السواحل والاشراف عليها،ومن بين هذه السواحل طرابلس، ولذلك لم يعد في طرابلس نائب للخليفة كما كان خلال العهد الاموي، بل وال يتبع عامل دمشق .

وقد تابع الخلفاء العباسيون تحصين السواحل الشامية اتقاء لهجات البيزنطيين ، فقام الخليفة ابو جعفر المنصور ببناء ما تحتاج له هذه السواحل من تحصينات وأتم من بعده ، ابنه المهدي عمله هذا ، وواصل الخلفاء الذين

أتوا فيما بعد للمحافظة على هذه التحصينات .

سياسة الطولونيين في طرابلس

استمرت طرابلس تتبع دمشق حتى عام ٢٦٤ هـ حين تمكن احمد بن طولون الاستيلاء على الشام الداخلية والساحلية ، وهكذا اصبحت طرابلس تتبع بني طولون في مصر في سياستها وطريقة الحكم فيها . وقد اهتم ابن طولون في تحصين السواحل الشامية ، والمصادر العربية غامضة من هذه الناحية إلا عن نتف لا تشفي غليلاً ، فتذكر ان ابن طولون حاول في سياسته استبقاء السواحل حصينة ضد غارات البيزنطيين فسور عكا ، وان ابنه بنى قصراً خارج دمشق اغتيل فيه .

الاخشيديون

لكن طرابلس عادت في حكمها لولاء العباسيين بعد ان تمكن القائد محمد ابن سليمان من القضاء على الدولة الطولونية ، ثم خضعت لمحمد بن رائق حين تولى هذا امر الشام ، بتقليد من الخليفة العباسي الراضي ، وحين هزم في سنة ٣٢٨ هـ على ايدي الاخشيديين ، اتفق مع محمد بن طفج على ان يحكم الولايات الشامية الواقعة شمالي الرملة، مقابل مائة واربعون الف دينار يدفعها للاخشيد. وبالتالي كانت طرابلس ضمن هذه الولايات . وبعد وفاة ابن رائق ضمت املاكه للاخشيد وظفر سنة ٣٣٣ هـ بتقليد من الخليفة العباسي المستكفي اقر بموجبه الاخشيد على ولاية مصر ودمشق ؛ لكن سلطان الاخشيديين تزعزع فيما بعد نتيجة لهزيمتهم على يد الحمدانيين عند بلدة الرستن على ضفاف العاصي ، واستولى سيف الدولة على دمشق . وفي سنة ٣٣٤ عاد الاخشيديون فاستردوا ولاية دمشق في موقعة قنسرين التي انتصروا فيها على الحمدانيين، وعقد فيما بينهم وبين الحمدانيين في سنة ٣٣٤ وبموجب هذا الصلح اصبحت دمشق وملحقاتها

بما فيه طرابلس وبيروت للاخشيديين. وظلت طرابلس تابعة للحكم الاخشيدي يتولاها عامل من طرفهم حتى سنة ٣٥٩ حيث تمكن الفاطميون من القضاء على الاخشيديين والاستيلاء على الشام .

كان من بين عمال الاخشيديين على دمشق، محمد بن يزداد والحسين بن لؤلؤ، ويانس المؤنسي . وفي سنة ٣٥٨ ، وهي آخر سنة من حكم الاخشيديين على بر الشام ، تولى على طرابلس ابو الحسن احمد بن نحرير الارغلي لكن أهل طرابلس طردوه لجوره فلجأ إلى قلعة عرقا ، واصبحت طرابلس بلا وال ، فأغار عليها امبراطور الروم سنة ٣٥٧ هـ ويقول يحيى بن سعيد الانطاكي ان امبراطور الروم احرق ربضها ، أما ابو المحاسن بن تغري بردى فيقول ان امبراطور الروم استولى على ربض طرابلس وكان يقع في المكان الغير مسور من المدينة .

سياسة الفاطميين في طرابلس

بينا فيما سبق كيف ان الفاطميين استولوا على مصر بقيادة القائد جوهر الصقلي ونقل الخليفة المعز لدين الله عاصمته من القيروان إلى القاهرة التي بناها له القائد جوهر لتكون عاصمة الخلافة الفاطمية وانه تمكن من تحويل انظار العالم الاسلامي من بغداد إلى القاهرة .

وفي سنة ٣٥٩ سير القائد جوهر حملة للشام بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي وتمكنت هذه الحملة من الاستيلاء على دمشق سنة ٣٦٠ بعد موقعتين في الرملة وفي طبرية ، لكن أهل دمشق ثاروا على الحكم الفاطمي الشيعي ونجحوا في هزيمة جعفر المشار إليه وقتله ، وأدت هذه الهزيمة إلى انحسار الحكم الفاطمي عن الشام ، وتبعت الشام للقرامطة الذين حكموها باسم العباسيين ، لكن الفاطميين عادوا فاسترجعوا الشام في عام ٣٦٣ هـ بقيادة ابي محمود بن إبراهيم جعفر بن فلاح .

ودخلت طرابلس تحت الحكم الفاطمي منذ ان اكتسحت جيوش جعفر بن فلاح بر الشام واستولت على دمشق وسائر المدن الداخلية والساحلية في سنة ٣٦٠ هـ وقد اقر على حكم الاقليم الشامي بما فيه بيروت وطرابلس وصيداء الامير عز الدولة تميم بن النعمان بن **عامر بن هانيء** التنوخي الذي قدم ولاءه للفاطميين ، وعلى الرغم من هزيمتهم امـام جيش القرامطة ، بقي الامير عز الدولة موالياً للفاطميين .

ويقول ابن القلانسي انـه بعد ان توفق الفاطميون في استرداد دمشق وملحقاتهـا من المدن الشامية ، وذلك في رمضان من سنة ٣٦٣ هـ عهد المعز لدين الله الفاطمي الى ريان الخادم بولاية طرابلس وأصبحت منذ ذلك الحين ولاية قائمة بذاتها لا تتبع دمشق وكانت قبل ذلك مضافة اليها .

وبالنظر لقيام فتنة في دمشق ، عهد المعز لدين الله الفاطمي الى ريان الخادم بالقيام باخماد هذه الفتنة ، وظل ريان الخادم مقيماً في دمشق الى ان تمكن ابو منصور المعروف بهفتكين من دخول دمشق بفرسانه الثلاثمائة سنة ٣٦٤ هـ برغبة اهل دمشق .

طرابلس والامير عز الدولة

وتبعت طرابلس فيما بعد بيروت ووليها الأمير عز الدولة تميم ، ولما تمكن الأتراك بزعامة هفتكين الآنف الذكر من إيقاع الهزيمة بجيش الفاطميين ، أبحر الأمير عز الدولة من بيروت الى القاهرة حيث رحب به الخليفة الفاطمي .

حكام طرابلس في العهد الفاطمي

وفي سنة ٣٦٧ هـ عاد الفاطميون فزحفوا على الشام وانتصروا على القرامطة واشترك الأمير عز الدولة ، كما يقول الشدياق، بهذه المواقع وأظهر من الشجاعة

ما استلفت نظر الخليفة الفاطمي . وقد اسندت فيما بعد ايالة طرابلس الى عدة ولاة كما يلي :

القائد نزال القتامي : من قواد عيسى بن نسطورس وزير العزيز الفاطمي ، تولى طرابلس بعد ريان الخادم ، ويقول صاحب ذيل تاريخ دمشق انه تولاها في سنة ٣٧٨ هـ ، وقد استمر في ولاية طرابلس ثمان سنين وكان من ابرز ولاتها ، وظهرت حنكته السياسية في تصريف الامور كما اشترك في سنة ٣٧٨هـ في إخماد ثوره منير الصقلبي في دمشق .

جيش بن محمد بن الصمصامة : تولى طرابلس سنة ٣٨٦ هـ ولمدة قصيرة .

علي بن جعفر بن فلاح : تولى طرابلس بعد جيش بن الصمصامة في خلال خلافة الحاكم بامر الله سنة ٣٨٦ هـ .

الامير تميم التنوخي : ولي طرابلس بعد علي بن جعفر المتقدم ذكره في نفس عام ٣٨٦ هـ كما يقول الشدياق .

ميسور الخادم : تولى ميسور الخادم امر طرابلس سنة ٣٨٧ هـ .

القاضي ابو الحسن علي بن عبد الواحد بن حيدرة الكلبي : من أعظم الولاة الذين تولوا طرابلس في العهد الفاطمي ، تولاها سنة ٣٨٧ هـ واشترك في محاربة البيزنطيين وخرج باسطول طرابلس سنة ٣٨٧هـ لمحاصرة علاقة الثائر على الفاطميين في مدينة صور .

القائد ابو سعادة : تولى طرابلس فيما بين سنة ٤٠٠ و ٤٠٧ هـ واشترك مع القاضي علي بن عبد الواحد لنجدة مرتضى الدولة مسعود بن لؤلؤ امير حلب ضد ابي الهيجاء .

مختار الدولة نزال الكتامي : ولي طرابلس سنة ٤٠٧هـ وبقي فيها حتى توفي سنة ٤٦٢ هـ وعندئذ اعلن القاضي ابو طالب بن عمار استقلاله عن الخلافة الفاطمية في القاهرة .

طرابلس في عهد بني عمار

تأرجح حكم الفاطميين لبر الشام وسواحله بين المد والجزر فكان البيزنطيون يهاجمون البلاد ويستولون على جانب منها ، فيقوم الفاطميون بتجريد حملات عليهم ويهزمونهم ويستولون على الكثير من الاسلاب والاسراء . وفي عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي ، اتفق هذا مع الامبراطور البيزنطي على هدنة تمتد لعشر سنوات ، ارتاح خلالها الفاطميون من هجمات الروم ، لكن السلاجقة لم يتركوا الفاطميين يرتاحون ، اذ كثرت اغاراتهم فيما بعد على القطر الشامي ، وهكذا استحكمت في هذا القطر الفوضى .

وفي الوقت ذاته بدأ سلطان الفاطميين يتزعزع في بر الشام . كان القاضي في طرابلس ، ابو طالب الحسن بن عمار على ما يقول المقريزي ، يراقب هذه الحالة عن كثب ، ويعمل للاستفادة من هذا الوضع ، ليحفظ لطرابلس استقلالها وسط هذه المعمعة . ويمكننا ان نقول ان القاضي ابن عمار يعد من الشخصيات البارزة في تاريخ طرابلس ، بل في تاريخ بلاد الشام جميعها ، فهو يتدخل بين الفاطميين وبين مناوئيهم ويتوصل لإحلال الصلح بين الطرفين . وفي سنة ٤٦٢ هـ اعلن استقلاله على قول ابن القلانسي ، ويتبعه الذهبي فيؤكد ان ابن عمار اعلن استقلاله في هذه السنة عن حكم الفاطميين ، واتبع في ذلك ما فعلته دمشق وصور وفلسطين ، فكل من هذه المدن انفرد باعلان استقلاله عن حكومة القاهرة .

كان القاضي ابن عمار فقيها شيعياً ورجلاً عاقلاً سديد الرأي فاستقل بطرابلس ، ولقب نفسه بأمين الدولة ، والتزم سياسة حيادية تجاه الفاطميين وتجاه مناوئيهم من السلاجقة ، ذلك انه بالرغم من خروجه عن طاعة الفاطميين ، لم يعلن عداءه لهم ، بالنظر لمذهبه الشيعي ثم لكي لا يثير عليه سكان طرابلس الذين كانوا يميلون للفاطميين ، كما انه لم يتورط في الخضوع

للسلاجقة بل اكتفى بملاطفتهم وبارسال الهدايا لهم .

وفي خلال حكم امين الدولة هذا ، لجأ الى طرابلس في سنة ٤٦٥ هـ سديد الملك بن منقـــذ ، صاحب شيزر ، فراراً من محمود المرداسي ، الذي استقل بحلب ، فوجد سديد الملك بطرابلس بلداً أميناً ، وفي ذلك الدليل على ان بني عمار كانوا يتبعون سياسة حيادية بالرغم من صداقة القاضي ابي الحسن مـع محمود المرداسي ، فقد ابى ابو الحسن بن عمار ان يسلم سديد الملك للمرداسي ، ويقول ابن الفرات ان ابا الحسن بن عمار نجح في حفظ طرابلس من تداخلها في الاضطرابات التي كانت قائمة في بر الشام .

وقد عمل ابن عمار على تحويل طرابلس لمركز ثقافي فأسس فيهـــا داراً للكتب وللعلم وحوت المكتبة التي أسسها على ما يزيد عن **مائة الف كتـــاب على قول بعضهم وعلى مـا يزيد عن مليونين مجلد عن قول الآخرين .** وكان القاضي ابو الحسن بن عمار هو نفسه من كبـــار الادباء فصنف كتاب « ترويح الأرواح ومصباح السرور والأفراح » وتوفي سنة ٤٦٤ هـ .

جلال الملك ابو الحسن بن عمار – ٤٦٤ – ٤٩٢ هـ

يعتقد ان امين الدولة ابن عمار توفي بدون عقب ، لذلك قام النزاع بين ابني أخيه محمد ، وهما فخر الدولة ابو علي ، وجلال الدولة ابو الحسن ، على من يخلفه ، بعد ان استبعد أخوه ، فقام سديد الملك بن منقذ بحـــل هذه المشكلة بين الاخوين وأيد جلال الملك علي بن عمار ، وهكذا ارتفعت قيمة ابن منقذ لدى جلال الملك ، وأصبح شريكه في حـــكم طرابلس ، كما يقول ابن العديم .

وقد تمكن جلال الملك من تدعيم مركزه وحفظه ، خلال الثلاثين عامـاً التي قضاها في حكم طرابلس ، وتدل الأحداث التي وقعت في عصره على انه كان على جانب كبير من الحنكة السياسية وعلى براعة تامة في تصريف الأمور ،

فقد حافظ على مركزه الحيادي الذي اتبعه قبله عمه ، بين المعسكر الفاطمي والمعسكر السلجوقي ، فغدت امارة طرابلس في خلال مدة حكمه محط أنظار الفاطميين الذين فقدوا معظم أملاكهم في الشام ، وقد أظهر ميله نوعاً ما ، إلى الفاطميين ، فعندما لجأ اليه الأمير حصن الدولة هرباً من الفاطميين ، قام بتسليمه لهم فقتلوه ضرباً بالنعال ، كما يقول ابن القلانسي .

وقد عثر على لوحة من عهد هذا الأمير وهي الوحيدة التي عثر عليها من الآثار الاسلامية قبل الفتح الصليبي ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم انمـــا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك يكونوا من المهتدين. هذا ما أنشأ تقرباً لله تعالى ورغبة في ثوابـــه القاضي جلال الملك ابو الحسن علي بن محمد بن عمار ... في سنة ... واربع وجرى على يدي .

ويقول الاستاذ « فييت » الذي درس هذا النص انـــه وثيقة أصلية من أسرة بني عمار ، ويستنتج من تسجيل اسم امير طرابلس دون ذكر الخليفة العباسي أو الخليفة الفاطمي ، ان بني عمار كانوا منفصلين سياسياً عن الدولة الفاطمية ، ودفعهم هذا الموقف إلى التطلع نحو بغداد ، وكان هذا التطلع على شيء من الحذر لأن الطرابلسيين كانوا يميلون نحو الفاطميين .

ويقول ابن الاثير في حوادث سنة ٤٨٥ هـ ان السلطان ملك شاه السلجوقي ، أمر قسيم الدولة اقسنقر ، والي حلب ، وبوزان صاحب الرها ، ان يرافقا أخاه تاج الدولة في غزو سواحل الشام ، فزحفوا بجيوشهم على بلاد الشام ، ووصلوا إلى طرابلس ، ونصبوا عليهـــا المجانيق ، فرأى صاحبها ان يدفعهم بحيلة ، فأرسل إلى الأمراء الذين مع تاج الدولة ، واطمعهم ليصلحوا حاله ، فلم ير فيهم مطمعاً وكان لقسيم الدولة اقسنقر وزير اسمه زوين بكر ، فراسله ابن عمار ، فرأى عنده ليناً ، فأطمعه وأعطاه ، فسعى مع صاحبـــه قسيم الدولة في اصلاح الحال لقاء جانب من المال . وفعلاً حمل له ابن عمار ثلاثين

الف دينار وتحف بمقلها ، وعرض عليه مناشير من البلد .

وقد قوي الجدال بـــين اقسنقر وتاج الدولة فاغلظ تاج الدولة لاقنسنقر بالكلام فقال تاج الدولة لاقنسنقر : هل أنت تابع لي أم أنا تابع لك ؟ فقال اقنسنقر : أنا تابع لك إلا في معصية السلطان . ورحل من الغد عن موضعه، فاضطر تاج الدولة إلى الرحيل غاضباً ، وعاد أيضاً بوزان إلى بلاده فانقضى الأمر وتمكن القاضي ابن عمار من تخليص طرابلس من هذا الجيش بما بذله من مال وتحف .

وفي سنة ٤٧٣ تمكن القاضي ابن عمار من ضم جبلة إلى أملاكه لأن قاضي جبلة أبا محمد عبد الله منصور بن الحسين التنوخي المعروف بابن صليحة، استعان في تخليص جبلة من البيزنطيين بابن عمار وهكذا ضمت جبلة إلى امارة طرابلس.

فخر الملك بن عمار ٤٩٢ - ٤٩٥ هـ

توفي جلال الملك بن عمار في شهر شعبان من سنة ٤٩٢ هـ وخلفه على امارة طرابلس اخوه فخر الملك ابو علي بن عمار ، آخر ملوك بني عمار على طرابلس . كان فخر الملك هذا سيىء البختَ على الرغم من سطوته الحزبية ، فقد فَقَدَ امارته، وبالتالي دخلت طرابلس في حوزة الصليبيين بعد الدفاع المجيد الذي قامت به على ما سنفصله في الفصل التالي عن عهد طرابلس خلال الحكم الصليبي الذي دام نحو قرنين .

وإذا نظرنا إلى ابن عمار هذا بعين التحقيق ، نجد انه لم يأل جهداً بالدفاع عن مدينته ، وقد أخر استبساله فتح طرابلس نحو السبع سنين ، ولو كان لديها اسطول قوي ، ولو ساعدها الفاطميون في الوقت المناسب ،أو لو انجدها العباسيون بجيش له قيمته ، لبقيت طرابلس في حوزة المسلمين .

وعلى الرغم من الظروف السيئة التي احاطت بعهد ابن عمار هذا ، منذ ان تولى امارة طرابلس ، فقد تمكن من المحافظة على امارة طرابلس ، وساند

السلجوقيين كما ساند الفاطميين ، وتمكن من استرجاع جبلة التي استولى عليها السلجوقيون ، واصبحت امـارته تضم جبلة وانطرطوس وعرقة وطرابلس وجبيل . لكن هذه المدن الملحقة بطرابلس سقطت شيئاً فشيئاً بأيدي الصليبيين ، وفقد فخر الملك في سنة ٥٠١ هـ ، حين حدث انقلاب داخلي في طرابلس اماراته . وحين سقطت طرابلس في ايدي الصليبيين سنة ٥٠٢ انسحب ابن عمار إلى جبلة ، ثم إلى شيزر حيث عرض عليه صاحبها ان يقيم لديه فاعتذر ورحل إلى دمشق .

ونقف عند هذا الحد من وصف طرابلس في العهد الاسلامي العربي وفي عهد بني عمار لننتقل إلى وصف ما جرى على طرابلس في العهد الصليبي الذي دام حوالي قرنين كما عرضنا اعلاه .



قلعة صنجيل وطرابلس من القبة

الباب الثالث

طرابلس خلال الحروب الصليبية

•

تمهيـــد :

الحروب الصليبية ، ما هي الا مرحلة من مراحـــل الصراع بين الشرق والغرب ، أو بين الاسلام والمسيحيـــة ، أو بين الأتراك المسلمين والروم المسيحيين أو العرب والروم وذلك على مدى الأزمان فما الصراع الذي اتينـا على تفصيله بين الروم والفرس والروم والفينيقيين والروم واللبنانيين إلا مرحلة من مراحل هذه الحروب وهذا الصراع الدائم . وإيجاد إسرائيل في الوطن العربي هو مرحلة جديدة من هذا الصراع . وكما تمكنا في العصور الغابرة من إجلاء الأجنبي ، فإننا ولا شك سنتمكن أيضاً من الوصول الى إجلاء إسرائيل.

الصراع بين الشرق والغرب

كان التفكك في الوحدة الاسلامية قد ظهر من سنين عديدة ، ولم يعـــد للخلافة العباسية في بغداد إلا القيمة الاسمية ، فالسلاجقة من أتراك وتركمان في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي كانوا يسيطرون سيطرة تامة على آسيا الصغرى وعلى شمالي سوريا . أما في فلسطين والقسم الباقي من سوريا ولبنـــان

فقــد كان تحت حكم الفاطميين في مصر . ثم ان في داخل الامبراطورية الاسلامية ، كان هناك أمراء يحكمون إمارات صغيرة ومقاطعات مستقلة عن بغداد . وكان هناك أيضاً تنافس بين الحكام أدى الى انشقاقات وبالتالي الى فوضى في الحكم. والمنطقة الجبلية من ساحل لبنان وسوريا غدت ملجأ لمختلف الفرق المنشقة وللطوائف المسيحية المختلفة، فالنصيرية كانوا بالقرب من اللاذقية والموارنة في شمالي لبنان ، والدروز في جنوبه وبينهما الشيعة ، وقـد زاد في حــدة الفوضى ، سيل مستمر من الاعراب هجروا الصحراء ليستقروا في المناطق الزراعية أو في المراكز العسكرية التي كانت تقام على الحدود كما كان هناك سيل آخر من التركمان أتوا للانخراط في الجندية التي كانت من المهن الرابحة.

البيزنطيون والسلاجقة

في سنة ١٠٧١ م حدثت معركة « منزكرت » بين القائـد السلجوقي الب ارسلان والبيزنطيين ، وقد انتصر السلجوقيون في هذه المعركة على البيزنطيين وأسروا امبراطورهم ، وبنتيجتها أصبحت آسيا الصغرى أرضاً سلجوقيــة وكان لهذا الانتصار صداه البعيد ، اذ أن السلجوقيين بانتصارهم هذا هددوا القسطنطينية عاصمة البيزنطيين تهديداً مباشراً .

كان الامبراطور الكسيوس الجالس على عرش القسطنطينية رجـلاً قديراً لذلك أدرك الخطر المباشر على البيزنطيين الناتج عن انتصــار السلجوقيين ، فحاول ان يجد حلاً لهذا الخطر الذي تواجهه الامبراطورية البيزنطية، خصوصاً وأنه وجد أنه ليس بوسعه مواجهة السلاجقة فاتجه اتجاهاً جديداً نحو البابوية في روما ، أو بالاحرى طلب مؤازرة الغرب على الشرق، أو المسيحية على الاسلام، فكتب للبابا أوربان الثاني ، يعرض عليه الوضع بمرونة ولباقة . وهنا نجد ان فكرة إرسال حملة أوروبية لاستخلاص الاراضي المقدسة من المسلمين ، إنمــا كانت ترجع الى البابا أوربان الثاني والى مساعيه ، وإنمــا بطرس الناسك الذي اشعل هــذه الحملات ، إنما كان أداة صالحة لنشر فكرة الحروب

الصليبية . وقد بلغ مسامع البابا اوربان الثاني ان المسلمين الأتراك على الخصوص يضطهدون المسيحيين من حجاج وغيرهم حين يقومون بالحج لزيارة الأماكن المقدسة ، يضطهدونهم بنفس الجهد والعزيمة التي يجري بها طرد المسلمين من اسبانيا، وهكذا نجد أن الصراع بين الاسلام والمسيحية كان من أشد العوامل التي أدت الى الحروب الصليبية والى الصراع الدائم بين الطرفين : الشرق والغرب ، منذ العصور القديمة وكما قلنا أعلاه ، إنما إنشاء اسرائيل في أرضنا العربية هو مواصلة لهذا الصراع .

البابا اوربان الثاني

يظهر ان البابا اوربان الثاني كان من الشخصيات الفذة والقادرة على تنفيذ مشروع الاستيلاء على الأراضي المقدسة وتخليصها من أيدي المسلمين، مع ما فيه من الخطر ، ذلك ان البابا المشار اليه ، كان لديه الجرأة على الدعوة للقيام بحروب صليبية ورعايتها فضلاً عما عرف به من بعد النظر ، والمقدرة باختيار الرجال وتوجيههم والتأثير عليهم لتنفيذ هذه المحاولة . ثم ان البابا اوربان الثاني لم يكن يقل مرونة عن الامبراطور البيزنطي الكسوس ، فانه حين جلس على عرش البابوية ، باشر بفتح المفاوضات بينه وبين الامبراطور البيزنطي ، لتسوية المشاكل المتعلقة بالخلافات بين الطرفين ، وبرهاناً على رغبته بحل هذه المشاكل رفع أو ألغى الحرمان الذي كان موقعاً على الامبراطور المشار اليه . وقد أدى هذا العمل الى نوع من التقارب بين الكنيستين الشرقية والغربية أو الأرثوذكسية والكاثوليكية ، خصوصاً بعد ان منح الامبراطور البيزنطي الكنائس الكاثوليكية حرية التصرف في شؤونها في جميع البلاد البيزنطية . وفي سنة ١٠٩٠ ارسل الامبراطور البيزنطي الكسوس سفارة الى روما تحمل للبابا اوربان الثاني إخلاص الامبراطور البيزنطي ومحبته .

لكن هدف الامبراطور ، كما ذكرنا اعلاه ، لم يكن تبادل السفراء والمجاملات لان هذه المسائل لم تكن تخلص الامبراطورية البيزنطية من خطر السلامة المتزايد ، لذلك فان الامبراطور اليكسيس انتهز فرصة انعقاد مؤتمر ديني برئاسة البابا اوربان الثاني في بلدة بياكنزا ، في شمالي ايطاليا ، في خلال

شهر آذار سنة ١٠٩٥ ، فأرسل بعثة من القسطنطينية لحضور المجمع المذكور، وطلبت هذه البعثة باسم الامبراطور ، مساعدته على السلجوقيين . وقد نجحت البعثة المشار اليها في مساعيها ، وأقنعت البابا اوربان الثـاني بان السلاجقة لا يهددون الدولة البيزنطية فحسب ، بل يهددون المسيحية باجمعها وان ضربة واحدة تكفي للاجهاز عليهم . والامبراطورية البيزنطية لولا حاجتها للرجال في حربهـا مع جيرانها من سكان حدود الدانوب ، لكانت عملت على إبادة المسلمين من الأناضول . وهكذا آمن البابا اوربان الثاني بضرورة الزحف على الأراضي المقدسة وتخليصها من ايدي المسلمين .

مؤتمر كليرمون فران

وفي نوفمبر من عام ١٠٩٥،انعقد في مدينة كليرمون فران،مؤتمر بابوي برئاسة البابا اوربان الثاني ، بحث المؤتمر المشار إليه في خلال الايام التسعة الأولى ، الامور الدينية ، ومنها توقيع عقوبة في حق ملك فرنسا فيليب الاول ، وفي اليوم العاشر ، وجه البابا اوربان الثاني دعوة إلى المسيحيين كافة للاتحاد لاستخلاص الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين . وقد عرض البابا على المجتمعين باسلوب جذاب ، مدى ما تعانيه الأراضي المقدسة وحجاجها من متاعب بسبب سيطرة المسلمين عليها ، وخلاصة رأي مؤرخي الحروب الصليبية ان فكرة هذه الحروب انبعثت من بيان البابا المذكور .

وهكذا تألفت الجيوش للزحف على الشرق واحتوت هذه الجيوش بجملة ما احتوته من جنود ، على عدد من النورمان جاؤوا من جنوبي إيطاليا ومن صقلية ، يحملون شارة الصليب شعاراً ، ولذلك اطلق على هذه الحروب اسم الحروب الصليبية كما اطلق على النورمان اسم الصليبيين . ومما لا شك فيه ان بعضاً منهم كانت تحدوهم حوافز دينية ، ولكن اكثرهم وان كانوا يظهرون تديناً ، كانوا يطمعون بالحصول على اسلاب عديدة . وهكذا قوادهم فان بعضهم كان يأمل في الحصول على إمرة أو امارات أو ملك . وكان من بين

المجندين ، جماعة من التجار، جلهم من مدن تجارية ، كمدينة جنوا أو البندقية أو بيزا يحلمون باعمال تجارية تدر عليهم الارباح الجزيلة. ولا ننس ان جماعة من المجرمين والاشقياء انضموا إلى الحملة ورغبتهم في الحصول على المغفرة من طريق الحج إلى الاراضي المقدسة التي داستها قدما السيد المسيح . وكان ايضاً مع الحملة شبان يشعرون بشيء من النقمة على الحياة وعدم الرضا ، فكان حمل شارة الصليب بمثابة نوع من العزاء الذي يناله الانسان الذي يقدم ذبيحة كقربان . ثم كان بين الحملة عدد من المغامرين الذين يفتشون عن مغامرة رائعة يشتركون بها .

الانتصارات الأولى

تألفت الحملة الصليبية الاولى من شعوب وأمم مختلفة ، واتخذت طريقاً لها تلك التي تمر في آسيا الصغرى التي كان قداستولى عليها السلاجقة. غادرت الحملة القسطنطينية بعد انبقوا فيها مدة اثارت في خلالها نقمة السكان عليها لكثرة ما اقترفته من اعمال مشينة ، واول مدينة استولت عليها هذه الحملة بعد ان غادرت مدينة القسطنطينية كانت مدينة نيقيا. ومدينة نيقيا مركز استراتيجي هام . كان استيلاء الصليبيين على هذه المدينة خلال شهر حزيران سنة ١٠٩٧ بعد قتال عنيف ثم واصلت الحملة المذكورة زحفها فاستولت على مدينة اسكي شهر (دويل لايوم) ، وهكذا تمكن الامبراطور البيزنطي من استرجاع بعض المدن التي فقدها واستولى عليها السلاجقة .

واصل الصليبيون زحفهم فقطعوا جبال طوروس ، لكنهم لم يكادوا يصلوا إلى هذه المرحلة حتى بدأت المنافسة بين قوادهم ، فأخذ كل من القواد يضع الخطط اللازمة للاستيلاء على مقاطعة ينصب نفسه أميراً عليها . أما بلدوين اللوريني من قواد الحملة البارزين ، فقد اتجه شرقاً نحو مدينة « الرها» التي كانت تحت حكم الأرمن ، وتمكن من احتلالها عام ١٠٩٨ . وهكذا تأسست الدولة اللاتينية الأولى ، واصبح فيما بعد بلدوين هذا ، الملك الثاني

لمملكة القدس اللاتينية واتخذ له لقب بلدوين .

أما تنكرد ، القائد النورماني ، فقد اتجه نحو كيليكيا التي كان يقطنها شعب مسيحي عبارة عن مزيج من اليونان والأرمن ، فاحتل طرسوس والمدن المجاورة لها . أما القسم الباقي من الحملة وهو القسم الأكبر ، فكان هدفه بيت المقدس ، وكانت مدينة انطاكية ، التي سمي بها اتباع المسيح بالمسيحيين تقع على طريق الحملة وتحت حكم أمير سلجوقي تابع لسلاجقة بغداد ، فضرب الصليبيون حولها حصاراً شديداً لبث من ٢ تشرين الاول عام ١٠٩٧ حتى ٣ حزيران عام ١٠٩٨ وحاول خلال مدة هذا الحصار أميران سلجوقيان يحكم الأول حلب والثاني دمشق ، حاول هذان الأميران أن يفكا الحصار عن المدينة لكنهما أخفقا في مسعاهما . كانت قوة من الأسطول البحري الايطالي تساند الصليبيين، وأخيراً استسلمت انطاكية بخيانة قائد أرمني ناقم على حكام المدينة . أما مدينة معرة النعمان ، التي تقع في طريق الحملة فقد حاصرها الصليبيون حصاراً شديداً واستولوا عليها وأحرقوها واستباحوا سكانها .

احتلال بيت المقدس

تابع الصليبيون زحفهم نحو بيت المقدس من الطريق الداخلية، عبر وادي العاصي والطريق الساحلية بمحاذاة البحر ، وكان على رأس الحملة التي سارت على الطريق الداخلية الكونت ريمون دي سنجيل ، وكان يأمل بامارة انطاكية، لكن بقية القواد انكروها عليه، فسار إلى القدس واستولى بطريقه على حصن الأكراد ، الذي يصل الساحل بسهول وادي العاصي . وقد بنى الصليبيون على انقاضه القلعة المعروفة الآن باسم « قلعة الحصن » ، ثم حاول سنجيل الاستيلاء على المدن الساحلية ، فلم يتمكن من احتلالها ، لذلك شدد عليها الحصار .

شدد الصليبيون حصارهم على عرقا ، لكنهم اضطروا فيما بعد إلى فك هذا

الحصار ، لأن عرقا كانت تابعة لبني عمار ، أمراء طرابلس ، كما سيجيء ، فتركوا عرقا وتابعوا زحفهم نحو بيت المقدس . وفي البترون ، الواقعة على الطريق الساحلية ، جرى أول اتصال بين الصليبيين وبين الموارنة ، من سكان الجبل ، الذين امدوا الصليبيين بادلاء ، كانوا بأشد الحاجة إليهم . أمّا في بيروت فقد حذا حاكمها حذو حاكم طرابلس ابن عمار ، الذي أعطاهم كمية من المال والمؤن على أن لا يتعرضوا للبلدة . وهكذا واصل الصليبيون سيرهم إلى بيت المقدس فوصلوها في السابع من حزيران سنة ١٠٩٩ وبعد حصار دام أشهراً ، استسلمت المدينة واستولى عليها الصليبيون واعملوا السيف في أهلها دون التفات للسن ولا في الجنس . ثم استولوا على بعض المدن الساحلية وتولى الأمير غودفروا إمارة بيت المقدس خلال ما يقارب السنة ثم خلفه أخوه بلدوين ، أمير الرها ، السالف الذكر ، الذي نصب نفسه ملكاً على مملكة بيت المقدس اللاتينية .

طرابلس والمدن الساحلية

قبل ان نأتي على وصف استيلاء الصليبيين على طرابلس ، من موضوع كتابنا هذا ، نقول ان الصليبيين بعد استيلائهم على بيت المقدس ، شعروا بحاجتهم للاستيلاء على المدن الساحلية لتأمين اتصالهم من المدن الاوروبية بحراً ، وقد تم لهم ذلك بالرغم عن مناعة المدن الساحلية ، وذلك بمساعدة المراكب الحربية التي قدمتها لهم المدن الكائنة في مختلف جمهوريات ايطاليا فقد أمدتهم هذه الجمهوريات عدا عن السفن الحربية بالسلاح والمؤن. أما الاسطول الفاطمي الذي كان يبلغ عدده في بعض الاوقات الثلاثين سفينة ، فلم يكن يقوى على مجابهة الاسطول الايطالي . ضرب الاسطول الايطالي يعاونه الجيش ، الحصار على عكا خلال ثلاث سنوات اضطرت فيما بعد الى التسليم . وفي عام ١١١٠ حاصر الصليبيون بيروت خلال احد عشر يوماً كان آخرها الثالث عشر من

أيار حين انقض عليهـــا الجنود المحاصرون . وقد وجد الصليبيون في غابة الصنوبر التي تحيط ببيروت وما تزال حتى اليوم ، مصدراً للأخشاب التي بنوا بها أبراجاً تشرف على المدينة لرمي الاسوار ودكها . ولما دخل الصليبيون بيروت أعملوا فيهـا السلب والنهب وقتلوا واليها والكثير من سكانها ، وأسر بعضهم ونجـــا البعض الآخر هاربين لجزيرة قبرص وقد حاصر الصليبيون فيما بعد مدينة صيداء وبنوا برجاً من الخشب غطوه بأغصان الأشجار والجلود ليتقوا شر قذائف النفط ، ووضعوا فيه الماء والخل لإطفاء النار التي يقذفهـا عليهم سكان صيداء من أعالي الاسوار . دام حصار صيداء سبعـــة واربعين يوماً ، ثم استسلمت المدينة وقبلت ان تدفع جزية قدرها عشرون الف دينار ثم اخيراً استولى الصليبيون على صور سنة ١١٢٤ .

بنو عمار في طرابلس

أسس القاضي أبو طالب بن عمـــار ، القاضي الشرعي في طرابلس ، على ما فصلناه في فصل سابق ، إمارة طرابلس وأعلن نفسه حاكماً عليها في حوالي عام ١٠٩٦ حين توفي العامل الفاطمي . وكان أبو طالب المذكور يهتم بالعـلم والعلماء ، وقد بنى مدرسة أطلق عليها اسم « دار العلم » ، فكان عمله هـذا شبيهاً بما قام به سيف الدولة بن حمدان في مدينة حلب . وقد أنشأ القاضي ابن عمار في طرابلس مكتبة كانت تحتوي على مائة الف مجلد ، واستمال طلاب العلم الى طرابلس . وقد خلفه ابن أخيه أبو علي بن عمـــار في سنة ١٠٩٨ ، حين عزم الافرنج بصورة باتة على حصار طرابلس والاستيلاء عليها .

ريموند دي سنجيل

رأينا فيما مر ان ريموند دي سنجيل كان يطمع في الحمـلة الصليبية الأولى بالاستيلاء على امارة انطاكية . وكيف خاب امله حينما لم يحصل على أمنيته ، وقد انتهى الامر بأن الامير بوهيمند استولى على انطاكيـة وأعلن نفسه أميراً

عليها ، وحين حاول ريموند ان يؤسس لنفسه امارة في شمالي الشام على حساب السلاجقة في حلب ، حول معرة النعمان ، انبرى له بوهيمند مرة ثانية ونافسه الاستيلاء على معرة النعمان . فكر حينئذ ريموند دي سنجيل بتأسيس إمارة على الساحل ، فهاجم انطرطوس وعرقا الى الشمال الشرقي من طرابلس، ونجح في احتلال الاولى في شباط سنة ١٠٩٩ وفشل في الاستيلاء على عرقا في ايار من نفس العام . وعندما رشح نفسه كحاكم لدولة بيت المقدس حسده زملاؤه وضاعت الفرصة من يده ، لذلك اتجه لمهاجمة الثغور الفلسطينية ، فلم يمكنه جودوفروا من تحقيق رغبته ، فتحول نحو خدمة المصالح البيزنطية واستولى على اللاذقية في صيف عام ١٠٩٨ وسلمها للبيزنطيين، وهكذا قويت الرابطة بينه وبين الامبراطور البيزنطي الكسوس ، واتخذ هذا التحالف اتجاهاً خاصاً ضد بوهيمند امير انطاكية وظل ريموند يحمل في نفسه حقداً خاصاً على بوهيمند امير انطاكية .

وفي سنة ١١٠٠ سافر ريموند دي سنجيل الى القسطنطينية واتفق مع الامبراطور الكسيس ضد بوهيمند امير انطاكية ، لكن جاءت الأخبار الى القسطنطينية ان الأمير بوهيمند المشار اليه وقع اسيراً بيد التركمان ، لكن هذا الخبر لم يكن له التأثير الكبير في القسطنطينية وفي نفس ريموند لان تنكرد تولى الوصاية على انطاكية عند اسر خاله الامير بوهيمند ، واتبع هذا نفس سياسة خاله ، اي سياسة العداء نحو القسطنطينية ، واتجه نحو اللاذقية ليحتلها ويفصلها عن حكم البيزنطيين لكن اللاذقية قاومت حصار تنكرد مقاومة شديدة ولم يتمكن من دخولها الا في النصف الثاني من عام ١١٠٢ .

وفي الوقت ذاته وصلت حملة صليبية جديدة استأثرت بتفكير الامبراطور الكسوس وبريموند ، واغتنم الامبراطور هذه الفرصة فعين ريموند من طرفه للاشراف على هذه الحملة .

ريموند وعام ١١٠١

حين وصلت الاخبار لأوروبا بنجاح الصليبيين بالاستيلاء على الأراضي المقدسة في الحملة الأولى ، تحمس عدد آخر من السكان والامراء الذين لم يشاركوا في الحملة الأولى ، فهبوا للذهاب في تجريدة ثانية ليفوزوا بنصيب من الاسلاب فضلاً عما كانوا يرجونه من الثواب في المشاركة في حرب صليبية يخلصون بها الاراضي المقدسة من ايدي المسلمين . كان الصليبيون في الشام في اشد الحاجة للمعونة البشرية لسد النقص في من قتل خلال المواقع والمعارك الطاحنة من جهة ، ثم لاستئناف سياسة التوسع والاستيلاء على ما يمكن من المدن الباقية بأيدي المسلمين ، ثم لحراسة ما استولوا عليه ومحافظته .

وهكذا تألفت حملة جديدة من اللومبارديين ، تحركوا في نهاية شهر ايلول لعام ١١٠٠ وساروا نحو القسطنطينية عن طريق الدانوب، تحت قيادة انسلم، رئيس اساقفة مدينة ميلانو في ايطاليا، وغيره من الامراء ، كانت هذه الحملة شبيهة بالحملة الأولى ومن ضمنها عدد من النساء والأطفال ، وجل غايتهم النهب والسلب ، وعند وصولهم للقسطنطينية ، امرهم الامبراطور الكسوس بالعبور نحو آسيا الصغرى ، فعارضوا في اول الامر في تلبية رغبة الامبراطور البيزنطي ، لكنهم اضطروا اخيراً الى الطاعة استجابة لنصح ريموند الصنجيلي الانف الذكر . عبروا البوسفور في نيسان سنة ١١٠١ وانتظروا بقية الحملة ممن تأخر في المسير . وبعد ايام قليلة وصلت بقية الحملة وسارت الجيوش ويبلغ عددها نحو المائة الف تحت امرة ريموند الصنجيلي. ساروا في تجاه بني دانشمند التركماني، لينتقموا لبوهيمند ويفكوا اسره ويطلقوا سراحه، ومن الواضح ان هذا الاتجاه كان خاطئاً لأن غازي كمشتكين بن دانشمند كان نقل الاسير بوهيمند بعيداً لقلعة نيكسار على حدود بلاده ، وفي المنطقة الجبلية على حدود البحر الاسود . كان هدف الحملة ان لم يكن الانتقام لبوهيمند فيكفي تدمير اماسية وسيواس ، وهما المدينتان الرئيسيتان لبني دانشمند ، وهكذا

ادى المسير الى تعرض هذه الحملة لكوارث بالغة الاثر .

وصلت الحملة الى انقرة فاستولت عليها في اواخر حزيران سنة ١١٠١ بكل سهولة ثم اتجهت نحو مدينة كنغري ، ولما لم تستطع الاستيلاء عليها ، اتجهت شمالاً لاحتلال قسطموني الواقعة على ساحل البحر الاسود . وهناك اخذ التعب يستولي على الصليبيين لصعوبة وطول الطريق وقلة المؤن بعد ان دأب الامير قلج ارسلان السلجوقي ، على الانسحاب من أمامهم مدمراً كل ما يمكن ان يستفيد منه الصليبيون وبخاصة مواد التموين .

وقد أدت هذه الخطة الى لم شعث السلجوقيين المشتتة لمواجهة الخطر الصليبي الجديد ، فأسرع قلج أرسلان ، سلطان السلاجقة ، ورضوان صاحب حلب ، لنجدة الملك غازي كمشتكين واستعد الجميع للمعركة الحاسمة بين مدينتي أماسية وسيواس . وعندما وقعت الواقعة في أوائل شهر آب لعام ١١٠١ ، كان اللومبارديون الذين تسببوا في سلك هذه الطريق ، أول من ولى الأدبار ، وحين حاول الأمير ريموند الصنجيلي وبقية الأمراء من فرنسيين والمان حثهم على المقاومة لم يلقوا أذناً صاغية وهكذا اضطر ريموند الصنجيلي ومن معه من القوات البيزنطية التي رافقت القوات الصليبية ، الى الانكفاء ولم يلبث ريموند ان فر هو أيضاً شمالاً نحو البحر الأسود قرب مدينة سينوب ومن هناك ركب سفينة الى القسطنطينية .

وكان فرار ريموند الصنجيلي بمثابة نهاية لتلك الحملة إذ لم يلبث بقية الأمراء من الصليبيين ان لاذوا بالفرار واستطاع قسم منهم الوصول سالمين الى ميناء سينوب البيزنطي ، ولكن بعد ان تركوا للاتراك اتباعهم ونساءهم وأطفالهم ومتاعهم . وبذلك استولى السلاجقة على صفقة رابحة من الغنائم والاسلاب والاسراء . ثم أخذوا بمطاردة فلول الصليبيين ، فقتلوا منهم عدداً ضخماً من الذين حاولوا المقاومة ، قدره المؤرخون من الصليبيين أنفسهم بما يتراوح من مائة وخمسين الى مائة وستين الف صليبي . لكن ابن الاثير عند ذكره حوادث

سنة ٤٩٣ هـ يقول بأنه لم يفلت احد من الفرنج وكانوا ثلاثمائة الف غير ثلاثة آلاف هربوا ليلاً وافلتوا وهم جرحى .

وهكذا محت هذه الموقعة أو الكارثة التي حلت بالصليبيين ، الاثر السيء الذي تركه انتصارهم على السلاجقة في موقعة ضورليوم سنة ١٠٩٧ ، والذي زاد من وقعها انها لم تكن الكارثة الاخيرة . ذلك انه وصل للقسطنطينية في منتصف حزيران سنة ١١٠١ وليم الثاني كونت نفرز على رأس خمسة عشر الفاً من الفرسان والمشاة من الفرنسيين ، وقــد اظهر هؤلاء رغبتهم في اللحاق باخوانهم من أفراد الحملة السابقـة ، فساروا على نفس الطريق وأدركوا بغير صعوبة انقرة ، ولما لم يستطيعوا اقتفاء اثر اللومبارديين ، اتجهوا نحو قونيــة فوجدوها محصنة تحصيناً كلياً ، وهكذا فشلوا في الاستيلاء عليها . وفي خلال ذلك كان السلاجقة قـد فرغوا من ادارة حملة اللومبارديين السابقة الذكر ، فتقدم قلج ارسلان والملك غازي بن دانشمند نحو أولئك الصليبيين الجدد ، واستطاع السلاجقة ان يبيدوهم شر ابادة شبه تامة ، قرب مدينــة هرقلة ، وذلك في أواخر آب لسنة ١١٠١ . ولم يتمكن كونت نفرز من الفرار لمدينة ارمناك البيزنطية إلا بصعوبة بالغة ومنها أخذه بعض البيزنطيين الى انطاكية.

وفيما كان افراد الحملة المشار اليها يلاقون ما يستحقون من ضربات الابادة من السلجوقيين وصلت الدفعة الاخيرة من الفرنسيين في اوائل حزيران سنة ١١٠١ الى القسطنطينية ، وهي مؤلفة من ستين الف صليبي بزعامة وليم التاسع دوق اكوتين – شاعر التروبادور المشهور – وولف الرابع دوق بافاريا . وعندما عبر هؤلاء البوسفور على سفن بيزنطية ، تعرضوا اثناء عبورهم البحر للانضول إلى كثير من المتاعب بسبب صعوبة البلاد ونقص الماء والزاد . وقد اتبع الأتراك مع هذه القافلة نفس الخطة التي اتبعوها مع من سبقهم ، فتركوا المدن مفتوحة امامهم بعد ان اخلوها تماماً من السكان وإحراق ما يمكن ان يستفيدوا منه من مؤن وخلافه ، حتى اذا وصل الصليبيون في طريقهم الى

اقصى حد يمكن ان يصلوا اليه من جوع وظمإ ، قضوا عليهم بسرعة وسهولة . وهكذا وصل الصليبيون الى قونية ليجدوها خالية الوفاض ، فواصلوا زحفهم ، في الوقت الذي اجتمع فيه قلج ارسلان سلطان قونية ، والامير غازي بن دانشمند وقراجا امير حران ، وتربص الجميع للصليبيين على مقربة من مدينة هرقلة . وفي أوائل شهر ايلول لسنة ١١٠١ انقض السلجوقيون ومن معهم على الصليبيين وأبادوهم عن بكرة أبيهم ، ولم يتمكن من النجاة إلا قلة قليلة منهم ، ومن بينهم وليم التاسع دوق اكوتين وولف الرابع دوق بافاريا ، فرّا الى انطرطوس ومنها واصلا سيرهما الى انطاكية .

وهكذا كان مصير هذه الحملة المشؤومة سنة ١١٠١ ، جرها اليه عناد اللومبارديين ، الذين لو كانوا استمعوا الى النصح في أول الأمر ولم يتجهوا شمالاً لشرق الاناضول ، لامكن لهذه الحملة ان تبدأ بداية طيبة وتتفادى ما حل بها من كوارث . ولكن على الباغي تدور الدوائر ، والمهم بنتيجة هذه التجريدة ان كان لها اطيب الأثر لدى السلجوقيين فقويت معنوياتهم ، بعد ان تمكنوا من هزيمة الصليبيين ، تلك الهزيمة المنكرة ، وانسد بوجههم طريق الانضول بعد ان كانت حملتهم الأولى نجحت بفتحه ، واستمرت هذه الطريق مقفلة بوجه الصليبيين طيلة سنين عديدة .

أما نتيجة انكفاء هذه الحملة وإبادتها ، نحو صليبيي بيت المقدس ، فقد كانت خيبة كبرى لها ، إذ أن الصليبيين في بيت المقدس كانوا ينتظرون العون من اوروبا ، بعد أن أنهكتهم الحروب . وبالنسبة لتجارة المدن الايطالية ، فقد كان ايضاً خيبة امل بالنظر لقطع الطريق البرية عليهم واضطرارهم للاكتفاء بالطريق البحرية .

ريموند الصنجيلي وامارة طرابلس

ريموند ونتيجة الحملة

بعد أن أتت الكارثة على جميع رجال الحملة المفصلة في الفصل السابق ولم ينج منهم إلا القليل القليل ، اتجه بعض امراء الحملة المذكورة ، الذين نجوا بفرارهم خلال المعمعة ، نحو مدينة انطاكية ، في حين استطاع بعضهم الفرار نحو القسطنطينية حيث اعد لهم الامبراطور البيزنطي الكسيس كومنين ، المذكور سابقاً ، في أوائل عـــام ١١٠٢ ، سفناً حملتهم بحراً الى الأراضي المقدسة ، تخلصاً منهم . وقد انضم ريموند الصنجيلي الى المسافرين ، ووصل الجميع الى ميناء السويدية في سوريا بغير عناء ، وميناء السويدية يشكل الميناء الطبيعي لمدينة انطاكية . لكن ريموند الصنجيلي لم ينزل الى البر إلا في كانون الثاني وبمجرد وصو للليابسة قبض عليه احد الفرسان ، متهماً اياه بخيـانة الصليبيين في الاناضول، وانه السبب المباشر بتعرضهم للكارثة التي حلت بهم ، وانتهى الأمر بتسليمه لغريمه « تنكرد » الذي اعتقله في قلعة انطاكية . ثم وجه اليه تهمة خيانة الصليبيين والتواطؤ مع البيزنطيين ضدهم وضد مصالح الصليبيين في الشام . لكن تنكرد اضطر اخـــيراً الى اطلاق سراح ريموند تحت ضغط الصليبيين في بيت المقدس شرط ان يتعهد بالتنـــازل عن جميع مطالبه وادعاءاته لا في انطاكية فحسب بل في اللاذقية ايضاً ، فوافق ريموند الصنجيلي على ذلك وجرى إطلاق سراحه كما قلنا سابقاً .

وكان لهذه الاتفاقية الأثر البعيد وشكلت فاتحة خير للصليبيين ، اذ انها وضعت حداً للتنافس بين النورمان بزعـامة بوهيمند ثم تنكرد من ناحية ، وبين ابنـــاء بروفانس بزعامة ريموند الصنجيلي ، من ناحية اخرى ، وثبتت اركان امارة انطاكية، واعترف رسمياً بحدودها . ثم ان ريموند اخـــذ يعمل لحسابه الخاص على الساحل الشامي ، وحد من نشاطه نحو الامبراطورية

البيزنطية وتنفيذ مطالبها . وهكذا اتجه نحو تأسيس امارة خاصة بـه على حساب المدن التي لم تزل بأيدي المسلمين ، بدلاً من العمل ضد انطاكية ويظهر انه أدرك اخيراً ، ان كل ما عمله في سبيل البيزنطيين ، لم يأت له بنتيجة تذكر ولم يربح منه سوى الخسارة الفادحة ، اذ اعتبر الصليبيون انكفاءه في الموقعة مع السلجوقيين كان خيانة للصليبيين ، ثم ان حليفه الامبراطور البيزنطي ، اكتشف اخيراً انه ليس لريموند أدنى قيمة وانه أضعف من أن يقدم له أية معونة .

ريموند الصنجيلي وانطرطوس

اتجهت بقايا حملة سنة ١١٠١ من انطاكية نحو بيت المقدس لأداء الحج ، وقد رأى ريموند الصنجيلي انها فرصة سانحة للاستفادة من بقايا هذه الحملة للاستيلاء بواسطتها على انطرطوس – طرطوس الحالية – وهي المدينة التي كانت تتبع بني عمار في طرابلس ، وقد سبق له ان استولى عليها سنة ١٠٩٩ لكن بني عمار عادوا فاسترجعوها سنة ١١٠١ ، اثناء غياب ريموند وانشغاله بمهام حملة اللومبارديين ، وقد رأى ان يعمل على استرجاع طرطوس من بني عمار. وفعلاً بمساعدة من معه من زعماء وجند، من بقايا حملة سنة ١١٠١ الفاشلة، بدأ بمحاصرة المدينة ، واغتنم وصول اسطول جنوى للشام ، فاستعان به في ضرب الحصار البحري على المدينة ، وشدد هذا الحصار بحراً وبراً ، واخيراً سقطت بيده في شهر شباط لعام ١١٠٢ ، فاتخذها قاعدة لأعماله وللامارة التي كان يحلم بتأسيسها .

كانت طرابلس بيد بني عمار ، وقد سبق لنا أن أتينا على ذكرهم ، وكان يتولاها وقتئذ القاضي فخر الملك ابو علي بن عمار، وقد سبق ايضاً ان أتينا على ذكر سياسته المرنة تجاه الصليبيين، وكيف انه سالمهم عندما هاجموه، وكيف حالف بلدوين الاول وحذره من كمين نصبه له السلاجقة . وفخر الملك هذا عمل ما سبق لمن تقدمه من أسلافه وقاموا به في سبيل المحافظة على ما تحت

يـــده من مدن ، كذلك حرص فخر الملك هذا على ان يمسك العصا من الطرفين ، يحاسن الفاطميين من جهة والصليبيين من الجهة الاخرى .

لكن استيلاء ريموند الصنجيلي على ميناء انطرطوس غيّر الوضع وقلبه رأساً على عقب، ورغب ريموند الصنجيلي في تأسيس امارة صليبية في طرابلس يتولاها هو واولاده من بعده . اضطر ابن عمار ان يقبل بالحرب وان يلقي بنفسه بهذا الأتون ، بعد ان أخفق في جميع مخابراته مع ريموند الصنجيلي ، وكان قد ارسل يستنجد بملك دمشق «دقاق» من ناحية، وبأمير حمص، جناح الدولة من الناحية الاخرى . وذلك في الوقت الذي كان فيه أعوان ريموند الصنجيلي قد اتجهوا نحو بيت المقدس ، ولم يكن مع ريموند الصنجيلي سوى جيش صغير مؤلف من ثلاثمائة رجل على الحد الاقصى ، استغلهم في مهاجمة الجهات المحيطة بالبلدة ، وقد بلغت به الجرأة أن جرّب حظه في مهاجمة طرابلس نفسها في تلك القوة الصغيرة ، وكان بوسع المسلمين أن يقضوا بسرعة على هذه الشرذمة ويزيلوها الى ما لا رجوع، ويقول ابن الاثير ان فخر الملك أرسل الى دقاق صاحب دمشق والى جناح الدولة صاحب حمص يقول لهما : « من الصواب أن نعاجل صنجيل إذ هو في هذه العدة القريبة » . وما أشبه حالة طرابلس آنئذ بحالتنا مع اليهود سنة ١٩٤٨ ، إذ لو تمكنا في ذلك الحين من القضاء عليهم ؛ لمـــا تمكنوا فيما بعد من انشاء دولة ذات جيش واقتصاد ومطامع لا تحد .

ولما وصل استنجاد ابن عمار الى كل من جناح الدولة والى دقاق،اسرع كل منهما لنجدة ابن عمار ، فارسل صاحب حمص ما لديه من قوى كما ارسل ابن دقاق الفي فارس ، واجتمعت تلك القوى عند طرابلس ، وانضمت الى قوى ابن عمار عند اسوار طرابلس ، وبدأت المعركة بـــين الطرفين ، قوى ريموند الصنجيلي من جهـة ، وقوى ابن عمار ومن معه من جنود حمص ودمشق ، من الجهة الأخرى .

ويروي ابن الاثير كيف ثبت ريموند الصنجيلي امـام القوى الاسلامية ، فقسم جنوده الى ثلاثة اقسام ، مائة رجل لقتال اهل طرابلس ، ومائة ثانية لقتال الجنود من الدماشقة ، وخمسين لقتال عسكر حمص ، واحتفظ بالخمسين الباقية لنفسه . وبفضل هذه الخطة العسكرية ، استطاع ريموند الصنجيلي ان ينزل الهزيمـة بالمسلمين الذين قتل منهم سبعة آلاف ، بينما ارتد الباقون الى داخل اسوار طرابلس على ما يقول ابن الاثير في ذكر حوادث سنة ٤٩٥ .

ولا بد لنا ان نقف قليلا امام ما رويناه من حوادث، إذ نعتقد ان ما رواه ابن الاثير لا بد ان يكون به الكثير من المبالغة ، فمن الصعب ان نصدق ان ريموند الصنجيلي وجنوده الثلاثمائة تمكنوا من قتل سبعة آلاف فارس من المسلمين، وارغموا الباقين على الفرار داخل اسوار طرابلس، الا اذا كان لدى ريموند الصنجيلي عدد من مدافع « المترليوز » ؟؟ او ان يكون هناك مبالغة او اغراق في تقـدير العدد من جنود المسلمين اذا لم يكن هناك من خيانة . لم يضع ريموند الصنجيلي انتصاره بل شرع فوراً في حصار طرابلس ، ولما وصلت أخبار هذا الانتصار الى الصليبيين ، أقبلوا من كل الجهات لمساعدته ، وقد ادرك ريموند الصنجيلي صعوبة الأمر الذي قرر تنفيذه ، وان أخـذ طرابلس ليس بالسهولة التي يتوقعها ، وهكذا أخذ بمخابرة ابن عمار ، وقنع بما عرض عليه هذا من جزية من المـال والخيل ، وانسحب عائداً الى انطرطوس منتظراً فرصة مؤاتية لفتح طرابلس ، وكان رجوعه في خلال شهر اذار سنة ١١٠٦ .

واذا رجعنا لابن الاثير في حوادث سنة ٤٩٥ هـ وسبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان، ولابن تغري بردى في النجوم الزاهرة في جزئه الخامس، أمكننا حينئـذ ان نلخص الحوادث التي تلت انسحاب ريموند الصنجيلي عن طرابلس بما يلي :

بعد ان عقد ريموند الصنجيلي الهـدنة مع ابن عمار ، خرج في ربيع سنة ١١٠٢ لغزو سهل البقاع ، حيث كانت ممتلكات امير حمص تمـتد غرباً حتى

جبل عكار . وقد بدأ ريموند اولاً بمهاجمة حصن الطوبان الواقع شمالي شرقي من حصن الاكراد . وذلك لأن ابن العريض مقدم حصن الطوبان كان أسر فارساً من فرسان ريموند ورفض اطلاق سراحه مقابل مبلغ كبير من المال. وفي السنة نفسها – ١١٠٢ – هاجم ريموند الصنجيلي حصن الاكراد الذي يمتاز بموقعه الستراتيجي واشرافه على كل اقليم انطرطوس ، وكان قد سبق لريموند الصنجيلي ان استولى على هذا الحصن ، لكن امير حمص عاد فاسترده منه . ولما بلغ مسامع جناح الدولة امير حمص أن ريموند الصنجيلي سيهاجم حصن الاكراد ، أخذ يستعد للدفاع عنه ، وجمع سائر قواته . ومن الأسف ان ثلاثة من فرق الباطنية داهموه اثناء قيامه في تأدية الصلاة في جامع حمص الكبير وقتلوه بغتة في شهر أيار سنة ١١٠٢ . ويضيف ابن الاثير ان هؤلاء الثلاثة كانوا من العجم وانهم اقتربوا منه وهم بزي الزهاد ، فاخذوا يدعون له بالتوفيق ويستحثونه على محاربة الصليبيين، ثم اقتربوا منه وضربوه بسكاكينهم حتى أردوه قتيلاً . ويضيف أبو المحاسن في النجوم الزاهرة أن جناح الدولة كان أميراً مجاهداً شجاعاً ، يباشر الحروب بنفسه ، وان سبب قتله انه كان عند رضوان بن تتش صاحب حلب منجم باطني ندب لقتل جناح الدولة اولئك النفر من الاعجام .

وكان لهذه الجريمة اثرها البالغ لدى ريموند الصنجيلي ، فانها خلصته من خصم شجاع وعنيد في آن واحد . وقتله يعطينا فكرة واضحة عن تفكك المسلمين في ذلك العصر مما مكن الصليبيين من الحصول على مكاسب جزيلة، وتحقيق أطماعهم ، ولو كان المسلمون على اتفاق تام لما تمكن الصليبيون من التغلب عليهم . ويتبين مما ذكره ابن الأثير وأبو المحاسن وسبط ابن الجوزي وابن القلانسي ان التاريخ لا يتهم بقتل جناح الدولة صاحب حمص سوى رضوان صاحب حلب ، الذي كانت تربطه به رابطة القرابة فقد كان جناح الدولة متزوجاً بأم رضوان صاحب حلب . لكن النزاع بين الاميرين جعل

رضوان يستأجر الاعجام لقتل جناح الدولة ، عمه زوج أمه ، وتنفيذ تلك الجريمة الشنعاء به ، والمسلمون باشد الحاجة اليه لقتال ريموند الصنجيلي .

ولم يكد ريموند الصنجيلي يسمع بمقتل جناح الدولة ، صاحب حمص ، حتى اسرع بمغادرة حصن الاكراد ، واتجه نحو حمص ذاتها للاستفادة من الاضطراب والقلق الذي انتشر في المدينة بعد مقتل صاحبها ، وفعلاً تمكن ريموند الصنجيلي من التغلب على حمص ، ولما أرادت الخاتون ، أرملة جناح الدولة وام رضوان صاحب حلب ، من استدعاء ابنها للدفاع عن حمص ، عارضها رجال جناح الدولة وفضلوا ان يستنجدوا بدقاق صاحب دمشق . ولما أحس ريموند الصنجيلي بأن دقاق استجاب لنداء الحمصيين ، ادرك ان قوته ليس باستطاعتها الوقوف بوجه رجال دقاق المذكور فقنع بما فرضه على حمص من جزية مالية وانصرف عنها . وهكذا وضع دقاق يده على حمص وأناب عنه في حكمها أتابكة طغتكين ، ولم يفز رضوان بأية نتيجة من قتله لجناح الدولة ، زوج أمه .

اما ريموند الصنجيلي ، فقد عاد يتحين الفرص ليقوم بعملية حربية ثانية تحقق له شيئاً من مطامعه ، فانتهز وصول اسطول بحري جنوي الى ميناء اللاذقية في شتاء ١١٠٣ فاستغله واستغل قواته البحرية في مهاجمة بلدة طرابلس. ولما فشل الاسطول في الاستيلاء على طرابلس ، اتجه جنوباً نحو مهاجمة بلدة جبيل الواقعة في نصف الطريق بين طرابلس وبيروت فلم تستطع قلعتها الصغيرة من الصمود في وجه الصليبيين . كانت جبيل تتبع بني عمار وقد اضطرت الى الاستسلام امام قوى ريموند البرية وقوى الاسطول الجنوي البحرية ، فاستسلمت في أواخر عام ١١٠٤ .

ويقول ابن الاثير ان الصليبيين أمنوا اهاليها قبل استسلامهم لكنهم لم يفوا بعهودهم ، بل أخذوا الاموال من الأهالي وفرضوا العقوبات عليهم عدا انواع العذاب . وقد كافأ ريموند الصنجيلي رجال الاسطول الجنوي بأن أعطاهم

ثلث جبيل ، الامر الذي مهد لهذه المدينة لان تصبح في المستقبل مستعمرة صليبية لها قيمتها تحت امرة وإشراف اسرة امبرياتشي .

نهاية ريموند الصنجيلي

شكل الاستيلاء على انطرطوس في الشمال ، وجبيل في الجنوب ، وضع طرابلس ضمن اطار ولم يعد لريموند الصنجيلي ، الا الاستيلاء على المدينة الواقعة في الوسط وتشكيل الامارة التي يطمح لتشكيلها من حملته الصليبية . لكن هذه المدينة – طرابلس – كانت محصنة تحصيناً منيعاً تاماً وكاملاً وطبيعتها تجعل الاستيلاء عليها من الصعوبة بمكان ، خصوصاً وانها واقعة على لسان داخل في البحر كشبه الجزيرة – الميناء اليوم – الامر الذي مكن صاحبها ابن عمار من الحصول على كل ما هو بحاجة اليه من ميرة عن طريق البحر في حالة حصار المدينة برا . لذلك لجأ الصليبيون لبناء قلعة سماها المسلمون قلعة صنجيل ، نسبة الى ريموند الصنجيلي ، بناها هذا مواجهة على التلة المقابلة للمدينة لاحكام الرقابة عليها . وسنأتي في فصل لاحق على وصف هذه القلعة الوصف التام وعلى تاريخ بنائها .

ويقول ابن الأثير ان موقف ابن عمار عاد خطيراً بالنظر لعدم تمكنه من الاتصال بالعالم الخارجي إلا عن طريق البحر ، في حين تكاتف المسيحيون المحليون مع الصليبيين ومع ريموند لإحكام الحصار المفروض على طرابلس . ويضيف ابن الأثير ان بني عمار حاولوا هدم قلعة صنجيل في آب من سنة ١١٠٤ واشعلوا فيها النار ولكنهم لم يتمكنوا من تحقيق هدفهم ، وكل ما هنالك ان ريموند الصنجيلي اصيب بجروح نتيجة لسقوط بعد اجزاء القلعة المشتعلة عليه . اما صاحب مرآة الزمان فيقول ان ريموند الصنجيلي ، توفي بعد ان عقد هدنة مع ابن عمار ، وتقضي هذه الهدنة بأن يكون لريموند الصنجيلي ظاهر المدينة على ان لا يقطع الميرة عنها ، ولكن ما ذكره صاحب مرآة الزمان لم تأت عليه بقية المراجع خصوصاً ابن الاثير .

وفي شهر شباط عام ١١٠٥ توفي ريموند الصنجيلي في قلعة طرابلس التي شادها ، متأثراً من جراحه ، وقبل ان يحقق امنيته في الاستيلاء على المدينة التي كانت من مدن الشام الكبرى بالنسبة للصليبيين كانطاكية وبيت المقدس ، ويؤسس له امارة ، وقد تحقق حلمه فيما بعد وتأسست امارة في طرابلس دامت نحو قرنين كما سيجيء .

وقد شاءت الظروف ان تكون طرابلس آخر مدينة كبرى تسقط في ايدي الصليبيين ، من مدن الشام ، وآخر امارة يؤسسها هؤلاء بعد الرها وانطاكية كما انها كانت آخر امارة استردها المسلمون من الصليبيين فقد سقطت طرابلس في ايدي الصليبيين في عام ١١٠٩ وبقيت في ايديهم حتى عام ١٢٨٩ حين استردها السلطان المنصور المملوكي .

وليم جوردان خليفة ريموند الصنجيلي

لم يرغب ريموند الصنجيلي بأن يتخذ من ولده الأكبر « برتراند » خليفة له ووليا لعهده ، بل تركه في مقاطعة تولوز يتولى امارتها ، لذلك لما توفي ، اختار فرسانه في ملحقات طرابلس ، ابن خالته وليم جوردان خليفة له وليتابع اعماله ومطامعه في تولي مكانه في امارة طرابلس التي كان كل همه انشاءها . وحين تولى وليم جوردان المشار اليه مكان ابن خالته ، رأى ان من الأحسن له متابعة العلاقات الطيبة مع البيزنطيين في القسطنطينية ، كما استمر في إحكام الحصار على طرابلس عن طريق قلعة صنجيل الآنفة الذكر والعمل على فتح ثغرة في اسوار طرابلس . ويقول ابن الأثير في حوادث سنة ٤٩٩ ﻫ ان الامبراطور البيزنطي امر اصحابه في اللاذقية ليحملوا الميرة الى الافرنج في طرابلس ، فحملوها لهم في البحر من قبرص ، مما يدل على ان الصليبيين كان بامكانهم الاتصال بالأسطول الصليبي بالرغم عن حصار طرابلس ويضيف ابن الاثير ان معركة بحرية دارت بين السفن البيزنطية وسفن ابن عمار الذين اسروا سفينة بيزنطية اقتادوها الى ميناء طرابلس .

وقد طال حصار الصليبيين لطرابلس،ووجد ابن عمار نفسه في مأزق حرج، وانه اذا لم يستند الى معونة خارجية ، افلت زمام الأمر من يده، وانه بأشد الحاجة الى نجدة من الخارج،خصوصاً بعد ان ساءت الاحوال داخل طرابلس، وقلت الميرة وارتفعت الاسعار ارتفاعاً فاحشاً ، وهجر الفقراء البلدة، وافتقر الاغنياء ، وفشلت الجهود التي بذلها فخر الملك بن عمار في تخفيف الحالة. رأى ابن عمار ان يستنجد بصاحب دمشق وصاحب حمص وصاحب حلب ولكن بالنظر لما كان بينهم من مخالفات ، وخلافات ، وقتل رضوان صاحب حلب لصاحب حمص ، لم يتمكن من الحصول على نجـدة منهم ، ثم لم يكن بوسعه الاستنجاد بالفاطميين في مصر لطمعهم بطرابلس وانتزاعها من يد بني عمار ، لذلك لم يبق لديه الا الاستنجـاد بامير بيت المقدس السابق سكمان بن ارش التركماني ، وكان حينئذ اصبح صاحب حصن كيفا وديار بكر. كتب اليه ابن عمار يطلب شد ازره بسرعة ، لكن من سوء حظ ابن عمار او من سوءحظ طرابلس ، ان سكمان المذكور ، بينما كان زاحفاً لنجدة طرابس بعد ان لبى طلب ابن عمار ، توفي فجأة في الطريق واضطر الجيش الذي أتى به ان يرجع بعد وفاة قائده، وهكذا انقطع كل امل لبني عمار بالحصول على نجدة تمكنهم من الوقوف في وجه الصليبيين وانقاذ طرابلس منهم .

وقد اشتد الضيق باهالي طرابلس، فباعوا ما لديهم من حلي وأواني لشراء ما يلزمهم من قوت، وآثر بعضهم الفرار من طرابلس والالتجاء للافرنج ، كما يقول ابن الاثير في حوادث سنة ٤٩٩ ، ومع كل هذه الشدة واصل ابن عمار الحصار ، وواصل المقاومة خلال ثلاث سنوات ، بفضل صدق عزيمته منجهة، وافتقار الصليبيين الى قوة بحرية تساعدهم في حصار طرابلس ، من الجهـة الاخرى. ويظهر ان ثراء اهل طرابلس ، بالرغم عن شدة الحصار مكنهم من تهريب المؤن من جزيرة قبرص البيزنطية ، بل ومن امارة انطاكية الصليبية .

لكن الصليبيين اصروا على الحصار حتى التسليم ، وازاء هذه الحالة،سافر

ابن عمار في ربيع سنه ١١٠٨ لطلب النجدةمن أكبر زعيم اسلامي في المشرق وهو الخليفة العباسي ، المستظهر في بغداد ، ثم السلطان السلجوقي محمد، واناب عنه في حكم طرابلس، ابن عمه ذا المناقب بن عمار ودفع مرتبات الجند سلفاً لمدة الستة اشهر المقبلة . سافر ابن عمار لبغداد حاملاً الهدايا الفاخرة للخليفة العباسي وللامير السلجوقي، وتلقي رواية ابن الاثير على رحلة ابن عمار لبغداد نورا بينا عن مدى تفكك المسلمين في الشرق خلال الحروب الصليبية،وانحلال الدولة العباسية وفقدها السلطة .

وبالرغم من كل الاستفزازات وتحريك العواطف والبكاء من تغلب الافرنج على الديار الشامية ، لم يحظ ابن عمار على اقل نتيجة من رحلته لبغداد ، وعاد للشام بخفي حنين في شهر آب سنة ١١٠٨ ، ولم يكد يصل لدمشق ، حتى سمع بان طرابلس قد ضاق عليها الحال وان اهليها ارسلوا للوزير الافضل الجمالي في القاهرة يطلبون الحماية من الدولة الفاطمية ، عارضين على الوزير المذكور تسليم المدينة للفاطميين مقابل الدفاع عنها امام الصليبيين ، فاستجاب الوزير الأفضل طلبهم وأرسل شرف الدولة ابن أبي الطيب والياً على طرابلس، وذلك في سنة ١١٠٨ . وقد حمل الوالي الجديد معه الميرة والسلاح والجند وكل ما تحتاج اليه طرابلس في فك الحصار . ولما وصل الوالي الفاطمي لطرابلس ، ألقى القبض على جماعة من أهل ابن عمار ، كما ألقى القبض على عدد من أصحابه ومناصريه ، واستولى على ما بقي من الآلات والذخائر ، وحمل جميع ذلك الى مصر على ظهر المراكب التي جاء بها من مصر ، وبذلك خرجت طرابلس من حكم بني عمار وآلت الى الفاطميين . ويقول ابن الأثير في حوادث سنة ٥٠١ انه لم يبق لابن عمار سوى جبلة – القلعة الصغيرة الواقعة على الساحل بين اللاذقية وطرابلس .

لكن الفاطميين ، كما يقول ابو المحاسن في النجوم الزاهرة ، وإن كانوا

حققوا أمنيتهم بالاستيلاء على طرابلس ، لكنهم كانوا أضعف من ان يستطيعوا حمايتها والدفاع عنها لعدم اكتراثهم بالافرنج من كل وجـه ، وتقاعدهم عن الوقوف امامهم .

تركة بني عمار

كثر الطامحون إلى الاستيلاء على حطام بني عمـار ، فالفاطميون فازوا بإمارة طرابلس ، وطغتكين اتابك دمشق سعى للاستيلاء على عرقـة الواقعة شمالي طرابلس والمحتوية على حصن شديد المناعة ، ويتمتع بموقع حربي هـام لأنه بمثابة الباب الشمالي لطرابلس ، فاذا استولى عليـه الدماشقة تمكنوا من قطع الطريق على الصليبيين بين انطرطوس وطرابلس .

كان فخر الملك ابو علي بن عمـار في اواخر أيامه وأيام حكمه لطرابلس وما يليها ، قد عهد بقلعة عرقة إلى أحد رجاله ، ولكن هذا طمع بالاستقلال بعرقة وعصى مولاه ، ولما لم يستطع الصمود بوجه الصليبيين الذين حاصروه ، عرض على طغتكين صاحب دمشق ان يتنازل له عن عرقة ، وأرسل يقول له : «ارسل من يتسلم هذا الحصن مني لأنني قد عجزت عن المحافظة عليه ، ولأن يأخـذه المسلمون خير لي دنيا وآخرة من أن يأخذه الفرنج » . ويقول ابن الأثير في حوادث سنة ٥٠٢ ان طغتكين ، حين تسلم رسالة صاحب عرقة ، أرسل على الفور ثلاثمائة من رجاله إلى عرقة تحت رئاسة رجل اسمه اسرائيل .

وفي آذار سنة ١١٠٨ ، خرج طغتكين للقيـام بهجمات على القـلاع الصليبية ، ولزيارة حصن عرقـة والاطلاع عليه وتقويته ، على ما يقول ابن الأثير واسامة بن منقذ ، لكن وليم جوردان تصدى له فلاذ بالفرار مع رجاله ، وظل وليم يطارده ويطارد من معه حتى مشارف حمص ، وقد حاول الأخوان مرشد وسليمان أميرا شيزر الوقوف بوجه وليم جوردان والعمل على أسره ، لكنه انتصر عليهما ، وعاد من ذلك النصر فاستولى على عرقـة التي

سقطت بيده بعد حصار دام ثلاثة أسابيع، وذلك في نيسان من عام ١١٠٨ .
ويقول ابن الاثير ان اهلها طلبوا الأمان ، فأمنهم وليم المذكور على نفوسهم ،
بينما غيره يقول ان حاميتها عندما يئست من المقاومة فرت ليلاً وتركت القلعة
خالية ليحتلها الصليبيون .

ظهور امارة طرابلس الصليبية

طرابلس والتنافس على امارتها

كما كان هناك تنافس حول ايجاد امارة صليبية في طرابلس والتزاحم حول
ملك هذه الامارة بين ريموند الصنجيلي في حياته وبين منافسيه من بقية الامراء
الصليبيين ، هكذا بقي هذا التنافس بعد وفاته ، فقد ظل وليم جوردان
اكثر من ثلاث سنوات وهو يأمل بالاستيلاء على طرابلس ، وتشكيل امارة
صليبية منها ومن ملحقاتها ، ولكنه قبل ان يحقق هذه الأمنية عرض له
منافس خطير وخطير جداً ، بشخص برتراند الابن الأكبر لريموند الصنجيلي،
فقد وصل هذا الى بر الشام لينتزع امارة طرابلس العتيدة من وليم جوردان ،
ذلك انه – أي برتراند – هو صاحب الحق الشرعي بإرث أبيه .

كان برتراند قد استعد تمام الاستعداد ، وعمل حسابه جيداً لما قد يواجهه
من مصاعب ، فخرج من مقاطعته – بروفنس – في فرنسا على رأس قوة
مؤلفة من اربعة آلاف فارس حملهم اسطول قوي مؤلف من اربعين سفينة
كاملة الاستعداد . وقد وضع برنامجه ، وفي رأس هذا البرنامج ان يستولي على
طرابلس مهما كلفه الأمر ، لأنه بحث مع الجنويين الشروط التي تقبل بها جنوه
لمساعدته في تحقيق أهدافه ، لأنه أدرك ضرورة الحصول على مساعدة احدى
الدول البحرية الإيطالية لكي يتمكن من الاستيلاء على طرابلس ، أما وليم
فقد أحس بما يقوم به برتراند، فأرسل بدوره رسولاً من قبله لمفاوضة الجنويين
ولكن جهود برتراند في جنوه خسّر وليم ربح الشوط، واتاح لبرتراند الربح على

وليم . وقد تعهدت جنوه لبرتراند بمساعدته على الحصول على تركة أبيـــه في الشام من ناحية ، ثم على مساعدته ايضاً في الاستيلاء على طرابلس من الناحية الأخرى ، وذلك مقابل تعهد برتراند بمنح الجنويين امتيازات تجارية واسعة في امارة طرابلس بعد الاستيلاء عليها .

سفر برتراند

أبحر برتراند من جنوه قاصداً الشرق ، وقد أصحبه الجنويون بعدد من سفنهم ، وبلغت قطع الاسطول بمجموعها نحو ثمانين سفينة ، وعندما مر هذا الأسطول الضخم بالدولة البيزنطية ، رحب به الامبراطور اليكسيوس كومنين ، كما رحب بابن حليفه السابق ، ريموند الصنجيلي وأكرم وفادته وقدم له كثيراً من الهدايا . أما برتراند فقد أقسم يمين الطاعة للامبراطور مجدداً بذلك حلف والده الذي كان بين والده وبين الامبراطور البيزنطي .

وقد اختار برتراند ان ينزل في ميناء السويدية ، ثغر انطاكية ، وعندما نزل الى اليابسة ذهب لمقابلة تنكرد أمير انطاكية ، وطلب منه اعطاءه نصيب أبيه في انطاكية ، فأجابه تنكرد انه على تمـــام الاستعداد لبحث الموضوع بشرط ان يساعده برتراند في الحملة التي ينوي تنكرد القيام بهـــا ضد مدينة الحصيصة في قلقيلية لاستردادها من البيزنطيين .

عندئذ تذكر برتراند تعهده للبيزنطيين وللامبراطور اليكسيوس ، فرفض الموافقة على طلب تنكرد ، الأمر الذي استفزه ، فطلب من برتراند الرحيل فوراً عن انطاكية وعن ميناء السويدية ، وان لا تطـأ قدماه فيما بعد امارة انطاكية .

بين برتراند ووليم جوردان

اضطر برتراند الى ترك ميـنـــاء السويدية والاتجاه نحو انطرطوس ،

التي كانت في ذلك الحين أهم مركز في ممتلكات أسرة ريموند الصنجيلي في الشام، وقد وصل برتراند باسطوله الى انطرطوس، وقابل وليم جوردان وطلب منه تسليمه تركة أبيه من المدن والبلاد في الامارة، فأجابه وليم جوردان ان هذه الامارة من حقه وحده، لأنه هو الذي دافع عنها بعد وفاة ريموند الصنجيلي والد برتراند، وذلك خلال اربع سنوات، ولولاه ولولا دفاعه لكان المسلمون استرجعوها واستولوا عليها او استولى عليها النورمان، أصحاب انطاكية، ثم انه - أي وليم - ضاعف ممتلكات هذه الامارة بإضافة عرقة وحصن عكار إليها. وهكذا تعقدت الامور، وتعقد الموقف بين برتراند ووليم جوردان مما جعل وليم يستنجد بتنكرد امير انطاكية، فوعده هذا بالحضور شخصياً على رأس قوة من الرجال للاشتراك معه في طرد برتراند.

على ان برتراند لم ينتظر وصول تنكرد لنجدة وليم جوردان، بل اعطى أوامره لقائد مراكبه بالاتجاه نحو طرابلس ليحاصرها بحراً وبراً. وفي الوقت نفسه ارسل رسالة عاجلة الى بلدوين الاول ملك بيت المقدس يخبره فيها بتحالف وليم جوردان وتنكرد ضده لحرمانه من تركة أبيه في هذا الشرق، وطلب اليه الحضور سريعاً لمساعدته، وتعهد له بالولاء والتبعية لملكية بيت المقدس.

لم يكن بلدوين الأول بالرجل السهل ليترك هذه الفرصة الثمينة تفلت من يده وهو الحريص على ان يجعل من بيت المقدس ومن مملكتها، سلطة عليا تهيمن على جميع امارات الصليبيين في بلاد الشام، لذلك أسرع بإيفاد رسولين الاول لتنكرد، والثاني لوليم جوردان، لاحاطتهما علماً بأن برتراند هو تحت رعاية الملك بلدوين وتحت حمايته، ويحذرهما من القيام بأي عمل عدواني ضده. وختم رسالته بأن دعاهما للحضور لمقابلته امام طرابلس للنظر في تركة ريموند الى ابنه برتراند.

ولكي يثبت بلدوين الاول انه صاحب السلطة العليا على جميع امارات

الصليبيين في الشام ، خرج من بيت المقدس على رأس قوة مؤلفة من خمسماية من فرسانه ، وقصد طرابلس حيث استقبله برتراند احسن استقبال وأقسم له يمين الولاء . أما وليم جوردان فذهب لتنكرد يستحثه على القتال ، لكن هذا هدأ من روعه وصحبه الى طرابلس ، حيث لحق بهما بعد قليل بلدوين دي بورج أمير الرها .

التقى جميع زعماء الصليبيين من الشام والعراق في قلعة صنجيل ، حيث عرض النزاع على بساط البحث . ويجمع مؤرخو الحروب الصليبية من الافرنج على ان الملك بلدوين الاول ملك بيت المقدس أظهر براعة قصوى وحكمة بالغة في تسوية النزاع بين الصليبيين ، فتم الصلح بين تنكرد وبلدوين دي بورج ، كما تم الصلح بين برتراند ووليم جوردان على أساس ان تقسم تركة ريموند الصنجيلي بين المتنازعين ، فأخذ وليم جوردان عرقة وانطرطوس ، في حين أخذ برتراند قلعة صنجيل وجبيل وعرقة ، علاوة على طرابلس ، عندما يتم فتحها واستخلاصها من أيدي المسلمين ، كما تقرر اذا مات أحد الطرفين دون عقب فان الاخر يرثه في جميع ممتلكاته .

سقوط طرابلس بأيدي الصليبيين

أسفر الاتفاق بين برتراند ووليم جوردان على حصر جهود الصليبيين ضد طرابلس التي بقيت تقاوم الحصار خلال ست سنوات متواصلة ، ولما لم يعد بإمكانها مقاومة فرسان بيت المقدس ، وفرسان برتراند ، وجنود انطاكية والرها مجتمعين ، في الوقت الذي أخذ اسطول الجنويين الكبير يحكم الحصار عليها من ناحية البحر كما يقول أبو المحاسن ، أما ابن الاثير فيضيف انه لو كانت حكومة الفاطميين في القاهرة اتخذت اجراءات سريعة لتموين طرابلس ، وتزويدها بالرجال والسلاح ، لأمكن للمدينة ان تقاوم ، لكن الاسطول الذي أعدته القاهرة لنجدة طرابلس ظل منتظراً في موانىء الدلتا لصدور تعليمات بشأن الخلاف الحاصل بين قادته ، ولما قرر السفر ، صادفته رياح مضادة

عرقلت سيره . وفي خلال ذلك ساءت أحوال أهـل طرابلس وسقط في ايديهم، وذلت نفوسهم، وزادهم ضغطاً تأخر الأسطول المصري عليهم بالنجدة وبالميرة . ويقول ابن الأثير ان العمارة المصرية ابحرت بعد فوات الأوان ، ولم تكد تصل لمياه طرابلس، حتى وجدت البلدة قد احتلها الصليبيون، فعادت أدراجها . اما أبو المحاسن فيقول : ان الأسطول الفاطمي حضر بعد تأخير وصار كلمـا سار لنجدة البلدة رده الافرنج نحو مصر حتى تمكن اخيراً من الوصول لمياه طرابلس فوجدها اخذت .

ويلقي ابو المحاسن تهمـة سقوط طرابلس بأيدي الصليبيين على الفاطميين ويلومهم لعدم اكتراثهم بمحاربة الصليبيين ويحدد عدم الاكتراث بالدفاع عن طرابلس بثلاثة أمور :

١ – تقاعده عن المسير بالنجدة لتلك المدة الطويلة .

٢ – ضعف العسكر الذي أرسلوه مـع أسطول مصر ولو كان لعسكر الأسطول مقدرة على دفع الافرنج من البحر لما كانت سقطت البلدة .

٣ – عدم خروج الوزير الأفضل بنفسه على رأس العساكر المصرية مـع قوة من الرجال والأسلحة .

ويتفق ابن الاثير مع أبي المحاسن على ان أهل طرابلس عندمـا وجدوا أنفسهم وحيدين أمـام مجموعة من الاعداء ، اضطروا الى التفكير بالتسليم وطلبوا ان يكون تسليمهم للملك بلدوين الاول والأمير برتراند ، بشرط عدم الاعتداء على حياة من يرغب في الخروج من المدينة، وعلى المحافظة على ممتلكات من يرغب البقاء فيها . وقد قبل الملك بلدوين بتلك الشروط ، وبذلك دخل الصليبيون طرابلس في ١٢ تموز لسنة ١١٠٩ ، فاحترموا الشروط السابقة ، وسمحوا للقائد الفاطمي – على قول ابن الاثير – بمغادرة البلدة مع فريق من رجاله ، وأمن الصليبيون طريقهم لدمشق . ولكن ذلك لم يمنع ابن الاثير من

الاشارة الى ما ارتكبه الصليبيون داخل طرابلس من حوادث السلب والنهب.
ولعل تفسير هذا التناقض في مسلك الصليبيين ، إنما يبدو في ان بلدوين ورجاله دخلوا المدينة من جانب ، فاحترموا الشروط التي وضعت للصلح وتسليم المدينة ، ولم يتعرضوا لأموال المسلمين وأرواحهم ، لكن الجنويين دخلوا المدينة من الجانب الآخر فاتوا من أعمال السلب والنهب بما أشار اليه ابن الأثير . ويضيف ابو المحاسن ان الصليبيين نهبوا ما في طرابلس من أموال وأسروا الرجال ، وسبوا النساء والأطفال ، وغنموا من أهلها الامتعة وأحرقوا الكتب مما لا يحصى لأن أهل طرابلس كانوا أكثر المدن الشامية أموالاً وتجارة .

مكتبة طرابلس

ولا بد لنا هنا من ان نقف قليلاً عند ذكر مكتبة العلم التي جمعها بنو عمار فقد كانت هذه المكتبة تحتوي على الوف الكتب بل على بضعة ملايين كتاب وقد أبادها الصليبيون من بكرة أبيها وهكذا ضاعت جهود بني عمار في جمعها وضاع معها قسم كبير من مؤلفات العرب خلال قرون طويلة .

ولا شك ان اتلاف كتب مكتبة طرابلس يعود الى جهل الصليبيين لقيمة الكتب فقد كانت حملاتهم مؤلفة من رعاع القوم الذين ليس لهم مطامع غير النهب والسلب والحصول على المال بأي وجه كان . لذلك لم يكن هناك من قيمة لديهم لا للعلم ولا للكتب فاذا أبادوها فإنما لاعتقادهم ان لا قيمة مالية لها بالنظر للجهل الذي كان منتشراً بينهم ومن المؤسف انه لم يبق اي أثر لتلك المكتبة .

يتهم الأوروبيون المسلمين باحراق مكتبة الاسكندرية حينما احتلوا مصر وان عمرو بن العاص استأذن الخليفة عمر بن الخطاب بشأن هذه المكتبة بناء على طلب يحيى النحوي فأفتى عمر بن الخطاب بحرقها لانها إذا كانت توافق

كتاب الله فبكتاب الله كفاية وإذا كانت لا توافق كتاب الله فلا حاجة لنا بها.

والقصة بحذافيرها رواها ابو الفرج الملطي المعروف بابن العبري نقلاً عن اخبار الحكماء بأخبار الحكماء لابن القفطي . ولا نعلم عن من اخذ ابن القفطي هذه الرواية وإذا حققنا بها نجد انها مختلقة إذ ان الحروب التي تتالت على الاسكندرية قبل الفتح العربي لم تترك لها مكتبة ولا شيئاً مماثلاً الأمر الذي أقنع الاباء اليسوعيين الذين أشرفوا على طبع كتاب ابي الفرج الملطي فحذفوا قضية مكتبة الاسكندرية من الكتاب المشار اليه باعتبار انها مختلقة اساساً .

طرابلس في العهد الصليبي

سقطت طرابلس في أيدي الصليبيين، كما مر في الفصل السابق ، بعد دفاع مجيد ومشرف ، فكان أول شيء حدث بعد استسلامها ، أن طالبت جماعة الجنويين ، بتنفيذ الاتفاق الجاري بينهم وبين برتراند الصنجيلي ، وقد سبق ان بينا ان برتراند أعطى الجنويين ثلث جبيل لقاء مساعدتهم له ، وبذلك أصبحت هذه المدينة الصغيرة مستعمرة جنوية ، وقد عين الجنويون هوهيو امبرياتشو ، أحد أمرائهم ، أميراً على جبيل ، ثم لم يلبث هذا الامير ان حصل من جنوه على حق الحكم الوراثي في جبيل ، وتلقاء ذلك تعهد بدفع ضريبة سنوية لجنوه . وقد توفي هيو هذا في سنة ١٣٥م وتعاقبت سلالته على حكم جبيل ، وليس من أهمية خاصة لهذا الأمير سوى ان الجنويين الذين تعاقبوا على حكم هذه المدينة كان همهم التجارة . وقد اندمجوا في الوسط الطرابلسي حتى اصبحوا شبه تابعين للوسط المشار اليه ، وساعد على ارتباطهم مصاهرتهم لصليبيي طرابلس مما أدى الى ذوبان قوميتهم الجنوية شيئاً فشيئاً في محيط طرابلس الواسع بالنسبة لمحيط جبيل الضيق .

برتراند امير طرابلس :

تخلو المصادر العربية من سياق حوادث طرابلس في خلال العهد الصليبي ، وما جرى فيها من أمور الا بصورة مقتضبة تابعة لحوادث السنين ، فابن الاثير وابو المحاسن بن تغري بردي وأبو الفداء يسوق كل منهم الحوادث على مقتضى تتابع السنين ، لذلك فإننا نضطر الى تتبع هذه الحوادث سنة فسنة حتى نستخلص منها تاريخاً تاماً لطرابلس في عهد الحكم الصليبي الذي دام ما يقارب القرنين .

بعد ان استولى برتراند على طرابلس ، بمساعدة حلفائه ، أعلن نفسه اميراً عليها ، كما حرص على تأكيد تابعيته لملك بيت المقدس ، بلدوين الأول ، لكنه في الوقت ذاته تناسى وعوده للامبراطور البيزنطي . وقد ولدت إمارة طرابلس ممزقة بالنسبة للحكم الذي أعطاه ملك بيت المقدس بتقسيم الامارة ، منعاً للنزاع ، وأخذت طرابلس تعاني نتيجة هذا الحكم ، لان اكتفاء برتراند بمدينة طرابلس ، وانفصال انطرطوس وعرقة عنها ، وإعطاؤهما لوليم جوردان ، قطع أوصال طرابلس ، ثم حدثت خلافات بين برتراند ووليم ، زادت في تلك الأزمة ، خصوصاً ان برتراند اعترف بسلطة بيت المقدس ، كما قلنا أعلاه ، دعا وليم جوردان للاعتراف بسلطة تنكرد ، أمير انطاكية . وقد انذرت هذه الظواهر بحدوث شر بين الطرفين .

لكن الحظ أخذ يخدم برتراند ، فقد أوشك هذا الوضع أن ينتهي ، بقتل وليم جوردان على يد أحد رجاله بظروف غامضة أشارت اليها المراجع الافرنجية ، وربما كان للنساء دخل بمقتله ، الأمر الذي دعا المصادر الافرنجية الى عدم ذكر السبب في اغتياله بوضوح . اغتنم برتراند الفرصة السانحة وضم جميع ممتلكات وليم جوردان إلى إمارة طرابلس ، وبذلك غدت هذه الامارة إمارة كبيرة مترابطة لا تقل شأناً عن إمارة الرها وإمارة انطاكية في أهميتها ، بالنظر لموقع طرابلس المتوسط . وقد أعلن برتراند الصنجيلي نفسه أميراً على طرابلس وملحقاتها ويقول ابن الأثير في

حوادث سنة ٥٠٣ ان تنكرد لم يعد له أقل نفوذ على إمارة طرابلس .

وقد نتج من استيلاء الصليبيين على طرابلس ، استيلاؤهم على ما تبقى من المدن الساحلية في ديار الشام ، فتنكرد احتل في طريقه حين عودته من طرابلس على ثغر بانياس ، التي لم يقاوم أهلها الا مقاومة طفيفة ، مما جعل تنكرد لا يتعرض لأرواح أهلها .

ويقول ابن الأثير ان تنكرد استولى على جبيل ، ولكنه أخطأ في هذا القول، ذلك ان جبيل تقع بين طرابلس وبيروت، بينما جبلة تقع بين طرابلس واللاذقية ، ولعل تنكرد استولى على جبلة ، فخلط ابن الأثير بين جبلةوجبيل نظراً للتقارب بالاسماء ، أو لعل ذلك من خطأ النساخ لم يصححه الذين قاموا بطبع تاريخ ابن الاثير ، خصوصاً ان ابن الاثير كان يحافظ على الدقة الشديدة بما يرويه ، ولذلك فاننا نرجح ان الخطأ تأتى من النساخ .

كان ابن عمار ، بعد ان رحل عن طرابلس ، أوى الى جبلة ، التي لم تستطع مقاومة تنكرد ، وحصاره لها ، وكانت الميرة بها قليلة ، وهكذا اضطر ابن عمار الى تسليمها لتنكرد ، وقد سمح تنكرد لابن عمار بان يخرج سالما الى شيزر ، ومنها الى دمشق حيث أشفق عليه طغتكين ، صاحب دمشق ، وأقطعه قرية الزبداني ، وهكذا أصبح الساحل الشامي واللبناني بيد الصليبيين .

ويروي ابن القلانسي بتاريخه المعروف «بذيل تاريخ دمشق » ان الصليبيين – اي مع برتراند، زحفوا في سنة ١١٠٩ على رفنية الواقعة شرقي انطرطوس، وان طغتكين ، حين بلغه هذا الخبر ، أسرع على رأس جيش من دمشق للدفاع عن تلك القلعة ، وقف على رأس عسكره بقرب حمص ، منتظراً ومراقباً ، لكن الصليبيين، لما شاهدوا قوى طغتكين ، تخابروا واياه. واتفق الفريقان على ان يستولي برتراند على ثلث دخل البقاع وعلى حصني القنيطرة وعكار . ولهذا الاتفاق أهميته ، لأن استيلاء الصليبيين على هذين الحصنين ،

جعلهم يسيطرون على الطريق بين جبيل وبعلبك . ثم ان استيلاءهم على حصن عكار ، جعلهم يسيطرون على طريق عرقة – حمص . ومقابل ذلك تعهد برتراند بعدم الاعتداء على مصياف وحصن الطوفان، وحصن الاكراد الذي كان تابعاً لصاحب حمص .

لكن الصليبيين لم يحافظوا على تعهداتهم ، ففي سنة ١١١٠ زحف تنكرد على حصن الأكراد في أثناء إغارته على قلعة شيزر واستولى عليه مع إن هذا الحصن كان من المقتضى ان يتبع إمارة طرابلس .

برتراند وولاية ابنه بونز :

وفي سنة١١١٣ توفي برتراند، ولم تذكر المراجع التي لدينا شيئاً عن أسباب وفاته ، وقد خلفه ابنه « بونز » على رأس امارة طرابلس ، حسب الاتفاق السابق ، وكان أول شيء حصل عليه بونز ، ان تنازل له تنكرد عن حصن الاكراد .

كان بونز على معرفة وثيقة بتنكرد ، خصوصاً وأنه في خلال هذه الفترة كان الاتفاق وثيقاً بين جميع أمراء الصليبيين ، وبونز هذا سبق له أن أرسله أبوه برتراند الى انطاكية لدى تنكرد ، ليتعلم الفروسية ، فنزل في بلاط تنكرد ، ويظهر أنه كان شاباً وسيما ، جميل الوجه ، وحسن القامة ، بينما كان تنكرد قد تقدمت به السنون ، وكان لتنكرد زوجة جميلة شابة، مليحة القوام ورشيقته ، تدعى سيسيل فتعلقت به وتعلق بها ، وأحبته وأحبها ، وبقي هذا الحب بين الطرفين وثيقاً ، ذلك حين توفي تنكرد في ١٢ كانون الاول لعام ١١١٢ ، عقد بونز زواجه على سيسيل ، زوجة تنكرد الشابة المشار اليها ، وكان لهذا الزواج أثره الطيب لأنه ربط بين الاسرتين الحاكمتين في انطاكية وطرابلس ببعضهما .

ينفرد عهد بونز بأن الاتفاق ، كما قلنا أعلاه ، كان تاماً بين جميع الامراء

الصليبيين ، وان بونز لم ينفك عن إظهار ولائه وطاعته لبيت المقدس فقد رافق جيش بيت المقدس في سنة ١١١٥ على رأس قوة شكلها من أفراد إمارته لصد الاتابك برسق الذي كان هدد إمارة أنطاكية . أما بشأن سياسته تجاه الامراء من المسلمين، فقد اتبع نفس خطة الصليبيين من أسلافه بمهاجمة ممتلكات دمشق وحمص من حين لآخر ، وذلك لمد حدود إمارته ، ويقول ابن الأثير في حوادث سنة ٥٠٩ ان الصليبيين استولوا على رفنية ، وهي من املاك طغتكين صاحب دمشق، وبالغوا في تحصينها، ويضيف ابن الاثير بان طغتكين حضر بنفسه ، واقتحم رفنية واستردها من الصليبيين ، بعد ان أخذ كل من فيها من الإفرنج أسيراً ، فقتل البعض وترك البعض الآخر ، وان المسلمين غنموا الكثير من الدواب والذخيرة من متروكات الصليبيين ، مما ملأ أيديهم وعادوا الى دمشق سالمين .

بنى بونز أيضاً حصناً في اقليم البقاع ، في بعرين ، لكن برسق استطاع في سنة ١١١٥ ان يستولي على هذا الحصن ، لكن بونز عاد فاسترده كما استرد رفنية، بمساعدة ملك بيت المقدس وذلك في نهاية شهر آذار من عام ١١٢٦، وكانت قلعة بعرين احدى القلاع المنيعة في إمارة طرابلس .

والخلاصة ان إمارة طرابلس ، غدت من الامارات الكبيرة ، تمتد من المرقب شمالاً الى نهر الكلب جنوباً ، ومن شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، حتى حصن بعرين ورفنية ، واتحدت بتاريخها بتاريخ بيت المقدس وانطاكية .

أمراء طرابلس من الصليبيين

من الصعب استخلاص تاريخ طرابلس في خلال الحروب الصليبية لوحده ، بالنظر لتشعب الحوادث وامتزاجها مع بعضها ، لذلك سوف نأتي على تلخيص هذه الحوادث التي مرت على طرابلس من حين استيلاء الصليبيين عليها حتى

استخلاصها نهائياً منهم على يد السلطان المملوكي المنصور قلاوون .

وفيما يلي جدول أمراء طرابلس من الصليبيين مع تاريخ توليهم وتاريخ وفاتهم :

ريموند الصنجيلي	من سنة	١١٠٢	الى سنة	١١٠٥
برتراند بن ريموند	«	١١٠٨	«	١١١٣
وليم جوردان	«	١١٠٥	«	١١٠٨
بونز بن برتراند	«	١١١٣	«	١١٢٧
ريموند الثاني	«	١١٢٧	«	١١٥٢
ريموند الثالث	«	١١٥٢	«	١١٨٧
بوهيمند الرابع	«	١١٨٧	«	١٢٣٣
بوهيمند الخامس	«	١٢٣٣	«	١٢٥١
بوهيمند السادس	«	١٢٥١	«	١٢٧٥
بوهيمند السابع	«	١٢٧٥	«	١٢٨٧

انطاكية وطرابلس

حين زحف الصليبيون على الشرق ، توجهوا بجموعهم نحو بيت المقدس لتأسيس مملكة صليبية تكون بيت المقدس عاصمتها . وقد اكتفى بوهيمند ، أحد أمرائهم بأن اسس في انطاكية إمارة مستقلة ، وشاركه في هذا المشروع بلدوين البولوني الذي رغب أيضاً بتأسيس إمارة في مدينة الرها مستقلة كل الاستقلال عن بقية الامارات. وقد ساعد الصليبيين كثيراً بقاء هذين الأميرين ، الاول في انطاكية ، والثاني في الرها على حدود العراق ، حمى كل منهما ظهر الصليبيين من غارات السلجوقيين ، واستطاع الصليبيون ان يزحفوا بكل اطمئنان وراحة على بيت المقدس .

لكن بوهيمند ، أمير انطاكية وجد مزاحماً له بشخص ريموند الصنجيلي وحينما تمكن هذا من الوصول الى تأسيس إمارة صليبية في طرابلس ، ارتاح أمير انطاكية ، وازدهرت مدينته بالنظر لموقعها الجغرافي ، وما امتازت به من مركز تجاري ، فضلاً عن شهرتها بصناعة الاقمشة والسجاد والخزف ، لكن طمع بقية الصليبيين بانطاكية، ظل يشكل خطراً أمام أميرها الصليبي.

ثم كانت هناك مشكلة مدينة اللاذقية التي سبق واستولى عليها الصليبيون واستخلصوها من الاتراك في عام ١٠٩٧ ، ثم تتالى عليها المغامرون حتى سنة ١٠٩٨ حين جاء ريموند الصنجيلي فانتزعها منهم وسلمها للبيزنطيين . وقد شكل امتلاك البيزنطيين لمدينة اللاذقية خطراً على إمارة انطاكية ، لذلك في سنة ١٠٩٩ زحف بوهيمند، أمير انطاكية على اللاذقية فحاصرها، وساعده اسطول البيزيين لكن بوهيمند اضطر الى الجلاء عن اللاذقية حين جاء ريمُوند الصنجيلي ، فدخل المدينة ورفع رايته بجانب راية البيزنطيين .

لكن ريموند الصنجيلي كان مشغولاً بالعمل على تأسيس إمارة مستقلة في مدينة طرابلس ، ورأى بوهيمند ، امير انطاكية ، ان يدير وجهه نحو الامارات الاسلامية المحيطة به ، فجرب الاستيلاء على قلعة أفامية في حوض العاصي ، ولما وجد ذلك من الصعوبة بمكان ، قفل راجعاً وحول وجهه نحو حلب، وكانت قوى السلاجقة اخذت بالانهيار، وكان بامكان بوهيمند الاستيلاء على حلب لكنه حول وجهه نحو ملطية . كانت مدينة ملطية تحت حكم أحد زعماء الأرمن ويدعى جبريل، وكان السلاجقة يرغبون بالاستيلاء عليها ، فاتصل جبريل ببوهيمند ووعده بتسليم المدينة اليه،ان هو نجح بانقاذها من السلاجقة، لذلك أسرع بوهيمند على رأس خمسماية فارس لانقاذ ملطية ، فوقع في كمين نصبه له الأتراك السلجوقيون وانتهى به الأمر ان وقع أسيراً بيدهم وذبح رجاله عن بكرة أبيهم ، وذلك في اوائل شهر آب لعام ١١١٠ ، وكان أسره بمثابة كارثة عظمى للصليبيين ، وسار الملك غازي السلجوقي بأسيره الى

قلعة تيكسار على شاطىء البحر الأسود .

وقد تأثرت انطاكية بعد أسر أميرها بوهيمند، فاستدعى أهلوها تنكرد، ابن اخت بوهيمند للقيام بمهام الامارة ، وكان تنكرد هذا أميراً على الجليل ، فقبل المهمة ، وجاء الى انطاكية لكنه خاف من النتائج ، فلم يلقب نفسه بأمير انطاكية ، بل لقب نفسه بالامير الكبير ، بالنظر لبقاء سكان امارة انطاكية من الصليبيين ، امناء على عهد بوهيمند ، وسار تنكرد بنفس الطريق التي رسمها بوهيمند .

اطلاق سراح بوهيمند

لم يغتنم المسلمون فرصة أسر بوهيمند ، أمير انطاكية الصليبي ، ليستولوا على المدينة ، بل واصلوا الشقاق فيما بينهم ، خصوصاً النزاع الذي كان بين رضوان صاحب حلب ، وجناح الدولة صاحب حمص ، بالنظر لأن رضوان كان شيعياً ، وجناح الدولة كان سنياً ، وهكذا عمل رضوان على اغتيال جناح الدولة ، صاحب حمص ، على يد الأعجام الباطنية بالرغم عن ان جناح الدولة كان متزوجاً بأم رضوان ، وقد اتينا في الفصل السابق على تفصيل ذلك .

اخذ تنكرد الوصي على امارة انطاكية يشن الغارات على البيزنطيين فاستولى على قلقيلية وعلى اللاذقية فاضطر البيزنطيون لان يعملوا بدورهم على اطلاق سراح بوهيمند ، وجرت المخابرات بين الملك غازي الذي اسر بوهيمند وبين بلدوين دي بورج بالاشتراك مع بطريرك انطاكية ، وبالنظر لان بوهيمند كان على صلة مع بعض نساء الملك غازي، وصلته الاخبار عما يجري بشأنه من مفاوضات ، وهكذا تم الاتفاق بين الملك غازي وبوهيمند على ان يتعهد هذا الاخير ،بعدم مهاجمته للمسلمين وان يدفع فدية قدرها مائة وثلاثون الف دينار. وهكذا اطلق سراحه ، فوصل لانطاكية في ايار سنة ١١٠٣ واستقبل استقبالاً

حافلا. واخيراً عاد بوهيمند لإيطاليا وتوفي سنة ١١١١ وخلفه على امارة انطاكية تنكرد الآنف الذكر الذي واصل الحرب ضد المسلمين الى ان توفي سنة ١١١٢ على ما اتينا به اعلاه ، وتزوجت زوجته سيسيل ببونز امير طرابلس .

بين بونز وتنكرد

بما ان تنكرد لم يكن اميراً اصيلا على انطاكية بل نائباً عن بوهيمند الثاني ابن بوهيمند الاول ، وكان بوهيمند الثاني صغيراً فقد اوصى تنكرد وهو على فراش الموت بالامارة على انطاكية لابن عمه روجر على ان يتنازل عنها لبوهيمند الثاني حين يبلغ رشده . لم يخل عهد روجر من مواصلة القتال ، وساعده بونز امير طرابلس على رأس قوة كبيرة . وفي سنة ١١٢٢ رفض بونز ان يعترف بملكية بلدوين الثاني ملكاً على بيت المقدس فاضطر هذا الى اخضاعه بالقوة .

وفي سنة ١١٢٦ هاجم بونز قلعة رفنية ، التي كانت تابعة لاتابك دمشق وتتمتع بموقع هام ، بالنظر لاشرافها على وادي العاصي ، بين حمص وحماه ، فلجأ حاكمها شمس الخواص للاستنجاد بطغتكين، صاحب دمشق، والبرسقي، صاحب حلب ، لكن رفنية اضطرت إلى الاستسلام لبونز ، امير طرابلس بعد حصار دام ثمانية عشر يوماً ، وأمن الاستيلاء عليها الطريق بين انطاكية وبيت المقدس .

وبالنظر لما كان هناك من اختلافات بين الصليبيين أنفسهم بين بعضهم البعض، حاول التركمان الاعتداء على طرابلس ، واعتدوا فعلاً على أهل الامارة ، وخرج بونز للدفاع عنها ، فاستدرجه التركمان ، واوقعوا به الهزيمة ، حتى اضطر الى الالتجاء لقلعة بعرين . وقد قام الدماشقة أيضاً بحملة كبيرة على طرابلس في سنة ١١٣٧ ، ودارت معركة كبيرة بين الطرفين بالقرب من قلعة صنجيل فقتل بونز في المعركة وأسر عدد كبير من الصليبيين .

ريموند الثاني

خلف ريموند الثاني ، أباه بونز على امارة طرابلس . وقـد قتله بعض رجال الباطنية في سنة ١١٥٢ وكان عهده مليئاً بالحروب فقد حاول الاتابك زنكي بأن يجمع بين المسلمين ، فزحف على حمص ، لكن نائبها ، معين الدين ، استعان بالصليبيين ، وتقدمت جيوشهم لصد الاتابك زنكي ، فبليت بهزيمـة نكراء ، وأُسر ريموند الثاني أمير طرابلس ، لكنه عقد فيما بعد الصلح بين الصليبيين وبين الاتابك زنكي ، وبالتالي أُطلق سراح ريموند الثاني .

وفي سنة ١١٤٧، جاء لويس السابع على رأس حملة صليبية فاستغل ريموند الثاني وجوده ، بالنظر للقرابة بينهما وعمل على استرجاع قلعة بعرين .

كان ريموند الثاني على خلاف دائم بينه وبين زوجته « هودين » الابنـة الثالثة لبلدوين ، ملك بيت المقدس، واخت الملكة « ميليزندا » وقد وصلت العلاقة بين الزوجين الى درجة من السوء في اوائل عام ١١٥٢ ، استوجبت تدخل بلدوين الثالث ، وامه ، بحكم الصلة بين العائلتين ، لفض النزاع بـين ريموند الثاني وزوجته ، وكان ان سافر ريمونـد لبيت المقدس هو وزوجته ، وتداخل الملك بلدوين بين الزوجين ولكن ذلك لم يأت بنتيجة ، وتركت هودين زوجها ريموند الثاني وسافرت لتقيم مع اختها في نابلس ، واستمرت اقامتها هناك لحين قتل ريموند الثاني على يد الباطنية ، كما قلنا اعلاه . وبالرغم من ان هودين ذرفت الدموع على زوجها القتيل ، لكن ذلك لم يعفها مـن بعض الاتهامات والشكوك من انها هي التي تآمرت على قتل زوجها على يد الباطنية الآنفي الذكر .

ريموند الثالث

ترك ريموند الثـاني ابناً صغيراً له في الحادية عشرة من عمره ، أطلق عليـه اسم ريموند الثالث ، وقام بلدوين الثالث ، ملك بيت المقدس

بتنظيم شؤون الوصاية عليه ، وكان من الطبيعي ان تسند هـذه الوصاية الى هودين أمه . وأيضاً نجد عهد ريموند الثالث هـذا مليئاً بالحروب المتواصلة المختلفة بين الصليبيين والمسلمين .

كانت الاضطرابات متفشية في مصر على عهد الفاطميين ، حتى انـه كان من الأمور الطبيعية الشائعة ان يموت الخليفة أو الوزير مقتولاً ففي سنة ١١٥٤ مات الخليفة الطائع مقتولاً ، واستبد بالأمر الوزير طلائع بن رزريك ، وعندما توفي الفائز الذي خلف الطائع ، تولى العاضد ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ، واستمر طلائع بن رزريك مستبداً بالأمور . وفي شهر أيلول من عـام ١١٦١ تمت مؤامرة على ابن رزريك وقتل نتيجة لهذه المؤامرة ، وخلفه ابنـه ، ولقب بالعادل ، ولم يمكث في دست الوزارة سوى خمسة أشهر ، وقتله شاور ، حاكم الصعيد وتولى الوزارة مكانه ، لكن شاور هذا كان ظالماً فخرج عليـه أبو الاشبال ضرغام بن عامر ، وطرده من القاهرة ، فلجـأ الى بلاط نور الدين محمود في دمشق وأخذ يستنجد بـه ويطمعه بالديار المصرية . تردد نور الدين بإرسال حملة لمصر ، خوفاً من أن يتورط بمشروع جديد وهو مـا يزال أمام أعداء أقوياء في الشام . وأخيراً اقتنع بما عرضه له شاور وأرسل حمـلة على مصر بقيادة أسد الدين شيركوه ، وصحب شيركوه هذا في هذه الحملة ، ابن أخيـه صلاح الدين ، وكان في السابعة والعشرين من عمره ، صحب عمه على مضض اذ لم يكن يرغب في مرافقته نحو المجهول .

بلغ مسامع ضرغام ان نور الدين محمود أرسل حملة إليه ، وان مساعي شاور نجحت فاستنجـد بالصليبيين ، لكن مهارة اسد الدين شيركوه وابن أخيه الشاب ، وإسراعه بقطع الصحراء بالرغم عن كبر سنه ، جعلته يكسب الشوط ، فقد وصل للدلتا قبل الصليبيين وانتصر عند تل بسطا على الجيش الذي أرسله ضرغام لرده بحيث لم يحـل شهر أيار سنة ١١٦٤ ، الا وكان شيركوه وبصحبته شاور وصلاح الدين قد وصلوا مـع الجيش حول أسوار

القاهرة ، وإزاء هذه القوى حاول ضرغام الفرار وقتل اثناء محاولته وخلا الجو لحملة نور الدين .

وقد وصف أبو المحاسن بن تغري بردي بكتابه النجوم الزاهرة ، ان شاور كان خبيثاً سفاكاً للدماء وبسرعة نسي وعوده المعسولة لنور الدين ، وظهرت عليه إمارات الغدر بأسد الدين شيركوه وأبى ان يدفع له المال المتفق عليه ، واستنجد على شيركوه على غرار سلفه ضرغام ، بالصليبيين . لجأ عموري الأول ، ملك بيت المقدس لنجدة شاور ، وفعلاً حاصر عموري الاول وشاور أسد الدين شيركوه في بلدة بلبيس ، وبعد حصار شديد تم الاتفاق بين عموري الأول وشاور من جهة ، وأسد الدين شيركوه من الجهة الثانية على ان يرحل عموري الاول عن مصر ، وعلى ان يدفع شاور لاسد الدين شيركوه ثلاثين الف دينار ووقع كل من الاطراف المعنية هذا الاتفاق في أواخر عام ١١٦٤ .

أما نور الدين في دمشق فقد بقي يهدد الصليبيين ، الذين بدورهم لم يقفوا مكتوفي الايدي أمام تهديدات نور الدين ، بل جمعوا شملهم لمهاجمة نور الدين ، وذلك في غياب اموري الأول ، ملك بيت المقدس الآنف الذكر . وهكذا اشترك بوهيمند الثالث امير انطاكية ، مع ريموند الثالث امير طرابلس ، وحاكم قلقيلية البيزنطي ، وثوروس الثاني الارمني ، وسارت قوات هذا الحلف المسيحي نحو حارم وكان يحاصرها نور الدين . ويظهر ان نور الدين كان يعمل على استدراج الصليبيين ، ذلك انه لم تكد تبلغه اخبار هذه الحملة، حتى ترك حصار حارم واتجه نحو الصليبيين ، ودارت بين الفريقين موقعة حامية في ١١ آب من سنة ١١٦٤ ، كانت نتيجتها مصيبة فادحة على الصليبيين ، إذ قتل المسلمون منهم بضعة آلاف وأسروا ما لا يحد ولا يحصى . ويقول ابو شامة في كتابه « الروضتين » في اخبار هذه الموقعة انه كان على رأس الاسرى بوهيمند الثالث امير انطاكية ، وريموند الثالث امير طرابلس .

لم يضع نور الدين الوقت نتيجة لهذا الانتصار بل زحف بسرعة على حارم واستولى عليهـــا في خلال شهر آب لعام ١١٦٤ المذكور ، وهكذا اصبحت طريق انطاكية مفتوحة امامه . ثم اتجه نحو بانياس فاستولى عليهـــا ايضاً وملك قلعتهـــا كما استولى على كميات كبيرة من العدة والعدد حسبما يرويه ابن الاثير في حوادث سنة ٥٩٩ .

وفي أوائل تشرين الثاني من السنة ذاتها ، عاد اموري الأول من مصر ، وخابر نور الدين واتفق واياه على اطلاق سراح بوهيمند الثالث وقد رضي نور الدين باطلاق سراحه خوفاً من تدخل الامبراطور البيزنطي الذي كان متزوجاً من اخت بوهيمند الثالث .

نور الدين وامارة طرابلس

يتفق ابو شامة وابن الاثير في ذكر حوادث السنة التالية ، ان نور الدين استغل التضعضع الحاصل في امارة طرابلس، بالنظر لان اميرها ريموند الثالث ما زال في الأسر ، فأغار على الجهات المحيطة بحصن الاكراد ، ثم اتجه لحصار عرقة الواقعة على الشمال من طرابلس ، ويزيد ابن الاثير على ابي شامة ، ان نور الدين فتح في تلك الغزوة قلعتي العريضة وصافيتا ، ثم عاد مرة اخرى للخروج لمهاجمة مملكة بيت المقدس وتمكن من تخريب قلعـة هونين كما هاجم بيروت .

أما اموري فإزاء تغلب المسلمين ، رأى ان يقوي منظمات الفرسان خصوصاً بعد ان فقد الصليبيون احسن فرسانهم في الحروب المتعددة مع المسلمين ، وهكذا تمكن فرسان الداوية من السيطرة على انطرطوس وعلى معظم اجزاء امارة طرابلس ، كما عهد الى الاسبتالية بحماية البقـاع وحصن الأكراد .

الاسبتالية والداوية

ويحسن بنا ان نأتي على أصل فرسان الاسبتالية والداوية فنقول : انه في عهد بلدوين الثاني ، ملك بيت المقدس ، بدأ نشاط هيئات الفرسان يسترعي الانتبـاه في الحروب الصليبية ، وهكذا تأسست فرقتان الأولى اطلق عليهـا اسم الاسبتالية ، وهدفها معالجة المرضى من الصليبيين ، والثانيـة أطلق عليها اسم الداوية وهدفها الدفاع عن الصليبيين، لكن هذا الهدف تحول فيما بعد إلى هدف حربي هجومي صرف، وصار من واجب المؤسستين، الدفاع عن ممتلكات الصليبيين في الشام وحماية أماكنهم المقدسة ، ومحاربة المسلمين . وجاء وقت اعتبرت فيه الاسبتالية والداوية حماة الكيان الصليبي في الشام . وقد جمعوا الثروات الطائلة من النهب والسلب واستولوا على ممتلكات عديدة وصار لهم مدن ومعاقل .

وهناك من يقول ان جذور هيئة الاسبتالية ترجع إلى ما قبل الحروب الصليبية ، عندما أسس تجار مدينة امالفي سنة ١٠٧٠ جمعية خيريـة مع بيمارستان قرب كنيسة القيامة في بيت المقدس ، للعناية بفقراء الحجاج . ومن هنا اطلق عليهم اسم فرسان الملجأ أو الهوسبيتال التي حرفت بالعربية إلى الاسبتالية . ولم يلبث أولئك الاسبتالية أن دخلوا تحت لواء النظام الديري البندكتي المعروف في غرب أوروبا وصاروا يتبعون التعاليم البابوية مباشرة . وعند وصول الصليبيين لبيت المقدس ، قام الاسبتالية بمعاونتهم بمـا لهم من خبرة باحوال البلاد ، وساعدوا الصليبيين وقدموا لهم الخدمات القيمة ، ومن ذلك الحين أخذت هيئتهم تتبلور وأصبح لها كيان مستقل وساعدهم كما قلنا آنفاً حصولهم على عدد من الاقطاعات .

أما فرقة الداوية ، فقد نشأت في أول الأمر على أساس عسكري حربي. ويرجع تاريخ تأسيس هذه الفرقة إلى سنة ١١١٨ على يد رجل افرنسي يدعى « هيودي بانيز » وقد اختار هذا الفارس جزءاً من هيكل سليمان في المسجد

الأقصى ليكون مقراً لمنظمته الجديدة . ومن ثم أطلق على هذه الفرقة اسم فرسان المعبد التي حرفتها العربية إلى فرسان الداوية . ولم تلبث تلك الهيئة ان تبلورت أيضاً واتخذت لها طابعاً خاصاً ، وحث رئيسها على الانخراط في عداد أفرادها ، وهكذا أصبحت تضم نخبة من فرسان النبلاء. وكانت وظيفة الداوية حماية طريق بيت المقدس من البلد إلى البحر ، ثم اسهموا في كل عمل حربي قام به الصليبيون .

صلاح الدين

قلنا في فصل سابق ان أسد الدين شيركوه استصحب معه في الحملة التي ولاه قيادتها نور الدين للزحف على مصر ، ابن أخيه صلاح الدين . وقد أظهر صلاح الدين هذا كفاءة ومقدرة أثناء صحبته لعمه أسد الدين شيركوه ، وحين توفي اسد الدين شيركوه المذكور في عام ١١٦٨ خلفه في منصبه ، وخلع عليه العاضد ، الخليفة الفاطمي ، لقب الوزارة. وحين تولى هذا المنصب راح يعمل على استمالة القلوب نحوه حتى ضعف مركز العاضد ، فاستاءت حاشية العاضد من هذا العمل ودبرت مؤامرة لاغتيال صلاح الدين ، كما حاول رجال هذه الحاشية الاتصال بالصليبيين . لكن مخابرات الحاشية المشار اليها وعلى رأسها الخصي ، مؤتمن الخلافة ، وصلت لصلاح الدين فألقى القبض على مؤتمن الخلافة وعلى جماعته وقتلهم وحبطت المؤامرة وأبعد صلاح الدين كل الخصيان عن قصر الخليفة الفاطمي كما أخمد أيضاً ثورة نشبت في السودان وثورة أخرى قام بها الأرمن ، حرس الخليفة الفاطمي ، كل ذلك فعله بوصفه نائباً لنور الدين صاحب دمشق .

شعر الصليبيون بالكماشة التي احاطت بهم ، باتفاق نور الدين ، صاحب دمشق ، مع مصر ، فقام اموري الاول ، ملك بيت المقدس ، يطلب النجدة من اوروبا ، فساعده البيزنطيون، بأن ارسلوا اسطولهم للاعتداء على الموانىء المصرية ، وقد نصب الصليبيون معسكرهم امام بلدة دمياط ، لكنهم لم

يستطيعوا دخول الميناء بسبب السلاسل الحديدية الممتدة على عرض المدخل .

استنجد صلاح الدين بنور الدين ، فأمده هذا بحملة ، كما قام أهالي دمياط بوضع أواني فخارية مشتعلة، مدهونة بالزيت والنفط، وضعوها بمجرى النيل، فاحدثت ضرراً كبيراً في الاسطول البيزنطي واشتعلت مراكبه من هذه الاواني ، لذلك قرر قائد الاسطول البيزنطي رفع الحصار عن دمياط ، وفشلت تلك الحملة .

أما اموري فقد رأى ان فرسان طرابلس قاموا في خلال غيابه بمهاجمة نور الدين واستردوا منه حصن عكار ، الواقع الى الجانب الشرقي من طرابلس وذلك في اواخر عام ١١٦٩ ، وبالنظر لأن أمير طرابلس، بوهيمند الثالث ، ما زال اسيراً بيد المسلمين ، لذلك عهد بحماية البلدة الى فرسان الاسبتالية . وعندما اطلق سراح ريموند الثالث من الاسر عام ١١٧٤ ، ثبت حماية طرابلس للاسبتالية كما عهد اليهم بالدفاع عنها .

وفاة اموري ومطالبة ريموند الثالث بامارة بيت المقدس

توفي اموري الاول في ١١ حزيران من سنة ١١٧٤، أي بعد وفاة نور الدين بشهرين تقريباً ، فجاءت وفاته خسارة فادحة على الصليبيين ، وخلفه على عرش بيت المقدس ابنه بلدوين الرابع ، الذي كان في الثالثة عشرة من عمره عندما تولى العرش. وبالرغم من انه اصيب بمرض الجذام، مما اعطاه في التاريخ اسم بلدوين المجذوم، فانه امتاز بمواهب عالية ومقدرة كبيرة وحيوية فائقة ، حكم من سنة ١١٧٤ الى سنة١١٨٥ ومات وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وامتاز عهده بأن هذه الفترة من السنين التي حكم مملكة بيت المقدس خلالها كانت مليئة بالاحداث الجسام ، بالنظر لما قام به صلاح الدين من حروب مع الصليبيين .

وحين صعد بلدوين الرابع على العرش ، تولى الوصاية عليه ميلون دي

بلانسي ، واستأثر بشؤون الحكم متصرفاً على كيفه ، لكنه ظهر له فيما بعد معارض شديد الشكيمة بشخص ريموند الثالث امير طرابلس ، الذي بقي اسيراً لدى نور الدين من سنة ١١٦٤ حتى سنة ١١٧٢ ثم لما اطلق سراحه من الاسر ، راح يستغل محبة الصليبيين له في المطالبة بالوصاية على ملك بيت المقدس بدلاً من ميلون الآنف الذكر . وقد نجحت مساعيه، وأدت الى مقتل ميلون دي بلانسي ، في أواخر سنة ١١٧٤ ، وهكذا تمكن ريموند الثالث من الفوز بالوصاية على ملك بيت المقدس . وهكذا ايضاً اصبح ريموند الثالث اقوى شخصية بين أمراء الصليبيين ، بالنظر لقرابته ، من ملك بيت المقدس من ناحية ، ولنجاحه في ضم طبرية واقليم الجليل الى املاكه بعد زواجه من وريثة بلدوين الرابع ، من الناحية الاخرى .

نتيجة وفاة نور الدين

أدت وفاة نور الدين ، صاحب دمشق ، الى انقسام بين امراء الشام ، الامر الذي جعل صلاح الدين يتهيأ لفرض نفسه خليفة لنور الدين ، معللاً بأن ابن نور الدين ، ما زال قاصراً ، وانه الاولى بالوصاية عليه وان لولا ثقة نور الدين به – اي بصلاح الدين – لما كان نصبه أميراً على مصر ، وهكذا خرج صلاح الدين على رأس سبعماية فارس من القاهرة ، بعد ان استخلف على مصر أخاه الملك العادل ، ووصل الى دمشق في أواخر تشرين الثاني من عام ١١٧٤ ، بدون ان يصطدم بالصليبيين في طريقه ، وكان كل همه ، توحيد الموقف ، وجمع كلمة المسلمين للوقوف في وجه الصليبيين . وقد استقبل صلاح الدين استقبالاً حسناً في دمشق ، وقضى ليلة وصوله في دار أبيه ، في محلة العقيقي ، وفي الصباح التالي فتح له ابن المقدم أبواب القلعة وسلمها له . وقد رحب الدماشقة بصلاح الدين نكاية بالحلبيين ، إلا ان صلاح الدين ظل موالياً للملك الصالح ابن نور الدين ، ويقول ابن واصل ان صلاح الدين قال : « لو استمرت ولاية هؤلاء القوم لتفرقت الكلمة وطمع الكفار بالبلاد» وقال أيضاً:

« انا مملوك الملك الصالح وما جئت إلا لنصرته وخدمته واعادة البلاد التي اخذت منه له » .

وقد بدأ صلاح الدين بالاستيلاء على حمص في ١٠ كانون الأول من سنة ١١٧٤ وعلى حماه في ٢٨ من الشهر نفسه ولم ينته هذا الشهر حتى كان صلاح الدين على مشارف حلب . ويتفق ابن الأثير مع ابي شامة في ذكر حوادث سنة ٥٧٠ بان الحلبيين أرسلوا يستنجدون بريموند الثالث أمير طرابلس على صلاح الدين .

أدرك ريموند الثالث ما لتحالف المسلمين وتوحيد كلمتهم من قيم جسيمة ، لذلك أسرع لنجدة صاحب حلب ، وحاول مفاوضة صلاح الدين بالاتفاق معه ، ولوح له بأن الفرنج قد تعاضدوا يداً واحدة . رد عليه صلاح الدين بأنه ليس ممن يرهب تأليب الإفرنج ، وكان رده الفعلي بان أرسل قوة اغارت على انطاكية وغنمت غنيمة حسنة وعادت سالمة . لم يجد ريموند الثالث من وسيلة لرد صلاح الدين إلا مهاجمته ومهاجمة مدينة حمص القريبة من طرابلس ، فاضطر صلاح الدين الى ترك حلب والاسراع لنجدة حمص ، وحين بلغ مسامع ريموند الثالث ان صلاح الدين ارتد عن حلب وزحف راجعاً الى حمص ، ترك مهاجمة حمص وانصرف راجعاً نحو حصن الأكراد .

عاد صلاح الدين لحلب وتمكن من الاستيلاء عليها بالاتفاق مع الحلبيين ، وترك الشام بمجموعها ، ورجع الى مصر بعد ان ترك أخاه توران شاه في دمشق ، وبعد ان تزوج من أرملة نور الدين ، عصمة الدين خاتون ، ابنة معين الدين آنر ، فوصل للقاهرة في نهاية شهر كانون الاول سنة ١١٧٦ .

اشتد المرض على بلدوين الرابع ، ملك بيت المقدس ، وخلال مؤتمر عقده رجال القصر جرى تفويض جان لوزجنان ، زوج أخت بلدوين الرابع ، في الوصاية على العرش ، وهكذا أصبح هذا الحاكم الفعلي لمملكة بيت المقدس . وبعد وفاة بلدوين الرابع ، اتفقت الكلمة على تتويج جان لوزجنان

ملكاً على بيت المقدس ، وكان ريموند الثالث ، امير طرابلس، خلال وصايته على العرش، حسن علاقاته مع صلاح الدين وحين توج جان لوزجنان ملكاً على بيت المقدس ، أرسل ريموند الثالث الى صلاح الدين يطلب معونته . ويقول ابو شامة وابن واصل ان ما دار بين صلاح الدين وريموند الثالث ، امير طرابلس، ظهر فيها قوة نصح ريموند الثالث للمسلمين وكان هذا النصح عظيم الفائدة فيما بعد . وقد حذا حذو ريموند الثالث امير انطاكية .

موقعة حطين

عبأ صلاح الدين كل ما لديه من جيش وعدة وعدد للزحف على الصليبيين خصوصاً على ارناط امير الكرك الذي تمادى بالإغارة على القوافل المسلمة ولا يحترم تعهداته ، وقد ادرك الصليبيون خطورة الحالة ، وكان ريموند الثالث امير طرابلس ، قد استنجد بصلاح الدين على ما مر ، لحماية طبرية التي اعتصم بها عقب تتويج جان لوزجنان ملكاً على بيت المقدس فلبى صلاح الدين طلبه. لكن ريموند الثالث عاد فدخل في طاعة ملك بيت المقدس ورضي ان يسير في ركابه لقتال المسلمين .

جمع الصليبيون كل جموعهم للوقوف في وجه صلاح الدين وأدركوا اخيراً سطح جبل طبرية المشرف على سهل حطين ، في يوم ٣ تموز، وكان يوماً شديد الحر ، فاشتد بهم العطش ، وكان بينهم وبين الماء ، جنود صلاح الدين ، وما اشرقت شمس اليوم التالي ، السبت الواقع في الرابع من تموز ، حتى وجد الصليبيون انفسهم امام صلاح الدين الذي يحيط بهم بجنوده ، واشتد القتال بين الطرفين ، ولم يستطع الفرار سوى ريموند الثالث امير طرابلس ، ففر مع رجاله باتجاه صور ، ويقول ابن الاثير ان الطريقة التي نجا بها ريموند الثالث ، انه حمل حملة مكروب ، وعندئذ فتح له تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين طريقاً خرج منه ، وبعد خروجه التأم الصف .

وبعد فرار ريموند الثالث من موقعة حطين ، لم يلبث ان توفي وأوصى بأمارة طرابلس لريموند – الابن الاكبر لبوهيمند الثالث – امير انطاكية ، وبما ان امير انطاكية هذا كان محتاجاً لابنه الاكبر ، فقد أرسل ابناً آخر له لحكم طرابلس والدفاع عنها هو بوهيمند الرابع .

أحاط المسلمون بجيوش الصليبيين المنهوكة القوى وأمطروهم وابلاً من النبال والقذائف الاخرى فحصدوهم حصداً وقد نجا من جيش الصليبيين الذي بلغ ٢٠ الفاً قسم قليل العدد اما الأسرى فكان على رأسهم ملك بيت المقدس جان دي لوزجنان ، فاستقبله صلاح الدين أحسن استقبال ، لكن معاملته هذه اختلفت مع ارناط امير الكرك الذي كان يهاجم قوافل المسلمين على ما مر ، والذي كان يعد العدة لمهاجمة المدن المقدسة في الحجاز ، وكان صلاح الدين قد أقسم انه سيقتله بيده إن ظفر به ، ويقول ابو شامة وابن الاثير وبهاء الدين ان ارناط حاول بطلب شربة ماء التي كانت بمثابة اعطاء الامان ، فلم يجب صلاح الدين طلبه ، واستل سيفه وأطاح رأسه بيده .

وكانت نتيجة معركة حطين أن قضت على جيش مملكة بيت المقدس فاستسلمت طبرية التي كانت تدافع عنها زوجة ريموند الثالث امير طرابلس باسم زوجها. وقد غنم المسلمون من موقعة حطين المقادير الكبيرة من البضائع والحرائر والمعادن والمجوهرات والاسلحة التي تركها التجار من النصارى . وتابع صلاح الدين زحفه على بقية المدن ، بعد ان استولى المسلمون على مدينة بيت المقدس في تشرين الأول من عام ١١٨٧ .

بوهيمند الرابع

وبما اننا في معرض تاريخ حوادث طرابلس ، لذلك نترك صلاح الدين وما قام به ونعود اليها ، فقد اسرع بوهيمند الرابع لطرابلس وتولى الحكم فيها ، وبدأ بالاستعداد للدفاع عنها في عهدها الجديد ، وقد اتاح استيلاء ابن امير

انطاكية على طرابلس ، ان يكون هناك شبه توحيد بين الامارتين واستغلال مواردها سوية .

وهنا نترك فترة من الزمن تبلغ العشرين سنة ، عاشت طرابلس في خلالها تحت حكم بوهيمند الرابع ، وتخلل هذه الفترة عدة حروب بين الصليبيين والمسلمين، ولم يحدث خلالها ما يستحق الذكر وله اهمية، سوى وفاة صلاح الدين في دمشق عام ١١٩٣ وان اخاه الملك العادل خلفه على المنصب.نصل لعام١٢٠٧ حين استولى بعض قراصنة قبرص على سفن من اسطول مصر ، فغضب الملك العادل وزحف على الصليبيين باعتبارهم قادة قبرص ، فوصل لحصن الأكراد ونصب مخيمات عسكره عند بحيرة حمص ، واستدعى الملوك من اهل بيته ، فجاءه صاحب حماه وصاحب حمص وصاحب بعلبك،كما أتته نجدات منصاحب حلب وصاحب الموصل والجزيرة، واشاع انه سيقصد طرابلس بقوة مؤلفة من عشرة آلاف مقاتل ، زحف على حصن الأكراد في حزيران ، فنازله واسر خمسمائة رجل من صافيتا ، لكنه لم يستطع الاستيلاء عليه، واكتفى بالاستيلاء على الحصن الواقع على برج اعناز الى الجنوب الشرقي من حصن الأكرد، وأسر حاميته وغنم منهم الأموال والسلاح ، على مــــا يقول أبو الفداء في حوادث سنة ٦٠٣ .

ثم زحف الملك العادل في تموز سنة ١٢٠٧ على طرابلس ، ونصب عليهــا المجانيق ، ويقول ابن واصل ان الملك العادل ضيق على اهالي طرابلس الحصار أشد تضييق ، وعاشت عساكره في القرى المحيطة بطرابلس وضواحيها وفي بساتينها ، وقطعوا عنها المياه وخربوا طرقها . ويضيف ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٤ ، ان السلطان الملك العادل استولى اثناء زحفه على طرابلس ، على حصن القليعات ، القلعة الصليبية الواقعة شمالي عرقة،واكتفى بتخريب الحصن واطلق سراح صاحبه . كان لهذه الحملة الأثر البعيد بالرغم من انها لم تستغرق سوى اثني عشر يوماً ، فقد اسرع بعدها بوهيمند الرابع ، صاحب طرابلس،

الى طلب الصلح من الملك العـادل ، وسير ثلاثماية أسير ومالاً وعدة هدايا ، ويقول ابو الفداء في حوادث ٦٠٤ ان الملك العادل اجاب طلبه .

وفي سنة ١٢١٣ قتل الباطنية في كنيسة انطرطوس،ريموند ، الابن البكر لبوهيمند الرابع امير طرابلس ، وكان عمره ثماني عشرة سنة،فاهتز الصليبيون لتلك الجريمة واغار بوهيمند على قلعة الخوابي ، معقل الباطنية ، فحاصرهـا حصاراً شديداً ، فاستنجد الباطنية بالملك الظاهر ،صاحب حلب الذي أرسل قوة لنجدة الباطنية فكت عنهم الحصار .

امارة انطاكية وامارة طرابلس

في سنة ١٢٠١ توفي بوهيمند الثالث ، أمير انطاكية ووالد بوهيمند الرابـع أمير طرابلس ، وقد حدث على اثر وفاته نزاع بين ولديه ريموند ، وكانت أمه أرمنية ، وبوهيمند اخوه ، أمير طرابلس ، وقد عز على الصليبيين أن يتولى ريموند الحكم على امارة انطاكية بسبب أمه الأرمنية فاستدعي بوهيمند الرابـع أمير طرابلس،لتولي شؤون امارة انطاكية واشتد النزاع بين الأميرين، وأخيراً بعد حروب طويلة تمكن بوهيمند الرابـع،أمير طرابلس، من الاستيلاء على امارة انطاكية ، وانتقم من الاسبتالية لأنهم ساعدوا خصمه ، ووحد بين الامارتين ، انطاكية وطرابلس .

بوهيمند الخامس

وفي آذار من سنة١٢٣٣توفي بوهيمند الرابـع فخلفه ابنه بوهيمند الخامس، واشتد النزاع بين الاسبتالية وبين صاحب حماه كما تجددت المنازعات أيضاً بين بوهيمند الخامس وبين الأرمن . كان بوهيمند الخامس ضعيف الشخصية وكانت أحوال الصليبيين تسير من سيىء إلى أسوأ ، لذلك قنع بامارة طرابلس وترك انطاكية وشأنها ، تتعرض لاغارات التركمان وغيرهم من جيرانها وهكذا أخذ الصليبيون يعانون أزمة ضعف راحت تشتد شيئاً فشيئاً . ولم يخل عهده من

الخلافات المتعددة والحروب وأخيراً توفي في سنة ١٢٥١ .

بوهيمند السادس

لم يترك بوهيمند الخامس عند وفاته سوى ولد واحد في الرابعة عشرة من عمره ، نصب على الامارة تحت اسم بوهيمند السادس ، وكان من المفروض ان تنتقل السلطة الفعلية في الامارة الى أم ذلك الولد باعتبارها وصية على ولدها ، ولكن تلك الأم كانت أميرة ايطالية فضلت الاقامة في طرابلس وتركت انطاكية ، التي أصبحت مسرحاً للفوضى والنزاع المذهبي والسياسي ولم يرض بوهيمند السادس عن هذا الوضع، لذلك شكا الحالة إلى لويس، الملك الفرنسي ، الذي أشار على أمه بان تترك ولدها يقيم في انطاكية وان تزوده بالمال والرجال لحماية الامارة .

وقد امتدت الفتن خلال سنين طويلة بين الأمراء الصليبيين أنفسهم وحاول بوهيمند السادس ، بعد أن بلغ أشده ، فض هذه الخلافات ، فاخفق، واشتد النزاع فقام أمير جبيل برتراند وحرض أمراء طرابلس على الثورة على بوهيمند السادس ، وخرج أمير جبيل بنفسه سنة ١٢٥٨ لمهاجمة طرابلس .

وفي هذه الأثناء جاء المغول فاكتسحوا العراق ، ووصلوا للشام ، وقد عمل بوهيمند السادس على الاستعانة بهم ضد المسلمين. أما في مصر فقد توالى على عرشها أمراء المماليك ، واستغل الأمير « قطز » خطورة الموقف ، وتمكن من عزل علي بن ايبك ، السلطان آنئذ ، وأعلن نفسه سلطاناً وقد وصف المؤرخون السلطان قطز هذا بأنه كان بطلاً شجاعاً مقداماً حسن التدبير ، ترك يداً بيضاء في اجلاء التتر عن العالم العربي .

التتر والخلافة العباسية

في خلال النصف الاول من القرن الثالث عشر أصابت البلاد العربية كارثة

لم يكن لها مثيل على مر الزمن، ذلك ان منكوخان -خاقان التتار الاعظم- اوفد اخاه هولاكو لفتح ايران ومصر وبلاد الروم والارمن ، وبكل سرعة قضت حملة هولاكو هذه على الدولة الخوارزمية الحاكمة في ايران ، واستولوا على قلاع الباطنية في فارس وجاء دور الخلافة العباسية في بغداد . كانت الخلافة العباسية في ذلك الحين ، منتصف القرن الثالث عشر ، تعاني آلام الموت وقد اعتراها الضعف في عهد الخليفة المستعصم بالله ، بسبب الانقسامات المذهبية والفتن الداخلية وسيطرة الأمراء على الخليفة ، وهكذا لم تستطع الخلافة العباسية الوقوف في وجه الغزو التتري وفشلت جميع جهود الخليفة في رد ذلك الخطر خصوصاً انه كان للوزير ابن العلقمي اليد الكبرى في ابادة الخلافة السنية انتقاماً من السنيين الذين كانوا لا يتركون فرصة مناسبة إلا اغاروا فيها على الشيعة .

وهكذا اقتحم التتار بغداد في شباط من عام ١٢٥٨ وقتلوا ما يقارب المليون من سكانها واستمرت المذبحة اربعين يوماً واشعلوا النار فيما بعد في المدينة وأتوا على التراث العربي العباسي حتى قيل ان دجلة بقي عدة ايام يجري كتباً. وقتل التتار الخليفة المستعصم بعد ان حصلوا منه على كل ما كان لدى الخلفاء العباسيين وأجروا مذبحة رغبوا في استئصال جذور البيت العباسي بمجموعه فقضوا على كل شخص وجدوه حياً من العباسيين .

التتار في الشام

وبعد أن احتل التتار جميع القطر العراقي واصلوا زحفهم على الشام فاستولوا على حلب واقتحموا المدينة في كانون الثاني لعام ١٢٦٠ واستولوا عليها وعملوا في قتل أهلها وأسرهم وفر أميرها الى دمشق وواصل التتار زحفهم فاستولوا على دمشق ووصلوا في مسيرهم نحو مصر للاستيلاء عليها الى غزة .

كان كما قلنا أعلاه الامير قطز استولى على السلطنة ، ولكن في ظروف لا يحسد عليها ، ذلك ان رسل هولاكو وصلت اليه يذكرونه بسوء العاقبة فيما إذا وقف في وجه الزحف التتاري ، لكن قطز لم يهتم بتهديد التتار فقتل رسلهم الأربعة وعلق برؤوسهم على باب زويلة .

موقعة عين جالوت الفاصلة

توفي منكو خان – وخاقان المغول ، وأثارت وفاته نزاعاً بين أخوته ، وترك هولاكو قيادة الجيش حينما بلغته وفاة أخيه ، أما السلطان قطز فكان استعد تمام الاستعداد وزحف بجيش كامل العدة والعدد ، كانت مقدمته بقيادة الأمير بيبرس البندقداري فوصل الى غزة ولحقه السلطان قطز ومر جيش المماليك بسلام في أراضي الصليبيين في الساحل، الذين وقفوا على الحياد، واتجه الجيش شرقاً عبر الجليل الى الأردن حتى وصل الى القرب من عين جالوت .

التقى الجيشان ، التتري والمملوكي في عين جالوت ، وكانت هناك موقعة حاسمة من مواقع التاريخ فقد تمكن جيش السلطان قطز من القضاء على الجيش التتري ، ولو انتصر التتار على المماليك لكانوا فعلوا بمصر وأهلها مثل ما فعلوا بأهل العراق أو على الأقل كانوا استقروا في بلاد الشام لكن انكفاءهم في عين جالوت وانتصار السلطان قطز عليهم جعلهم يولون الأدبار ويتراجعون ويجلون عن بلاد الشام بجموعها وهكذا أصبح السلطان قطز سيد الموقف يملك الشام بمجموعها من الفرات الى حدود مصر .

أما الصليبيون فقد وقفوا موقف الحياد كما قلنا أعلاه وابث امير طرابلس يقف موقف المتفرج خصوصاً وان لا التتار ولا المماليك تحرشوا بامارة طرابلس .

مقتل السلطان قطز

عاد السلطان قطز الى القاهرة بجيشه المظفر واستعدت القاهرة تمام الاستعداد للقائه ، وطلب منه الأمير بيبرس الذي أبلى البلاء الحسن في موقعة عين جالوت ، ان يوليه امارة حلب ، وكان على السلطان قطز ان يمنحه هذه الامارة بعد ان قوي شأنه ، لكنه لم يحسب له الحساب الكافي ، فتآمر الامير بيبرس على السلطان قطز واتفق هو وعدد من الأمراء على قتل السلطان قطز وكان السلطان قطز عائداً من حفلة صيد ، فاقترب منه وهم بتقبيل يده فمدها له هذا ، وكانت هذه إشارة بينه وبين شركائه من بقية أمراء البحرية الذين هجموا على السلطان قطز بسيوفهم ورماحهم والقوه عن فرسه وأجهزوا عليه.

وبقتل السلطان قطز خلا الجو وجلس على عرش القاهرة الملك الظاهر بيبرس البندقداري الذي أخذ يستعد لاكتساح المدن التي يتولاها الصليبيون ، لكن بوهيمند السادس لجأ الى الظاهر وطلب مهادنته . وفي سنة ١٢٧١هاجم بيبرس طرابلس واستولى على صافيتا ، لكنه وصل اليه نبأ يفيد ان هناك حملة صليبية زاحفة على الشرق فاضطر لعقد الصلح لمدة عشر سنوات مع الصليبيين أو بالحري مع بوهيمند السادس امير طرابلس .

بوهيمند السابع

وفي سنة ١٢٧٥ توفي بوهيمند السادس تاركاً إبناً قاصراً – هو بوهيمند السابع الأمير الأخير على طرابلس ، وسرعان ما شهدت البلدة حرباً أهلية بسبب الوصاية على الأمير الصغير لم تخمد جذوتها إلا باستيلاء المماليك نهائياً على طرابلس ، فقد تولى عرش مصر السلطان قلاوون الملقب بالملك المنصور. أخذ هذا السلطان يعد العدة للاستيلاء على طرابلس نهائياً وتطهيرها من الصليبيين، وهنا لا بد لنا ان نقف وقوفاً عاماً لنفصل أحوال الصليبيين بالنسبة لطرابلس .

فمن الأمر الغريب في قصة الدور الأخير من أدوار الحروب الصليبية في الشام ، هو ان الصليبيين ظلوا حتى اللحظة الاخيرة من وجودهم في الشرق العربي لا يشعرون بالخطر الذي يهددهم من جانب المسلمين ، وكان من حسن حظ المسلمين ان الصليبيين استمروا غارقين في بحر منازعاتهم الداخلية لا سيما تلك المنازعات التي لم تخمد نارها بين جميع الفرقاء

وكان من سوء حظهم ايضاً وحسن حظ المسلمين انه لم يظهر فيهم في تلك الفترة رجل قوي يجمع بينهم ويكون بعيد النظر يبصرهم بالخطر الذي يتهددهم ، ويعدهم لمقاومة المصير الذي ينتظرهم ، باجلائهم نهائياً عن الديار الشامية بمجموعها ، التي اعتدوا عليها وعلى سكانها الآمنين ، وفظعوا في السكان تقتيلا ونهباً وسلباً . ففي صور مات حنا دي منتفورت في أواخر تشرين الثاني من سنة ١٢٨٣ ، ثم لحق به أخوه اونفري دي مونتفورت ، حاكم بيروت في شباط من سنة ١٢٨٤ ، وبذلك قامت ارملة كل منهما بالوصاية على الامارة واسرعت الاميرتان الى طلب تجديد الهدنة مع السلطان قلاوون فاجابها الى ذلك عام ١٢٨٥ . أما في عكا فكان الوضع لا يقل سوءا بعد ان عاد روجير دي سان سفريتوا حاكم عكا ، الى ايطاليا ومعه قواته ، الأمر الذي جعل أهل عكا من الصليبيين يتجهون نحو هنري ، ملك قبرص، وملك بيت المقدس الاسبق ، لكن هنري هذا لم يستطع الاقامة في المدن التي احتلها الصليبيون في ذلك الوقت العصيب وذلك بسبب المتاعب التي سببها له فرسان الفرنجة ، فضلاً عن تردده وضعفه حتى سماه بعض المؤرخين المحدثين بلويس السادس عشر القبرصي . لذلك قنع بالبقاء في قبرص مكتفياً بارسال نجدات، بين حين وآخر للصليبيين ، كلما دعت الحاجة .

زيادة المتاعب

ومما زاد بالطين بله في ذلك الوقت ، هو نشوب الحرب في ايطاليا بين «بيزا» و«جنوه» تلك الحرب التي امتدت بعد قليل للشام ، وجاء اسطول جنوه

في ربيع سنة ١٢٨٧ لمهاجمة البيازنة ومستعمراتهم، وقد حرض قائد الاسطول الجنوي على المرور بالاسكندرية للحصول على رضاء السلطان قلاوون وتأييده، في حين أن بقية سفنه أخذت تنزل جام غضبها بالبيازنة وبسفنهم عند عكا . أما السلطان قلاوون فقد انتهز هذه الفرصة ، فرصة انشغال الأساطيل الايطالية بالحروب فيما بينها، فأرسل حملة بقيادة الأمير حسام الدين طرنطاي، استولت على اللاذقية في نيسان سنة ١٢٨٧ ، وهي آخر بلدة بقيت من إمارة انطاكية الصليبية . أما المراجع العربية فتقول ان الأمير طرنطاي المشار اليه ، استولى في حملته سنة ٦٨٦ هـ على صهيون وبرزية التي كانتا بيد سنقر الأشقر الذي كان خارجاً على السلطان قلاوون .

ثم لم تمض بضعة أشهر على هذه الحوادث حتى توفي بوهيمند السابع ، أمير طرابلس دون وريث ، وعندئذ أعلن فرسان طرابلس وتجارها قيام قومون – اي حكم مستقل بلدي – في طرابلس في الوقت الذي وصلت فيه لوسي ، أخت بوهيمند السابع أميرة طرابلس ووريثته، واستنجدت بالاسبتالية، حلفاء أخيها بوهيمند، لاستعادة حقها الشرعي في حكم طرابلس. رد قومون طرابلس على هذا الاستنجاد بالالتجاء الى جنوه وطلب معونتها، ويقول ابو المحاسن: ان بارتيليو امبرياتشو ، صاحب جبيل ، ورئيس قومون طرابلس ، استنجد أيضاً بالسلطان قلاوون ووعده بأنه ان حقق له اطماعه فانه يقتسم معه طرابلس .

أما جنوه فرأت ان استجابة نداء أهل طرابلس يحقق لها بعض أطماعها التجارية ، لذلك أرسلت بعض سفنها لمساعدتهم وعقد اتفاق بين رئيس القومون لحكم جبيل وجنوه وأصبحت طرابلس بمقتضى هذه الاتفاقية التي عقدت بين الطرفين المشار اليهما تحت حماية جنوه ، وحصل الجنويون على عدد من الأسواق في مدينة طرابلس . وقد كتب أهل طرابلس بما تم مع جنوه للأميرة لوسي الآنفة الذكر ، التي كانت في عكا ، وعلم الجنويون بهذا الاتصال

من لوسي نفسها التي أدركت انه لا فائدة من الاتفاق مع أهل طرابلس دون أخذ موافقة الجنويين وجرت مقابلة بين لوسي وأمراء جنوه وعقدت اتفاقية بين الطرفين ، وافقت بموجبها لوسي على كل الامتيازات التي منحتها طرابلس للجنويين كما أقرت حقوق القومون مقابل قبول الجنويين باعلانها أميرة على طرابلس .

أما صاحب جبيل ، فقد أدرك أنه خرج من هذه الاتفاقية صفر اليدين ، لأنه كان يطمح لضم إمارة طرابلس لجبيل ، لذلك فقد اتصل بالسلطان قلاوون طالباً معونته لنيل مطامعه في طرابلس ، ثم ان توطيد أقدام الجنوية في طرابلس لا يرضى به البنادقة والبيازنة فضلاً عن الداوية والاسبتالية . وفي ضوء هذه الأمور ، ذهب اثنان من الصليبيين يرجح انهما من البنادقة ، الى القاهرة ، وقابلا السلطان قلاوون ، وحذراه من ان بقاء الجنوية فيطرابلس، يهدد تجار الاسكندرية وهكذا اثبتوا ان تاريخ الصليبيين في القرن الثالث عشر كان بمثابة انتحار .

المماليك وطرابلس

لم يكن المماليك في مصر بحاجة الى تحريض ضد البيت الحاكم في طرابلس، ذلك انه منذ أن قام بوهيمند السادس،امير طرابلس في سنة ١٢٦٠، باستدعاء المغول للشام ومحالفتهم على التنكيل بالمسلمين شعر المماليك بأنه ليس من صالحهم أن يبقى أمير صليبي في طرابلس.وكل ما هنالك، ان المماليك راحوا يتحينون الفرص المواتية للاستيلاء على طرابلس ، ذلك الثغر الشامي الهام واجلاء الصليبيين عنه بصورة نهائية الى حيث لا رجعة كما سبق لهم وفعلوا في انطاكية . وبما ان هذا الوقت المناسب قد حان ، بعد أن اضطربت احوال طرابلس وانقسم اهلها شيعاً مختلفة ودبت البغضاء بينهم ضدسيطرة الجنويين، حتى ذهب الصليبيون بأنفسهم للقاهرة يطلبون من السلطان قلاوون التفضل بالاستيلاء على المدينة نكاية بالجنويين . لذلك تحجج قلاوون بأن اهل

طرابلس نقضوا الهدنة واعتدوا على التجار المسلمين وقطعوا الطريق على المسافرين ، فجمع قواته وتجهز تجهيزاً كاملاً للاستيلاء على طرابلس نهائياً مهما كلفه الأمر . وهكذا خرج السلطان قلاوون من مصر على رأس حملة كاملة في شباط سنة ١٢٨٩ قاصداً هذه البلدة .

ولكن الجو لم يخل من بعض الخيانات ، ذلك ان مقدم الداوية علم بنية السلطان قلاوون عن طريق رشوة احد أمرائه المدعو الامير بدر الدين بكتاش الفخري ، على قول أبي الفداء في حوادث سنة ٦٨٨ ، وابو الفداء ثقة لانه عاصر الاحداث ، لذلك حذر مقدم الداوية اهل طرابلس بالخطر المحدق بهم. لكن الاختلافات والانقسامات التي كانت ناشبة بينهم ظلت آخذة مجراها ، وظل الصليبيون على خلافاتهم لحسن حظ المسلمين ولم يلتفت الصليبيون للخطر وبقوا في غفلتهم حتى شاهدوا الجيش المملوكي يرابط أمام طرابلس وذلك في أواخر آذار من سنة ١٢٨٩ . عندها أسرع أهل طرابلس للتضامن ، وجاءهم وفد من صاحب قبرص مع نجدة من فرسان الجزيرة ، كما أسرع الاسبتالية لتقديم المساعدة ، وقد اسهمت أيضاً عكا في هذه المساعدة وتناسى الجنوية والبنادقة والبيزية خصوماتهم وتضامت صفوفهم لحماية طرابلس من البحر .

سقوط طرابلس بيد السلطان قلاوون

وكما ان الاسطول الفاطمي جاء بعد فوات الأوان لمساعدة المسلمين ضد الصليبيين المحاصرين لطرابلس من نحو قرنين ، هكذا جاءت مساعدة الصليبيين لطرابلس ضد جيوش السلطان قلاوون بعد فوات الأوان أيضاً ، ذلك ان جيوش السلطان قلاوون كانت مؤلفة من أربعين الف فارس ومائة الف من المشاة ، وبهذه القوة الضارية ، شرع السلطان قلاوون بمحاصرة طرابلس **في ٢٤ شباط من سنة ١٢٨٩** ، وضايقها كل المضايقة ، ونصب حولها آلات الحصار ، وأخذ النقابون ينقبون أسوارها . وامام هذا الخطر ، أخذ البنادقة والصليبيون يتعاونون ، لكن هذا التعاون لم يكن صادقاً بدليل اغراء

السلطان قلاوون على غزو المدينة من ناحية ، ثم حرصهم منذ بدء الحصار ، على جمع أموالهم وتهريبها عن طريق البحر الى موانىء قلقيلية .. وعندما لحظ الجنوية قيام البنادقة بما مر ، رأوا هم أيضاً أنه لا سبيل للمقاومة ومن الخير لهم ان يسلموا بارواحهم ، وأدى ذلك الى الفوضى وارتبك الأهالي ، واستولى عليهم اليأس ، مما مكن السلطان قلاوون من الاستيلاء على المدينة في ٢٦ نيسان سنة ١٢٨٩ بعد حصار دام ما يقارب الشهرين . وكما عرضنا سابقاً ان المسلمين ثبتوا على حصار الصليبيين خلال ست سنوات بالوقت الذي لم يثبت الصليبيون على حصار المسلمين سوى شهرين تقريباً .

ويروي ابو الفداء في حوادث سنة ٦٨٨ هـ، وكان مرافقاً لحصار طرابلس، ان بعض سكان البلدة حاولوا الهرب عن طريق البحر،فنجا اقلهم في المراكب وقتل غالب الرجال وسبي ذراريهم وغنم المسلمون منها غنيمة عظيمة. ويضيف أبو الفداء انه كان امام طرابلس وعلى مقربة منها في البحر ، جزيرة القديس نيقولا ، وفيها كنيسة تسمى كنيسة سنطيماس ، فر اليها الكثيرون من الاهالي ولكن المماليك وصلوا اليها ، وخاضوا في خيولهم في ماء البحر حتى ادركوهم وقتلوهم عن بكرة أبيهم وسبوا النساء والاطفال . وقد زار ابو الفداء تلك الجزيرة بعد المذبحة السابقة ويقول انه لم يمكنه المكوث بها من رائحة نتن القتلى .

وحين رغب السيدان خيرالدين وعادل عبد الوهاب الهندي في استثمار الجزيرة المذكورة لاصلاح اسطولهم البحري ، وبناء مكان للآلات البخارية ، اجريا بعض الحفريات وعثرا على الكثير من بقايا جثث الموتى الذين ابيدوا في موقعة الاستيلاء على طرابلس كما وصفه ابو الفداء فيما مر .

وبعد استيلاء السلطان قلاوون على طرابلس،أمر بتدميرها ودكها للارض وخرب سورها حتى اصبحت قاعاً صفصفا ، ولليوم يطلق اهالي الميناء في طرابلس على الحي الغربي اسم سوق الخراب بالنسبة للخراب الذي احدثه

السلطان قلاوون في طرابلس وذلـك بالرغم من مرور اكثر من سبعة قرون على طرد الصليبيين من طرابلس .

وقد أمر السلطان قلاوون ببناء المدينة مجدداً على بعد ميلين من المدينة الأولى وذلك لكي يأمن هجوم الأساطيل البحرية وأول بناء شاده هو الجامع الكبير الذي اطلق عليـه اسم الجامع الكبير المنصوري نسبة للملك المنصور السلطان قلاوون ، وقد اقيم الجامع على انقاض كنيسة قديمة كانت في مكان الجامع واستبقى قبة الجرس المشادة على الطراز الايطـالي وحولها الى مأذنة للجامع . وقد اقيم له اربعـة ابواب كل باب يطل على حي من أحياء المدينة الجديدة .

وقد اضطر الصليبيون الى اخلاء مراكزهم المحيطة بطرابلس فاحتلتها جيوش السلطان قلاوون بسهولة ما غدا جبيل بقيت بضع سنوات أخرى في يـد الصليبيين . وهكذا عادت طرابلس للمسلمين بعد ان اقام بها الصليبيون ما يقارب القرنين الكاملين، وبعد ان اعتدوا على سكانها وابادوهم واشعلوا النار بمكتبتها التي جمعهـا بنو عمار ، كما مرّ بنا آنفاً فانتقم منهم الدهر وابادهم الملك المنصور السلطان قلاوون ، وعادت طرابلس تحت اللواء العربي .

نتيجة فتح طرابلس واثره على المسلمين

•

تأثير فتح المدينة على المماليك

كان لفتح طرابلس واستخلاصها من ايدي الصليبيين تأثير كبير على هؤلاء، ذلك ان طرابلس كانت تحتل مركزاً مرموقاً في مختلف اصناف التجارة التي يقوم بها الصليبيون من تبادل السلع مع باقي المدن من لبنان والشام، فباستيلاء المماليك المسلمين على المدينة فقد الصليبيون مركزهم التجاري وانتقل هذا المركز من يدهم الى يد المسلمين .

الناحية الأدبية

وكان لاستيلاء المماليك على طرابلس ايضاً الصدى الأدبي البعيد وقد تبارى الشعراء بنظم القصائد الرنانة لتهنئة السلطان قلاوون بهذا الفتح المبين فمن نظم الشاعر مجد الدين الخيمي : الشاعر المشهور هذه القصيدة التالية التي هنأ بها الملك المنصور السلطان قلاوون بفتح طرابلس قال :

هنيئاً أيها الملك الهمام ... بنصر لا يريم ولا يرام
نزلت على طرابلس بجيش ... وكان لثغرها منه لثام
وكان الدوح خيم في حماها ... فزال وعرشت فيها الخيام
وما زال الحمام ينوح فيها ... إلى أن صار موضعه الحمام

وكانت قدعلت وسمت وظنت	بأن النيـــل منها لا يسام
بسور قد اطل على الثريا	وصار مقصر عنـــه الغمام
مرام في السماك لها مرام	فما أن للسهام لها سهـــام
فمذ قابلتها سجدت وخرت	ولكن فاتها منك السلام
تعلقت الرجال بها إلى أن	تعالى الجيش وانحط القتام
ولو علموا بأخذكها سريعاً	لقاموا للفـــرار وما أقاموا
وظنوا أنهم قوم عظـام	فما هم في جوانبهـــا عظام
حميت مواد أهل الشرك طرا	وقام بعون نصرتك الحسام

أثر الحروب الصليبية في العالم

هناك قضيتان ، مهما انتحل لهما من اعذار فهما باقيتان وصمتين في تاريخ الانسانية ، لا يقرهما الضمير الانساني ، فالاولى الحروب الصليبية ، وهجوم الافرنج على العرب في القرن الحادي عشر الميلادي ، والتفظيع الذي ارتكبه الصليبيون والقتل والتشريد بدون مسوغ وسبب ، والثانيـــة ، انشاء الدولة اليهودية او الصهيونية ، في نفس الاراضي التي سبق للصليبيين وشكلوا فيهـا دولة وذلك في منتصف القرن العشرين . وقد ارتكب اليهود نفس الجرائم فقتلوا من قتلوا وشردوا من شردوا ، ايضاً من العـــرب من سكان البلاد الأصليين ، وساعدتهم دول أوروبا ليتخلصوا من اليهود بصورة نهائيـــة ، بمساعدتهم على انشاء دولة لهم على حساب العرب .

لقد مكث الصليبيون في هذه البقعة من البلاد نحو القرنين ، واخيراً تمكن العرب من اجلائهم ، الأمر الذي يجعلنا نعتقد ايضاً انه مهما اقام اليهود في بلادنا ، فلا بد انه سيأتي يوم يكون مصيرهم فيه كمصير الصليبيين .

والجدير بالذكر ان الصليبيين اتخذوا من العاطفة الدينية وسيلة للزحف على البلاد العربية ، بحجة تخليصها من يد المسلمين ، لكن لم تكن هــذه العاطفة

السبب المباشر لكل من اشترك في الحروب المشار اليها ، فعدد كبير كان قصدهم النهب والسلب وعدد كبير ايضاً من الزعماء كان قصدهم انشاء امارة في هذا الشرق على حساب المسلمين ، وهكذا كان قصد – صنجيل الذي أتينا فيما تقدم على انه كان كل هدفه هو تأسيس امارة في طرابلس .

وهكذا كان هدف بقية الأمراء ، بينما كان هدف تجار البندقية وبيزا وجنوه ، ايجاد اسواق جديدة لتجارتهم وقد تمكنوا من الحصول على ازدهار إنجاح مساعيهم لكن الخلافات التي نشبت بين الأمراء جعلت المسلمين يعملون شيئاً فشيئاً على تجنيد الجنود واكتساح الامارات الصليبية الى حيث لا رجعة.

وقد افاد الصليبيون كثيراً من حملاتهم وعرفوا عدداً من الصناعات مثل الحياكة والسكر والورق وغيرها نقلوها لبلادهم وكانت نواة لازدهار الصناعة في بلادهم في الوقت الذي فيه أخذت هـذه الصناعات لدينا تتأخر حتى عدمناها واصبحنا عالة على أوروبا .

طرابلس والأنظمة في العهد الصليبي

حاول الصليبيون من سكان طرابلس ان يجعلوا الحكم وراثياً في الامارة التي انشأوها فيها ، وقد اخفق برتراند الثاني في الاستيلاء على الأمارة بمجموعها كما مرّ آنفاً ، وتمكن ابن ريموند الصنجيلي من الحصول على حكم طرابلس بمفردها، وهكذا خلفه اولاده على حكم طرابلس حتى استيلاء المسلمين عليها وطرد الصليبيين من الساحل الشرقي نهائياً .

كان النظام الاقطاعي ، هو النظام السائد في امارة طرابلس وكانت هناك عدة وظائف يقوم بها موظفون من قبل الكونت ، امير طرابلس وأهم هـذه الوظائف على الاطلاق ، وظيفة الحاجب العسكري ، وتشبه وظيفته وظيفة رئيس الوزارة في هـذا العهد ، لذلك كان حجاب طرابلس من الشخصيات

اللامعة تارة ، ومن الشخصيات العادية ، تارة أخرى ، وكان الى جانب الحجاب مقدمون مدنيون يقومون بحماية الخزانة المالية وجباية الضرائب ، عرفنا منهم ثلاثة ، جوتيه المرقبي ورينو والبيتر . ومن الوظائف الأخرى، المقدم العسكري ، ويطلق عليه المؤرخون العرب اسم «المقدم كندا اسطبل» كما يقول ابن القلانسي . وكان يتولى قيادة الجيش في أثناء غياب الكونت، ويليه المارشال ، وهو مساعد له .

وهناك أيضاً وظيفة الرئيس الأعلى للقضاء ، ويتولى كتابة القوانين التشريعية وهناك بعض النصوص التي تدل على ان الصليبيين استبقوا بعض الوظائف العربية كوظيفة صاحب الحسبة .

أما النظام الحربي فكان يتولى رئاسته الكونت ، صاحب طرابلس ، ويتألف من نحو ثلاثة آلاف من المشاة والفرسان ، وكان عدد الفرسان قليلا . وقد اشتبك المسلمون مع الصليبيين في عدد من المواقع كانت الدائرة تدور على الصليبيين ، ويقول ابن القلانسي ان اللبنانيين من سكان الجبل ، كثيراً ما كانوا يحاربون في الجيش الصليبي .

وقد رأى حكام طرابلس ان الضرورة تقضي بإنشاء أسطول بحري للدفاع عن سواحل طرابلس ضد غارات الأسطول المصري ، بالرغم من ان إمارة طرابلس كانت تعتمد على السفن البيزنطية لنقل المؤن ، وكما ذكرنا آنفاً ، ان الفضل الأكبر في استيلاء الصليبيين على طرابلس ، كان للأسطول البيزنطي والأسطول الجنوي .

النظام المالي

كان لكل إمارة صليبية عملة خاصة بها ، ولكن هذه الإمارات اضطرت للتعامل مع الخارج فأنشأت عملة مشتركة فيما بينها عرفت بالبيزنت . وقد صك حكام طرابلس عملة فضية خاصة بهم نقش عليها صورة صليب على وجه

وصورة طرابلس على الوجه الآخر . وقد صك ريموند الثاني عملة خاصة به كتب عليها « مونتا تريبولي » .

وقد صك حكام طرابلس عملة ذهبية أيضاً ، تقليداً للدينار الاسلامي استخدم للتداول مع التجار من المسلمين ، وكان أمراء طرابلس يعهدون بصك العملة الى موظف عرف تحت اسم « صاحب السكة » منهم حنا صاحب السكة والمعروف بهذا اللقب في التاريخ .

والضرائب كانت متنوعة ، منها ضريبة على المواشي ، ومنها الرسوم التي كانت تحصل من التجار في معرض البضائع في الميناء ، ومنها رسوم أخرى على المبيعات والمشتريات ومنها رسوم على البضائع كرسوم جمرك .

ومن الموارد ، الغنائم والاسلاب ، التي كان يظفر بها أثناء الغارات على المسلمين ، كما حصل عند سقوط طرابلس ، ويقول ابن القلانسي ان الصليبيين حصل بأيديهم من أمتعتها وذخائرها ودفاتر دار علمها وما كان في خزائنها وخزائن أصحابها من المسلمين مما لا يحصى عدده ولا يحصره حاصر .

أما تقسيم الغنائم، فكانت توزع أولاً على الكونت نصيب يعرف بنصيب اللواء ، والباقي يوزع على من اشترك في الجيش، وكان الكونت كثيراً ما يهب نصيبه للاسبتالية ، ثم أصبح فيما بعد ، نصيب اللواء بمجموعه لهم .

الكنيسة :

تضمنت كونتية طرابلس أربعة اسقفيات هي اسقفية انطرطوس التي تتبعها مدينة انطرطوس وجزيرة ارواد واسقفية طرابلس ، التي تضم طرابلس والبترون وعرقة واسقفية جبيل ورفنية .

واسقفية انطرطوس هي اقدم اسقفية ، اما اسقفية جبيل ، فبعد أن استولى كونت طرابلس على هذه المدينة انشأ فيها اسقفية . واول اساقفة

طرابلس هو الاسقف ألبير دي سان ارارد وقد اطلق عليه اسم اسقف طرابلس قبل افتتاحها ، وذلك سعياً وراء انشاء كنيسة مستقلة . وقد عمل كونت طرابلس على سيامته مطراناً ، لكن رومية رفضت جعل طرابلس مركز مطرانية . اما التنظيم الداخلي للكنيسة فكان نفس التنظيم المتبع لدى الكنائس التابعة للكرسي البابوي . وقد أتينا فيا مر على تنظيم فرسان الداوية والاسبتالية ، فلا حاجة للاعادة .

عناصر السكان في امارة طرابلس

بالاضافة الى طوائف الصليبيين ، كانت امارة طرابلس تضم عناصر أخرى نذكر منها :

١ – المسلمون

احتفظت امارة طرابلس بجماعة من المسلمين من سكان طرابلس القدامى قبل الفتح الصليبي ، على الرغم من هجرة العدد الاكبر منهم على أثر المذابح الرهيبة التي جرت غب دخول الصليبيين للمدينة. وقد رجع لسكنى طرابلس من دفعه حنينه للوطن . وقد اشترط الصليبيون ، عليهم كما يقول ابن جبير ، تأدية الخراج للافرنج . وكان الصليبيون في طرابلس يحسنون معاملة المسلمين المستقرين في أراضيهم يتركونها لهم يزرعونها ، نظير نصف غلاتها وبعض الضرائب ، منها جزية عن كل رأس دينار واحد كما كانوا يتقاضون ضريبة على ثمر الشجر . وتمشى الصليبيون على تسمية رئيس مسلم في كل ضيعة ، كما كانوا يجيزون اقامة مسجد صغير لاداء الصلاة على النحو المتبع في صور .

٢ – النصارى

منهم اليعاقبة ، كان لهم اسقفية في طرابلس لكنهم آثروا السكنى في جونية . ومنهم الموارنة ، وهم اغلبية سكان امارة طرابلس، كانوا قد انضموا

للصليبيين ، ويذكر الشدياق في اخبار الأعيان ان اميراً ارسل ولده سمعان في سنة ١٢٥٠ على رأس خمسة وعشرين ألفاً من الخيالة لمؤازرة لويس التاسع عند وصوله لعكا . وقد سكن الموارنة القرى المجاورة لطرابلس مثل اهدن وزغرتا وبشري وحصرون والحدث والضنية وقرى البترون .

كان بين طبقات النصارى المحليين في امارة طرابلس طبقة عبيد الارض ، وطبقة العامة ، وطبقة البورجوازية ، وطبقة سادة القرى ورؤساء القبائل وعلى الرغم من مساعدة هؤلاء للصليبيين كان بعضهم يميل للتآمر عليهم وخيانتهم ويرجح وليم الصوري ان معظم الهزائم التي مني بها الصليبيون يرجع سببها لخيانة بعض السكان الاصليين .

وقد أفاد الصليبيون من خبرة نصارى طرابلس ووضعوهم في المناصب التي تستلزم احتكاكاً مباشراً مع المسلمين .

٣ – اليهود

اجتذبت كونتية طرابلس عدداً من اليهود ، اندمجوا مع يهود طرابلس على عهد بني عمار وبلغ عدد الأسر اليهودية نحو المائة وخمسين اسرة ، امتهن اليهود مهنة الصيرفة وصناعة الأصباغ والدباغة .

وقد ازدهرت في العهد الصليبي زراعة قصب السكر وزراعة القطن وكانت تحيط بطرابلس بساتين الليمون والزيت وسائر أنواع الفواكه .

الحياة العلمية

أما الحياة العلمية ،فكانت خلال العهد الصليبي مزدهرة ووفد الى طرابلس عدد كبير من الطلاب من اوروبا وذاعت شهرة طرابلس في الطب والكيمياء والصيدلة وكان في طرابلس مدرسة لتعلـيم الطب واشتهر الاسقف اليعقوبي «ميشيل» الحلبي الذي مارس صنعة الطب ونبغ ايضاً وليم الطرابلسي .

الباب الرابع

طرابلس في العهد المملوكي

•

طرابلس الجديدة :

بينا في الفصل السابق ان الملك المنصور السلطان قلاوون، بعد ان استولى على طرابلس ، أمر بدك أسوارها وهدم كل دورها ، وحولها الى خراب ، كما هدم أسوارها الى الأرض تقريباً وأباد الصليبيين جميعهم . ثم أمر ببناء مدينة ثانية في المحلة التي كان يطلق عليها الصليبيون اسم وادي الكنائس ، وحول الكنيسة الكبرى الى مسجد ، بعد ان هدم معالمها وما استبقى منها الا برج الجرس حوله لمأذنة . وبالنظر لأن جميع سكان طرابلس من الصليبيين قد أبيدوا أو هربوا ، فإن سكان طرابلس الجدد أصبحوا من المسلمين أو من ضواحي القرى المحيطة بطرابلس من مسلمين ومسيحيين من سكان الإمارة الصليبية من أهل البلاد. وقد استقر في طرابلس أيضاً عدد من جيش السلطان قلاوون رغبوا في سكنى المدينة الجديدة .

ويظهر ان العمران امتد بسرعة في المدينة التي أمر ببنائها السلطان قلاوون بحسب ما تقتضيه طبيعة العمران ، فأحاطت الدور والأسواق بالجامع الكبير

الذي اطلق عليه اسم الجامع المنصوري نسبة للملك المنصور السلطان قلاوون والذي زاد في عمران المدينة الجديدة قساطل مياه الشفة التي ساقها الصليبيون من نبع شعين القريب من طرابلس، خصوصاً للمحلة المعروفة بوادي الكنائس التي بقيت سالمة من الخراب ، وكان جلب المياه مما سهل عمران المدينة كما قلنا اعلاه . أما المدينة القديمة فقد أطلق عليها فيما بعد اسم الميناء ، وقد أصبحت خراباً وتعطلت قساطل مياه الشفة التي كانت تأتيها من نبع هاب القريب من وادي البحصاص. ولم يتجرأ على سكنى الميناء فيما بعد الا البحارة ثم عدد من التجار لتبادل أصناف البضائع مع تجار البندقية وجنوه وغيرهم من التجار الأوروبيين الذين عادوا للتبادل التجاري مع طرابلس بعد ان استقرت الأحوال .

ومع الزمن نشأت في طرابلس تجارة جديدة من الاهمية بمكان، وهي تجارة الثلج الطبيعي فكان سكان الضنية يخزنون الثلج في الكهوف خلال فصل الشتاء وينقلونه على ظهر الدواب في الصيف بعد ان يلفوه باللباد ويأتون به للميناء لتحميله على ظهر المراكب المصرية التي تأتي لميناء طرابلس لهذا الغرض فتحمل فرادي الثلج وتسافر بالبحر الابيض المتوسط حتى ميناء دمياط حيث تواصل سفرها في النيل صعوداً حتى القاهرة . وهناك تزود دار السلطان بالثلج كما تزود دور الوزراء والأمراء والأغنياء وما يتبقى يعرض في الاسواق للبيع للعامة .

وقد ازدهر تبادل السلع التجارية مع مصر في سائر الاصناف التي تنتجها طرابلس كما كانت تستورد ما لا تنتجه من مصنوعات مصر .

حكام طرابلس في العهد المملوكي

دام العهد المملوكي نحو قرنين وربع من سنة ١٢٨٩ الى سنة ١٥١٦ حين احتل السلطان سليم العثماني طرابلس في جملة ما احتله من البلاد العربية ، التي كانت تحت حكم المماليك ، سلاطين مصر ، وبالنظر لعدم حدوث ما يستحق

الذكر خلال هذا العهد الطويل ، ولخلو المراجع التي جمعناهـا سوى من ذكر حكام طرابلس في هذا العهد، رأينا ان نأتي على قائمة تفصل اسماء ولاة وحكام طرابلس في خلال العهد المملوكي مع مدة حكمهم وذكر شيء مما حدث خلال توليهم الحكم في طرابلس .

اسم الحاكم	مدة الحكم
١ – سيف الدين بلبان الطباخي	١٢٩٠ – ١٢٩١
هو اول نائب لسلطنة المماليـك في طرابلس وهو الذي بنى المدينة في موقعها الحالي بعد ان كانت على شاطىء البحر بالغة الازدهار في العهود الاولى .	
٢ – طغرل الايعالي	١٢٩١ – ١٢٩١
٣ – عزالدين ايبك الخزندار	١٢٩١ – ١٢٩٢
بنى الجامع الكبير المنصوري في مكانه الحالي على انقاض الكنيسة القديمة في محلة وادي الكنائس ولم يستبق سوى برج الجرس الذي حوله لمأذنة .	
٤ – سيف الدين ارقنطاي	١٢٩٢ – ١٢٩٣
٥ – سيف الدين استدمر	١٢٩٣ – ١٢٩٥
٦ – عزالدين ايبك الموصلي المنصوري	١٢٩٥ – ١٢٩٦
٧ – بكتمر	١٢٩٦ – ١٢٩٧
٨ – سيف الدين كرت امير اخور	١٢٩٧ – ١٢٩٨
٩ – سيف الدين قطلوبك	١٢٩٨ – ١٣٠٠
١٠ – استدمر الكرجي	١٣٠٠ – ١٣٠١
١١ – الحاج بهادر الظاهري	١٣٠١ – ١٣١١

١٢ – جمال الدين اقوش الافرم ١٣١١ – ١٣١٢

١٣ – سيف الدين بن قمر الساقي ١٣١٢ – ١٣١٥

١٤ – سيف الدين كستناي ١٣١٥ – ١٣١٦

١٥ – شهاب الدين قرطباي ١٣١٦ – ١٣٢٥

١٦ – سيف الدين طينال ١٣٢٥ – ١٣٣٣

هذا الوالي اقام في طرابلس عدة سنوات بنى خلال مدة اقامته الجامع المعروف باسمه «جامع طينال» وقد زار الرحالة ابن بطوطة طرابلس في عهده .

١٧ – جمال الدين اقوش ١٣٣٣ – ١٣٤٠

١٨ – الحاج ارقطاي ١٣٤١ – ١٣٤٢

١٩ – قطلوبغا الفخري ١٣٤١ – ١٣٤١

٢٠ – الحاج ارقطاي ايضا ١٣٤١ – ١٣٤٢

٢١ – طرناي ١٣٤٢ – ١٣٤٥

٢٢ – بيدمر البدري الخوارزمي ١٣٤٥ – ١٣٤٥

٢٣ – قماري الناصري ١٣٤٥ – ١٣٤٨

٢٤ – سيف الدين البيبغا المظفري ١٣٤٨ – ١٣٥٠

٢٥ – السيفي سندمر ١٣٥٠ – ١٣٥١

٢٦ – الامير يلكمش ١٣٥١ – ١٣٥٤

٢٧ – الامير منجك ١٣٥٤ – ١٣٥٥

٢٨ – والشمس الأحمدي ١٣٥٥ – ١٣٦٢

٢٩ – ازدمر القمري الناصري ١٣٦٢ – ١٣٧٢

٣٠ – ايدمر القرى ١٣٧٢ – ١٣٧٧

٣١ – بلاط السيفي ١٣٧٧ – ١٣٧٧

هذا الوالي لم يتسلم الحكم بل عزل قبل وصوله

٣٢ – المقر السيفي تغري برمش الظاهري ١٣٧٧ – ١٣٨٦

٣٣ – الامير استدمر الحاجب ١٣٨٦ – ١٣٨٨

٣٤ – الامير كتبغا طغتمر ١٣٨٨ – ١٣٨٨

٣٥ – سنجق الحسني ١٣٨٨ – ١٣٨٨

٢٦ – قشتمر الاشرفي ١٣٨٨ – ١٣٨٨

٣٧ – قرارد مرداش الاحمدي ١٣٨٩ – ١٣٩٠

٣٨ – اياس الجرجاري ١٣٩٠ – ١٣٩٣

٣٩ – ارغون شاه ١٣٩٣ – ١٣٩٧

هو باني الجامع المعروف بأسمه في محلة بوابة الحدادين

٤٠ – اقبغا الجمالي ١٣٩٧ – ١٣٩٨

٤١ – يونس العطاوي الظاهري ١٣٩٨ – ١٣٩٩

هذا الوالي عصى السلطان المملوكي بالاشتراك مع
والي دمشق لكن السلطان ظفر به واماته خنقاً

٤٢ – المقر السيفي الشيخ المحمودي ١٣٩٩ – ١٤٠٠

٤٣ – اقبغا الجمالي لثاني مرة ١٤٠٠ – ١٤٠٣

٤٤ – الشيخ محمود الخاسكي ١٤٠٣ – ١٤٠٤

بعد توليته طرابلس ، بايعه المماليك سلطاناً سنة

١٤١٢ ولقب بالمؤيد

٤٥ – دمرداش المحمودي ١٤٠٤ – ١٤١٤

٤٦ – سودون المؤيدي	١٤١٤ – ١٤٢٠
٤٧ – برسباي ابو السعادات	١٤٢١ – ١٤٢١

بويع سلطاناً خلفاً للملك الصالح بعد خلعه سنة ١٤٢١

٤٨ – اينال النوروزي	١٤٢١ – ١٤٢٢
٤٩ – المقر الاشرفي قصروه	١٤٢٢ – ١٤٤١
٥٠ – جلبان	١٤٤١ – ١٤٤١
٥١ – قاني بك الحمزاوي	١٤٤١ – ١٤٤١
٥٢ – برسباي الناصري	١٤٤١ – ١٤٤٢
٥٣ – حمادي بربك الاعجمي الاعور	١٤٤٢ – ١٤٤٢
٥٤ – سودون السوداني الحاجب	١٤٤٢ – ١٤٤٣
٥٥ – قايتباي الحمزاوي	١٤٤٣ – ١٤٤٤
٥٦ – السراج الحمصي	١٤٤٤ – ١٤٤٥
٥٧ – برسباي الناصري	١٤٤٥ – ١٤٤٧
٥٨ – يشبك الصوفي	١٤٤٧ – ١٤٤٩
٥٩ – يشبك النوروزي	١٤٤٩ – ١٤٥٢
٦٠ – جاني بك المؤيدي	١٤٥٢ – ١٤٥٣
٦١ – حطط الناصري	١٤٥٣ – ١٤٥٣
٦٢ – اياس الطويل	١٤٥٣ – ١٤٥٣
٦٣ – ابن عز الدين	١٤٥٣ – ١٤٥٤
٦٤ - يشبك طاز المؤيدي	١٤٥٤ – ١٤٥٤
٦٥ – ومغاي البجاشي	١٤٥٤ – ١٤٥٥
٦٦ – اينال اليشمكي	١٤٥٥ – ١٤٦٥

٦٧ – محمد بن اقبال	١٤٦٥ – ١٤٦٧
٦٨ – اينال الأشقر	١٤٦٧ – ١٤٦٩
٦٩ – قانصوه البحاوي	١٤٦٩ – ١٤٧٠
٧٠ – اياس بك الطويل المحمودي	١٤٧١ – ١٤٧٢
٧١ – الناصري محمد بن شاد بك	١٤٧٢ – ١٤٧٢
٧٢ – التركماني الحلبي	١٤٧٢ – ١٤٧٣
٧٣ – يشبك البجاسي	١٤٧٣ – ١٤٧٥
٧٤ – ازدمربن مزيد	١٤٧٥ – ١٤٧٩
٧٥ – برد بك المعمار	١٤٧٩ – ١٤٨١
٧٦ – اينال السلحدار	١٤٨١ – ١٤٨٤
٧٧ – بيبرس الرحيبي	١٤٨٤ – ١٤٨٥
٧٨ – برد بك سكر	١٤٨٥ – ١٤٩٠
٧٩ – كرتباي بن مصطفى الاحمر	١٤٩٠ – ١٤٩١
٨٠ – دولات باي	١٤٩١ – ١٤٩٢

لم يتول على طرابلس ومات وهو في الطريق

٨١ – قالي باني	١٤٩٢ – ١٤٩٢
٨٢ – بلباي المؤيدي	١٤٩٢ – ١٤٩٦
٨٣ – اينال باي الابراهيمي	١٤٩٦ – ١٤٩٨
٨٤ – دولات باي بن اركماس	١٤٩٨ – ١٤٩٨
٨٥ – اقبردي الدوادار	١٤٩٨ – ١٥٠٠
٨٦ – برد بك الطويل	١٥٠٠ – ١٥٠٠
٨٧ – جانم بن قجماس	١٥٠٠ – ١٥٠٧

٨٨ – يونس بهادر السليماني ١٥٠٧ – ١٥١٦

٨٩ – بخشلي بن عبد الكريم ١٥١٦ – ١٥١٦

٩٠ – تمراز الاشرفي ١٥١٦ – ١٥١٦

وهذا الاخير قتل في خلال زحف السلطان سليم على لبنان وسوريا والبلاد العربية بمجموعها فيكون عدد الولاة الذين تولوا على طرابلس في العهد المملوكي ٩٠ وال خلال قرنين تقريباً .

حضارة طرابلس في العهد المملوكي

كانت طرابلس في خلال العهد الصليبي من ابهج مدن الساحل الشامي وقد دام هذا الازدهار في العهد المملوكي بالرغم من ان الملك المنصور دك معالمها ، فسرعان ما استعادت نشاطها التجاري والزراعي ، وقد وصفها الشعراء بانها من ابهى المدن الساحلية بالنظر لوفرة مياهها والبساتين المحيطة بها وأشجار الفواكه في هذه البساتين ، وجمال دورها المبيضة بالكلس ، فقد وصفها ابن ماميا الرومي بقوله :

باربع سادت وساد مقامها على سائر الامصار في البحر والبر
بابيض ثلج واحمرار مثيبها وخضرة مرج قد جلا زرقة البحر

ولا يخفى ان رأس القضيب ، أعلى قمة في لبنان ، يتوج طرابلس في قمته البيضاء تقريباً خلال سائر فصول السنة . وقد زار الكثيرون طرابلس اثناء العهد الفاطمي ، ودهشوا من مناظرها الخلابة ، فقد أشار المقدسي الى انها مدينة حصينة ووصفها ايضاً الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زارها سنة ٤٣٨ هـ ووصفها اعظم وصف ، ووصف بساتينها بقوله :

« وحول المدينة المزارع وكثير من قصب السكر وأشجار النارنج ،

والموز والليمون والتمر وكان عسل السكر يجمــــع في طرابلس ، وانهـــا مشيدة بحيث تطل على البحر من ثلاثة جوانب ، والجانب الذي على اليابسة فيه خندق عظيم وباب حديدي محكم ، وفي الجانب الشرقي قلعة من الحجر المصقول » .

وقد وصف ناصر خسرو ايضاً الجامع الكبير ادق وصف ولعل هذا الجامع هو الجامع الكبير في الميناء .

وقد زار طرابلس ايضاً الرحالة ابن بطوطة في عهـــد الامير طينال باني الجامع الذي أتينا على وصفه في باب آثار طرابلس . وقد وصف ابن بطوطة المدينة وجامعها وحماماتهـــا كما وصف الامير طينال وعاداته ادق وصف . وفي العهد العماري ، كما تقدم ، ازدهرت طرابلس كثيراً وازدهرت بها الحركة العلمية .

ويجدر بنا ان ننقل عن رحلة ابن بطوطة ما ذكره بشأن طرابلس قال : « ووصلت الى طرابلس وهي احدى قواعد الشام ، تخترقها الانهار ، وتحفها البساتين والاشجار ، ويكتنفها البحر بمرافقه العميقة ، والبر بخيراته القيمة ، ولها الاسواق العجيبة والمسارح الخصيبة ، والبحر على ميلين منهـــا ، وهي حديثة البناء . أما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر ، وتملكهـــا الروم زماناً ، فلمـــا استرجعها الملك الظاهر ، خربت ، واتخذت المدينة الحديثة . وبهذه المدينة اربعون من الامراء الاتراك وأميرها طينال الحاجب المعروف بكك الامراء ومسكنه بالدار المعروفة بدار السعادة . ومن عوائده ان يركب في كل يوم اثنين وخميس ويركب معه سائر الامراء والعساكر ، ويخرج الى ظاهر المدينة ، فاذا عاد اليها وقارب الوصول اليهـــا ، وقارب الوصول الى منزله ، ترجل الامراء ونزلوا عن دوابهم ومشوا بين يديه حتى يدخل منزله ،

وينصرفون . ويختم ابن بطوطة وصفه بوصف حمامات طرابلس فيقول « وبهذه المدينة حمامات حسان منهـــا حمام القاضي القرمي وحمام سندمر امير هذه المدينة ويذكر عنه اخبار كثيرة في الشدة على اهل الجنايات » .

وقد بلغت طرابلس شاوا كبيراً في منتصف القرن الثامن الهجري ، واستعادت مجدها السابق ، واتسعت مرافقها وتجارتها،ويقول ابن الشحنة عنها انها مدينة لطيفة ، امطارها خفيفة ومحاسنها عديدة وماؤها دافق ومرعاها موافق ، وهي برية بحرية ، شامية مصرية . وفي هذا الوصف ايضاً وصف القناة البرنس التي تخترق مجرى مياه نهر ابي علي وتصل المياه بواسطتها لطرابلس. وقد هدم هذا الجسر حينما طاف نهر ابي علي في سنة ١٩٥٦ واعادت بنـاءه مصلحة مياه طرابلس بشكل جديد .

وكل آثار طرابلس التي سنفرد لها فصلاً خاصاً في هــذا الكتاب ، تعود للعهد المملوكي . وقد احتفظت طرابلس بمركزها الاقتصادي طويلاً ثم اخذت تتنازل عنه لبيروت ، واول هذا التنازل حينما عزمت الحكومـة العثمانية على انشاء مصح للكرنتينا في الجزر المقابلة للميناء ، فاحتج الطرابلسيون بان مثل هذا العمل يجلب الامراض لطرابلس فهكذا أحدثت الكرنتينا في بيروت. ثم انتقلت جميع المرافق الاقتصادية لبيروت شيئاً فشيئاً ، وأولهـــا حين انشأ المرسلون الاميركان الكلية السورية الانجيلية وتبعهم الافرنسيون بان انشأوا كلية القديس يوسف وتبع هذا العمل اقامة المرفأ ومد الخط الحديدي لدمشق ثم لحلب بطريق حمص وحماه وهكذا اصبحت بيروت العاصمة الأولى بعد انشاء مركز الولاية فيها ثم اتخاذها عاصمة للجمهورية اللبنانية بعد الاستقلال .

الحياة الاقتصادية في العهد المملوكي

الزراعة والصناعة

انفردت طرابلس بسهلها الواسع الواقع على ضفاف نهر ابي علي، وبالتالي استثمار هذه الظاهرة الطبيعية على اوسع مدى ، بزراعة شتى انواع اشجار الاثمار التي عمت البساتين المحيطة بطرابلس. وقد زرع الطرابلسيون وسكان القرى المجاورة لطرابلس شجرة الزيتون ، لذلك امتازت طرابلس بكثرة حاصلاتها الزراعية ثم بمصنوعاتها المختلفة ، الناتجة عن المحاصيل الزراعية .

فقد عمت صناعة الصابون في طرابلس منذ القديم واشتهرت بكافة انواعه منه الصابون العادي والصابون المطيب للحمام ، كما اشتهرت بصناعة السكر من محصولات قصب السكر وقد وصف الشريف الادريسي محاصيل طرابلس بقوله « ولها رساتق واكوار وضياع جليلة وبها شجر الزيتون والكروم وقصب السكر وانواع الفواكه ومن ضروب الغلات الشيء الكثير » .

وقد ذاعت شهرة السكر الطرابلسي وكانت أوروبا تستورده من طرابلس ويذكر النويري عند تعرضه لذكر غزو القبارصة لطرابلس سنة ٧٦٩ هـ ان الفرنج لما دخلوا طرابلس دخل بعضهم لدار الحاج محمد بهادر التاجر المعروف وكان يحفظ فيها كميات كبيرة من السكر في جفان، فحاصر المسلمون الدار ، ولم يجد الافرنج ما يدافعون به عن انفسهم سوى جفان السكر ، فكانوا يقذفون بها المسلمين عوضاً عن الحجارة .

وإلى جانب صناعة السكر كان هناك صناعة الورق فقد ذكر ناصر خسرو انه كان يصنع في طرابلس الورق الجميل مثل الورق السمرقندي بل أحسن منه . وكذلك اشتهرت طرابلس بالمنسوجات الحريرية فالمقريزي يذكر انه « كان يصنع في طرابلس قماش الحرير وكان فيها أربعة آلاف نول لحياكة



الحرير الطبيعي » واشتهر الزنار الطرابلسي المصنوع من الحرير الطبيعي الخاص في جميع الأقطار العربية ومـــا زال في طرابلس أثر لحياكة الحرير الطبيعي واشتهر بنو المظلوم بتعاطيهم هذه الصنعة .

التجارة

وإلى جانب الصناعة والزراعة ، كان لطرابلس مركزاً مرموقاً في عالم التجارة بالنظر لمركزها الطبيعي ولأن لهـا ميناء واسعاً يحميها من الانواء ، واتفق كل من الادريسي وناصر خسرو على ان طرابلس تتمتع بمركز يخولهـا نشاطاً كبيراً في عالمي التجارة والصناعة . وقد انعكس هـــذا المركز على طرابلس فكثرت فيها الخانات والأسواق والقيصريات ، لكن هذا الازدهار أخذ يتلاشى شيئاً فشيئاً بعد أن اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجـــاء الصالح سنة ١٤٩٢ وتحولت القوافل إلى أسواق لشبونـــة بدلاً عن طرابلس وأسواق الاسكندرية وغيرها من الموانىء وهكذا خربت أسواق طرابلس وفقدت قيمتها وتحولت عنها التجارة .

الحياة العلمية

شهدت طرابلس حركة علمية ممتازة خلال عهد بني عمار وسبق لنـــا أن وصفنا مكتبتها التي جمعها بنو عمار وأحرقهـا الصليبيون ويضيف أسامة بن منقذ بشأن هذه المكتبة ان العالم أبا عبد الله الطليطلي تولى أمر هذه المكتبة. وفي العهد المملوكي ازدهر العلم أيضاً ونبـغ بعض الشعراء منهم أحمد بن الحسين ابن حيدرة المعروف بابن خراسان الطرابلسي ، كان شاعراً مجيداً في عهد بني عمار لكنه كان طويل اللسان هجا بعض الأمراء فأمر به قاضي طرابلس ، ان يضرب فضرب حتى مات في سنـــة ٤٩٧ هـ . ومن شعره في بركة ملاها خمرا :

سقى الله أرضاً نهرها البحر طاميا وأرجاؤها من كل ناحية خضره
جواد بها خمر ومسك ترابهـــا وأشجارها البض الرعابيب والسمره
ارجى اصطبار عن هواها وطيبها وأرجو ولكن ما يطاوعني صهره

ومن شعره أيضاً :

أحبابنا أعذرونا في محبتكم كوني بمصر وانتم في طرابلس

وسبق ان تكلمنا عن العهد العلمي خلال احتلال الصليبيين لطرابلس .



مجرى نهر ابي علي قبل تعديله وتقويمه

الباب الخامس

طرابلس في العهد العثماني

العثمانيون والشرق العربي

●

تمهيـــد :

العهد العثماني ، هو اطول عهد مر لا على طرابلس فحسب، بل على الاقطار العربية بمجموعها بما فيه لبنان وطرابلس ، فقد استمر اربعة قرون كاملة ، من سنة ١٥١٦ حين احتل السلطان سليم العثماني البلاد العربية واستخلصها من الحكم المملوكي العربي ، حتى عام ١٩١٨ حين جلا الاتراك بصور نهائيـة عن جميع الأقطار العربية وحلت محلهم دولتا فرنسا وانكلترا تحت اسم الانتداب. وقد طرأت خلال هذا العهد حوادث جمة ، لعبت في خلالها البلاد العربيـة دوراً كبيراً ونشبت عـدة ثورات إن كان في لبنان أو سوريا أو العراق أو الحجاز ونجد . واحتل المصريون سوريا ولبنان باسم محمد علي الذي تولى على مصر ، وكان هدفه تأسيس دولة عربية والاستقلال بهـا عن جسم الدولة العثمانية . لكنه اضطر اخيراً الى الجلاء عن سوريا ولبنان مرغماً ، امام ضغط دول أوروبا التي لم ترض عن هذا الهدف باعتبار انهـا ترغب هي في تقسيم

الدولة العثمانية والحصول على هذين القطرين ، وهكذا لعبت دول أوروبا ايضاً دوراً كبيراً في سياسة هذه البقعة .

الدولة العثمانية :

كان الأتراك في أول عهدهم قبائل رحـــل من البدو ، يجوبون الأراضي المجاورة لسكناهم ، سعياً وراء المراعي . ثم انفصلت بعض القبائل عن بعضها واتخذ المنفصلون اسم « العثمانيين » على ما يأتي نسبة لعثمان الاول أول سلاطين آل عثمان بالمعنى المعروف، وتمكنوا من تأسيس دولة كبيرة امتدت حدودهـا من المحيط الهندي حتى البحر الاسود ، وذلك على انقاض دولة السلاجقة من جهة ، والدولة البيزنطية من الجهة الأخرى .

تقول رواية ان ارطغرل ، والد السلطان عثمان ، اقطعه السلاجقة اقطاعاً بالقرب من بورصة ، وكانت هذه المقاطعة تقع في نقطة ستراتيجية مـــا بين الحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية المتداعية والحدود الغربيـــة لدولة السلاجقة التي كانت ايضاً في دور الاختصار . وقد جاء عثمان الاول، مؤسس الدولة العثمانية ، يعمل على تثبيت أقدام ما قام به أبوه ارطغرل ، فبـــدأ بالتوسع على حساب جيرانه ، واتخذ من مدينة بورصة عاصمة لدولته الفتية ، ثم عبر خلفاؤه الدردنيل واحتلوا غاليبولي ، وأقاموا لهم موطئاً في أوروبا ثم تمكن السلطان محمد الفاتح ، من خلفاء السلطان عثمان من فتح القسطنطينية ، عاصمة البيزنطيين سنة ١٤٥٢ ، ونقل اليها عاصمة ملكه ، وهكذا اندثرت الدولة البيزنطية ، وقامت على انقاضها دولة تركية إسلامية ، وانفتح أمـام هذه الدولة مجالات واسعة وعهد جديد واخذت دول أوروبا تحسب حسابها.

الصراع مع الدولة الفارسية

وبما انه لم يكن هناك من دولة قوية تقوم شرقي الدولة العثمانية تحل محل الدولة البيزنطية ، لذلك امن الاتراك حدودهم من هذه الجهة وامنوا من خطر

يداهمهم ويضطرهم للاستعداد له . لكن قيام دولة فارسية على حدود الدولة العثمانية من الجهة المقابلة ، بقيادة اسماعيل الصفوي ، غير الموقف السياسي تغييراً كلياً . فقد انقلبت الحال لما كانت عليه في العهدين الروماني والبيزنطي بالنسبة للحكم الساساني . كانت الدولة الصفوية التي سبق ان اسسها الشاه اسماعيل اشهر الدول الاسلامية الفارسية واعظمها سؤددا . ذلك ان الشاه اسماعيل قد قضى على آخر معالم السنة في مملكته ، واعلن ان دين الدولة هو حسب المذهب الشيعي . ثم اخذ في نشر الدعوة الشيعية التي كانت مزيجاً من السياسة والدين ، بين الاتراك في آسيا الصغرى والفرس في المملكة الفارسية وبما انه اعتبر الزعيم الشيعي لذلك تمكن من استمالة الشيعة بمجموعهم في جميع البلاد الاسلامية .

وهكذا بدأ الصراع بين الدولة العثمانية التركيةالسنية وبين الدولة الفارسية الشيعية أو بالاحرى بين الشيعة الفرس وبين الاتراك السنيين واخذ هذاالصراع يشتد من آن لآخر وهدف الاتراك ابادة الدولة الفارسية والاستيلاء على كل ما تملكه من اقطار والحلول محلها .

طرابلس والسلاطين المماليك

يتبين من الجدول الذي فصلناه في الباب السابق الذي تكلمنا به عن ولاة طرابلس ابان العهد المملوكي ، ان طرابلس كانت خاضعة بكل ما لها وعليها الى الولاة الذين تعينهم القاهرة ، لذلك فان العلاقات بين دولة المماليك في القاهرة ودولة بني عثمان في القسطنطينية كانت ذات اثر كبير على طرابلس وعلى سائر البلاد الشامية .

بدأت العلاقات بين المماليك في مصر وبين الاتراك العثمانيين في القسطنطينية تتواصل ، حينما رأى الطرفان ان هناك خطراً مشتركاً عليهما بشخص

تيمورلنك التتري لذلك ارسل السلطان بايزيد سنة ١٣٩٢ بعثة سياسية الى السلطان برقوق المملوكي في القاهرة تحمل له هدايا فاخرة وحافلة وتطلب منه ان يأخذ حذره من خطر تيمورلنك الداهم ، وذلك بالاستعداد بما ينبغي من قوة وقوى وعتاد ، وقد اغتنم الفرصة السلطان بايزيد، بأن طلب من السلطان برقوق ، بأن يرسل له طبيباً حاذقاً في صناعة الطب وأدوية توافق المرض الذي يشكو منه، وهو داء المفاصل. وقد استجاب السلطان برقوق إلى طلب السلطان بايزيد وأرسل له الطبيب شمس الدين بن صغير ومعه كمية كبيرة من الادوية المطلوبة . وقد دأب السلطان بايزيد فيما بعد على مواصلة صداقته للسلطان برقوق ، فأرسل هدايا وتحفاً للخليفة العباسي في القاهرة المتوكل على الله ، وطلب منه تشريفا وتقليداً باعتماده سلطانا ، فبعث له المتوكل بالتقليد المطلوب. وهذا دليل على مدى السلطنة المملوكية وسيادتها على العالم الاسلامي من عربي وغيره .

إلا أن هذه العلاقات الودية ، لم تستمر بصورة متواصلة ، لذلك نعود فنرى السلطان بايزيد ، صاحب الصداقة السابقة والعلاقة الطيبة مع السلطان برقوق والخليفة العباسي المتوكل على الله ، لا يتوانى عن الزحف في أواخر عام ١٣٦٩، أي في مطلع سلطنة فرج بن برقوق، على الامبراطورية المملوكية المصرية ، حين اطمأن موقتاً من ناحية تيمورلنك ، فاستولى على ملطية . أما السلطان فرج ، فلم ير من حاجة لارسال حملة ضد السلطان العثماني، لكن بايزيد عاد فخطب ود السلطان فرج، حين رأى ان الخطر التيموري عاوده، فأرسل في عام ١٤٠٠ بعثة للسلطان فرج تحذره ثانية من تيمورلنك ، وان هذا عازم على مداهمة البلاد العربية ومداهمة مصر على الخصوص . وهكذا عادت العلاقات المصرية – التركية وازدادت تمكيناً في زمن السلطان برسباي لنفس السبب ، بعد ان خلف تيمورلنك السلطان شاه رخ، فقد أرسل سلطان العثمانيين مراد الثاني ، بعثة خاصة في عام ١٤٠٣ الى القاهرة لتهنئة السلطان

برسباي ومع البعثة هدية للسلطان ، وقد أجابه السلطان برسباي بما يناسب المقام ، وبادله الهدايا . وبالرغم من هدايا السلطان برسباي لم تصل للسلطان مراد الثاني، لوقوعها بيد قراصنة البحر الأبيض المتوسط من القبارصة وغيرهم، فان السلطان العثماني عاد فأرسل يهنىء السلطان برسباي بانتصاره النهائي على القراصنة وذلك بعد هديته الأولى بثلاثة أعوام.وشهد اعضاء البعثة التي جاءت بالهدايا الاحتفالات التي أقيمت لعودة الجيش المملوكي منتصراً كما شهدت حفلات مقابلة السفراء من الأجانب الذين أتوا للقاهرة .

وحين نقل أفراد بعثة السلطان مراد وصف ما شاهدوه في القاهرة من عظمة للسلطان المملوكي ، أثار هذا الوصف حفيظته ، ولكي يبرهن للسلطان برسباي انه أيضاً حامي الاسلام أرسل خمسين أسيراً مسيحياً كان استولى عليهم في حروبه مع البلقان كما ارسل اثنين من أبناء أخيه هما سليمان واخته شاه زاد وذلك في عام ١٤٢٨ ، للاقامة في مصر في كنف السلطان برسباي . وقد أكرمهما السلطان المملوكي كل الاكرام واسكنهما في القاهرة في إحدى الدور في القلعة ، وأجرى عليهما الارزاق اللائقة ، وأرسل يطمئن السلطان مراد على اقامة الصبيين معززين مكرمين عند صديقه برسباي.ولما شبت شاه زاد ، خطبها السلطان برسباي لنفسه ، اما الأمير سليمان فقد الحقه بحاشيته.

العلاقات بين المد والجزر

لكن العلاقات بين السلطان المملوكي وبين السلطان العثماني ، كانت عرضة للتغييرات على أثر تولي السلطان بايزيد الثاني العرش ، فقد حدث نزاع بين هذا السلطان وبين اخيه الأمير «جم» فالتجأ الأمير جم للسلطان قايتباي في القاهرة . وقد احتفل به السلطان قايتباي في سنة ١٤٨٢ ، وجهزه للسفر الى الحجاز لأداء فريضة الحج مع أسرته . وقد أثار هذا العمل غضب السلطان العثماني بايزيد .

قرر السلطان بايزيد تصفية حسابه مع السلطان المملوكي لعدة اسباب :

١ – مناصرته للامير جم واستقباله له .

٢ – رفض السلطان قايتباي لعرض السلطان بايزيد بأن يقوم باصلاح بعض قنوات الماء في مكة .

٣ – استيلاء نائب السلطان قايتباي في مكة على هدية مرسلة من الهند للسلطان العثماني ، وارسالها للسلطان قايتباي .

وهكذا تجمعت الاسباب للسلطان العثماني ليتخذ موقفاً عدائياً صريحاً من السلطنة المملوكية ، فما كادت تصل للسلطان بايزيد شكاوى علاء الدولة أمير بلغار من تصرفات السلطان قايتباي حتى هجم بقوى حربية عثمانية على ملطية التي كانت تابعة لسلطنة المماليك .

لم يقف السلطان المملوكي مكتوف اليدين ازاء هذا الاعتداء ، بل ارسل حملة في عام ١٤٨٣ بقيادة تمراز الشمسي ، انتصرت على علاء الدولة واحلافه من العثمانيين ، وعادت للقاهرة تحمل عدداً كبيراً من اعلام العثمانيين ، وهذه اول اصطدامات تقع بين العثمانيين الاتراك وبين جيش المماليك في مصر . وبالرغم من انتصار جنود قايتباي ، فانه كان يؤثر السلام والصداقة ، فقد ارسل صحبة امير سياسي داهية ، هو جاني بك ، هدايا للسلطان بايزيد وطلب منه اعتبار جاني بك كسفير بينه وبين السلطان .

سافر جاني بك عام ١٤٨٥ من الاسكندرية بطريق البحر ، ومعه تقليد من الخليفة العباسي الى السلطان بايزيد بأن يقوم مقام الخليفة على البلاد العثمانية ، وما سيفتحه الله على يديه من البلاد المعادية ، كما حمل جاني بك ايضاً للسلطان بايزيد الهدية التي كانت مرسلة له من الهند واستولى عليها عامل السلطان المملوكي ، مع الاعتذار اللازم للسلطان بايزيد عما وقع بشأنها .

لكن السلطان بايزيد استقبل جاني بك المشار إليه اسوأ استقبال، ورفض

المصافاة ، واجاب بارسال جيش لغزو بعض البلاد التابعة للحكم المملوكي . لم ير حينئذ قايتباي من مندوحة لاستئناف القتال ضد العثمانيين .

ثم بدأت الحملات المملوكية ضد العثمانيين كان اولها حملة تحت قيادة القائد ازبك في عام ١٤٨٥ وقد تلاقت هذه الحملة مع القائد العثماني احمد بك هرسك فتغلبت عليه وأسرت عدداً كبيراً من الجنود والقواد منهم القائد احمد بك هرسك نفسه . وازاء هذه الحالة اعاد السلطان بايزيد الكرة على رأس جيش يفوق الجيش السابق ، فاستعد قايتباي بحملة أخرى كبيرة بلغت نفقاتها مليون دينار وخرج قائدها ازبك بهذه الحملة الضخمة سنة ١٤٨٦ . ومع هذا الاستعداد الهائل من جانب السلطنة المملوكية ، فان السلطان قايتباي ظل يتشبث بأهداف السلام ، وتقدم بخطى دبلوماسية فأطلق سراح القائد العثماني الأسير وجهز بقية الأسراء العثمانيين واعادهم لبلادهم ، ومن ناحية أخرى ، حاول ان يتسلم الأمير جم من ملك فرنسا رئيس الاسبتالية ، الذين لجأ إليهم الأمير جم لكي يتخذ منه اداة للضغط على السلطان بايزيد ، لكن ملك فرنسا لم يجبه على طلبه . نتج عن هذه المحاولات ان السلطان بايزيد بقي متمسكاً بالحرب ، فأرسل اسطولاً أخذ يقترب من ميناء الاسكندرونة ، ميناء حلب ، لكي يقطع الطريق على حملة ازبك القادمة من مصر . وفشلت مساعي السلطان بايزيد في الحصول على موافقة البندقية لتموين الاسطول العثماني من الماغوصة احد مرافىء جزيرة قبرص . وزاد في الطين بله ان عاصفة هوجاء اجتاحت الاسطول العثماني في القرب من ثغر الماغوصة في جزيرة قبرص المشار إليها ، فأغرقت معظم سفنه ولم يبق منها إلا القليل .

نجح القائد المملوكي في الوصول الى ادنه ، واستولى عليها بعد حصار دام ثلاثة أشهر ، فأسر وغنم ، ولما وصلت الأخبار للقاهرة ، احتفلت بهذا النصر احتفالاً دام سبعة أيام ، وعاد ازبك للقاهرة ومعه عدد كبير من الأسرى

العثمانيين ، آثروا الدخول في خدمة السلطان المملوكي فأنزلهم السلطان قايتباي في ديوانه .

أما السلطان بايزيد العثماني فلم يكف عن الحرب ، بل أرسل حملة ثالثة استولت على سيس وطرطوس ، وبالنظر لسوء الحالة الاقتصادية في مصر ، استجاب السلطان قيتباي لطلب السلطان العثماني بالصلح ، وهكذا أرسل السلطان بايزيد معتمده داود باشا في عام ١٤٨٩ الى القاهرة ، وعقد الصلح بين الطرفين واطلق الأتراك جميع الاسرى الذين لديهم من المصريين . ودلت الحوادث التي تلت ان الاتراك العثمانيين ما قصدوا بهذا الصلح سوى الخديعة فقد تجمعت الجيوش العثمانية ثانية في أواخر عام ١٤٨٩ قرب قيصرية الروم بآسيا الصغرى. وإزاء هذه الحالة وهذا التجمع ، عاد السلطان قايتباي فأرسل حملة قوية لمقاتلة العثمانيين ، وبالرغم من وثوقه بالتغلب على العثمانيين فانه أمر قائده بجس النبض بالصلح ، ولما لم ير تجاوبا من العثمانيين ، أمر بتحرك الجيش المملوكي وحمل على العثمانيين حملة عنيفة وتمكن الجيش المملوكي من كسب المعركة واسر عدداً كبيراً من الجند العثماني وعاد القائد المملوكي الى القاهرة ظافراً فدخلها في مستهل تشرين الثاني من عام ١٤٩٠ وخلع عليه السلطان قايتباي الخلع النفيسة .

وقد عادت المفاوضات بالصلح ثانية وفي هذه المرة تم الاتفاق بين المصريين والاتراك ووقعت معاهدات الصلح واطلق قايتباي جميع الأسرى العثمانيين وذلك في عام ١٤٩٢ وتبودلت الهدايا بين السلطان قايتباي والسلطان بايزيد.

السلطان سليم ومطامعه في البلاد العربية

مرت فترة هدوء بين مصر وتركيا استمرت نحو العشرين سنة ، حتى عام ١٥١٢ حين تولى عرش آل عثمان السلطان سليم الذي كان له مطامع لا حد لها ، بتوسيع مملكته نحو الشرق ومعنى ذلك ابتلاع الدول الاسلامية

المجاورة التي تحتوي على فارس والبلاد العربيـــة من مصر وسوريا ولبنان والعراق ، ونظر الى البحر الأبيض المتوسط نظرة تحويله الى بحيرة عثمانية ، وهكذا قرر ابتلاع جميع البلاد العربية بمـــا فيه الحرمين الشريفين وأراضي الجزيرة العربية .

استهل السلطان سليم اعماله بان أمر بقتل اخويه الأمير قرقـــد والأمير أحمد وأولادهما ليأمن الثورة عليـــه ، ثم التفت الى جيرانه الفرس الصفويين فقرر القضاء عليهم وعلى مذهبهم الشيعي ، وبعث برسالة الى السلطان الغوري، الذي كان على عرش مصر ، وضح له فيها نواياه ضد الدولة الصفوية وبما يعتزم القيام به ، وإزاء هذه النوايا رأى الغوري ان يأخذ حذره فأرسل جيشاً أقام في حلب للمراقبة في النزاع العثماني الصفوي ، وأمره ان لا يتدخل في هذا النزاع .

أما السلطان الصفوي فقد رأى ان صالحه التحالف مع المماليك في القاهرة باعتبار ان السلطنة العربية في مصر وفلسطين وسوريا ولبنان والحجـــاز ، تشكل جميعها الهدف الأساسي للسلطـــان العثماني ، اذاً والحالة هذه فمن صالح السلطان الغوري التحالف معه ، فأرسل يعرض عليه هـــذا التحالف ضد السلطان سليم . رحب السلطان الغوري بهذا الطلب وهكذا تم الاتفـــاق بين الفرس الصفويين والعرب المماليك القاهريين .

ولما بلغت أنباء هذا التحالف السلطان سليم العثماني أخذ كل من السلطان الغوري والسلطان سليم ، يتربص لصاحبه بالخفاء ، لا سيما ان السلطان الغوري كان آوى الأمير قاسم العثماني ، احد اولاد السلطان أحمد اخي السلطان سليم ، واتخذ من هذا الامير أداة لتهديد السلطان سليم ، كما سبق للسلطان قايتباي ان فعل بالامير جم . والواقع ان النزاع الفارسي العثماني لم يكن السبب المباشر للنزاع العثماني – المملوكي ، وان كان عامـــلاً للتعجيل بالحرب ، فالأسباب

الحقيقية للحرب بـــين المماليك المثريين والسلاطين العثمانيين كانت التنافس على السيادة في العالم الاسلامي .

انتشرت انباء في القاهرة في أوائل عام ١٥١٦، بأن السلطان سليم العثماني، يعد العدة لمهاجمة الصفويين ، براً وبحراً ، والقضاء عليهم بصورة نهائية . وقد اوجس الغوري ريبة من هذه الاخبار ، ودلته فطنته ان قرائن الأحوال تدل على ان الاستعدادات الضخمة التي يقوم بها السلطـــان سليم العثماني ، ليس من المعقول ان تكون خصيصاً للقضاء على الصفويين ، وانه لا بد ان يكون هناك هدف ثان ، وهذا الهدف انما هو السلطنة المملوكية العربية . لم يضع السلطان الغوري وقته سدى ، بل باشر بالاستعداد الحربي وتجييش الجيش، أما حاشيته لم تنظر بعين التروي والعقل والتقدير لما يقوله السلطان الغوري فأنبهم الغوري بقوله « لا تشمتوا العدو فينا ، وابن عثمان متحرك علينا ، ولا بد من خروج تجريدة له عن قريب» وكلف اخصاءه بجمع العساكر من كل الفئات وهكذا هيأ جيشاً عرمرماً كامل المعدات واعطى أوامره بالاستعداد للسفر .

ثم كلف الخليفة العباسي وأمر قضاة الشرع بالاستعداد ايضاً لمرافقة الحملة ، وذلك خلال المقابلة التي جرت بحضور هؤلاء المذكورين لتهنئة السلطان الغوري بحلول شهر صفر ، الموافق لشهر شباط عـــام ١٥١٦ . وبينما مصر تعج بالاستعدادات لملاقاة العثمانيين ، وعم الخوف من لقائهم ، جـــاءت رسالة من خائر بك ، نائب الغوري في حلب ، ذكر فيها هذا ان السلطان سليم العثماني ينوي مهاجمة الشاه الصفوي اسماعيل وان الشاه المذكور جيَّش الجيوش لمقاتلة السلطان العثماني ، وانه لا مجال للخوف من هجوم عثماني على السلطنة المملوكية. والحقيقة ان خائر بك المشار اليه كان على اتفاق تام مع السلطان سليم العثماني ، وما قصد برسالته الآنفة الذكر إلا تثبيط همم الغوري وصرفه عن الاستعدادات القائمة وإقناعه بان العثمانيين لا يضمرون شراً للمماليك .

والاتصالات بين خائر بك ، نائب المماليك في حلب ، وبين العثمانيين ،

كانت قد بدأت منذ عهد السلطان بايزيد، اما الغوري فلم يركن كثيراً الى صحة ما جاء في رسالة خائر بك ، غير انه لم يشك بولاء خائر بك ، لذلك فانه ضاعف جهوده ، وأعلن انه سيقود الجيش بنفسه ، فعقد مجلساً عاماً سمى به قواده . قرر هذا المجلس ان يخرج السلطان الغوري على رأس هذه الحملة الى حلب ، ويتربص هناك لمراقبة الحـــالة عن كثب ويرى ما سيكون من أمر السلطان سليم واسماعيل الصفوي فان كل من انتصر على غريمه،سوف لا يتوانى عن الزحف على البلاد العربية . ثم وصلت رسالة اخرى من سيباي ، نائب الغوري في دمشق ، لتدعيم خيانة خائر بك ، ذلك ان هذا اتصل بسيباي وأقنعه لتوه بان العثمانيين لن يفكروا مطلقاً بحرب المماليك، وطلب من سيباي ان يكتب للسلطان الغوري لكي يطمئنه من هذه الجهة . قام سيباي بالمهمة وكتب للغوري يخبره بمـا قاله خائر بك وزاد على ذلك بان الغلاء قد اشتد وان الزرع لم يحصد بعد وان العليق قليل ، وان العثمانيين لم يتحركوا بعد ، كما انه لا داعي لسفر السلطان على رأس الحملة . ثم اذا اراد السلطان العثماني ان يتحرش بالجيش المملوكي فان ما في الشام من جند كفيل برده على أعقابه .

تسلم الغوري هذه الرسالة فلم تزده إلا امعاناً في الاستعداد وبالرغم من ان هذه الرسالة تشير من طرف خفي الى خيانة خائر بك ، يقول نائب دمشق « والذي يعلم مولانا السلطان ان خائر بك ملاجي علينا » إلا ان الغوري لم يلتفت لهذا القول .

خروج الحملة :

استعد السلطان الغوري الاستعداد الكامل ، وأمر عساكره بالخروج قبله فخرج الجيش بكامله وكامل معداته من القاهرة ، مقسماً الى خمسة عشر وحدة ، فضلاً عن العساكر الاضافية ، وتلا ذلك جيش السلطان الخـــاص بخزائنه المغطاة بالأقمشة من حرير أصفر ، ومحملة على رأس (٥٠٠) جمل ومن ضمن حمولتهـــا خزائن الذهب وآلات السلاح . ثم جاءته رسالة

ثانية من خائر بك تنم عن الخديعة التي دبرها السلطان العثماني وخائر بك ، فقد أوضح هذا بكتابه بأن رسولاً جاءه من قبل السلطان سليم للتفاوض بأمر الصلح بين الطرفين، وأرفق خائر بك رسالته هذه برسالة صادرة عن السلطان سليم كلها ألفاظ رقيقة منسقة يقول فيها إلى السلطان الغوري « أنت والدي وأسألك الدعاء واني ما زحفت على بلاد علاء الدولة إلا باذنك ، وكان قتله عين الصواب ، وأما التجار الذين يجلبون المماليك الجراكسة ، فاني ما منعتهم وإنما هم تضرروا من معاملتكم - العملة أو النقود - في الذهب والفضة ، فامتنعوا عن جلب المماليك إليكم ، وان البلاد التي أخذتها من علاء الدولة أعيدها لكم مع جميع ما تريدونه وترونه يريده السلطان فعلناه » .

استبشر السلطان الغوري بعد قراءة هذه الرسالة على قواده وأمرائه ، لكنه لم يتراجع بل سار بكامل الجيش بمعداته وتحفه حتى وصل لدمشق . وهناك نثر بعض تجار الافرنج الذهب والفضة على رأسه ، وفرش له نائبها (سيباي) شقق الحرير تحت حوافر فرسه ، ولما وصل لحماه ، احتفل به أيضاً نائبها ، جان بردي الغزالي أكثر من احتفال نائب دمشق ثم ترك حماه متوجهاً لحلب فدخلها في جمادى الأولى سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م وكان خائر بك يحمل القبة والطير على رأسه .

نزلت الجيوش المملوكية في منازل الحلبيين ، وقد ضاق بهم أهل المدينة بالنظر لما ارتكبوه من منكرات ، وكان لهذا العمل أسوأ تأثير لدى الحلبيين. وفي حلب استقبل الغوري بعثة عثمانية ، عاتبها على أفعال السلطان سليم وما ارتكبه بحق المماليك باعتدائه على إمارة دلغار . ورغماً من أن الغوري كان يدرك خديعة السلطان سليم له، لكن كسباً للوقت حتى تصله جميع امداداته بقيادة الوزير ، فانه لم يرد مقابلة السفراء العثمانيين بالجفوة أو اظهار التحدي ، بل ظل محافظاً على هدوئه ، مظهراً رغبته في السلم والصلح . وقد ذكر له الرسل ان السلطان سليم لا ينظر للسلطان الغوري إلا نظرته للوالد الذي يطلب

منه الدعاء كما انه يرجو ان لا يتدخل الغوري فيما بينه وبين الصفوي ، وأكدوا له ان العثمانيين ما قدموا إلا لحرب الشاه الصفوي وسوف لا يرجعون إلا بعد القضاء عليه . ثم عمل السلطان سليم على تدعيم حيلته بأن أرسل على يد مبعوثيه يطلب كمية من السكر والحلوى ، فأرسل له السلطان الغوري ، كما يقول ابن اياس ، مائة قنطار من السكر والحلوى ضمن علب كبار كما خلع السلطان الغوري على سفراء السلطان سليم ، وردهم إليه ومعهم كتاب منه ، يعرض فيه التوسط بالصلح فيما بينه وبين الشاه الصفوي ثم أرسل كاتم أسراره « الداودار الأمير مغلباي ليؤكد للسلطان سليم رغبته في الصلح وباهتمامه بامر الوساطة .

ولشدة رغبة الغوري في الصلح ، وتجنب الحرب ، أرسل سفيراً آخر ومعه هدية تقدر بنحو عشرة آلاف دينار للسلطان سليم كما أوعز بنفس الوقت إلى أحد القضاة لكي يجعل موضوع خطبته بالجامع الكبير بحلب ، يوم الجمعة، حول الأحاديث النبوية التي تحض على عدم تفرق المسلمين عن بعض . على ان السلطان الغوري لم يغفل عن أخذ الحيطة التي يقضي بها الوضع القائم بينه وبين العثمانيين ، فجمع أمراءه وحلفهم جميعاً ان لا يخونوه ولا يغدروا به ، فاقسموا الإيمان ثم استعرضهم بعد ذلك في الميدان وهم بكامل لباسهم وسلاحهم ، وأدخلهم تحت سيفين على هيئة قنطرة ، كما هي العادة ، وهذه معناها القسم العظيم على عدم الخيانة .

أما استقبال السلطان سليم العثماني لسفراء السلطان الغوري ، فكان أسوأ استقبال ، اذ قبض على مغلباي ورفض الضلح ، وكاد يشنق مغلباي لولا شفاعة بعض وزرائه، وعلم الأمير كرتباي ، الذي كان في طريقه الى السلطان سليم ، بما وقع لمغلباي، فعاد مسرعاً للسلطان الغوري، وذكر له ما انتهى اليه من أمر مغلباي . ثم وصلت الاخبار بأن العثمانيين تحركوا فعلاً ، ووصلت طلائع جيوشهم الى عينتاب واستولت على ملطية وكركر وغيرها من القلاع.

وإزاء هذه الاخبار عاد الغوري فحلف أمراءه ثانية بعدم الغدر به . أما الأمير سيباي ، نائب الشام ، فيظهر أنه كان على اطلاع بخيانة خائر بك نائب حلب لذلك ، والحرب توشك ان تدور رحاها ، هجم على خائر بك وامسك بتلابيبه صائحاً « يا مولانا السلطان إذا أردت ان تنتصر على عدوك باذن الله ، فاقتل هذا الغادر الخائن في الحال » لكن تدخل الخائن الثاني الغزالي ، نائب حماه ، اقنع السلطان الغوري بعدم الاصغاء لتهم برسباي نائب دمشق وذلك حتى لا يفت في عضد سائر الأمراء ، وهكذا ترك خائر بك طليقاً حراً ليتم دوره الشائن الذي بدأ به .

ويقول ابن اياس أن مغلباي سفير السلطان الغوري للسلطان سليم رجع في حالة نحس ، اقرع بزنط على رأسه وعلى بدنه كبر عتيق دنس ، وهو راكب كديشاً هزيلاً وأخبر السلطان الغوري بما حدث له ، وبما قاله له السلطان سليم « قل لاستاذك يلاقينا بمرج دابق » .

من المواقع الفاصلة في التاريخ

نادى السلطان الغوري بعسكره بالرحيل، وقبل أن يلحق الغوري بجيشه، كتب الى طومان باي ، نائب الغيبة في القاهرة ، يوصيه بالرعية ، والغريب في ذلك ان السلطان الغوري بينما يوصي نائبه بالرعية في القاهرة ، يتغاضى عما قام به جنده في حلب من اعمال مغايرة والتعدي على السكان ، ثم غادر حلب على رأس الحملة السلطانية في جمادى الثانية ٩٢٢هـ الموافق لآب من سنة ١٥١٦م ولما وصل الى مرج دابق ، احدى قرى بلدة اعزاز ، اخذ يرتب صفوفه مهيئاً الجيش للقتال بنفسه ، وأعطى أوامره بالاستعداد التام للمعركة .

وفي فجر يوم ٢٤ آب من سنة ١٥١٦ ، تقدمت الجيوش العثمانية ، وكان الغوري على أتم الاستعداد للقتال ، لكي لا يؤخذ على غرة ، وقد برز في موكبه الرسمي ، وهو على صهوة جواده ، وعلى يمينه الخليفة العباسي المتوكل

على الله ، وحول السلطان طائفة من الأشراف يحملون على رؤوسهم أربعين مصحفاً في أكياس من الحرير الأصفر ومنهـــا مصحف بخط الخليفة عثمان بن عفان ، ومن ورائهم مشايخ الطرق الصوفية تحف بهم أعلامهم الخاصـــة ، يقرؤون الاوراد ، وعلى بعد عشرين ذراعاً خلف السلطان الغوري ، رفرف العلم السلطاني ، مشى تحته مقدم المماليك والقضاة الاربعة ، وأمير زردكاش ، رئيس صاغ الاسلحة وعلى يمينه رئيس الميمنة سيباي الطيب وعلى الميسرة ، خائر بك نائب حلب ، وتولى القلب سودون المرجعي اتابك العسكر .

بدأت المعركة ببروز قائد القلب الاتابك سودان للقتال ومن بعده سيباي نائب الشام ، واستهلت بهجوم خاطف عنيف زلزل اقدام العثمانيين وانزل بهم خسارة فادحة ، حتى فكر السلطان سليم العثماني في الانكفاء وطلب الأمان، لـكي يعيد ترتيب صفوفه ، ويقال انه قتل في هذا الهجوم الـكاسح نحو / ٣٠ / الف من جنود العثمانيين . وفي هـــذه اللحظة الحرجة ، اشاع خائر بك ان السلطان الغوري أمر جنوده الخاصة بعدم القتال حتى يصدر لهم أوامر بذلك. وحتى يقاتل الجنود القرانيص وحدهم ، وهم المماليك القدماء . وبسبب هـذه الاشاعة فترت همة القرانيص ، ورأوا انهـــا خطة دنيئة من جانب السلطان أراد بهـــا ان يكونوا الطعمة الأولى لنيران العثمانيين . قال الجنود القراصنة بعضهم لبعض ان السلطان الغوري أراد الانتقـــام منهم بسبب ما سبق لهم وقاموا به بحق السلطان الغوري ، نحن نقاتل بانفسنا مـع النار والسلطان الغوري ينظر الينا بعين الشماتة ، لماذا لم يأمر احـــداً من مماليكه للخروج للميدان ؟ ثم زاد في تثبيط عزائم الجنود ، ان سودون الاتابكي قتل في ذلك الوقت ، كما قتل سيباي ، وتلا ذلك فرار جنود الميمنة والقلب بعد ان قتل اميرهما ، ثم فر خائر بك بجنود الميسرة . وقبل ان يظهر خائر بك الهزيمة أشاع اشاعة أخرى لا تقل عن الأولى أهميـــة ، مؤداها ان السلطان الغوري نفسه قد قتل . ثم صرخ « الفرار الفرار فان السلطان سليما احاط بـكم وقتل

السلطان الغوري والكسرة علينا « انهارت قوى المماليك إزاء هذه الاقوال ، مع ان السلطان الغوري كان ثابتاً في مكانه تحت السنجق السلطاني وحوله نفر قليل من مماليكه الخاصكية ينادي لوقف تيار الفرار باعلى صوته « **يا اغوات هذا وقت المروءة ، هذا وقت النجدة ، يا اغوات الشجاعة، صبر ساعة ...**» ولكن لم يستمع له أحد وصاروا يفرون من حواليه وهو يقول للفقراء «**ادعوا لله تبارك وتعالى بالنصر فهذا وقت دعائكم** » وانطلقت في قلبه جمرة نار لا تطفأ حينئذ خشي الامير تمراز الزردكاش على السلطان ، فشق طريقه اليـه واخذ العلم السلطاني وطواه وأخفـاه خشية ان يستولي عليه العثمانيون ، أو يعلموا مكان السلطان ، وقال للغوري « **يا مولانا السلطان ان عسكر ابن عثمان قد ادركنا، فانج بنفسك وادخل حلب** » فوقعت هذه العبارة على قلبه وقوع الصاعقة واصيب بالحـال بفالج بطل شقه وأرخى حنكه - أي فمه - على قول ابن اياس ، وطلب شربة ماء فأتوه بكأس ذهبية شرب منها ولوى عنان فرسه ليهرب ، لكنه سقط عن فرسه بعد خطوات جثة هامـدة من هول الهزيمة .

وسرى خبر وفاته بسرعة بين العثمانيين ، فواصلوا القتال ونهبوا العسكر المملوكي، واقام سليم في طاق الغوري واستولى على ما فيه من سلاح ومال وتحف وارزاق ونزل كل قائد من قواده في طاق مملوكي وكانت غنائمهم مما لا حصر لها. أما الغوري فيظهر ان احداً من مماليكه احتز رأسه وأخفاها حتى لا يعثر عليها السلطان سليم ودفنت جثته مع باقي الجثث

نتيجة المعركة

لجأت فلول الجيش المملوكي الهاربة الى حلب ، حيث انتقم منهم الحلبيون اشد انتقام ، بالنظر لما ارتكبوه في حلب أثناء اقامتهم بها حين حطت رحال الجيش المملوكي قبل الموقعة، من اعتداءات على السكان وهكذا طردهم الحلبيون، فساروا نحو دمشق في اسوأ حال ، وحين وصلوا الى دمشق تجمعوا ثم ساروا

نحو مصر ، فوصلوها جماعـات متقطعة ، وتعرضوا خلال الطريق لأذى العربان، وكان دخولهم للقاهرة في رمضان سنة ٩٢٢ هـ الموافق لتشرين الأول ١٥١٦ ميلادية .

هذه هي معركة مرج دابق الفاصلة التي غيرت معالم التاريخ في هذه البقعة من الشرق العربي ، وقلبت الحكم المملوكي العربي نوعاً ما ، وان كان ولاته من المماليك الاتراك ، الى حكم تركي عـثماني دام زهاء اربعة قرون كاملة من عام ١٥١٦ الى ١٩١٨ حين جلا الاتراك نهائياً عن مجموع البلاد العربيـة التي كانت تحت حكمهم .

وبعد المعركة، واصل السلطان سليم العثماني زحفه على سوريا ولبنان فدخل حلب دخول الظافرين وامن اهلها وخطب له خطيبها في المسجد الكبير ولقبه بخادم الحرمين الشريفين ، فسر السلطان سليم من هذا اللقب ، وخلع على الخطيب ، واقام في حلب ، وعدل في أهلها وفي أُمورها واحكامها وكانت وطأة العثمانيين أقل بكثير من وطأة السلاطين المماليك .

واصل السلطان سليم زحفه ، فأتى لحمـاه ثم لحمص ثم سار نحو دمشق ، فخرج اهلها لملاقاته طالبين الأمان ، فأجابهم لذلك وضبط حصونها ومهد أُمورها وجاءه الأمير فخر الدين المعني ومعه جمـال الدين التنوخي وعساف التركماني ، ولما دخلوا عليه قبل الأمير فخـر الدين الارض أمامه ودعا له بهذا الدعاء :

« اللهم ادم دوام من اخترته للملك ، وجعلته خليفة عهـدك ، وسلطنته على عبادك وارضك ، وقلدته سنتك وفرضك ، ناصر الشريعة النـيرة الغراء ، وقائد الأمة الطاهرة الظاهرة سيدنا وولي نعمتنا أمير المؤمنين، الإمام العادل، والذكي الفاضل الذي بيده أزمة الأمر بادشاه ادام الله بقاءه في العز الدائم ابقاه ، وخلد في الدنيا مجده ونعماه ، ورفع الى القيامة طالع سعده ، وبلغـه

مأموله وقصده ، اعاننا الله بالدعاء لدوام دولتـــه بالسعد والتخليد والنعم والتمهيد ، آمين » .

أُعجب السلطان سليم بهذا الدعاء وبشخصية الأمير فخر الدين وبإخلاصه، فخلع عليه لقب سلطان البر واقره كما اقر سائر الأمراء اللبنانيـــين معه على اقطاعهم وسمح لهم بممارسة استقلالهم وامتيازاتهم التي كانوا يمارسونها في حكم المماليك ولم يفرض عليهم سوى جزية طفيفة . ثم واصل السلطان سليم زحفه نحو القدس الشريف فزارها بمفرده ورجع لعسكره بعد أن استسلمت المدينة لحكم العثمانيين .

كان المماليك الجراكسة ، في القاهرة ، حين وصلت فلول جيش السلطان الغوري منهزمة ، وعلموا بموته في الموقعة ، أقاموا نائبه طومان باي سلطاناً ولقبوه بالملك الاشرف . جمع طومان باي العسكر وخرج إلى الريدانيـــة ، ونصب المدافع مستعداً تمـــام الاستعداد لملاقاة العساكر العثمانية الزاحفة على مصر. أما السلطان سليم العثماني ، الذي واصل زحفه على مصر مخترقاً صحراء سيناء ، فقد أرسل جواسيسه الى معسكر السلطان طومان باي لكشف أحوال المماليك . ثم زحف على القاهرة من وراء جبل المقطم حيث لاقـــاه طومان باي بعساكره ونشبت معركة كبرى بين الطرفين استبسل فيها طومان باي واشترك في هذه المعركة السلطان سليم أمام السلطان المملوكي ، واستطاع طومان باي أن يذبح الصدر الأعظم العثماني بيده، وكانت الخسائر من الجانبين فادحة ، لكن العثمانيين حملوا على العسكر المملوكي حملة عنيفة ، زلزلت أقدام الجراكسة ففر معظمهم وقتل الباقون حتى بقي طومان باي يقاتل تقريبـــاً لوحده في نفر قليل من خلصائه ، لكنه أخـــيراً طوى السنجق السلطاني وأركن للفرار واختفى .

الخليفة المتوكل على الله

لم يتحرش السلطان سليم بالخليفة العباسي بل صحبه في حملته على مصر مع

وزرائه وخائر بك وقضاة الشرع الأربعة الذين قبض عليهم في موقعة مرج دابق . شق موكب الخليفة والقضاة المدينة وأمام الموكب المشاعلية تنادي بالأمان لتهدئة الناس ، لكن بالرغم من هذا الامان ، قام العسكر العثماني بنهب القاهرة ، وظل السلب والنهب ثلاثة أيام . وبعدها خطب الخطباء في مختلف مساجد القاهرة بقولهم « اللهم انصر السلطان بن السلطان ملك البرين والبحرين ، وكاسر الجيوش ، وخادم الحرمين الشريفين الملك المظفر سليم ، اللهم انصره نصراً عزيزاً ، وافتح له فتحاً مبيناً ، يا مالك الدنيا والآخرة يا رب العالمين » .

أما طومان باي فقد فر إلى البهنا وظل يكافح بما تيسر له من وسائل وتمكن من منع وصول الغلال الى القاهرة فعم فيها الغلاء ، والتف حوله الكثيرون من أبناء الصعيد فقويت شوكته لكنه أدرك استحالة النصر النهائي على جنود العثمانيين ، فأرسل للسلطان سليم يفاوضه عارضاً عليه ان يكون نائبه في مصر بعد ان يرحل عسكره عن البلاد ويرحل معه ، وان تكون الخطبة والسكة باسمه . وقد قبل السلطان سليم العرض وأرسل نص المعاهدة للخليفة ليقوم بنفسه بتسليمها لطومان باي ، فاعتذر الخليفة العباسي ، اعتذر وأناب عنه لداودار الخاص بربر بك ، فخرج هذا ومعه وفد عثماني ، وقبل وصوله هاجمه الجراكسة وقتلوا المندوب العثماني وهرب بربر بك .

وحين وصلت الأخبار للسلطان سليم تأثر جداً ، وأيقن ان طومان باي يعمل لخداعه وضرب أعناق الجراكسة الذين لديه واستعد للحرب . وازاء هذه الأخبار لم ير طومان باي من سبيل إلا الحرب فزحف بجنوده الى الجيزة حيث قابلهم السلطان سليم بعساكره ونشبت المعركة على جانبي النيل بالنبال والرصاص من البنادق وفوجيء طومان باي بهجوم العربان على مؤخرته ، الأمر الذي اضطره للتراجع الى طريق الاهرام ، مما أتاح للجنود العثمانيين عبور نهر

النيل ، والتقى الجيشان قرب « وردان » في أول يوم من شهر نيسان ١٥١٧، ودارت معركة حاسمة بين الطرفين استمرت يومين كاملين ، لكن الهزيمة حلت أخيراً بالمماليك ، وانتصر العثمانيون ، وهرب طومان باي الى مضارب حسين مرعي ، من شيوخ العربان ، لما له عليه من دالة ، إذ سبق للغوري ان سجن شيخ العربان هذا ، فأطلقه طومان باي وأحسن اليه .

لكن حسين مرعي طمع بالجائزة التي خصصهـا السلطان سليم لمن يأتيه بطومان باي ، فأرسل للسلطان سليم يعلمه بالتجاء طومان اليـه ، وهكذا أرسل السلطان سليم جنـده فألقوا القبض على طومان باي وقيدوه بالحديد وتشتت انصاره ، وهكذا كافاه حسين مرعي ...

بين طومان باي والسلطان سليم

دخل طومان باي على السلطان سليم العثماني وهو في زي العربان وعلى رأسه زنط وعليه لنش ، وعلى بدنه ملوطة – قباء بأكام طوال – فقام له السلطان سليم ودعاه للجلوس ، ثم أخذ يتأمله معجباً بشجاعته وفروسيته ثم عاتبـه واتهمه بقتل رسله الذين أرسلهم لمفاوضته بالصلح ، فنفى طومـان باي التهمة عنه : وظل محتفظاً بشجاعته ووقاره، وافاض بأن مواقفه كانت بغاية العدل وانه في مقام الدفاع عن نفسه وعن شرفه العسكري وشرف بلاده يقضيان عليه الوقوف هذا الموقف مهما كلفه الامر ثم أضاف أنه لولا مـا جرت به المقادير بأن دولتنا زالت وادبرت ودولتكم جاءت وأقبلت ، مـا قدرت لا انت ولا غيرك على أخذ بلادنا بالقوة والشجاعة فلا أنتم اشجع ولا أقوى منا وقد رأيتم ما فعلنا مع عسكركم وكسرتهم كذا وكذا ...

امتلأ السلطان سليم اعجاباً بحديثه وشجاعته وقال له : « والله ما كان قصـدي اذيتك ونويت الرجوع من حلب ، ولو اطعت من الأول وجعلت السكة والخطبة باسمي ما جئت ولا دست بلادك « فأجابه طومـان باي »

الأنفس التي تربت بالعز لا تقبل الذل ، هل لو أرسلت لك وأمرتك ان تكون تحت أمري ، هل كنت ترضى ذلك ؟ وهل سمعت بأن الأسد يخضع للذئب ؟ لا أنتم افرس منا ولا اشجع منا ، وليس في عسكرك من يقايسني في حومة الميدان ولكن أنا اعرف انه ما اضر عليك من هذين الشيطانين الخائنين، وأشار الى خائر بك والغزالي فانهما لو كان فيهما خير لكان لنا .

لم يسع السلطان سليم ازاء قوة الحجة وسلامة المنطق الا ان يعبر عن اعجابه بما قاله طومان باي فأجابه « والله مثل هذا الرجل لا يقتل ، ولكن أخروه في الترسيم في الحجز ، حتى ننظر بأمره . ثم شاع بين الناس ان السلطان سليم سوف يبقي على طومان باي ؛ ويأخذه معه للقسطنطينية ، أو يرسله منفياً الى مكة مدى حياته . غير ان الغزالي وخائر بك ، اضطرب أمرهما وأخذا يدبران لتحريض السلطان سليم على قتل طومان باي بحجة ان لا بقاء لملكه ما دام طومان باي على قيد الحياة ، واقتضت الوقيعة ان يكتبا ورقة للسلطان سليم من غير ان يعلم بها وزراؤه اذ ان أغلب وزرائه كانوا غير راضين عن معظم الخطط التي دبرها ونفذها خائر بك ، ومما جاء في هذه الورقة « فليعلم مولانا السلطان ان أهل مصر الذين تشتتوا من الجراكسة ، لم يصدقوا ان سلطانهم عجز وسلم نفسه للسلطان سليم وخوله القبض عليه بإرادته وكذلك أهل الأقاليم والعربان ، وليعلم مولانا أيضاً انك متى أبقيت عليه فقد ضيعت تعبك وسفرك وهلاك عسكرك وأموالك ، فانه بمجرد ان تسافر من هذه البلاد ، لو كان تحت الارض خرج منها وافسد عسكرك بالعطاء . فان أردت ان تطيعك الممالك والبلاد وتحتوي على جميع الاقطار من غير مانع يمنعك ولا دافع يدفعك عنها ، فعجل بهلاكه واصلبه على باب زويلة ليراه الخاص والعام وييأس الناس من بقائه .

اعدام طومان باي

وأخيراً وافق السلطان سليم على إعدام طومان باي ، وفي يوم الاثنين

الواقع في ١١ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ نيسان ١٥١٧ م ، أخرج طومان باي من حبسه في أنبابه وسط حرس عدته ٤٠٠ جندي وساروا به حتى بولاق ومنها إلى باب زويلة ، وقد أخبره أحد الجنود بقرار السلطان سليم باعدامه شنقاً في باب زويلة ، فلم يظهر أي خوف ، وظل سائراً وسط حراسه مرفوع الرأس ، حتى اذا وصل لباب زويلة أنزل عن فرسه وأرخى له المشاعلي حبل المشنقة ووضعه حول عنقه وهنا دعا السلطان طومان باي الملأ الذي اجتمع حوله أن يقرؤوا له الفاتحة ثلاث مرات ، ثم بسط يده للسماء وقرأ الفاتحة عن نفسه في صوت مسموع ، ثم التفت للمشاعلي وقال له « أعمل شغلك » فشد هذا الحبل في عنقه وسحب الكرسي من تحت رجليه ، لكن الحبل انقطع وسقط آخر **سلاطين المماليك في مصر والشام ميتاً على باب زويلة** ، وصرخ الناس صرخة مدوية تفيض حزناً وأسفاً . وقد أعاد المشاعلي الجثة وعلقها بالحبل وظلت معلقة ثلاثة أيام ، ثم دفنت بحوش المدرسة التي بناها السلطان الغوري .

وقد وصف ابن اياس هذا المشهد الأخير من قصة الامبراطورية المملوكية ، وسيرة طومان باي مما يعبر عما ملأ النفوس من حزن وأسى ، وما آل إليه أمر مصر والشام من تبدل وتحول ، ولم ير في ذلك سوى ان هذا ما جرت به المقادير ، على انه حز في نفسه ان مصر والشام أضحت كل منهما ولاية تابعة ، بعد ان كان سلاطينها من أعظم السلاطين قاطبة باعتبار أن كل سلطان خادم للحرمين الشريفين وحامي ملك مصر الذي افتخر به فرعون من قديم الازمان . وقد افاض في التعبير عن حزنه لوفاة السلطان طومان باي الذي جاهد جهاد الابطال ودل في جهاده على انه قمين بان يفوق من تقدمه من ابطال التاريخ .

نهاية امبراطورية

وهكذا انتهت الامبراطوريات العربية وغابت عن الوجود السياسي ، بعد

ان استمرت نحو عشرة قرون وانتقلت من المدينة للكوفة ثم لدمشق فبغداد فالقاهرة ، واستمرت ايضاً في القاهرة مئات السنين ، وتمكن سلاطينها من الوقوف في وجه الصليبيين حتى اجلوهم عن البلاد الاسلامية نهائياً ، ولكن بخيانة الخائنين ، قضى السلطان سليم على الامبراطورية العربية ودخلت هذه الامبراطورية في طور النسيان ولم يتيسر لها الوقوف ثانية الا بعد زهاء اربعة قرون .

العهود العثمانية

كان نصيب طرابلس في خلال العهد العثماني ، اي طيلة اربعة قرون نفس نصيب باقي البلاد الشامية ، فقد خضعت طرابلس خلال هذه السنين الطويلة لدمشق ثم استقلت فترة من الزمن ، ثم عادت فتبعت دمشق ثم بيروت ولم تزل .

ويحتوي تاريخ طرابلس في هذه الفترة من الزمن على المراحل الآتية :

١ – الاحتلال العثماني من ١٥١٦ .

٢ – الاحتلال المصري سنة ١٨٣٢ .

٣ – جلاء المصريين عن طرابلس سنة ١٨٤٠ .

٤ – رجوع الحكم العثماني حتى سنة ١٩١٨ حين جلا العثمانيون عن الوطن العربي .

٥ – عهد الانتداب من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٤١ حين اعلن استقلال سوريا ولبنان .

٦ – عهد الاستقلال ادامه الله .

١
طرابلس في العهد العثماني الاول

•

بداية حكم العثمانيين

على اثر انتصار السلطان سليم العثماني على السلطان قانصوه الغوري المملوكي في موقعة مرج دابق ، على ما فلصلناه سابقاً ، استسلمت كافة البلاد الشامية للسلطان سليم ، فاستسلمت أولاً حلب وحل الفرح والسرور بين اهلها بالنظر لانتهاء الحكم المملوكي فقد سبق لجنود المماليك ان عاثوا فساداً بالبلاد وتعدوا على الاهلين ، لذلك استقبل الحلبيون الجنود الاتراك احسن استقبـال . وقد تبعت حلب حماه وحمص، ثم طرابلس وبيروت وصفد ونابلس والقدس وغزة، ولم يعد هناك أية مقاومة للاحتلال العثماني. وحين رجع السلطان سليم من مصر، توقف قليلاً في دمشق لينظم شؤون الحكم في الشام ، ورغبة منه في تنظيم شأن الضرائب ، عين مجلساً مخصوصاً ، اناط به مسح الاراضي ، على ان يحتفظ للتاج العثماني بقسم كبير من سهل البقاع المخصب ووادي العاصي . ثم استمر على تنفيذ القوانين التي كانت تتبع خلال الحكم المملوكي، من تلزيم جباية الضرائب على طريقة المزايدة . ثم أمر باتخاذ المذهب الحنفي – المذهب الذي سبق للعثمانيين ان اختاروه ليكون اساساً للشرائع والقوانين ، مذهباً للحكم به امام جميع المحاكم في القطر الشامي بمجموعه . وقد كلف احد فقهاء المذهب الحنفي في حـــلب ، وهو الشيخ ابراهيم الحلبي ، ليضع كتـاباً في الفقه

الحنفي ، فوضعه واطلق عليه اسم «ملتقى الابحر» وأمر السلطان سليم بان يكون هذا الكتاب مرجعاً للتشريع في الامبراطورية العثمانية باجمعها .

ابقى الاتراك على الدوائر الادارية في البلاد الشامية ، على ما كانت عليه في عهد المماليك وبدلوا شيئاً طفيفاً بها في نظام تسمية الوظائف فعينوا نيابة الولاية وعرف النائب بالوالي ، ثم اصطلح فيما بعد على لقب المتصرف ويلي الوالي وصار لقب الوالي يليه اسم التعظيم بلقب «باشا» وهكذا صار للباشوية والولاية مدلول واحد . ثم جرى تقسيم الشام الى ثلاث ولايات،ولاية دمشق وتشتمل على القدس ونابلس وغزة وتدمر وصيداء وبيروت،ثم حلب وتشتمل على شمالي سوريا ، ثم طرابلس وتشتمل على حمص وحماه وجبلة وسليمية واللاذقية وطرطوس . وقد جعلت صيداء فيما بعد ولاية في عام ١٦٦٠ لكي تكون مركزاً للرقابة على لبنان .

ولاة طرابلس قبل الاحتلال المصري

سنأتي فيما يلي على اسماء ولاة طرابلس قبل مصطفى بربر وقبل الاحتلال المصري ذاكرين كل ما عثرنا عليه من حوادث خلال مدة حكمهم مع ذكر تاريخ تعيينهم وتاريخ عزلهم عن ولاية طرابلس .

مدة الولاية	اسم الوالي
١٥١٧ – ١٥٢٠	تولى على طرابلس ابن ادريس البدلسي وهو اول وال تركي أو من العثمانيين الاتراك بعد احتلالهم للشام
١٥٢٠ – ١٥٢٣	فرحان بك – بقي هذا الوالي في طرابلس ثلاث سنوات
١٥٢٣ – ١٥٢٣	محمد آغا شعيب
١٥٢٣ – ١٥٤٩	الامير منصور عساف التركماني

كان محمد آغا شعيب من مدينة علاقة المندثرة اليوم والواقعة في جوار طرابلس ، شرقاً ، شمالاً . استأجر ايالة طرابلس من نواب الدولة العثمانية وراح يلزم ملحقاتها ، جبة بشري والكورة والضنية ، وبلاد البترون ثم جبيل، الى الأمير منصور حاكم غزير وكسروان. وسنة ١٥٢٨ تقاتل الأمراء آل شعيب وولاة طرابلس والأمراء آل سيفا التركمان ، اصحاب عكار ، فانكسر السيفيون ، وانهزموا لائذين بالامير قرقماز المعني حاكم الشوف ، في قرية الباروك ، فاجارهم . ثم انتصر لهم الامير منصور المذكور واصحبهم بثلاثماية مقاتل الى عرقا فدهموا الشعيبيين وقتلوهم وتولوا بلاد عكار. فحنق محمد آغا شعيب على الأمير منصور وأرسل يغرمه. فأوفد اليه هذا عبد المنعم وأولاد حبيش ، المشايخ الموارنة ومعهم خمسماية مقاتل . وكمنوا عند حارة النصارى في طرابلس ، ودخل وفد الأمير الى جامع طينال لإجراء الحساب أمام القاضي ، وهناك وثبوا عليه وقتلوه هو وابنه منصور ، ورشوا القاضي فأفتى انهم ابرياء من قتله . وفي عام ١٥٧٩ وشي بالامير عساف للباب العالي لقتله ابن شعيب، كما مر، فرسم السلطان ان تكون طرابلس باشوية ، كسر الشوكة الامير منصور ، وعين على طرابلس أول باشا وزير ، الامير يوسف سيفا التركماني فحكمها حوالي ٤٥ سنة متقطعة متراوحة بين السنين ١٥٧٩ — ١٦٢٤ حيث توفي وزيراً جليلاً .

١٥٤٩ حسن بك

١٥٧٤ — ١٥٧٩ الامير منصور العسافي

في سنة ١٥٧٠ حدثت فتنة بين المقدم رزق الله وبين اخيه عشينا بالنظر لان عشينا كانت أعماله مشينة ، فوبخه أخوه رزق الله ، فانتقل على أثر ذلك عشينا الى حصرون ، وأخذ يتهدد أخاه بالقتل. ثم تصالحا على يد أهل الخير، ورجع عشينا الى بشري ، لكنه لم يكف عن أعماله السيئة ، فقدمت سعاية به الى نائب طرابلس ، انه نهب قافلة عند المسقية . وفي ذات يوم دعاه اخوه

رزق الله اليه الى البرج ، حيث اقام كميناً له من أهالي الضنية ، ولما دخل عشينا الى البرج ، وثبوا عليه من الكمين وقتلوه . اما صاحب القافلة فقد طلب اسلابه من المقدم رزق الله، فلم يحصل له عليها، فحنق عليه وبعد أيام ذهب المقدم رزق الله الى طرابلس لأمر ما فرصده صاحب القافلة ، حتى إذا دخل الحمام ، رشا حارس الثياب ، وختم طرف الثياب بالعلامة التي كانت على قماشه ولما خرج من الحمام ، أمسكه صاحب القافلة بيده ، وقال له يا مقدم أيحل لك سلب مال المسلمين ، فأجابه منكراً ذلك ، فأخذه إلى القاضي وادعى عليه مستشهداً بالعلامة التي على عمامته ، فأمر القاضي ووالي طرابلس ان يجروه بأذناب الخيل ، فجروه بها حتى مات .

وفي عام ١٥٧٩ تقدمت شكوى مجدداً للدولة العلية بحق الأمير عساف لقتله محمد آغا شعيب ، حاكم طرابلس وأمراء فتقا وغيرهم من الأكابر . وفي سنة ١٥٨٤ ، بينما كان رسل السلطان مراد سائرين بخزينة الأموال الأميرية في جون عكار بطريقهم الى اسلامبول ، وثب عليهم قوم من تلك النواحي ونهبوا أموال الخزينة . ولما بلغ الأمر مسامع السلطان ، أمر جعفر باشا الطواشي والي طرابلس ان يجمع العساكر ويقبض على يوسف باشا ، فجمعهم وسار بهم إلى عكار ، فلما بلغ ذلك يوسف باشا ، فر إلى البرية ، فحرق جعفر باشا عكار، وكان جعفر باشا قد غدر بثلاثة من أمراء الدروز، اعتقلهم وساقهم إلى دار السعادة .

١٥٧٩ — ١٥٨٠ يوسف باشا سيفا

١٥٨٠ — ١٥٨٤ جعفر باشا الطواشي

أرسل الوالي جعفر باشا الطواشي عدداً كبيراً من الأمراء الى اسلامبول متهمهم بحوادث سلب خزينة الدولة كما مر أعلاه فبرأ هؤلاء أنفسهم مما اتهموا به فاطلق سبيلهم وعادوا لطرابلس بعد ان أنعم عليهم السلطان بمناصب .

١٥٨٤ – ١٥٨٥ يوسف باشا سيفا

١٥٨٥ – ١٥٩٠ الامير محمد العسافي

تقلد الامير محمد العسافي ولاية طرابلس واستقر بمنصبه بضع سنين حتى قتل في عام ١٥٩٠ في المسيلحة ، وذلك انه جند عسكراً لقتال يوسف باشا سيفا في عكار ليسد المال الاميري للدولة والذي كان مكسوراً عنده فاحس يوسف باشا سيفا بذلك ونصب كميناً بين البترون والمسيلحة ، ولما وصل والي طرابلس الامير محمد العساف للكمين ، هجمت عليه العسكر وقتلوه مع قسم كبير من جنده وبقتله انقرضت سلالة العساف .

١٥٩٠ – ١٥٩٣ يوسف باشا سيفا

١٥٩٣ – ١٥٩٣ حسين باشا البلجي

١٥٩٣ – ١٦١٥ حسين باشا سيفا

في سنة ١٥٩٨وقيل سنة ١٥٩٥ كانت الواقعة بين الامير فخرالدين قرقماز المعني ، وبين يوسف باشا في نهر الكلب ، بسبب ولاية كسروان ، فانكسر يوسف باشا وتشتت عسكره ، وقتل ابن اخيه الامير علي ، وتولى الامير فخر الدين على بيروت وكسروان وذلك خلال سنة واحدة ثم عاد الى الشوف .

طرابلس في القرن السابع عشر

في سنة ١٦٠٢ ، سار يوسف باشا الى بلاد بعلبك ، لقتال الحراشفة ، لانهم دهموا جبة بشري ، فكسرهم ونهب بلادهم واحرق حدث بعلبك وعاد غانماً.كان يوسف باشا كثير الاعداء ان كان في الداخل او الخارج بحيث لم يتركه اعداؤه يرتاح مطلقاً كان من بين هؤلاء الاعداء ، علي باشا جنبلاط والي حلب ، الا ان عداوتهما لم تظهر قبل اشهار علي باشا عصيانه على الدولة

العثمانية . ومن أعداء يوسف باشا أيضاً ، الأمير فخر الدين المعني ، فقد تقاتل واياه عند جبلة وانكسر عسكر يوسف باشا. وفي سنة ١٦٠٧ جرت حروب متعددة بين يوسف باشا وبين علي باشا جنبلاط ، فاستنجد علي باشا جنبلاط بالأمير فخر الدين المعني ، فانجده هذا بعدد من الجنود والتقى العسكران في أرض عواذ بالقرب من حمـــاه وحمي القتال بين الطرفين ، فانكسر عسكر يوسف باشا وتراجع بعسكره ، لكن الأمير فخر الدين لحق به ، ولم يمكنه من الدخول لطرابلس ، فانهزم بحراً إلى بلاد حارثة ، وأغاثه الأمير أحمد طرباي ، وأرسله الى دمشق . ولما بلغ علي باشا ما حدث ، كتب إلى الامير فخر الدين يستنجده ، وحاصر يوسف باشا في دمشق ، ولما ضاقت به الحال، دفع لعلي باشا مائة الف قرش، ليرضى عنه ، فقبلها وخصص علي باشا الامير فخر الدين بجانب من هذا المال فلم يقبله. وهكذا خرج يوسف باشا الى حصن الاكراد بالامان . ولما تولى علي باشا على حلب ، وعصى على السلطان أحمد ، أرسل عليه السلطان عسكراً كان سردارهم يوسف باشا ، فالتقى الطرفان وكان علي باشا على رأس ثمانين الفاً من الجنود ، لكن عسكر السلطان أحمد ربحوا الموقعة وفتحت العساكر طريق حلب ودخلتها ورجع يوسف باشا إلى عكار فائزاً .

وفي سنة ١٦١٣ مات رعد بن خاطر الحصروني مسموماً ، وكان حاكماً على جبة بشري ، فأقام يوسف باشا والي طرابلس شلهوب الحسيناتي حاكماً على جبة بشري . كان لرعد المذكور ثلاثة اخوة ، نعمة وداود وجرجي ، زاحموا شلهوب على المركز ، فسعى شلهوب الحسيناتي لدى الحاج سليمان المكي، كاتب ديوان طرابلس لدى يوسف باشا ، وبمساعي الحاج سليمان المذكور قبض والي طرابلس على نعمة وداود خاطر وسجنهما ، واطمعهما بولاية الجبة ، حتى استخرج منهما مخلفات والدهما . ولما حصل منهما على مبتغاه ، أمر بحملهما ليلاً الى قبور الغرباء حيث جرى خنقهما والقيت جثتاهما في بئر الازهري . أما

المقدم شلهوب الآنف الذكر ، فقد تمكن من القبض على الأخ الثالث جرجي وغرقه في محلة رأس النبع في طرابلس . وبقي المقدم شلهوب مقدماً على الجبة إلى أن قتل .

١٦١٥ – ١٦١٦ حسين الجلايلي
١٦١٦ – ١٦١٨ يوسف باشا سيفا
١٦١٨ – ١٦١٨ عمر باشا الكاتنجي
١٦١٨ – ١٦١٩ يوسف باشا سيفا
١٦١٩ – ١٦١٩ حسين باشا الجلايلي
١٦١٩ – ١٦١٩ حسين باشا السنتجي
١٦١٩ – ١٦٢١ يوسف باشا سيفا
١٦٢١ – ١٦٢٢ عمر باشا الكاتنجي
١٦٢٢ – ١٦٢٣ يوسف باشا سيفا
١٦٢٣ – ١٦٢٤ عمر بك بن يوسف باشا سيفا
١٦٢٤ – ١٦٢٤ يوسف باشا سيفا
١٦٢٤ – ١٦٢٤ الامير قاسم سيفا ابنه
١٦٢٤ – ١٦٢٥ مصطفى باشا اسكندر

في سنة ١٦١٨ أمرت الدولة عمر باشا الكتنجي والي طرابلس،باستحصال المال الاميري من يوسف باشا ، وكتب عمر باشا للامير فخر الدين يستنجد به فلباه وأتى الأمير بعسكر الى تولا،وقيل قبولا في الضنية ،وعرف يوسف باشا بما كان ، ففر ليـلاً الى قلعة الحصن ، فغنم الأمير ماله وأحرق داره ، ثم حاصره ، فتضايق يوسف باشا واستنجد بوالي دمشق وبوالي حلب ، فأنجداه وقدما الى حماة ، وكتبا الى عمر باشا والي الأمير وطلبا رفع الحصار ، فلم يقبلا حتى دفع لهما يوسف باشا ماية الف قرش وكتب يوسف باشا ايضاً للأمير

فخر الدين صكاً بماية الف قرش اخرى ونظم بين الطرفين صك ابراء ذمة . وهكذا رفع الحصار عن يوسف باشا وعاد لولايته في طرابلس وفي عام ١٦١٩ ارسل الأمير فخر الدين مدبره الى دمشق ومعه عشرة آلاف قرش ملتمساً ان تكتب عليه ايالة طرابلس ، فلم يقبل والي دمشق بل ولى عليها حسين باشا الجلايلي ، ثم أمر الوزير بان تهدم قلاع طرابلس التي بيد يوسف باشا سيفا وتضبط ارزاقه ، فلما بلغ يوسف باشا ذلك ، أرسل ولده الامير حسن الى الأمير فخر الدين يسترضيه ، فالتقاه الامير فخر الدين بالبشاشة وتراضيا ، وتزوج الأمير علي المعني بكريمة الأمير حسن كما تزوج الامير بلك ، شقيق الأمير المشار اليه بكريمة الامير علي الاخرى ، ثم دخل مدبرو يوسف باشا على علي باشا ودفعوا له ثلاثين ألف قرش وللدولة مائتي ذهب لتقرير الولاية على يوسف باشا ، فتقررت وعزل عنها حسين باشا الجلايلي الذي كان تولاها سابقاً واستعيض عنه ثانية بحسين باشا السنتجي فأرسل الباشا المذكور مصطفى آغا الى الامير فخر الدين وطلب اليه ان يتحول على يوسف باشا بالمال ، فنهض الامير للتحول عليه ونزل على برج البحصاص ، خارج مدينة طرابلس ، وانتقل يوسف باشا الى جبلة ، وسار إليه ولده الأمير حسن ، وباع برضى والده الى الأمير فخر الدين جميع ممتلكات آل عساف التي في بيروت وانطلياس وغزير ، فلما تسلم الأمير فخر الدين صك المبيع ، كتب ليوسف باشا يطلب منه مال السلطان المتحول فيه ، فامتنع يوسف باشا عن الدفع ، واستنجد بسليمان باشا والي عكا وبعربان حمص والبقيعة وتركمانها ، كما استنجد الأمير فخر الدين بالأمير علي الشهابي الذي نهض لنجدته ، وحاصر الأمير فخر الدين طرابلس ، وكان معه ثمانمائة مقاتل ، فملك طرابلس ووضع الحصار على القلعة ، فلم يتمكن منها ، فنازل الابراج وقتل حاميتها . أما سليمان باشا ، فانه ارسل ماية رجل للصلح بين الأمير فخر الدين ويوسف باشا ، وفي غضون ذلك ، جاء العربان والتركمان لنجدة يوسف باشا ، فانكاد الأمير فخر الدين وخرج إليهم ، وتلاحم الفريقان عند نهر البارد ، وقتل من الجانبين خلق كثير . وفي أثناء ذلك قدم مصطفى

آغا قبوجي بتشي ومعه خلعة للأمير فخر الدين وكتاب برفع الطلب عن يوسف باشا وجاءت خمس سفن حربيـة لاسعاف يوسف باشا ولما بلغ الأمير ذلك ، قام عن طرابلس ورجع لبلاده .

وقيل ان الدولة لم تأمر برفع الطلب عن يوسف باشا إلا لأنه عرض عليها ان الأمير فخر الدين لا يقصد تحصيل المال ، بل امتلاك القلعـة ، واستشهد بحصاره لها ، وانه من حوادث هذا الحصار ، انه بينما كان بعض فرسان الأمير يغسلون ثيابهم عند النهـــر ، خرج إليهم فرسان الابراج واختطفوا افراسهم فاقتتلوا واياهم ، وعندها أمر الأمـــير فخر الدين بهجوم ثمانمائة من السكان على المدينـــة ففعلوا ، ولما دنوا من المدينة ، اطلق عليهم سكان الابراج الرصاص ، فقتل منهم اربعة ، غير ان احد أُولئك الفرسان تسلق السور ونزل الى المدينة ، وتبعه تسعة من رفاقه ، فهرب بنو حماده محافظو البلد ، ودخلوا القلعة وتحصنوا فيها ، وأتى رجال الأمير فحاصروا دار حسين باشا سيفا ، وهي بالقرب من القلعة ، فقتل من المحاصرين اربعة احدهم قائـــد ، ودخل الأمير البلدة وشدد الحصار على القلعة على حسين باشا الذي كان تحصن فيها ، واستحضر الأمير مركبين فرنسيين ، واقام فيهما خمسين رجـــلاً من السكان ليمنعوا دخول الميرة من البحر الى البلدة .

أما حسين باشا فقد ظن في احد الايام ، بأن الأمير في ايوان داره فأطلق على الدار ثلاثة مدافع وهدم الترس، ولم يكن الأمير في الدار،فلما علم بذلك، قال انهم يريدون هدم دارهم وانا أولى بهم ، ثم خرج من الدار وهدمها للأرض .

وروى بعضهم ، ان الأمـــير موسى الكردي ، وهو من الذين اسكنهم المرحوم السلطان سليم العثماني في الكورة ويعرفون بأمراء رأس نحاش الاكراد، أتى دار آل سيفا ، وهو آنئذ منزل الأمير فخر الدين ، وتبين الى الأمير انه آت للتوسط بالصلح بينه وبين حسين باشا ، وشاهده في الايوان ، فاخـــبر

الباشا وجرى ذكر الصلح . لكنه بعد ذلك أتى مندوب السلطان واذن برفع الحصار عن طرابلس ، وكان الباشا قد تعهد بدفع المال بعد ثلاثة ايام من انصراف الأمير عنه . ولما رفع الحصار ، تهاون في دفع المطلوب، وما عتم ان تصالح يوسف باشا والأمير وزوج الباشا ابنه من ابنة الأمير .

وفي سنة ١٦٢٢ ، وقيل سنة ١٦٢١ ، عزل يوسف باشا عن ايالة طرابلس وتولاها عمر باشا الكاتنجي ، فكتب الخلف الى الأمير فخر الدين يطلب منه ان ينجده ليحصل من يوسف باشا المال الاميري المكسور عنده ، فلبى الأمير طلبه وبعث بمملوكه سوراغا صاحب كسروان ، فسر الباشا من ذلك وأنعم على الأمير بولاية جبيل والبترون وبشري والضنية وعكار بشرط ان يدفع سلفاً عشرة آلاف قرش فقبل الأمير وزاد أربعة آلاف قرش خدمة والف قرش لأحد اصحابه، وأرسل فجمع أصحابه وسار الى طرابلس فخرج عمر باشا والقاضي وأعيان البلدة الى البحصاص في موكب عظيم لاستقباله وحل في طرابلس .

وفي اليوم التالي دعاه عمر باشا الى وليمة ودعا أيضاً أعيان طرابلس وخلع عليه وعلى الامير الشهابي الامير محمد والامير بلك بن يوسف باشا سيفا . ثم ان الامير خرج الى مقام البداوي وهي بركة السمك الشهيرة وأقام هناك خلال امد يسير ، حتى جاءت الاوامر السلطانية بتقرير ولاية يوسف باشا على طرابلس .

وسنة ١٦٢٣ وقع نفور بين مصطفى باشا والي دمشق ، والامير فخر الدين افضى الى اقتتالهما ، فجمع والي دمشق عشرة آلاف مقاتل وسار بهم وبالامير يونس الحرفوشي لقتال الامير فخر الدين ، وكان يوسف باشا سيفا ، والي طرابلس ، قد تجهز لنجدة والي الشام، فسار بجنوده على طريق المسقية، فعلم يوسف الشاعر ، مقدم البترون بما كان ، وكتب للامير يخبره ، فأخذ الامير بعض الرجال وسار الى عيناتا من بلاد بعلبك ، ليقطع الطريق على الباشا ، الا ان والي طرابلس ، لما علم بحركة الامير ، غير طريقه وسار الى

حمص عن طريق الحصن ، فورد الخبر من بشري الى الامير ، ومن ثم وردت جنود مصطفى باشا، والي دمشق الى خان ميسون، فسار الامير اليه برجاله.

وفي تلك الاثناء توفي حسين باشا ، ابن يوسف باشا سيفا ، في طرابلس، فلما بلغ الخبر مسامع الامير فخر الدين بعث للحال رسولاً الى يوسف باشا يطلب كنته ، زوجة المتوفى وأمر بحصار القلعة، وكان في القلعة سليمان باشا فتقاعد عن حصار القلعة ، فحنق الامير ونصب مضاربه في خندق القلعة ، تجاه السور . ولما رأى السكان شدة اهتمامه وبأسه ، تبعوه بخيامهم ، وشرع ببناء الاتراس والخنادق والاسوار ، ووضع جسوراً عالية وصناديق مملوءة تراباً وغطى الخنادق ، وجعل ينتقل الى ان وصل الى حائط القلعة ، واخذ الفعلة ينقبون الحائط ، وهو لا يفارق المحاصرين أبداً . اما يوسف باشا ، فأجاب الرسول طالباً من الامير مهلة شهر بحيث إذا رغب الامير بزواجها بأخي المتوفى ، والا أعادها الى أبيها بالامن والسلامة . ثم جاء عمر باشا والياً على طرابلس ، فمنعه يوسف باشا من الدخول اليها ، فذهب الى البترون، وجاء الامير بخمسين فارساً واجتمع بالباشا ، فسلمه هذا امراً من الدولة يحثه على انجاده ، وكان الامير قد اذن بزواج أرملة حسين باشا بأخيه عمر وقد تعهد يوسف باشا بأن يدفع لها اثني عشر الف قرش لقاء ان لا يظهر ان يوسف باشا قد حنث بوعده ، فالتزم الامير ان يجرد ضده العسكر بالاشتراك مع عمر باشا . لكن يوسف باشا أرسل رسولاً للامير رجاه ان لا يسعف عمر باشا ، لأن الدولة لا تلبث ان ترضى عنه وان يدفع للامير اثني عشر الف قرش المتعهد بها قبلاً ، فقبل الامير وانثنى راجعاً الى غزير . ولما لم يدفع يوسف باشا المال ، عاد الامير فنادى بالعسكر بالأهبة لحصار طرابلس ، نجدة لعمر باشا ، لكنه في اليوم التالي جاء نفر من قبل الباشا لدفع المال وليستعطفوا خاطر الأمير . أصر الأمير على عزمه بالزحف على طرابلس ، حتى تعهد له الرسل بخمسة عشر الف قرش نفقة العسكر وكتب

صكا بالقيمة ، وخلع الأمير على كبير الرسل وأكرم البقية ، وكتب الى بعض اخصائه في بعلبك ليحضر لقبض المال من يوسف باشا ويتم العقد على أرملة حسين الآنفة الذكر .

وكان عمر باشا قد حصر يوسف باشا في القلعة المسماة بقلعة الحصن ولم يتحول عنه حتى كتب على نفسه صكاً بخمسين الف قرش . وصدرت الأوامر السلطانية بفصله ، لكن يوسف باشا أبى تسليم البلدة الى عمر باشا ، فكتب عمر باشا الى الامير يطلب نجدته وانه يعطيه الصك الذي على يوسف باشا مع امر الدولة بتحصيله فيكون نفقات لعسكر الامير . فقبل الامير وكتب الى يوسف باشا يخبره بالواقع ، فأجابه يطلب مهلة نصف شهر الى ان يأتيه جواب الدولة بتقرير المنصب عليه وإلا فيسلم طرابلس لعمر باشا . ولم تمض مدة طويلة حتى جاءت الاوامر بتقرير الولاية على عمر باشا فطلب من الامير المساعدة لاستلام طرابلس، فجمع الامير رجاله ورجال اخيه وسار بالجميع وبعمر باشا حتى وصلوا للبترون ، وفدت اخبار من القسطنطينية بتقرير ولاية طرابلس على يوسف باشا فانثنى الامير راجعاً. اما عمر باشا فطلب من الامير عسكراً يوصلونه الى حماه .

وفي سنة ١٦٢٤ ، أنعمت الدولة بولاية عربستان ، أي سوريا من حدود حلب الى القدس ، على الامير فخر الدين المعني وتلقيبه بسلطان البر ، وصدر بذلك فرمان سلطاني جاء به السلاحدار ، فأتى الأمير الى عكار حيث لاقاه يوسف باشا احسن ملاقاة، فطلب منه دفع الخمسين الف قرش التي احالها عليه عمر باشا بموجب صك فدفعها بتمامها . وفي سنة ١٦٢٤ توفي يوسف باشا سيفا وهو وال على طرابلس ، وهو أول من تولى من الباشوات ، وكان رجلاً جليل القدر ، شهماً ، شجاعاً ، جرت له حوادث كثيرة ، اكثرها مع الامير فخر الدين المعني . وخلفه في الولاية ابنه الامير قاسم . اما الامير فخرالدين،

فقد جمع العسكر ، وعبأ الكتائب وسار بهم الى بلاد بعلبك ثم الى جبة بشري ، ومنها الى طرابلس ، فدخلها ، وأخذت جماعته تنهب المدينة مدة أربعين يوماً حتى دخلها وزير حلب ، ثم قدم مصطفى باشا ابن اسكندر من قبل الصدر الاعظم، احمد حافظ باشا، وتولى على ايالة طرابلس فظلم كثيراً.

ولجأ الأمير قاسم بن يوسف باشا سيفا مع بعض أصحابه إلى قلعة المرقب، فسار اليه مصطفى باشا اسكندر سنة ١٦٢٥ بقصد حصاره ، لكن الأمير قاسم تدارك الأمر وأرسل لمصطفى باشا اسكندر عشرين ألف قرش، فقبضها هذا ورجع الى طرابلس . لكن لم يرتجع عن آل سيفا بل بعث للأمير فخر الدين يستنجد به على آل سيفا فسار الأمير لنجدته فاسترضى الأمراء بعد قتل الأمير سليمان الامير فخر الدين ، باعطائه قلعتي الحصن والمرقب ، فعاد عنهم ورفع يد وزير طرابلس أيضاً .

١٦٢٥ — ١٦٢٥ عمر باشا الدفتردار

١٦٢٥ — ١٦٢٧ ابراهيم باشا

١٦٢٧ ١٦٢٨ الامير فخر الدين المعني

في سنة ١٦٢٥ عزلت الدولة مصطفى باشا عن ايالة طرابلس وسلمتها الى عمر باشا الدفتردار ، ولما وصل مصطفى باشا لديار بكر ، قتل وأخذ ماله ، ثم قدمت شكوى على الامير فخر الدين بأنه ظلم الرعايا ونهب طرابلس ، وفي أثنائها عزل الحافظ عن الصدارة وتولاها خليل باشا ، فسار بالعسكر إلى حلب لقتال الأمير ، ولما وصل اليها عزل عمر باشا عن طرابلس ، وولى عليها ابراهيم باشا . وفي عهد ابراهيم باشا هذا **بنى الروم الارثوذكس في الميناء كنيستهم المعروفة باسم كنيسة مار جرجس وعلى بابها تاريخ بنائها بعهد ابراهيم باشا هذا .**

وفي سنة ١٦٢٧ تولى الأمير فخر الدين ايالة طرابلس، فجر ساقية القاع ،

وبنى القليعات ، ونصب في مفارقها أربعة عشر الف نصبة توت ، ونصب بستانا آخر أكبر من الأول في أرض الحيصة .

وفي سنة ١٦٣١ توزع القشلاق على بلاد الشام ، فتضايق الناس ، وجاء الأمير فخر الدين من صيداء لطرابلس ، فلاقاه الناس ، والتمسوا منه ان يمنع القشلاق عنهم ، ثم جاء الشيخ احمد حماده ومعه جماعته والتمسوا ان لا يدخل المدينة ووعدوه بمبلغ فلم يقبل فقاوموه وقتلوا بعضاً من رجاله .

١٦٢٨ – ١٦٣٤ برماقز مصطفى

١٦٣٤ – ١٦٣٥ قاسم باشا سيفا – ابن يوسف باشا سيفا

في سنة ١٦٣٣ قدم من القسطنطينية جعفر باشا وزير البحر العثماني لنجدة الكجك لقتال الأمير فخر الدين العاصي على الدولة، فحل الباشا الوزير المشار اليه في طرابلس ، ثم ذهب لبيروت وصحبته بعض آل سيفا ، وتمكن من القبض على الأمير فخر الدين وسلمت ايالة طرابلس إلى قاسم باشا ابن يوسف باشا سيفا وذلك في سنة ١٦٣٤ . وفي السنة ذاتها ورد أمر من السلطان في الاستانة لقاسم سيفا بتهيئة جيش والسفر به لقتال شاه العجم. هيأ الجيش وبعد أن مشى به مسافة من طرابلس أظهر كل من قائديه حسن آغا ويوسف آغا العصيان وامتنعا عن متابعة المسير. خاف العاقبة ورجع بالعسكر لطرابلس وادعى الجنون خوفاً من السلطان. ولما وصل لطرابلس بهذه الحالة، قام الطرابلسيون واستبدلوه بابن اخته الأمير علي بن محمد سيفا واعلنوه متسلماً على طرابلس ، فاستمر شهرين ، حتى طرده خاله الآخر الأمير عساف ، فسار الى بيروت وتحالف مع الأمير علم الدين الدرزي فزوده بالرجال وزحف بهم الى بلاد المنيطرة . هاجمه خاله الأمير عساف مع آل حماده واحرقوا قرية المنيطرة . لجأ بعدئذ الى المقدم زين الدين الصواف الذي امده بالرجال فسار بهم الى قرية ايعال ، من قرى الزاوية ، فالتقاهم بغتة الأمير عساف بمؤازرة الحمادية وظفر بهم الأمير علي وقتل من رجالهم عدداً كبيراً وقطع رؤوس القتلى ونزل بهم الى

طرابلس التي احيلت ايالتها على اسمه مضافاً إليها بلاد جبيل والبترون .

١٦٣٥ – ١٦٣٦	مصطفى باشا النيشنجي
١٦٣٦	مصطفى باشا كاتاجاج
١٦٣٦ – ١٦٣٧	برجال احمد باشا
١٦٣٧	شاهين باشا
١٦٣٩ – ١٦٤٤	محمد باشا الارناؤطي
١٦٤٤ – ١٦٤٦	حسين باشا
١٦٤٦ – ١٦٤٩	محمد باشا الارناؤطي
١٦٤٩ – ١٦٥٣	عمر باشا

وفي عام ١٦٣٥ تولى ايالة طرابلس مصطفى باشا النيشنجي فسار الى قتال العجم طبقاً لأوامر الدولة وترك تدبير البلد خلال غيابه للأمير عساف ، فلم يرق هذا التدبير للأمير علي فدهم أميون ونهبها وتقاتل مع الأمير عساف ، وظفر به عساف أخيراً . وفي سنة ١٦٣٦ تولى طرابلس احمد باشا ، فأمر مصطفى باشا الأمير عساف ان يطرده ، فرفض وقتل اتباع مصطفى باشا ، فانهزم مصطفى باشا ليلاً ، ودخل البلد الحاكم الجديد مع الأمير عساف والأمير علي ، وكان قد تم الصلح بينهما .

وفي سنة ١٦٣٧ حارب الأمير عساف سيفا ، الأمير علي سيفا ، وكانت الحرب بينهما سجالاً ، حتى انه شاع الخبر ، بانفصال احمد باشا عن ايالة طرابلس وتوليتها لشاهين باشا ، ففرت العساكر وتفرقت وتقدمت شكوى لشاهين باشا ان آل سيفا خربوا البلد ودمروها ، وكان قد وصل للبقيعة ، فخاف الأمير عساف وأمر مدبره في الحال ممداً له بالمال وبالميرة ، لكي يستعطف الوزير ، فأظهر هذا سروره ، وخلع على المدبر وأمن الأمير حتى اطمأن ، وسار إليه ، فلما اقترب منه ، أمر بأخذه للقلعة المعروفة بقلعة

الحصن وشنقه على بابها ، وقتل اتباعه ، ولم ينج منهم إلا القليل ، ثم تتبع الوزير آل سيفا وفتك بهم ونهب أموالهم .

وفي سنة ١٦٣٩ عزل محمد باشا عن ايالة طرابلس وتولى عوضاً عنه محمد باشا الارناؤطي وكان مدبره مصطفى بك الصهيوني .

وفي سنة ١٦٤٠ دهم الوالي محمد باشا الارناؤطي جبة بشري للقبض على ابي كرم يعقوب بن الراس الحدثي شيخ المقاطعة ، لأنه لم يسلم عليه حين حضوره لطرابلس ، وفتش عليه كثيراً فلم يجده ، وضايق البلدة ، وقبض على ابن عمه سعد ، وبعد حين ، سار ابو كرم وسلم نفسه للوزير عن يد القاضي ، فأمر الوزير بوضعه في القلعة، ثم طيف به في شوارع البلدة راكباً على جمل، وعرض عليه الاسلام فأبى فاماته الوالي معلقاً على كلاب . وكان رجل من الجبل يقال له حميدان الشعار ، مندوبا من قبل الوزير ، والي طرابلس ، تأخر عليه دفع راتبه فجاء يطالب به كاتب الوزير ، فأبى الكاتب ان يدفع له ، فحنق عليه حميدان المشار اليه وقتله هو وابنه وفر هارباً . جمع الوزير ، لما بلغه الخبر ، الرجال والحقهم بحميدان لالقاء القبض عليه ، فلم يدركه احد وحين وصل العسكر الى قريـة حردين وكفور العربة ، قرى حميدان المذكور ، نهب العسكر القريتين ، نكاية بحميدان .

وفي سنة ١٦٤٢ صدرت الاوامر السلطانية ان تكون بيروت وصيداء تابعة لولاية محمد باشا الارناؤطي ، والي طرابلس فأرسل مدبره زلفى آغا لاستلام البلدتين المذكورتين . وقد بنى هـذا الوزير قصراً على نبع رشعين وسن الضرائب على سكان طرابلس لايفاء نفقاته . وفي سنة ١٦٤٦ عزل محمد باشا الارناؤطي عن ايالة طرابلس ، وتولى عوضا عنه حسن باشا وكان مدبره الشيخ ابو رزق البشعلاني ، وفي هذا العام قدمت شكوى للدولة العلية في الاستانة بان الرعايا مظلومين بالضرائب ، والتمسوا عد الشجر والرجال والبيوت وسن الضرائب بموجبها فحضر لطرابلس موظفون من قبل الدولة وقاموا بالامر ،

ولما انتهوا من مهمتهم ووضعوا جدولاً بالضرائب المتوجبة على السكان، رجعوا للاستانة ، وبحال ذهابهم ، أمر الوزير بابطال ما سنوه من قوانين للضرائب، واعاد جباية الأموال الى ما كانت عليه بالسابق واجبر الاهالي على الدفع .

وفي سنة ١٦٤٦ ايضاً ، عزل حسن باشا عن ايالة طرابلس وعاد اليها محمد باشا الارناؤطي ، فاعاد مصطفى الصهيوني لوظيفة المدبر وعين معه مساعداً الحاج قمرالدين ، وكان مطلوب الدولة من الاموال الاميرية على ايالة طرابلس ٣٠٠,٠٠٠ قرش عدا غلال الزيتون التي كان للدولة نصفها موزعـة على الاشجار وكانت فداحة هـذه الضرائب بلية على الاهلين شتتتهم وجعلتهم يكفون عن الاستثمار .

وفي سنة ١٦٤٧ عزل محمد باشا الارناؤطي عن ايالة طرابلس وتولى مكانه محمد باشا الصيفي فلم تطل مدته ، وعاد للايالة محمد باشا الارناؤطي ، فظلم السكان وانهكهم باستيفاء الضرائب ، وكان لا يقبل مراجعة ، ومكث في الوظيفة حتى عام١٦٤٩ فعزل وتولى مكانه عمر بك وعين مدبراً له حسن ديب لكنه لم يلبث ان عزله واعاد لوظيفة مدبر مصطفى الصهيوني، وانعمت الدولة على محمد بك بلقب الباشوية ، كما انعمت ايضاً على مصطفى الصهيوني برتبـة أخرى ، وعينت للباشا ، والي طرابلس امارة الحج الشريف .

١٦٥٣ – ١٦٥٤ قرا حسن باشا

١٦٥٤ – ١٦٥٦ محمد باشا الكبرلي

١٦٥٦ – ١٦٥٩ محمد آغا الطباع

١٦٥٩ – ١٦٧١ قبلان باشا

١٦٧١ – ١٦٧٣ محمد باشا

وسنة١٦٥٣عزل محمد باشا وتولى مكانه حسن باشا واتخذ أبا رزق المشعلاني مدبراً له لكن مدته لم تطل فعزله محمد باشا وولى مكانه أحد آل الصهيوني .

وفي سنة ١٦٥٢ عادت ايالة طرابلس فانيطت بمحمد باشا الأرناؤطي ، فاتخذ من المشعلاني مدبراً له ولقبه بشيخ المشايخ ، وعزفت له الموسيقى السلطانية، إلا ان حساده تكاثروا ، وجاء لداره بعض بني حبيش ، للاعتداء عليه ، ولما بلغ الخبر للوالي محمد باشا ، بأن بني حبيش انما جاؤوا ليذهبوا بالمشعلاني الى الامير ملحم المعني ، أمر بالحال بالقبض على المشعلاني وعلى أولاده وعلى من في داره ، وسجن الجميع بالقلعة وقيدهم بالسلاسل ، وكان عدد من القي عليهم القبض ٩٠ شخصاً . ثم أمر الوزير بهدم دار المشعلاني ونهبها . ثم عزل محمد باشا الأرناؤطي وتولى مكانه حسن باشا وذهب الارناؤطي الى حماه لجباية الضرائب، واخذ معه المشعلاني ، وبعد ان أطلقه بمفرده من السجن ، وأبقى الذين القي عليهم القبض معه في سجن القلعة. وجرى الحساب مع المشعلاني فبقي بذمته ٢٠٠٠٠ قرش ثم قدم حسن باشا الى حماه ونزل عند الأرناؤطي ، وجرى الحساب مجدداً أمامه ، فثبت على المشعلاني أربعة آلاف قرش وخمسماية قرش ، ولما لم يكن المال لديه ليدفعه ، فقد قام بدفع المترتب عليه عنه الصهيوني ، وهكذا أطلق سبيله وسبيل من القي عليهم القبض معه.

ورغب قرا حسن باشا بإعادته لوظيفته السابقة ، لكنه جاء أمر من الآستانة بطلب رأس المشعلاني ، مع قبوجي جاء خصيصاً من الآستانة للتنفيذ بمعرفته ، فأشار من بيدهم الأمر على المشعلاني باعتناق الاسلام ، فأسلم ، وهكذا نجا من القتل ، ورشا القبوجي بألف قرش ورجع هذا الى الاستانة .

وسنة ١٦٥٥ غضب محمد باشا والي طرابلس على الأمير اسماعيل الكردي وعلى الحاج سعد حماده ، لعصيانهما بالمال السلطاني ، فسار لقتالهما ، واوقع بهما عند حريشة النهر فانكفأ . وفي سنة ١٦٥٦ تولى محمد باشا الأرناؤطي ، والي طرابلس السابق منصب الصدارة العظمى ، فعزل والي طرابلس محمد باشا الكبرلي ، وولاها لمحمد باشا الطباع . وسنة ١٦٥٦ تولى ايالة طرابلس

قبلان باشا ، وصدرت الأوامر السلطانيـــة بقصاص المشايخ الحمادية ، وحين بلغهم الأمر ، فروا بالحال من وجه باشا طرابلس ، فلحق بهم ونهب قراهم وهدم دورهم . وفي سنة ١٦٧٣ عزل محمد باشا عن ايالة طرابلس وتولى مكانه حسن باشا ، فولى المشايخ الحمادية على مقاطعاتهم ، ورفع عنهم اكلاف المال فطمعوا وتصرفوا بالأموال الأميرية ، وقتلوا أناساً عند نبع رشعين ، كما نهبوا المقاطعة ، فبعث حسن باشا بشرذمة من الجند ، تحت قيادة مدبره، فطردتهم ولم يثن العسكر عنهم الا هجوم الظلام .

ثم صدر الأمر السلطاني ان ينجد والي دمشق ووالي صيدا والي طرابلس، فاجتمع العسكر من الطرفين في سهل قب الياس ، وكتبوا للأمير احمد المعني بتسليم العصاة الذين كانوا التجأوا اليه ، فاجتمع الامراء الشهابيون والأهالي ، وكتبوا لوالي صيداء ان حسن باشا لم يحارب الحمدانية إلا لأن عليهم عشرة آلاف قرش للدولة ، وان هذا المبلغ سيجري دفعه فيما اذا افرج عن الاسرى الذين في القلعة . فجرى دفع القيمـــة واطلق المسجونون وكف الطلب عن الحمدانية .

١٦٧٣ – ١٦٧٧	حسن باشا
١٦٧٧ – ١٦٨٦	محمد باشا
١٦٨٦ – ١٦٨٧	علي باشا النكدلي
١٦٨٧ – ١٦٩١	حسن باشا
١٦٩١ – ١٦٩٢	محمد باشا
١٦٩٢ – ١٦٩٣	علي باشا اللقيس
١٦٩٣ – ١٦٩٧	ارسلان باشا المطرجي
١٦٩٧ – ١٦٩٨	قبلان باشا المطرجي
١٦٩٨ – ١٧٠٣	ارسلان باشا المطرجي

كان للحمدانية رهائن في قلعة طرابلس ، فلمـــا عزل محمد باشا عن ايالة

طرابلس ، وكانوا قد قتلوا ابن اخته في حلبا ، هجموا على القلعة ، وأخرجوا الرهائن منها بالقوة . وسنة ١٦٨٦ ، تولى على طرابلس علي باشا النكدلي ، فصدر الأمر السلطاني بمحاربة عرب البكدلة فهاجت الحمادية وقتلوا بعض الاعيـــان ، وقتل منهم والي طرابلس ١٢ نفراً . وورد بعدئذ الامر لوالي طرابلس مع عبد الله جلبي بن مخايل الافرنجي ، بان يحـــارب الأمير شديد الحرفوشي ، لأنه نهب قرية رأس بعلبك وأحرق قلعتهـــا . فسار الباشا بمن معه وتمكن منهم وعاد ظافراً لطرابلس . وسنة ١٦٨٧ تولى على طرابلس حسن باشا فقبض على اولاد البشعلاني ، فهرب منهم عدد ليلاً لعند الأمـــير احمد المعني . وسنة ١٦٩٢ تولى على طرابلس علي باشا اللقيس فقدم اليهـا في أواخر السنة لذلك لقب باللقيس ، أي المتأخر ، فتجهز بوصوله لقتال الحمادية وسار اليهم .

وسنة ١٦٩٣ تولى علي باشا المشار اليه منصب الصدارة العظمى ، فأقام مكانه ارسلان باشا ابن احمد آغا المطرجي مُحافظ اللاذقية ، فجهز ارسلان باشا عسكراً لطرد الحمادية ولما صار العسكر بقرب قرية بتاتر ، نزل عليهم رجال الامير احمد المعني وطردوهم جميعاً مع والي طرابلس المشار اليه عند نهر ابراهيم. عرض الأمر ارسلان باشا المطرجي على مسامع الدولة وعلى الصدر الاعظم الآنف الذكر ، فصدرت الاوامر السلطانية لوالي دمشق ووالي حلب ووالي صيداء لنجدة والي طرابلس لقتال الأمير أحمد المعني واستخلاص البلاد منه. جمع الولاة المشار اليهم العسكر ، ولمـا بلغ الأمير أحمد ان الولاة الثلاثة المذكورين سينجدون والي طرابلس بالعسكر اللازم لقتاله ، خاف النتيجة واختفى عند آل شهاب مدة ، ثم عاد فاستعطف وزير صيداء وأظهر عبوديتـــه للدولة ، فكتب والي صيداء للاستانة يطلب العفو عن الأمير أحمد وانه عاد لعبوديته للدولة ، فصدرت ارادة سنية من السلطان بالعفو عنه وفي سنة ١٦٩٦ زاد ارسلان باشا المال الأميري الجوالي ، والصرصار ، والبلدار ، والصليان وهي

الضرائب المتوجبة على الشعب فضج السكان ونزحوا عن الأراضي .

وفي سنة ١٦٩٧ ، كلف ارسلان باشا المطرجي بامارة الحج ، وتولى مكانه على ايالة طرابلس ، أخوه قبلان باشا المطرجي وذلك طيلة غيابه ، ولما عاد من الحج ، رجع لوظيفته على ايالة طرابلس . وفي سنة ١٦٩٨ تلكأ الحمدانية بدفع المال الأميري ، فأرسل ارسلان باشا المطرجي شرذمة من الجند ، فقبضوا عليهم ، وجاؤوا بهم مكبلين ، فسجنوا بالقلعة ، وفر بعضهم إلى دير القمر ، وعرضوا الأمر على الأمير بشير الشهابي ، فتوسط بالصلح بينهم ، وكفل الأمير بشير للباشا مايتين وتسعين ألف قرش ثبتت عندهم .

طرابلس في القرن الثامن عشر

حل القرن الثامن عشر وطرابلس تحت حكم ارسلان باشا المطرجي حتى سنة ١٧٠٣ .

١٧٠٣ — ابراهيم باشا العظم

١٧١٤ — عبد الرحمن باشا العظم

لم نتمكن من معرفة السنة التي عزل في خلالها عن طرابلس ابراهيم باشا العظم ولا السنة التي تولى فيها ايالة طرابلس عبد الرحمن باشا العظم إلا انه من عهد هذين الواليين اختلفت طرابلس في اتباع المرجع فتارة كانت تتبع دمشق وأخرى صيداء وثالثة تستقل بوال برتبة وزير .

١٧١٤ — ١٧١٥ قبلان باشا المطرجي

١٧١٥ — ١٧٢٦ بشير باشا

١٧٢٦ — ١٧٣٢ عثمان باشا الدروبي

١٧٣٣ — ١٧٣٤ سعيد باشا العظم

١٧٣٤ – ١٧٥٣	سليمان باشا العظم
١٧٥٣ – ١٧٥٦	محمد باشا العظم
١٧٥٦ – ١٧٦٣	عبد الله باشا جانبه لجه
١٧٦٣ – ١٧٧٤	محمد باشا بن عثمان باشا الصادق الكرجي والي الشام
١٧٧٤ – ١٧٧٦	يوسف باشا العظم
١٧٧٦ –	عبد الفتاح باشا الموصلي
١٧٨١	يوسف باشا العظم
١٧٨١ – ١٧٨٢	عبد الله باشا العظم
١٧٨٢ – ١٧٨٢	ابراهيم باشا الاظن
١٧٨٢ – ١٧٨٣	محمد درويش باشا
١٧٨٣ – ١٧٨٤	حسن باشا
١٧٨٤ – ١٧٨٤	سليمان باشا
١٧٨٤ – ١٧٨٦	مقداد باشا
١٧٨٦ – ١٧٨٦	ابراهيم باشا الاظن
١٧٨٦ – ١٧٨٦	سليمان باشا
١٧٨٦ – ١٧٨٨	ابراهيم باشا الاظن
١٧٧٨ – ١٧٨٨	تحسين باشا
١٧٨٨ – ١٧٩١	عثمان باشا المرعبي
١٧٩١ - ١٧٩٢	خليل باشا العظم
١٧٩٢ – ١٧٩٤	حسين باشا
١٧٩٤ – ١٧٩٥	موسى باشا
١٧٩٥ – ١٧٩٨	خليل باشا العظم
١٧٩٨ – ١٧٩٨	احمد باشا الجزار

١٧٩٨ – ١٧٩٩ يوسف باشا العظم

١٧٩٩ – ١٨٠٠ عبد الرحمن باشا العظم

لم يطرأ على طرابلس خلال هـذا القرن الكثير من التغييرات ؛ بخلاف القرن الماضي ، ففي سنة ١٧٤١ قبض سليمان باشا العظم ، والي طرابلس ، على الشيخ كنعان بن شديد الضاهر وسجنه ، ثم عرض عليه الاسلام ليطلقه ، فأبى ، فقال له انه إذا أسلم سيتخذ منه مدبراً ، فكرر الرفض ، فعذبه عذاباً شديداً متنوعاً ، ثم عرض عليه الاسلام ثانية ، فأبى ، فأمر بقطع رأسه ، فأخذه الجند وقطعوا رأسه عند باب التبانة . وفي سنة ١٧٦٦جاءت لطرابلس فرقة من الحمادية الذين كان الأمير قد حرض بعضهم على بعض ، واستنجدوا بوالي طرابلس، فانجدهم برجال عديدين،فخرجوا بالرجال حتى قرية بزيزة وهناك لاقاهم الامير يوسف ونشب القتال بين الطرفين بالقرب من قرية اميون من قرى الكورة، فانكفأ العسكر الطرابلسي ولجأ قسم منهم الى البرج الذي فيأسفل القرية، فحوصروا فيه، وقتل بعضهم، واستسلم البقية، ثم اطلق سراحهم، فعادوا لطرابلس . كان بنو رعد في الضنية من أصحاب الحمدانيين، لذلك حين بلغهم ان الامير يوسف الشهابي في سنة ١٧٧٢ ، تجهز لقتال الحمدانية ، خافوا النتيجة ، فأرسلوا كبيرهم لطرابلس ليلتمس من الوزير ، حاكمها ، أن يتوسط في الصلح ، فبعث للأمير برسالة بهذا الخصوص ، وحين تسلم الرسالة ، قبل بمضمونها وجلا عن قرية عفصديق التي كان احتلها لكن الامير يوسف أمر بحرقها .

وفي سنة ١٧٩٥ ، عاد الجزار الى عكا بعد ان ادى فريضة الحج فأطلق سراح الامير بشير وأخيه الامير حسن وخلع على الامير بشير بالولاية .

ثم جاء الاميران ولدا الامير يوسف لطرابلس وأقاما عند فاضل رعد ، ثم جاء الامير بشير برجاله لجسر المعاملتين ، وأشاع ان الجزار لم يأذن له بدخول طرابلس ، وحين وصل للبترون ، أباح لرجاله نهبها ، وبعث بأخيه

الامير حسن ، وبرفقته شرذمة من الجنود الى زغرتا لينزل منهــا لطرابلس ويحاصرها . وسار بدوره الى اهدن ، لكن جاءه أمر من الجزار بالرجوع الى دير القمر . وبعد مدة أتى خليل باشا ، والي طرابلس من الحج الشريف، فأنعم على أولاد الامير يوسف بولاية البترون ، وكان ابنه الأكبر الأمير سليم صغيراً، فأناب عنه بعض الولاة ، ووالي طرابلس نفسه أمده ببعض الرجال .

لكن سنة ١٧٩٦ عادت الحرب فنشبت ، وانكفأ عسكر الامير سليم وعادوا لطرابلس ، ثم جاءت نجدة من الجزار ، والي عكا ، فنهض الامير حسن أو الامير بشير لملاقاة عسكر طرابلس ، لكن العسكر انهزم بدون قتال وتراجع لعكار .

مصطفى بربر وطرابلس في القرن التاسع عشر

يبدأ القرن التاسع عشر في تاريخ طرابلس مع عهد واليهــا مصطفى آغا بربر الذي تولى عليها خلال سنين متفرقة وعديدة، ولما كان لعهده الاثر البعيد، لذلك رأينا ان نفرد باباً خاصاً في تاريخ طرابلس لوصف عهد بربر .

في عام ١٧٦٧ ولد ليوسف القرق ، من أهالي وسكان طرابلس ولد ذكر اطلق عليه اسم مصطفى ولقبه ببربر ، وكان له أخ اكبر منه يدعى محمــد عزرائيل ، وتوفي والده وتركه وأخاه ، فأخذتها والدتها، ونزحت بها لقرية برسا في الكورة، في ضواحي طرابلس ، حيث تربيا وترعرع مصطفى ودخل في خدمة الامير علي الأيوبي ، من امراء دده الايوبيين ، وبعد أن أقام مدة عنده ، تركه والتحق بخدمة الشيخ رعد من مشايخ الضنية .

ثم تركه ايضاً وخدم عند أمراء رأس نحاش في الكورة ، ثم تردد على مشايخ بني زخيا ، حكام القويطع ، ثم خدم عند الأمير يوسف الشهــابي .

وظل ينتقل من مكان لآخر حتى عام ١٧٨٨ حين عاد لطرابلس وانخرط في وجاق الانكشارية ، الجند العثماني الذي انشأه سلاطين عثمان واناطوا به الدفاع عن البلاد وكان لهم في طرابلس وجاق خاص . قلنا التحق بوجاق الانكشارية تحت زعامة مصطفى آغا الدلبة، وكان بينه وبين الزعيم السابق ، ابراهيم آغا سلطان نفور ، وعلى الخصوص لأنه أتى بفرقة من الارناؤط ، اخذ افرادها يتعدون على السكان ، فهاج الاهلون وثاروا ، وكان مصطفى بربر قد جمع بعض الشباب واخذ يقاتل واياهم وتمكنوا من اخماد الفتنة . رأى ان لا مستقبل له في طرابلس، فنزح عنها وسافر الى عكا وهناك التحق بخدمة احمد باشا البشناقي الملقب بالجزار .

احمد باشا الجزار

لقد مر على وفاة احمد باشا الجزار اكثر من قرنين ونصف ولا يزال هذا الشرق العربي يذكر ظلمه ووحشيته ، وما زالت الى الآن ترتعد الفرائص عند ذكر ما قام به الجزار من اعمال وحشية وبربرية ، والغريب في ذلك انه بالرغم عما قام به من اعمال بربرية ، فقد أدى فريضة الحج وبنى جامعاً في مدينة عكاء ما زال قائماً وعلى جدرانه كتابات تبين ما خصص له من اوقاف مختلفة .

أصل الجزار هذا من مسيحيي الروم في اقليم البوسنة المعروفة ببلاد البشناق وهي اليوم من ولايات جمهورية يوغوسلافيا ، في شبه جزيرة البلقان ، لذلك لقب باحمد باشا البشناقي. ولد سنة ١٧٣٥ في بلدة ابليرية في المنطقة المسيحية، ويقول المسيو اوجين بوجاد ، قنصل فرنسا العام في بيروت في عهد الجزار . ان والده مسيحي وقد فصل القنصل المشار اليه حياة الجزار في الكتاب الذي وضعه تحت عنوان « لبنان وسوريا » وطبعه في عام ١٨٦٧ . نشأ الجزار مريضاً ضعيف البنية لكنه كان جميل الوجه ، منتصب القامة ، فاهمله اهله .

ولما شب فتنته امرأة اخيه الذي يظهر انها كانت على جانب من الجمال ، فاغتنم فرصة سانحة واعتدى عليها بالقوة ، ولما خاف ان يفتك به اخوه ، فر الى الاستانة ، واخذ يعيش من الاستعطاء . ثم اشتغل بحاراً وقاسى اشد العناء وعرف الفاقة والذل في شحن المراكب وتفريغها ، وكثيراً ما كان يعاني ضرب العصا على قفاه للعجلة في العمل ، عدا عن الصفع على خديه ، حتى خارت قواه ، فركب أحد المراكب الهوائية المسافرة الى ساحل الاناضول ونزل الى البر وراح يسير في شتى القرى سائحاً متسولاً ، واحترف السرقة ، وكثيراً ما كان يفترش الأرض ويلتحف السماء، نائماً في الطرقات وبين الاطلال والخرائب في شتى الغابات.وإزاء هذه الحالة رأى انه من الأحسن له ان يبيع نفسه لأحد تجار الرقيق،فالتحق بأحدهم وكان لديه عدد من الأولاد الارقاء،سافر بهم الى مصر ليبيعهم هناك والجزار من جملتهم . وكان الجزار هذا ، كما قلنا أعلاه جميل الطلعة يجمع بين الرجولة وقوة العضلات ويجذب النساء بحسن وجهه وتناسب تقاطيعه ، أبيض الأسنان ، أسود الشعر ، وردي الخدين .

باعه النخاس الذي جاء به الى نخاس آخر في اسواق الاسكندرية ، وهذا ساقه مع بقية الارقاء الى القاهرة ، حيث اجبره على اعتناق الاسلام ، فأسلم وسمي احمد . ثم انزله الى سوق الرقيق ، وبالرغم من اوصافه الفاتنة فقد عرضه للبيع خلال ثلاثة اشهر ، ولم يتقدم احد لشرائه لان امراء مصر كانوا اشتروا حاجتهم من المماليك قبل وصوله للقاهرة . وأخيراً فتنت فتوته الامير علي بك الكبير ، حاكم مصر الشهير فاشتراه بالف ومايتي فرنك وذلك سنة ١٧٥٩ . وبعد هذه الصفقة باربعين عاماً ، أي سنة ١٧٩٩ ، اضطر بونابرت القائد الفرنسي،الذي جاء ليؤسس مملكة في هذا الشرق ، اضطر ان يتراجع ويقول ، لولا هذا الرقيق البشناقي ، الذي عرضه تاجر اللحم للبيع طيلة فصل الشتاء ولم يشتره احد ، لكنت غيرت وجه العالم ...» وهكذا تمكن هذا البشناقي من الوقوف في وجه الجنرال بونابرت ورده على اعقابه عن الشرق

العربي واجلاه الى لا رجوع عن مصر .

قلنا ان أحمد البشناقي المشار اليـــه ، انضم الى حاشية علي بك الكبير ، وكان من جملتها محمد بك ابو الذهب الجركسي ، الذي ثار فيما بعد على سيده ، واغتصب منه الحكم . بيد ان احمد البشناقي ظـل يعاني المشقات ، واغلق في وجهه كل ما يمكنه من اظهار عبقريته ، بالرغم من انه كان ضحوك الوجه بشوشه وسكيراً في ان واحد . وقـــد استنسبه مولاه ، علي بك الكبير ، لوظيفة جلاد او قاطع الرؤوس ، لمن يغضب عليهم ، فجاءت هـذه الوظيفة مطابقة لرغباته ، وولوعه بالاجرام وسفك الدماء ، وهكذا برع في هـــذه المهنة ، وخاف منه الجميـع ، وحسبه الناس من الوحوش الضواري وليس من بني ادم ، فلقبوه بأحمد الجزار ولبسه هذا اللقب حتى آخر أيامه .

وخدم الجزار فيما بعد عند عبدالله بك ، رئيس أحد السناجق ، لكن هذا قتله عرب البوادي فانتقل لخدمة ذي الفقار كاشف الفيومي ، أحد الحكام ، فاقامه متسلماً على قريـة في البحرية حيث ترصد لعرب البوادي وقتل عدداً وافراً منهم ، وكان من بين القتلى اربعـة من مشايخهم ، ارسل رؤوسهم الى مصر ، فهابه العربان . وكان كلما قتل واحداً منهم يقول : « هذا ثأر سيدي عبدالله بك » وحين بلغت أعماله علي بك الكبير عاد فقربه اليه ومنحه رتبة بك ، أي أمـــير ، وجعله والياً على القاهرة ، ثم كلفه بأمر على غاية من الخطورة ، وهو قتل خصمه حسن بك جوجو ، فقام بالمهمة وقتل حسن بك المذكور ، فكافأه علي بك ورقاه لرتبة سنجق .

وهكذا انفتحت امامه السبل ، واقتنى الخيول المطهمة الاصيلة ومختلف الاسلحة ، وعدداً من الجواري ، واتخذ من بيته مجلساً للعلم ، يقصده الشعراء ، ضيوفاً عليه لمدحه ، مستسلمين للذات والمرح ، وصار يوزع المال على الفقراء من سكان حيه ورئي يوماً على عتبة داره يمنح اكلا لولد صغير من فقراء الحي بيده ، في الوقت الذي كان فيه ذاهباً للفتك بالناس والتمثيل بهم افظع تمثيل .

الجزار يفقد مركزه وماله

رأى علي بك مقدرة الجزار على سفك الدماء بدون توقف ، وكان هناك نفور بين علي بك وأخيه صالح بك ، فعزم على التخلص منه ، وكلف الجزار بالقيام بالمهمة لكنه كانت هناك صداقة وثيقة بين الجزار وبين صالح بك هذا، وهكذا أبى أن ينفذ المهمة ، وإزاء هذا الرفض ، قرر علي بك ان يتخلص من الجزار ومن أخيه في ان واحد بقتلهما سوية ، وعهد بالمهمة الى محمد بك ابي الذهب الآنف الذكر ، فتمكن محمد بك من قتل صالح بك وفشل في قتل الجزار . ذلك ان الجزار حين شاهد المماليك يحيطون بداره ، أيقن بالهلاك ، فهرع إلى مخدع حريمه ، وأخذ من احداهن حجاباً ابيض كبيراً التف به ، وركب الهودج المعد لنقل الحريم الى الحمام ، فحسبه المماليك الذين يحيطون بداره امرأة ، واحنوا رؤوسهم وغضوا من أبصارهم وابتعدوا عن الهودج حاسبين من فيه امرأة ، وبهذا الدهاء الاحتيالي ، نجا بنفسه وفر غير لاو لا على متاع ولا على ثروة . هرب الى الاسكندرية ومنها الى الاستانة وعاد خالي الوفاض ، كما كان حين باع نفسه عبداً رقيقاً ، وعمد لحبك الحيل عساه ينال التفاتة السلطان فلم ينجح .

في لبنان

وفي سنة ١٧٧٢ ، وكان الجزار قد بلغ السابعة والثلاثين من عمره ، رأى أن يأتي الى لبنان، لعله يسترجع شيئاً مما كان عليه في مصر، فجاء إلى بيروت وقصد دير القمر ، مقر الامير يوسف الشهابي ، حاكم لبنان في ذلك الحين ، وكاخيته الشيخ سعد الخوري المشهور . وبفضل ما هو عليه من مكر ودهاء ، تمكن من الفوز بثقة الأمير اللبناني ، وأخذ يعمل كل ما في وسعه للترفيه عنه مختلقاً القصص المضحكة لاضحاك الأمير ، جاعلاً من نفسه بطلها ، وفي قصر

الأمير المشار اليه التقى الجزار بمصطفى آغا بربر وتعاقد الاثنان على الصفاء كما سيجيء .

وتحسنت حالة الجزار عند الأمير يوسف الشهابي ، واستعاد شيئاً مما كان عليه في مصر ، وبدأت عظمته تتكون بسرعة معتمداً على بلائه في الحروب وعلى عطف الأمير عليه . ومن دليل عطف الامير يوسف الشهابي على الجزار انه مر يوماً في سنة ١٧٧٢ بعيد البلشه في بيروت، فرماه أحد المغاربة المدعو أبو عقلين بالرصاص ، بدافع من الأمير منصور ، عم الأمير يوسف ومزاحمه وعدوه الالد ، فأصيب الجزار برقبته بجرح بليغ قتال . ولما بلغ ذلك الأمير يوسف ، القى القبض على المغربي وأمر بقتله ، ثم اعتنى بالجزار ، واحضر له نطس الأطباء ، فعالجوه حتى شفي من جرحه .

ثم أرسل الأمير يوسف جزاره الى صديقه الحميم ، عثمان باشا ، المصري ، والي الشام ، مصحوباً بكتاب توصية . وكان يهم ذلك الباشا ان يرضى عنه الأمير اللبناني ليستميله لنجدتــه في الهجوم على عكاء وصيداء . لذلك رحب بالجزار وقبــله في عداد المشمولين بنظره بكل ارتياح ، ثم نصبه قائداً لمفرزة مؤلفة من أربعين جندياً . أرسل عثمان باشا جيشاً بقيادة خليل باشا الدالي ، لمساعدة الأمير يوسف على قتــال الشيخ ضاهر العمر الزيداني ، حاكم نابلس وعكاء الشهير ، وكان الجزار مع تلك الحملة فأظهر فيها شجاعته العظيمة وبطولته الفائقة ،مما أثار اعجاب الامير يوسف كل الاعجاب، وبعدئذ رجع مع الحملة الى دمشق .

الجزار في بيروت

بعدذلك بأيام أرسل عثمان باشا مدبره محمد آغا الى الامير يوسف للمحافظة على بيروت، ومعه ثلاثمائة جندي من المغاربة، كان الجزار من بينهم . وحينئذ ارتأى الامير يوسف الشهابي ان يعهد بتسلمية بيروت الى الجزار ، وينقل الى

قلعتها أمتعته وخزائنه ، يأتمن عليها الجزار ، يمينه وصنيعته ، ثم قاتله شنقاً فيما بعد ، وان يجعل تحت إمرته – إمرة الجزار – جنود المغاربة وقد نصح الكتخدا محمد آغا السليم القلب الامير يوسف محذراً من مكر الجزار الغدار ، كما سبق ونصح محمد بك أبو الذهب نفس النصيحة للامير وأغراه بقتل الجزار مقابل مائتي ريال حين يرسل رأسه له . لكن الامير يوسف خاف من غضب الدولة ، اذ بأمرها عين الجزار متسلماً على بيروت تحت يـده ولم يحسب لاي مكروه يأتيه عن يد الجزار .

استلم الجزار متسلمية بيروت ، وأول عمل قام به هو ترميم أسوار المدينة فنصب عليها الخوازيق ، ورسم بيده للبنائين خريطة التحصين . ثم جمع الميرة والذخيرة ، وفي خلال الفرصة المواتية غير موقفه بغتـة من الأمير يوسف ، ولي نعمته . ولما رغب هذا الأمير بالدخول الى بيروت ، مدينته العزيزة ، ومستودع كنوزه وذخائره ، وجد أبوابها مغلقة في وجهه ، وشاهد الخوازيق على أسوارها منصوبة ، وانتهره أحد المغاربة من أعلى السور مصوباً اليـه بندقيته قائلاً « إذا دخلت الى هنـا ، فمولاي الجزار سوف يخوزقك » . وشاع الخبر ان أحمد الجزار انتزع بيروت من أمير لبنان ، مهدده بالخازوق وانه ضبط أمواله الوفيرة مشهراً عليه الحرب .

إزاء هذه الحالة ، أرسل الأمير يوسف عدداً من جنوده لانتزاع مدينـة بيروت من يد الجزار بالقوة ، لكن هذا خاف من النتيجة ، فطلب من الامير يوسف مهلة أربعين يوماً للخروج من بيروت وكان للأمير يوسف أخصام من أنسبائه وأهله من بني يزبك وتلحوق ، اقنعوه بدهائهم بأن يمنح الجزار تلك المهلة ، فمنحه إياها مكرهاً بدون ان يدرك دسيستهم . أما الجزار ، فراح يزيد في تحصينات بيروت بالمدافع وسائر عدة الحرب ، وبعد انقضاء الأربعين يوماً ، رفض ان يسلم المدينة للأمير يوسف . ثم أخذ يرسل المغاربة لضواحي بيروت ، يفظعون بالناس تقتيلاً وينهبون القرى ويحرقونها ، وحول بيروت

الى مسلخ بشري ، وهيج المسلمين على الموارنة ، نكاية بالأمير يوسف ومدبره الشيخ سعد الخوري ، فأحرقوا الكنائس ، ونهبوا الأديرة وطرحوا الآثار في البحر ، وذبوا انية الكنائس الفضية .

ثم قتل الجزار عدداً كبيراً من السكان بدون ذنب أتوه ، وأخذ العالم يتساءل من هو هذا الطاغية الجديد الذي يلتذ بان يرى الناس على الخازوق ويرى الدماء تسيل منهم كما يلتذ ايضاً بذبح الادميين أو قطع رؤوسهم ثم نصبها باعلى الخوازيق . ولكي يزيد بنكاية الامير يوسف ، صنع له تمثالاً علقه بحبل على أحد أبواب بيروت .

ندم الامير يوسف أشد الندم لعدم أخذه بنصيحة الكتخدا محمد آغا ، ومحمد بك ابو الذهب المصري ، من مكر هذا الغدار الملقب بالجزار ، فهب لمحاربته ،واستعان باميرال الاسطول الروسي المرابط في قبرص في ذلك الحين، وذلك بواسطة عمه الامير منصور وضاهر العمر الآنف الذكر ، وقد صالحهما خصيصاً لهذه الغاية . جاء الاميرال الروسي باسطوله وحاصر بيروت خلال أربعة أشهر مقابل ستماية كيس ، أي ثلاثماية الف قرش، وصب عليها مدافعه وكان يسمع صدى هذه المدافع من اليسار فوق دمشق ، فتضايق الجزار من الحصار وعضهم الجوع واضطر ان يسلم المدينة لضاهر العمر ، الذي امنه ومن معه واخرجه منها وسلمها للامير يوسف وذلك في عام ١٧٧٣.وقد سر الامير يوسف من طرد الجزار وحسب انه تخلص منه الى الأبد .

ذهب الجزار بما حصله من مال وذخائر وعتاد مما سبق ووضعه في القلعة الامير يوسف الشهابي ، ذهب بكل ما لديه بصحبة ضاهر العمر الى صيداء ثم الى عكاء.وهناك شكل جيشاً جمعه من قطاع الطرق واللصوص والسفاحين والعاصين على الدولة ، انفق عليه من المال الذي حصل عليه من الامير يوسف وراح يغزو بهم بلاد الدروز انتقاماً من الامير يوسف . وازاء ما وجد فيه ضاهر العمر من مقدرة،كلفه بجباية الأموال من المكلفين فجبى الاموال الاميرية

وفر بها الى دمشق لدى صديقه عثمان باشا ، والي دمشق . اجاره والي دمشق عثمان باشا لكنه انتزع منه الاموال واعادها لضاهر العمر. وهكذا عاد الجزار فقيراً للمرة الثالثة ، وسكن في بيت حقير ينتظر الفرج . ثم سافر للاستانة حيث قام بسرعة ودهاء من استلفات نظر السلطان وكسب رضاه فقلده رتبة الباشوية وولاه على افيون قره حصار وتمكن بهذه الوظيفة بالحصول على مبتغاه من استلفات نظر الدولة فعلا شأنه وعرف باحمد باشا الجزار .

الجزار في عكاء

في سنة ١٧٧٦ احتل الأسطول العثماني مدينة عكا متغلباً على ضاهر العمر الذي كان عاصياً على الدولة وذلك تحت قيادة أحمد باشا الجزار الذي كان قد عينته الدولة والياً على عكا بعد أن تعهد بان يتغلب على ضاهر العمر، وهكذا تمكن الجزار من ان يحقق بعض أمانيه بالحصول على ايالة عكاء ولبنان وانشاء دولة ضمن دولة . وصل الجزار الى عكاء بجنوده ووضع يده على المدينة وعلى مرافقها ، وبوصوله أمر بوضع الضرائب على السكان واغتصب من التجـار الافرنسيين في عكاء ١٥ الف قرش، رصدها لتهيئة جيش كامل العدة والعدد لقطع دابر ضاهر العمر الذي كان احسن اليه، وذلك على سابق عادته بالاساءة لمن احسن اليه . وضم اليه كل النواحي المتاخمة لعكاء بما فيها صفد ولبنان ، وأخذ يجبي الضرائب من السكان حتى امتلأت خزائنه بالمال وكثر عدد افراد جيشه. ومحافظة على مركزه، استمال رجال الاستانة لناحيته مرسلاً القسم الوفير من المال للخزينة السلطانية ، مما جباه من الاهلين . وخافه الامير يوسف الشهابي الآنف الذكر فأرسل اليه التهاني مع هدايا كثيرة ، وقد اضطر الامير يوسف ان يكون خاضعاً له بعد ان كان سيده ، وصدق فيه المثل « بعدما كنت سيدها صرت مطبل في عرسها » . رضي عنه الجزار اولاً لكنه لم يلبث ان أرسل فاحتل بيروت . استغاث الامير يوسف بالاستانة ، فجاء الامر للجزار بالخروج من بيروت وتسليمها للأمير يوسف . لكن الجزار عمل فيا بعد على اقناع الاستانة

بضم بيروت له . وفي سنة ١٧٨٠ ، صدرت الأوامر من الاستانة بان تضم لولاية عكاء أو لواليهـــا أحمد باشا الجزار كل من صيداء وبيروت وطرابلس ودمشق وجعله والياً عاماً على كل هذه المدن كما جعلت هذه الأوامر من الجزار اميراً على الحج . وهكذا لم يصمد امامالجزار أي مزاحم على مسرح السيطرة والبأس . وللمحافظة على مركزه ، استقدم من المدن المجاورة جميع اللصوص وقطاع الطرق والمحكوم عليهم بالأشغال الشاقة وبالموت والفـارين من وجه العدالة ، استقدمهم كلهم وجعـــل منهم حرساً خاصاً له ، وقويت شوكته وقدر له أن يقف بوجه بونابرت ويرده على أعقابه الى حيث لا رجعة وخذل فرنسا وجيشهـا وحملتها الى الشرق لاحتلاله والوقوف في وجه انكلترا في طريقها الى الهند .

الجزار والامير يوسف الشهابي

في سنة ١٧٧٨ ، اتحد مشايخ الدروز النكدية والجنبلاطية على الامير يوسف الشهابي وجاءوا الى الجزار طالبين عزله عن الامارة ، وسبق للأمير يوسف أن أرسل للجزار الامير بشير الشهـابي ، وكان طلب المشايخ الدروز هو ما يتوق اليه الجزار ، لذلك إزاء هذه الحـالة ، طلب الامير يوسف من الجزار ان يولي مكانه أحد أخويه الأمير أحمد أو الأمير فندي ، بالنظر لأن الجزار اصبح السيد المطلق على سوريا ولبنان ، لكن الجزار ولى على لبنـان الامير بشير الشهابي .

ولم يتوان الجزار عن شنق الشيخ غندور الخوري ، كأخيه الامير يوسف، ثم إزاء شكاوى الامير بشير الشهابي من دسائس الأمير يوسف ، جاءته هذه الشكاوى وهو في طريقه للحج فأرسل لكاخيته يأمره بشنق الأمير يوسف ، واستعجل هذا بالتنفيذ ، خدمة للامير بشير ، لكن الجزار عاد فطلب من كاخيته التوقف عن تنفيذ الشنق ، وجاء امره بعد ان جرى التنفيذ .

كانت مظالم الجزار لا تعد ولا تحصى ، ولا يشبع من طلب المال ونهب البضائع ثم طرحها بالسوق باسعار مرتفعة ، ولا ينقطع عن المصادرة ، وقد اصيب في آخر ايامه بالسويداء فكان يسيء الظن بمن يحيط به وقيل انه مرة قتل مائة رجل مسالمين ابرياء .

وأخيراً في ٢٩ حزيران من عام ١٨٠٤ توفي الجزار ودفن في الجامع الذي بناه في مدينة عكاء وأحدث موته موجة من السرور وتبارى الشعراء في ابداء هذا السرور بالقصائد الرنانة ، وهم الذين كانوا يرتجفون من ذكر اسمه في حياته. فمن قصيدة للشيخ مصطفى الرومي :

هلك الجزار ولا عجب ومضى بالخزي والألم
وبميتته الباري عنا ارخ قد كف يد الظلم

ومن نظم المعلم الياس اده أحد شعراء العصر :

وافى السرور وصح ترجيح الامل بهلاك غاشم لا يعادله مثل
أحمد ولكن ليس يحمد في الورى ملعون في المآثم قد رفل
جزار لكن للفضائل جازر مهدي ولكن بالرذائل قد حفل
لله درك يا منون لقد بدت منك الحياة وطاب حكمك واعتدل
فاز الأنام وأرخوه بمقصد هلك الشقي والى جهنم قد رحل

ولم يكتف الشعراء في ذلك الحين بابراز مواهبهم الشعرية بموت الجزار ، بل تعداه لزميله الشيخ طاهر الكردي واسماعيل الارناؤطي فقد نظم أحد الشعراء هذه الابيات :

ما حلت ياحول حتى نلت فيك منى قصدي واشفيت قلباً كان محزونا
واهلك الله فيك الظالمين ولم يعد الى الجور والعدوان تمكينا
فتكت في ذلك الجزار وقد الحقت فيه رجيماً كان ملعونا
ذاك اليزيدي طه من طغى وبغى ارخ وأضحى اسماعيل مدفونا

مصطفى آغا بربر

كانت بيروت قد ألحقت بولاية عكا تحت امرة الجزار كما مر ، لذلك فان الجزار أقام مصطفى بربر معتمداً له في بيروت ولما علم هذا ان عبد الله باشا العظم تولى على ايالة طرابلس ، وأكثر فيها من الظلم ، ترك بيروت وسار إلى عكا ، مستأذناً الجزار بزيارة طرابلس ، مسقط رأسه ، فأذن له الجزار ، وجاء مصطفى آغا بربر لطرابلس ، وأخذ يعمل بما له من نفوذ ، على طرد عبد الله باشا العظم على امل الحلول مكانه .

التف حول مصطفى بربر جماعة من الشبان ، فبعث بأحدهم ، المدعو **محمد آغا القندقجي** ، من طرفه لينام في القلعة ، عند المحافظين عليها ، وفي خلال الليل ، ربط حبلاً بأحد المدافع من شرفة القلعة ، وكان على اتفاق سابق مع بقية الشبان ، تحت زعامة بربر ، الذين كمنوا بجوار القلعة ، ولما أبصروا بالحبل ، أمسكوا به وصعد عليه الواحد تلو الآخر ، ولما اكتمل عددهم ، هجموا على محافظ القلعة وعلى الجند الذين معه ، وقتلوهم على آخرهم ، ثم أخذوا باطلاق المدافع علامة على استيلائهم على القلعة ، وتولى مصطفى بربر القلعة ، وهرب ابراهيم سلطان ، من المتولين المحافظة على القلعة ، وكان قد نجا من القتل ، وأصبح مصطفى آغا بربر الحاكم المطلق ، وكانت الدولة تعتمد على أحمد باشا الجزار بولاية سوريا ولبنان لذلك لما بلغته الأعمال التي قام بها مصطفى بربر ، رأى من الحكمة توجيه القائمقامية عليه .

متسلمو طرابلس

كان قد تولى على طرابلس عبد الله باشا العظم الدمشقي على ما ذكرنا واكثر من الظلم والتعسف كما كان متسلماً على طرابلس ابراهيم آغا سلطان المار الذكر ويقول صدقه ان الطرابلسيين اكبروا عمل بربر باحتلاله القلعة وقتله رئيس الحامية وهو مستغرق بالنوم كما قتل بقية الحراس وبلغ عددهم ثلاثين

قتيلاً وقد احدث اطلاق المدافع من القلعة في الليل ذعراً بين السكان لكن في الصباح لما علم الأهلون باحتلال بربر للقلعة هدأ البال واطمأنت النفوس .

ونرجح ان هذه الأعمال التي قام بها بربر كانت سنة ١٧٩٨ حين كان الجزار في أوج عزه لذلك كما قلنا أعلاه ، انذر الجزار متسلم طرابلس إبراهيم آغا سلطان بوجوب مغادرة البلدة فخاف هذا وسلم المدينة لمصطفى الدلبة وأركن الى الفرار وهكذا أصبح مصطفى آغا بربر « دزداراً » اي محافظاً وقائداً لحامية القلعة وللمدينة .

ويقول نوفل نوفل في مخطوطه ما يلي « ثم لما أراد مصطفى بربر ان يوجه المدافع الى المدينة ، ليطرد منها المتسلم الذي كان يومئذ ، ويقال له إبراهيم سلطان ، خرج هذا المتسلم منها وتركها لزعيم الانكشارية مصطفى آغا الدلبه . ومن ثم بقي بربر نظير دزدار الى ان توفي الدلبه المار الذكر .

الامير حيدر شهاب وغرره الحسان

أما الأمير حيدر شهاب ، المؤرخ المعاصر لبربر ، فيقول في كتابه الغرر الحسان ، ان يوسف باشا العظم ، أخا عبد الله المعهود ، جاء سنة الف وثمانماية برجاله ليأخذ طرابلس خلفاً لعمه رحمون بك في متسلميتها ، فما قبله الطرابلسيون ، لان أخاه عبد الله باشا يبغضه فهزموه الى الميناء قاتلين من عسكره جملة كبيرة ، حتى أكرهوه على الابحار الى اللاذقية . وحينئذ أقام عبد الله ابراهيم آغا سلطان ، وعين مصطفى آغا بربر دزدارا على القلعة . وحين استقام الحكم لابراهيم سلطان ، ضبط خزنة يوسف باشا ، وأرجع الى طرابلس القسم الوفير من أهاليها . وكانوا قد هربوا الى بيروت وغيرها من الحرب التي اشتعلت على يوسف باشا .

تعيين مصطفى آغا الدلبه متسلماً على طرابلس

وفي سجل محكمة طرابلس الشرعية نص البيورلدي بتعيين مصطفى آغا الدلبه متسلماً على طرابلس انفذه إليه الفقير حسن افندي قائمقام والي الشام وطرابلس مؤرخ في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢١٥ هـ . ثم هناك بيورلدي ثان صادر في ٢٥ صفر سنة ١٢١٦ عن أمير الحج عبدالله باشا العظم والي الشام .

ويزيد الأمير حيدر في « غرره » ان عبدالله باشا العظم ارسل الى علي بك الاسعد المرعبي يعينه بوظيفة متسلم على طرابلس وذلك في سنة ١٨٠١ وجاء علي بك هذا لطرابلس لاستلام وظيفته ، فتصدى له مصطفى آغا بربر ورده مدحوراً ، وتملك قلعة طرابلس وعصى على عبدالله باشا العظم ثم طرد أيضاً من طرابلس ابراهيم سلطان ، ففر هذا الى جبيل واصبح بربر متسلماً على طرابلس وحاكمها المطاع .

ثم يضيف الأمير حيدر في كتابه المشار إليه انه سنة ١٨٠٣ م ، سار عبدالله باشا العظم ، والي الشام الى طرابلس على رأس عسكر جرار بقصد احتلالها وانتزاعها من يد مصطفى بربر الذي كان متسلماً عليها منذ سنتين وتملكها وتملك القلعة وطرد منها متسلمها ابراهيم سلطان وقتل مصطفى آغا الدلبه .

بربر وطرابلس

فمن ايراد هذه النصوص يمكننا ان نستنتج ان مصطفى آغا بربر احتل القلعة في سنة ١٨٠٠م وتعين عليها دزداراً في حين تعين ابراهيم سلطان متسلماً على المدينة إلا ان ابراهيم سلطان عزل في تلك السنة واستبدل بمصطفى آغا الدلبه . ويظهر ان مصطفى آغا بربر تمكن بقوة ما لديه من جنود ، ومن ثقة احمد باشا الجزار به من احلال الدلبه مكان ابراهيم سلطان وطرده من طرابلس ثم قتل الدلبه مزيحاً اياه من طريقه ، خارجاً أيضاً على عبدالله

باشا العظم ، عدو الجزار ومنافسه ، وهكذا كافأ الجزار مصطفى آغا بربر بأن اقره على حكم طرابلس ونصبه متسلماً عليها كما بينا آنفاً .

وفي سجلات محكمة طرابلس الشرعية نص يتعلق بهذه القضية وهذا نصه :

« وجه تسطير الاحرف هو انه حيث ابراهيم آغا سلطان متسلم طرابلس، ذهب من ايام من طرابلس من غير مقتضى ، وكان استخلص ثلث مقاطعة الكورة من ملتزميها المسلمين الامارة الاكراد الايوبية التي بيدهم من قديم الزمان ، واعطاها لعمدة الكرام الامير حسن الشهابي ، رغبة بما رغب به . فاستحضر ابراهيم آغا الامير حسن المومى إليه واستفزه لذلك ، ورغبة بما رغب به . وجاب الامير حسن المومى إليه وعساكره الجمع ومن طائفة الدروز والمتاولة أرباب الطمع في أموال الناس وارضاهم، كما صار يتسامع عن ألسنتهم ذلك . وهاجموا مع ابراهيم آغا البلدة وحصل منهم الجنك العظيم والتجريح والسلب والنهب ، وفضح الحريم خارج البلدة . وتعطلت المواسم التي في الاخصاص في البساتين ، حيث بقيت البلدة ما ينوف على عشرين يوماً تحت الحصار ، بالليل والنهار ، لا يقر لأحد من كبير وصغير قرار . ومن ذهب لاطعام الدود من اصحابها في الاخصاص ، تجرحه العساكر وتشلحه ولو كان حرمة .

« وضجت الناس كبار وصغار من ذلك ، وعرضوا الأمر إلى الشام على القائمقام بها سعادة والينا المحتشم الوقور الوزيرالفخم ،بأنهم جميعاً لا يريدون ابراهيم سلطان متسلماً عليهم . والتمسوا تنصيب متسلم عليهم لطرابلس يراه جنابه مستحسناً ، وتضجرت الناس من الحصار وقطع الطرقات من داير البلدة حتى كثرت الخسارة. فحرروا الامر وأرسلوه لجناب عمدة الامراء الكرام ، ذوي القدر والمروءة والاحترام ، علي بك الاسعد دام مجده واستدعوه واستنصرت العامة بجنابه أميراً عليهم بكنف حمايته من ابراهيم آغا المومى اليه ، وباقي العساكر الذين معه ، على وجه انهم لا يريدون ابراهيم هذا متسلماً عليهم ،

بل يكف يده ويد الامير حسن المومى اليه عساكره عن البلدة ، ويدفع ضررهم العام عن خلق الله تعالى .

فحضر علي بك المومى اليه بنفسه طرابلس ، رحمة لفقراها وضعفاها ، وصيانة للعرض وقرروا لديه جميعاً كباراً وصغاراً انهم لا يريدون المتسلم المومى اليه ، كما عرضوا ذلك لجناب قايمقام الشام المومى اليه . فذهب بنفسه علي بك لجناب الامير حسن المذكور ، ورفعه وعساكره ، وابراهيم آغا سلطان ، ودفع ضررهم عن البلدة وأهليها حسب التماسهم منه . ورجع للبلدة عن بكرة ، وأمن الناس ، واستطمنت الرعية وخصوصاً الحريم والاطفال . وقرر انه على وجه فك الحصار عن البلدة ، تعهد لجناب الامير حسن بان يقيم حرم المتسلم ابراهيم آغا سلطان من داره بما لابراهيم والحرم وتملقاتهم ، وما وجد لابراهيم يوجد لحرمه بطرابلس .

« فقام علي بك بالتعهد المذكور على هذا الوجه . وذهب ابراهيم آغا كما ذكر وتعهد به علي بك ، وخرجوا من البلدة آمنين سالمين بجميع ما ذكر ، من غير ان يتعرض لهم أحد بشيء ما . فسطروا مع الحال بحضور الجميع واستحسانهم . وحرر في ٢٧ ذي الحجة الحرام ١٢١٥ . »

وطرابلس كانت تتبع مقدراتها والي الشام أو والي عكاء وصيداء حسبما كانت هاتين الولايتين فاذا تبعت الشام صيدا أو عكاء تحكم واليها بطرابلس وإن استقلت الشام بواليها استمدت طرابلس منها سلطتها ولعل ذلك السبب بأن طرابلس كانت تدعى بطرابلس الشام .

وحكم الوالي كان قاطعاً لذلك فان مصطفى بربر أصبح هو الحاكم المطلق على طرابلس بكافة معالمها من جندية وضرائب وخلافه .

السائح فولناي

وقد وصف « فولناي » السائح الفرنسي الذي زار طرابلس في عهد

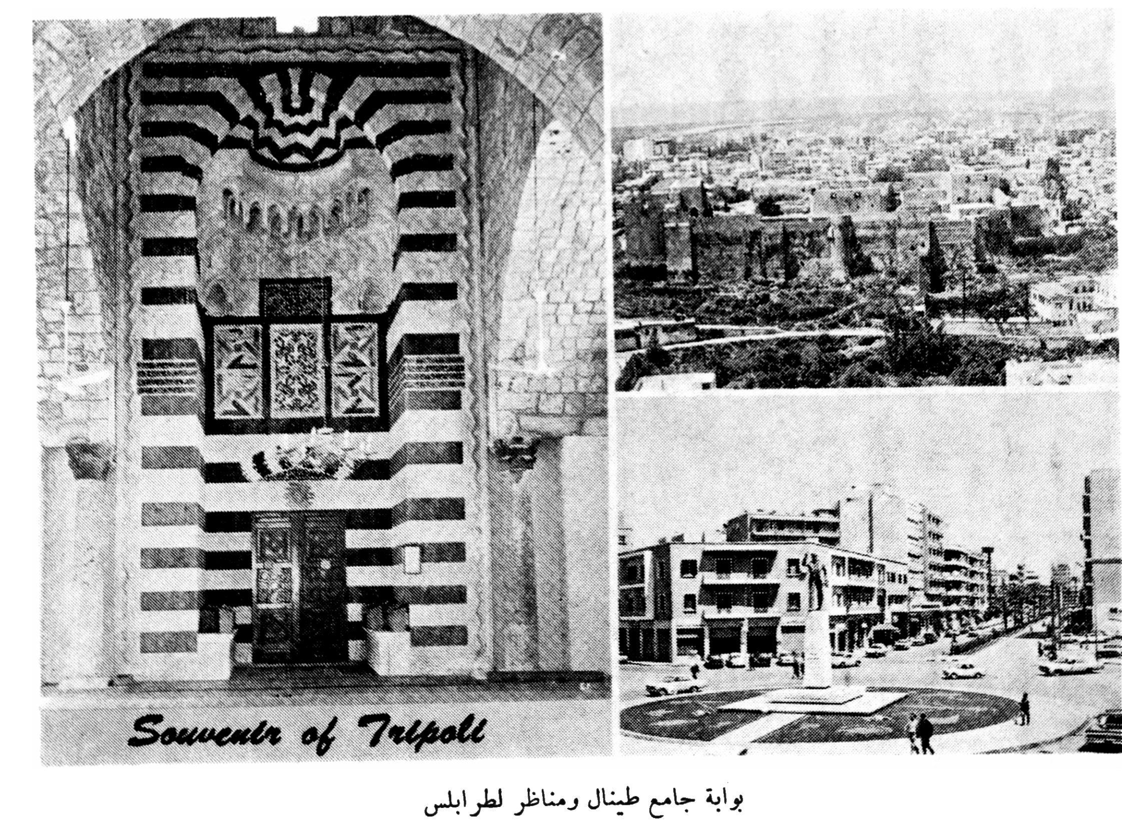
حاكمية بربر فقال « أما باشا طرابلس فيتمتع بكل الحقوق التي يخوله إياها مركزه ، وبيده أيضاً زمام الجندية والمالية والحكم وجباية الضرائب في طرابلس بطريقة التلزيم ، بفرمان يصدره الباب العالي في الآستانة لمدة سنة فقط . ويبلغ الآن – اي في زمان فولناي – ٧٥٠ كيساً يضاف اليه ذخيرة الحج الشريف من الحنطة والشعير والأرز وغيرها وتبلغ ايضاً ٧٥٠ كيساً . وباشا طرابلس عليه ان يسير بنفسه بصحبة الذخيرة المذكورة لملاقاة موكب الحجاج ، ويستوفى هذا المال من المكوس التي يضعها على كاهل التجار وغيرهم هذا عدا عن الضرائب المضافة والبلص ، وتشكل مورداً لا يستهان به . ومركز الباشوية معزز بخمسماية جندي . ولكن النظام مفقود بينهم كما في جند حلب ، وهناك أيضاً عدد من الجنود من المغاربة ، يحملون البنادق . وبالنظر لعدم وجود سلطة كاملة لباشا طرابلس على بلاد النصيرية ، وعلى الموارنة ، فان الضرائب تجبى بطريقة التلزيم يقبل بها السكان ويجري التلزيم لمدة سنة بطريقة المزايدة، ما يؤدي للتنافس بين الملتزمين» انتهى كلام فولناي.

وفي سنة ١٨٠٤ ، لما كان أسعد صعب المشهور ، عاملاً على القلع من قبل الامير حسن ، وليس لديه من الجنود الفرسان سوى أربعين فارساً ، خرج مصطفى آغا بربر بألف وخمسماية فارس فقاتلهم أسعد عند قرية مجليا ، في ضواحي طرابلس بأهل عكار الذين انضموا اليه وذلك على أمل طرد مصطفى بربر من القلعة ، لكن الأمير بشير عمر ، لما بلغه الخبر، جهز عسكراً وأرسله لقرية أميون ، من قرى الكورة ، وهناك نشب قتال بين الطرفين برز في خلاله فارس من جنود بربر يقال له حسن بربر ، وطلب من يبارزه من جنود أسعد صعب، فخرج أسعد اليه، وبعد ان تعاركا وأطلقا على بعضهما الرصاص، ولم يصب أحدهما الآخر ، أمسك أسعد صعب بحسن بربر واخذه أسيراً ، وبعث به الى قرية أميون ، ولما وصل القرية استلمه المتاولة وقتلوه ، وقد تكدر اسعد صعب من هذا العمل .

وفي سنة ١٨٠٦ اخذ مصطفى بربر يعمل كل ما في وسعه للتخلص من اسعد صعب ، فقرر اغتياله ، وكلف أحد معتمديه للقيام بهذه المهمة ، فكمن هذا في سهل الكورة وبينما كان اسعد صعب ماراً من هناك ، اعترضه فارس على حصان في الطريق ، وسأله عن اسعد صعب فأخذ هذا بذمه ، ليرى النتيجة ، فظن الفارس ان مخاطبه من أعداء أسعد صعب ، وروى له أنه معتمد مصطفى آغا بربر لاغتيال أسعد صعب ، وعندها اخبره أسعد صعب انه هو المطلوب ، فوضع الفارس يده على البندقية لاطلاقها عليه، لكن أسعد صعب عاجله بضربة من حسامه اطاحت رأسه فتدحرج على الأرض .

ولم تهدأ الحال مع مصطفى آغا بربر ، بل توالت عليه الحوادث ففي سنة ١٨٠٧ أرسل يستنجد بالأمير بشير الشهابي على قتال الشيخ صقر المحفوظ ، حاكم صافيتا ، لتمنعه عن دفع المال الأميري المطلوب منه ، فأرسل له الأمير بشير ، الأمير عباس أسعد والأمير حيدر اسماعيل اللمعي وغيرهما من الأمراء مع عدد من العساكر ، وزحف الجميع مع عسكر مصطفى بربر على صافيتا ونهبوها واحرقوا الزرع وعندها خاف الشيخ صقر وأرسل يطلب الامان فرضي عنه بربر ورجع الأمراء .

وفي سنة ١٨٠٨ احيلت ولاية طرابلس لعهدة كنج يوسف باشا ، فاصدر أمره الى مصطفى آغا بربر بتسليم القلعة لعسكر الدولة ، ويستمر حاكماً على طرابلس ، فرفض بربر الانصياع ، ولما بلغ الخبر لكنج يوسف باشا ، زحف بعسكره على طرابلس وحل بهم في ظاهر البلدة أما بربر فجمع أهل البلد وأخبرهم بالواقع وانه سيحاصر بالقلعة ، وانه لا بد للباشا ان ينتقم من أهالي البلد ، وما عليهم الا أخذ احتياطاتهم ، وهكذا هرب أهل البلد للجبل ، وحاصر عدد منهم في القلعة مع مصطفى بربر . وبقيت الميناء منفردة لوحدها لم تشترك بالخلاف . أما الباشا فقد دخل طرابلس بعسكره ونهبها وهدم بعض الدور ، ثم أخذ بمحاصرة القلعة ، فحاصرها خلال أحد عشر شهرا حتى



بوابة جامع طينال ومناظر لطرابلس

نفدت المؤن من المحاصرين وتهدم بعض سور القلعة ، فاغتنم بربر غفلة من الجنود المحاصرين للقلعة وفر الى صيداء ، فاستقبله سليمان باشا واليها وكتب للاستانة فورد الفرمان العالي بقتل كنج يوسف باشا ، لأنه اضر باهالي طرابلس ، وتقررت الولاية على والي صيداء المشار اليه ، سليمان باشا .

ولما بلغت الأخبار كنج يوسف باشا الوالي ، هرب لمصر على متن أحد المراكب الشراعية ، ثم أصدر سليمان باشا، والي طرابلس الجديد أمره باسناد قائمقامية طرابلس إلى مصطفى بربر ، وهكذا عاد اليها واستقرت الأحوال وأمن السكان على ممتلكاتهم،وانتشر الأمن والرخاء في عهد ولاية سليمان باشا ، ويقول طنوس الشدياق في كتابه اخبار الاعيان في جبل لبنان ان سليمان باشا أرسل متسلماً على طرابلس مصطفى بربر بعد ان فر كنج يوسف باشا الى مصر وان سليمان باشا المشار اليه لم يأذن لمصطفى بربر باستلام القلعة بل جعله حاكماً على طرابلس فقط .

قلعة طرابلس

كان من المتوجب ان نأتي على وصف قلعة طرابلس في الباب الخاص بآثار طرابلس ، ولكن بالنظر لورود اسم القلعة مراراً وتكراراً في عهد حكم مصطفى بربر وكما مر في باب الحروب الصليبية ، رأينا ان نأتي على وصف القلعة المشار اليها في سياق الحديث عن حكم مصطفى بربر ، ضاربين صفحاً عن ذكرها في باب آثار طرابلس .

قلعة طرابلس ، او الحصن الحصين الجبار الذي رافق تاريخ طرابلس خلال سنين طويلة ، وفيها حاصر حكام طرابلس من صليبيين ومسلمين ضد الغارات والحصارات العنيفة ، وشغلت حيزاً كبيراً في تاريخ حكم بربر لطرابلس هي عبارة عن حصن صليبي اقتضت الظروف ببنائه في مكانه الحالي .

في سنة ١١٠٠ عهـــد ملك أورشليم الصليبي ، غودفروى دي بويون ، بطرابلس الى البنادقة ، وهم الفرقة الصليبية العائدة لدولة البندقية إذ ذاك ، وهي اليوم احدى المقاطعات الايطالية وكانت عاصمتها مدينة البندقية ، عهد اليها بالعمل على فتح طرابلس . كان قائد الصليبيين في ذلك الوقت ريمون دي صنجيل كونت دي تولوز الفرنسي [١] ويطلق عليه المؤرخون العرب اسم صنجيل ، وكان هذا القائد بعد ان استولى الصليبيون على انطاكية والقدس وانطرطوس وعرقة ، كان كل همه ان يستولي على طرابلس وينشىء بها إمارة صليبية ، بعد ان خذل في المدن السابقة ، فجاء الى طرابلس وحاصرها خلال خمس سنوات ولم يستطع الاستيلاء عليها ، لصمود صاحبها ابن عمـــار فخر الملك ، الداهية الجبار وجيشه الباسل مستنداً على النجدات التي تواردت عليه من مصر . فرأى ريموند الصنجيلي ان يبني على كتف الجبل الكائن من جبهة طرابلس الشرقية حصنـاً يمكنه من الصمود على محاصرة طرابلس . وهكذا باشر ببناء هذا الحصن وأطلق على اسم التلة التي بنى عليها الحصن « اسم تلة الحجاج » لانها تخص الصليبيين الغرباء من رواد الأراضي المقدسة ، وهكذا تم بناء هذه القلعة ليأوي اليها جيش ريمون الصنجيلي .

وقد ساعد على بنـــاء هذه القلعة الامبراطور كومين البيزنطي ، حليف ريموند الصنجيلي القديم وصديقه الحميم ، فقـــد أمر صاحب جزيرة قبرص البيزنطي التابع له بأن يرسل الاسطول الذي لديه الى طرابلس ليحمل له كل ما يلزمه من مواد البناء . وبذلك اشتدت عزيمة ريموند الصنجيلي وراح يشدد الحصار على طرابلس بعد ان تم بناء القلعة ، ويعيد عليها الكرة بعد الكرة ويحمل على أطراف البلدة وعلى ضواحيها . وقد ساعده في بناء القلعة عدد من اللبنانيين

---

(١) مر ذكره في باب الحروب الصليبية .

من سكان الجبل ، كما استعان على حصار طرابلس بعدد آخر من سفن الجنويين وكان يرغم الطرابلسيين المحاصرين على دفع الضرائب بقطع المياه عنهم .

غير ان أمير طرابلس فخر الملك بن عمار ، لما كثر لديه المدد ، اشتد ساعده وهاجم الصليبيين ليلاً في محلتهم المشار اليها حول القلعة وتمكن من هدم جانب من الذي بنوه من القلعة . لكن ريموند الصنجيلي أعاد البناء الذي تهدم وهاجم ابن عمار واسترجع كل ما يحيط بالقلعة الذي استولى عليه ابن عمار وزاد في تحصين القلعة ، وراح يهاجم الطرابلسيين المرة بعد المرة حتى أوشك ابن عمار ان يستسلم لكنه اغتنم فرصة مواتية وهاجم القلعة وأضرم النار في جوانبها وعملت النار عملها وأصيب ريموند الصنجيلي بحروق بالغة مات على أثرها ، على ما فصلناه في باب الحروب الصليبية .

وبعد ان احتل الصليبيون طرابلس وأنشأوا بها إمارتهم المستقلة زادت قيمة القلعة الحربية وأنشأ بها الصليبيون كنيسة رائعة زينوها بالنقوش ولم يزل اثر جدرانها ظاهرا يدل على روعة البناء .

وضع القلعة ومساحتها وشكل بنائها

الحجارة المبنية بها القلعة رملية ناعمة ، وعلى بعضها علامة البنائين الصليبيين التي تتفق كل الاتفاق مع علاماتهم في ابنية حصن الأكراد وقلاع انطرطوس وصيداء لكن هناك فرق في طريقة نحت الحجارة فهناك قسم منحوت منحرف لليمين أو لليسار وهناك قسم آخر عمودي من الاعلى الى الأسفل او افقي من اليمين الى اليسار ، والنوع الاول من النحت هو غالباً للحجارة الضخمة والثاني للحجارة الصغيرة وحجارة القلعة جميعها من الحجر الطرابلسي الرملي المعروف الذي بنيت به جميع دور طرابلس مما يدل على أن صنجيل اقتطع الحجارة من المقالع الواقعة بمحلة البحصاص في الميناء .

والقلعة مستطيلة الشكل متعددة الاضلاع ، يبلغ طولها من مدخلها الشمالي



القلعة ونهر أبي علي

الى اقصى طرفها الجنوبي نحو ١٣٦ متراً ومعظم عرضها لا يتجاوز السبعين متراً وتتألف التحصينات الخارجية في القلعة من خندق عميق وسلسلة ابراج وحجب . والخندق منحوت في الصخر عند طرفه الغربي ومبني فوق الأرض عند طرفه الآخر ويتجاوز طوله السبعين متراً وعرضه الخمسة امتار وعمقه يتراوح بين المترين والثلاثة أمتار . والقلعة بمجموعها شبيهة بقلاع القدماء التي كانوا يحصنونها بخنادق عميقة يحفرونها حولها ويجعلون فوق الخندق جسراً نقالاً ، حتى اذا جاءهم العدو تعذر عليه الدنو من جدران القلعة .

وتتألف سلسلة الأبراج في القلعة من ٢٥ برجا ، منها برجان جددهما السلطان سليمان العثماني سنة ١٥٢١ ولا يتجاوز كل منهما الخمسة أمتار ارتفاعاً. وفي أعلاها نوافذ للمدافع وعدد وافر من الشرفات الحربية . وفي جنوبها وغربها سبعة ابراج عليها كلها عشرة طيقان للمدافع وسماكتها سبعة امتار وبين ابراجها الشرقية ، برج مستدير سمكه تسعة عشر متراً . والابراج الشرقية تمتاز عن الجنوبية ببعض الشرفات الحربية في اعاليها .

وللقلعة في استحكاماتها الخارجية ، ما عدا بابها الكبير في البرج الأول بابان صغيران، أولها في أول البرج الثاني عشر ، والآخر في قاعدة البرج الثاني والعشرين . وهناك طريق (خضر آغا) التي كانت تزيد القلعة مناعة في ايام الحصار والقلاقل ، فان هذه الطريق كانت تصل بيت المتسلم بباب القلعة الكبير ، وذلك بواسطة سرداب واقبية محصنة ودور عالية ضخمة متلاصقة بعضها ببعض بين بيت توفيق آغا خضر وبيت حسن أفندي الكاشف حسبما يؤكد المتقدمون بالسن من أهل الخبرة من سكان طرابلس ، كما يؤكدون ايضاً انه كانت هناك افعى هائلة تمد رأسها من أعلى القلعة بشكل قنطرة لتشرب من مياه نهر ابي علي المارة بجوار القلعة من ورائها .

أما تحصينات القلعة الداخلية ، فمؤلفة من البرج الشمالي الكبير ، الذي هو من بناء الصليبيين ، وهو مربع الشكل طول ضلعه الشرقي ١٤ متراً ،

ومعد لثلاثة مدافع فقط. وتتألف التحصينات الداخلية ايضاً من البرج السابع والعشرين ومناعتها تبدو من ارتفاع أسوارها وابراجها المتراوح بين خمسة أمتار وتسعة عشر متراً وثخانة الأسوار تبلغ مترين ونصف. وتبدو مناعتها أيضاً من طريقة البناء فيها المحكمة الصنع، وحجارتها المرصوفة بعضها الى بعض، وجدرانها المشبعة بالمونة . وتظهر قوتها ايضاً من فسحتها وسعة قشلاتها وغرفها العديدة، مما يدل على استعدادها الوافي للمقاومة لاي كان من الأعداء وثباتها وقت الحصار . وفيها صهريج كبير في البرج السابع واثنان آخران بجوار البرج الكبير الذي بقربه ناعورة كانت تستعمل لرفع نصيب القلعة من مياه نهر أبي علي الذي يجري بجانبها ..

جنسية القلعة

وعالج الدكتور أسد رستم في كتيبه عن قلعة طرابلس وجنسيتها فيما اذا كانت من بناء الصليبيين أو من بناء المسلمين، فاستشهد بالمؤرخ اللبناني المطران جبرايل بن القلاعي اللحفدي، مطران قبرص الماروني، خلال القرن الخامس عشر، الذي يذكر في زجلياته المشهورة، قلعة طرابلس وقضية حرقها، كما أورد ما ذكره النويري–احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبدالدايم النويري – الذي توفي سنة ١٣٣٢، وقد تولى نظارة الجيش في طرابلس برهة من الزمن، فقد قال في تاريخه ما نصه « وفي سنة سبعماية ه فوضت نيابة طرابلس الى الأمير سيف الدين اسند مركرجي المنصوري، فاستمر بها الى سنة تسع وسبعماية ه، وقد عمر بعض القلعة وأقام بها ابراجاً وفي النقوش الكتابية على باب القلعة كتابة مآلها ان السلطان سليمان القانوني ابن السلطان سليم، الذي استولى على طرابلس حين احتل سوريا ولبنان، أمر بتجديد البرجين الشماليين اللذين بالقرب من الباب الكبير . وكل ذلك يؤكد انه حدثت ترميمات واسعة في بناء القلعة . أما آثار الصليبيين، فيدل عليها طريقتهم في نحت الاحجار التي بنيت فيها القلعة وذلك بنحت هذه الاحجار

تارة لليمين وتارة للشمال ، كما مر ، لذلك فان القلعة موضوع البحث مزيج من آثار الصليبيين والمسلمين .

نقوش القلعة

ان اقدم نقوش القلعة ، هو النقش الذي هو في البرج الشمالي الكبير فوق مدخله الشمالي وهو محفور في الرخام الابيض . ويرجع عهد هذه الكتابة الى سنة ١٣٤٥ ، الى زمن السلطان شعبان ابن السلطان الناصر محمد بن السلطان المنصور قلاوون وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . ولما كان بتاريخ العاشر من شعبان المكرم سنة ست وأربعين وسبعماية للهجرة الشريفة النبوية ، برز أمر السلطان الأعظم المالك الملك الكامل سيف الدنيا والدين ، شعبان بن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون ، لا زال مراسمه نافذة في الآفاق هاطلة سحب سمائها بالاغداق ، من يسامح جميع الجيوش الاسلامية والأمراء المماليك السلطانية والجند بالحلقات ، والأصحاب الامراء والأتباع عما لعله يتعين للديوان المعمور على كل فصل ، منهم قيمة خدمة أو تفاوت أيام الديوان ما بين السنين الشمسية والقمرية يبطل تخريج ما قبل ذلك ديوان الجيوش المنصورة بالممالك الاسلامية ، بحيث لا يبقى لديوان المرتجع مدخل في اقطاعات المقطعين . ويكون جميع ما يتعين من الديوان محاسبات مسموحة داخلاً في هذا الانعام على توالي الايام . مشتمل عليه العطاء الذي شمل جوده الخاص والعام ومثوبة يحمد اجرها في دار الكرامة وسنة حسنة لها اجرها واجر العمل بها ومن عمل بها الى يوم القيامة ، ومن ثابر الاقتداء فيه حقق الله من الخير ظنونه ، ومن بدله بعد سمعه فان اثمه على الذين يبدلونه . ومن نقصه او قصد نقصه على ممر السنين ، فيكون الله عز وجل خصمه ونبيه محمد سيد المرسلين . ويحق عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، ويبوء بالاثم الذي يخسر به الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران

ومن .. وهو خير الوارثين في ايام ملك الامراء المقر الاشرف العالي الكافي السيفي قماري الكاملي كافل السلطنة الشريفة بالفتوحات الطرابلسية عز نصره».

والمعنى المراد من هذه الكتابة غير صريح، لا يعرف الغرض منه بوضوح بالنظر لضعف العربيــة وركاكتها في ذلك الاوان بسبب اختلاط العرب بالاعاجم. اما الملك شعبان، فكما تقدم هو الابن الخامس للملك الناصر قلاوون وقد انتهى إليه الملك في ٢١ ربيع الاول سنة ٧٤٦ هـ ، فلم ينهض بالملك نهوضاً حسناً وقد ركب الشطط واسرف في ابتزاز الاموال من الرعايا ممـا ليس هنا موضوعنا .

والقول في مسامحة جميع الجيوش المنصورة الاسلامية والامراء والمماليك السلطانية والجند بالحلقات ، والاصحاب والامراء والاتباع ، فهو افصاح عن ترتيب الجند في دولة المماليك البالغ عددهم ٥٢٦ الفاً. يرتزقون من الاقطاعات لهم لقاء خدمتهم التي كانت خمس سنوات . وقد سامحهم الملك شعبان بما كانوا يجنونه من اقطاعاتهم للارتزاق .

والمراد بالحلقة بالكتابة أعلاه ، فهي شراذم من الجند المرابطة ، وكانوا يقامون كحماة للمدينة . والحلقة الطرابلسية كانت عبارة عن أربعة آلاف جندي والف مملوك يلتحقون بالأمير الحاكم في طرابلس .

والكتابة الثانية منقوشة فوق باب القلعة الكبير ومدخلها الرسمي محفورة على الرخام الأبيض ، ويرجع عهدها الى السلطان سليمان القانوني - ١٥٢٠ - ١٥٦٦ - ودعي كذلك لانه سن قوانين كثيرة ، وكان فاتحاً أوصل حدود مملكته ودولته العثمانية من بودابست عاصمة المجر على نهر الدانوب أو الطونة الى أسوان عند شلالات النيل ، ومن نهر الفرات شرقاً وبوغاز جبل طارق في اسبانيا وهذا نص الكتابة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . رسم بالامر الشريف السلطاني الملكي المظفري

السلطان سليمان شاه ابن السلطان سليم شاه لا زالت أوامره الشريفة مطاعة بالامراء بأن يجدد هذا البرج المبارك حصناً منيعاً على الدوام وكان الفراغ من عمارته في شهر شعبان المبارك سنة سبع وعشرين وتسعماية » .

أما الكتابة الثالثة فهي نقش آخر يعني مصطفى آغــا بربر فقد أنشأ جامعاً في القلعة او جدده في سنة ١٢١٦ وذلك في جانب البرج الشمالي ونقش تاريخ بنائه أو احيائه بشعر منقوش فوق المحراب وهذا نصه :

ادخل مقامــاً نيرا ومسجـــداً محترمــا
احيــاه بعد دراسة وبربراً لقد نمــا
الشهم أعني مصطفى اغــا سليل الكرما
طوبى له نال بـــه أرخت اجرا اعظما

أما الكتابة الرابعة والاخيرة فقد أحدثها عهد نقشت سنة ١٢٨١ طولها ٤٠ سنتم وعرضها ٢٠ سنتم وهي فوق مدخل المقــام بجوار البرج الثالث عشر محفورة وحفرها البكباشي عيسى افندي على بناء فوق ضريح الشيخ سليمان العريان وهي بيتان من الشعر هذا نصهما :

قد شاد بكباشي افندي ذا البنا عيسى الذي قد فاق كل فارس

١٢٨١ هـ .

أعــني بـــه برنجي طابوراتي درضنجي اوردي في اللواء الخاص

أما ضريح سليمان العريان فتجده حقيراً في وسط المقــام المذكور وعليه الكتابة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم كل من عليهـــا فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . دفن في هذا المكان ولي الله الشيخ سليمان العريان عليــه الرحمة والرضوان في غرة شهر ربيع الاول سنة ١٢٢٠ .



منظر آخر للقلعة وللإسكلة والبلدة

طرابلس في عهد بربر حتى الاحتلال المصري

عم الأمن والرخاء في عهد حكم مصطفى آغا بربر على طرابلس ، وخاف السكان من ارتكاب الموبقات وخشيه أيضاً حتى النساء ، فكن يرتجفن خوفاً من ذكر اسمه ، ولكن بالرغم من شدته في معاقبة المجرمين ، لم تخل طرابلس في عهده من عبث الأشقياء ، ففي سنة ١٨١٦ ، بينما كان احد الاطباء من الانكليز يتجول في جبال اللاذقية ، ويقوم ببعض الدسائس ، حسب عادة المستعمرين ، هجم عليه بعض السكان من العلويين وقتلوه واستولوا على ما يملك من مال ومتاع ، ولما بلغ الباب العالي الأمر بواسطة السفير الانكليزي في الآستانة ، صدرت الأوامر الشاهانية العاصمة بوجوب القاء القبض على الأشقياء الذين قتلوا الطبيب الانكليزي المذكور . ولما لم تأت هذه الأوامر بنتيجة ، بل واصل الأشقياء المشار اليهم العبث بالأمن ، وأضربوا عن دفع الاموال الاميرية ، أرسل سليمان باشا عسكراً لردهم ، وكلف مصطفى آغا بربر بمرافقة هذا العسكر ، وحين وصل مصطفى آغا بربر مع الحملة لمراكز العلويين ضربهم بيد من حديد ، واستولى على ممتلكاتهم والقى القبض على سبعين رجلاً من أعيانهم وأعدمهم ، وقطع رؤوسهم وحشاها تبناً وأرسلها للوزير المذكور . وهكذا خمدت الحركات نوعاً ما ، لكنهم عادوا للعصيان ورفضوا دفع الضرائب المتوجبة عليهم للدولة ، فعاد مصطفى آغا بربر اليهم وقتل منهم خمساً وأربعين رجلاً ، فوقع الخوف في النفوس وأخذ الناس بدفع الأموال الاميرية .

وبالنظر لتهدم بعض جوانب القلعة في طرابلس ، اضطر مصطفى آغا بربر لترميمها واستقرض المال اللازم من سكان طرابلس ودفع لهم فيما بعد ما أخذه منهم على سبيل القرضة . وفي سنة ١٨٢٠ توفي الوالي الوزير سليمان باشا وخلفه على الولاية عبد الله باشا كوالٍ على عكا . كان عبد الله باشا هذا قبيح السيرة والسلوك ففصل مصطفى آغا بربر عن ايالة طرابلس وأقام عليها مكانه

علي بك الأسعد متسلماً . وهكذا انزوى مصطفى آغا بربر في داره في قرية إيعال، تلك الدار التي بناها خلال اقامته على متسلمية طرابلس من ماله الخاص.

كان عبد الله باشا سريع التقلب ، قرب اليه محبي المفاسد وأصحاب الشرور ، لذلك لم يلبث ان غضب على الأمير بشير الشهابي ، أمير لبنان ، وعزله من الامارة أو الولاية لكنه فيما بعد رضي عنه فأعاده الى مركزه السابق ، ثم حدثت بعض القلاقل ، وفر الأمير فارس الشهابي والتجأ الى الشيخ رعد المتولي على الضنية ، وكان الأمير بشير الشهابي قد زحف على طرابلس بعسكره ونصب خيامه على ضفاف نهر ابي علي ، فأرسل آل رعد في الضنية يستشيرون مصطفى بربر في إيعال ، فأشار عليهم بإكرام الامير فارس ، وان ينزل الشيخ عباس رعد والشيخ محمد الفاضل رعد للسلام على الامير بشير ، المعسكر على ضفاف نهر ابي علي ، كما مر ، ويستعطفانه على الامير فارس، ولما قاما بالمهمة وقابلا الأمير بشير ، رفض الامير بشير طلبهم. ولما علم علي بك الأسعد ، متسلم طرابلس ، بنزول الأمير فارس عند بني رعد في الضنية ، بعث يشكوهم لعبد الله باشا ، ولما عرف الامير فارس بذلك ، فر الى بلاد الحصن ونزل على واليها ، أما الامير بشير فإنه رجع بعسكره الى مقره .

محاولة القبض على مصطفى آغا بربر

ولسبب مجهول ، ورد في سنة ١٨٢٢ أمر من عبد الله باشا والي عكا الى علي بك الأسعد متسلم طرابلس ، بالقاء القبض على مصطفى آغا بربر وحجز ممتلكاته، وحين علم مصطفى آغا بربر بهذا الامر ، فرّ هارباً الى جهة بشري، قاصداً المسير الى بلاد الشام ، على انه لم يتمكن من ذلك بسبب كثرة الثلوج على الطريق فأقام في بشري ، وكتب رسالة للامير بشير الشهابي طالباً فيها مساعدته ، وضم الى هذه الرسالة رسالة أخرى الى عبد الله باشا يستعطفه ،

وحمل كتاب الامير بشير **نعمة الله غريب** . ولما وصل نعمة الله غريب لعند الامير بشير وسلمه رسالة مصطفى آغا بربر، ارسل الامير بشير رسالة عبد الله باشا التي كتبها له مصطفى آغا بربر وأرفقها بكتاب خاص منه رجا فيه عبد الله باشا أن يرضى عن مصطفى بربر . نزل عبد الله باشا عند طلب الامير بشير ورضي عن بربر ولما بلغه ذلك ، ترك بشري وذهب لعند الامير بشير ليشكره . فأرسل الامير بشير رسالة لعبد الله باشا يرجوه فيها أن يكمل رضاه عن مصطفى آغا بربر ويعيده لمتسلمية طرابلس ، فقبل عبد الله باشا طلب الامير بشير وعزل علي بك الأسعد عن متسلمية طرابلس وأرجع مصطفى آغا بربر لوظيفته السابقة متسلمية طرابلس .

ما حدث في غياب بربر عن طرابلس ؟

يقول نوفل نوفل في وصف ما حدث في غياب مصطفى آغا بربر عن متسلمية طرابلس ، انه عند ختام سنة ١٨٢١ ومرور سنة كاملة على استلام علي بك الاسعد لمتسلمية طرابلس، ارسل كاتبه ومعتمده الخاص **نصر الله نوفل** الى عكاء ليقدم لعبدالله باشا حسابات جباية الاموال الاميرية عن السنة الآنفة الذكر . وكان نصر الله نوفل جميل الخط ، جريئاً للغاية ، فبينما هو في عكاء يقوم بالمهمة المعهود بها اليه ، بلغه ان مصطفى آغا بربر تقدم بعريضة لعبد الله باشا ، والي عكاء ، بواسطة الامير بشير الشهابي الذي ارفق هذه العريضة بكتاب منه لعبد الله باشا يستعطفه بشأن مصطفى آغا بربر ، وان الامير بشير كتب مرتين الى عبد الله باشا يطلب رجاءه بمصطفى آغا بربر وإعادته لمنصبه السابق وعدم تشميت الأعداء به ، كما فهم ايضاً ان بنية عبد الله عزل علي بك الأسعد وإعادة مصطفى آغا بربر الى متسلمية طرابلس تلبية لطلب الامير بشير . كتب نصر الله نوفل الى علي بك الأسعد بجلية الأمر وأخبره بالواقع ، وأنفذ له الكتاب مع ساع مخصوص ليتدارك الأمر، ولكن أحد نصاري طرابلس الذي كان في عكاء في ذلك الحين ويقال له

خليل فواز ، ذهب حالاً وقص الأمر على وصيف عند عبد الله باشا ، يقال له **عبد الله آغا شناتا** ، وظيفته إضحاك الباشا وإدخال السرور على قلبه ، فذهب هذا وأطلع عبد الله باشا على ما قام به نصر الله نوفل . أرسل عبدالله باشا من ألقى القبض على الساعي وأخذ منه رسالة نصر الله نوفل واطلع عليها وأمر بالحال باحضار نصر الله نوفل وسأله «هل هذا المكتوب بخطك ؟» فأجاب « نعم » فقال عبد الله باشا « ولماذا كتبته ؟ » فأجاب « لان علي بك مولاي وأنا خادمه » فسكت عبد الله باشا وقال لاولاد العورا ، كتاب خزينته « ليبق هذا الرجل محفوظاً » .

وكان قصده من الاحتفاظ به بان يصادره بمبلغ من المال يأخذه منه . وفيما كان افراد الضابطة يقومون بارساله للمكان الذي أمر الباشا بالاحتفاظ به فيه رجع بشناتا الآنف الذكر لعند عبد الله باشا وأغراه على قتله ، وبيّن له ان مركز الباشا يقضي بقتل نصر الله نوفل ، وبما ان عبد الله باشا كان سريع التقلب ، سفاكاً للدمـــاء ، لذلك أرسل جندياً من الذين حوله وأمره بقتل **نصر الله نوفل** قبل ان يصل للمكان المرسل اليه – وهو بيت العورا – فذهب الجندي وقتل **نصر الله نوفل** في الحال . وفي سنة ١٨٢٨ رضي عبد الله باشا تماماً عن مصطفى آغا بربر وعهد اليه بتسلمية طرابلس وعزل عنهـــا علي بك الأسعد .

أما الأمير حيدر فيقول في كتابه الغرر الحسان عن هذه الحادثة قاصـــاً علينا تفصيلاتها على الوجه التالي مبيناً مصير عبد الله شناتا مسبب قتل نصر الله نوفل .

« ... **وعبد الله شناتا** هذا كان في خدمة عبد الله باشا والي عكاء ، مقيماً عنده من أيام سليمان باشا العادل . طرده عبد الله باشا حيناً ، وسار الى الشام ثم الى حلب ثم الى انطاكية ، ولما قدم درويش باشا الى الشام التقى به في الطريق وخدم عنده . ثم ترك الشام وعـاد الى عـكاء ، وانشرح صدر عبدالله باشا

عليه ، واعطاه متسلمية طرطوس . وبقي فيهـا مدة وكيلا عنه . ثم وشى به لعبدالله باشا بانه ظـالم ومداوم المنكرات ، وزادت الشكايات من الذين كانوا يكرهونـه ، فصدق عبدالله باشا الوشاة ، وأمر علي بك الأسعد — صاحب عكار — ان يقبض عليه ويسلبه كل ما أخذ. فلم يتمكن علي بك من القبض عليه ، لأن عبدالله آغا كان قد عين عنده نحو مايتين خيال ، واعطاهم الخيل والسلاح . ارسل علي بك الاسعد له ان يحضر لاجل نظـام الضنية ، لكنه فهم من حاشية عبدالله باشا ، من محبيه لديه ، ان عبدالله باشا أمر علي بك الأسعد بالقاء القبض عليه ، لذلك فر هارباً الى نواحي حماه ثم الى الشام . وتفرق عنه أصحابه ، وضبط علي بك الاسعد مـا وصل اليه من ممتلكاته . وسار عبدالله آغا شناتا الى حلب ، ثم كتب للامير بشير يخبره بما آل اليه أمره ، ولما كانت هناك مودة بينه وبين الامير بشير أرسل هـــذا يستعطف عبدالله باشا عليه وبالنظر لانشراح صدر عبدالله باشا من جهـة الامير بشير لذلك رضي عنه عبدالله باشا وأرسل يستدعيه من حلب ، فرجع الى عكاء صحبة علي آغا السلحدار » .

أما نوفل فيقول عن قتل عبدالله شناتا ما فحواه :

وفي أثناء سنة ١٨٢٤ حضر عبدالله شناتا لعند علي بك الأسعد من عكا ليبارك له في منصب الباشوية — وينال احساناً كما هو مألوف عادته . وأقام عنده مدة يمازحه، وعلي بك يظهر له كل بشاشة . حتى كانت ليلة أرسل استدعاه بها مع تفنكجي باشا ، فلما وصل الى السراي ، وأراد الصعود في السلم ، جذبه التفنكاجي باشا ، ومال به لمحل آخر ، وخنقه بحمائل سيفه ، وعبدالله شناتا يضحك ويظن أن الأمر مزاحاً ، وبعد ان أتم التفنكجي باشا الأمر ، الذي تلقاه من علي بك الأسعد ، واطمأن لموت عبدالله شناتا ، ذهب الى علي بك ، وأخبره أنه قضي الأمر ، فقال له علي بك « إذهب وبشر زوجـة نصرالله نوفل باني أخذت لها ثأر زوجها من غريمه » .

حوادث متعددة

ويواصل نوفل نوفل مجريات حديثه فيقول :

« وفي تلك الاثناء وردت الأوامر السلطانية تفيد بان الاروام ثاروا على الدولة العلية بموالاة روسيا ، ولذلك أمر السلطان باضطهاد النصارى ، وكان المراد بذلك ان روسيا حين يبلغها هـذا التدبير ، تعدل عن اعمالها المناوئة للدولة . وبينما انتشر الخوف من هذه الحالة ، حضر من طرف عبدالله باشا ، الوالي على عكاء ، مأمور مخصوص ، يقال له مصطفى آغا ، يحمل كرباجاً فسماه الناس « ابو كرباج » ، ومعه أوامر من الباشا المشار اليه ومن الأمير بشير ؛ حاكم لبنان وأخذ يسلب السكان » .

كان مصطفى آغا المذكور ، يدخل البيوت الآمنة ، ويفتش فيهـا عن الخبايا ، ويضبط ما يجده فيها من مال وأمتعة ، وأرسل عدداً من الضابطة من أعوانه الى الأديرة فنهبوها ، واستمرت هذه الحالة حتى صدرت الاوامر بالعفو . وقد اشتهرت هذه السنة ، بالنظر لما حدث فيهـا من تعديات بسنة « أبو كرباج » .

ويقول عبد الله غريب في كتابه « تاريخ آل غريب » عن « أبي كرباج » ما هذا نصه :

لقد هرب من آل غريب وآل خلاط ، من أبي كرباج عددكبير والتجأوا الى قريـة عين طورين على ضفاف وادي قاديشا بالقرب من اهدن ، ورغب أبو كرباج اللحاق بهم لعين طورين ، لكن مصطفى بربر الذي كان عـاد لطرابلس منتصراً على عدوه علي بك الاسعد، ركب في حملة من رجاله وقطع الطريق على أبي كرباج وصدّه بالقوة القاهرة عن الوصول الى عين طورين ، دافعاً الخطر عن **آل غريب وآل خلاط** ، اصدقائه الاعزاء وخلصه من شرهم.

بربر وعلي الأسعد

بعد أن استلم مصطفى آغا بربر متسلمية طوابلس ، كما مر اعلاه ، سعى للانتقام من عدوه الألد علي بك الأسعد ، بكل ما لديه من وسائل ، وتبين أن للدولة بذمة علي بك الاسعد ، بقية من الرسوم الاميرية ، مائة ألف قرش ، مترتبة عليه خلال قيامه بتسلمية طرابلس ، فأرسل يطالبه بالمبلغ وشدّد عليه الطلب ، ولما كان علي بك الاسعد لا يملك هذا المال ، فقد تقدم صديقه نعمة صوايا وجهز له القيمة ودفعها لمصطفى آغا بربر وأخذ وصلاً ببراءة ذمة علي بك الاسعد من كل مبلغ متبق عليه للخزينة . صعب ذلك جداً على مصطفى بربر لأنه كان يريد مطالبته بالمال والانتقام منه ، لذلك أحضر نعمة صوايا ووضعه بالسجن وبلصه بمبلغ مماثل لما على علي بك الاسعد من ذمة .

وقد تسلم بربر القلعة من محافظها الياس آغا الذي كان تولاها بأمر من عبد الله باشا ، خلال متسلمية علي بك الاسعد، وصار التسليم بحضور مصطفى بربر الحاكم الشرعي للقلعة والقاضي والمفتي السيد محمد الزيني ، ومحمد آغا خزندار عبد الله باشا وعلي آغا المملوك وإمام القلعة ، يحيى أفندي الحسيني، وتم الاستلام في ٢٤ رجب من سنة ١٢٣٧ .

بربر ومتسلمية طرابلس

أقام مصطفى بربر على متسلمية طرابلس ورائده الاخلاص لعبد الله باشا ، والي عكا ، الذي أعاده لمنصبه السابق ونصره على علي بك الاسعد، خصمه ، وبقي على هذا الاخلاص حتى نشب الخلاف بين عبد الله باشا ، والي عكا المذكور ، وبين محمد درويش باشا والي الشام وذلك في عام ١٨٢١ ، فقد نشب خلاف بين الواليين المذكورين على اقليم وادي التيم، وانتصر الامير بشير الشهابي لرئيسه عبد الله باشا ، ونشبت الحرب بين الواليين المشار اليهما، وتولى

الامير بشير الشهابي قيادة عساكر عبد الله باشا ، وانتصر على عساكر درويش باشا ، وأعاد اقليم وادي التيم لرئيسه عبد الله باشا . حنق درويش باشا من هذا النصر ، واقنع الدولة في الآستانة بأن عبد الله باشا خرج عن طاعتها وانه يظلم الرعايا ، ويتعدى على ايالة الشام وأضاف ما شاء وما شاءت له الظروف من الحملة على عبد الله باشا والتحريض عليه ، وهكذا غضب رجال الآستانة على عبد الله باشا وعينوا درويش باشا والياً على صيداء وطرابلس وسائر ايالة عكاء خلفاً لعبد الله باشا ، الخارج على الدولة ، وأمروا بمحاصرته واعتقاله ونفيه الى قره حصار ، من أعمال الاناضول ، وإذا ظل متشبثاً بعصيانه ، أمروا بقتله وحمل رأسه الى الآستانة .

حاصر درويش باشا ومصطفى باشا ، عبد الله باشا في عكاء حصاراً عنيفاً ، فذهب الامير بشير الى القاهرة ، وطلب من محمد علي باشا الكتابة للآستانة متشفعاً بعبد الله باشا ، فنزل محمد علي باشا عند طلبه ، وكتب للآستانة بذلك ، فجاء الجواب بالعفو عن عبد الله باشا ، وأمر السلطان برفع الحصار عن عكاء واعادة عبد الله باشا لولاية عكاء وعاد الامير بشير الشهابي من القاهرة منتصراً .

أما علي بك الاسعد ، الذي كان يتحين الفرص للايقاع بمصطفى آغا بربر فقد اغتنم غضب الدولة على عبد الله باشا ، وتحويل منصبه لدرويش باشا والي الشام ، وسفر الامير بشير الشهابي للقاهرة ، فسعى مع درويش باشا على مصطفى بربر مؤكداً له تحيزه لعبد الله باشا ، فأمر درويش باشا بعزل مصطفى آغا بربر عن متسلمية طرابلس وتنصيب علي بك الاسعد متسلماً عليها مكانه . لكن بربر عصى الاوامر وأبى التسليم ، وحاصر في القلعة مدة ثلاثة أشهر ، حتى اضطر درويش باشا لتكليف حسين آغا الجركسي ، أمين جمرك بيروت ، للتدخل بالامر . حضر حسين آغا المذكور لطرابلس ، واقنع مصطفى آغا

بربر بالحسنى بطاعة درويش باشا ، وتسلم منـــه القلعة والمدينة وسلمها لعلي بك الاسعد .

بربر يترك طرابلس

أما اين ذهب بربر بعد عزله للمرة الثانية عن متسلمية طرابلس ، فيقول جرجي يني بشأن ذلك ما فحواه :

« يظهر ان بربر لتمسكه بالاخلاص لعبد الله باشا ، لم ير وجوب الابتعاد عنه يوم شعرت الدولة ان عبد الله يتحفز لشق عصا الطاعة عليها ، حتى إذا صدر الامر بعزله ، وجاء درويش باشا والي الشام ومعـه والي حلب ووالي أدرنة ، وخيموا بعسكرهم خارج عـكاء ، وجعل درويش باشا يأمر وينهى باسم الدولة ولخيرها ، عزل مصطفى آغا بربر عن متسلميـة طرابلس وعين لحكومتها علي بك الاسعد وأمر ان تسلم له البلدة والقلعة معـاً ، فأبى بربر تسليمها وأقام محصوراً بالقلعة خلال ثلاثة اشهر يدافع عنها بملء جهده، حتى نفدت الاقوات وضاق الاهلين ذرعاً ، فدخل بربر وأصحابه القلعة واغلقوا أبوابها . أما المدينة فأخذها علي بك الاسعد وانصرف يحاصر القلعـة حتى مضى شهران ، فبان لبربر ان القلعة مأخوذة لا محالة . فأرسل من يتشفع له عند درويش باشا ، وهكذا أرسل له درويش باشا حسين آغا الجركسي ، أمين جمرك بيروت ، واخرجه هذا من القلعة بالامان وسلمها للجند الارناؤوط وذهب بربر الى معسكر درويش باشا الذي طمأن خاطره وأمره بالاقامة في بيروت .

أما علي بك الأسعد فقد أنعمت عليه الدولة بلقب باشا سنة ١٨٢٤وجعلته والياً على طرابلس وعينت حسين بك العظم قائمقاماً على البلدة . ابتدأ حسين بك بنشر الظلم والتعسف في طرابلس ومن شدة ظلمه ، فر أهاليها من مسلمين ونصارى، حسب ما يقوله جرجي يني – الى الجبال ، لأنهم تلوعوا من جوره

الفادح ، فكدره رحيلهم لخلو الوظائف المهمة من متوظفيها . اضمر لهم الشر وعزم على هدم دورهم ، وهدم أولاً دار **آل الصراف** ثم أمر بهدم دور بعض الاعيـان ، وبينما الفعلة ذاهبون لهدم دار **آل صدقه** ، اصدقاء بربر ، نشبت ثورة بين الأهالي الذين هاجموا القائمقام في سراي الحكومة من جهـة باب تل الرمل،وهم يطلقون البارود بكثرة هائلة،ثم فتحوا سواقي خزانات الاوساخ – القليط – المسلطة على الجنائن والتي تحيط بالسرايا ، **فاضطر القائمقـام ان يهرب من السراي ماراً بين تلك الاقذار الطاغية ، ولذلك اطلق عليه الاهالي لقب « القليطاطي» لشدة ما أصابه من الأوساخ** . وقد فر الى جهة البداوي، من جهة طرابلس الشمالية ، وهنـــاك استدعى علي باشا الأسعد والف جيشاً للمقاومة .

ولم يكن بين الثائرين من هو من أهل الخبرة والاقدام ليقود الطرابلسيين في ثورتهم لان اعيان البلدة كانوا قد هربوا كما قدمنا،لذلك ترأس الثوار رجل من باب التبانة اسمه « **علي دنون** » وسار على رأس الرجال ليضرب جيش علي باشا الأسعد في البداوي ، لكنه ما عتم ان انكفأ بمن معه ودخل حسين بك المدينة وانتقم من الثائرين انتقاماً فظيعاً .

وهنا وجد علي باشا الأسعد الفرصة مواتية لكي ينزل ببربر ما يرغب فيه من ضرر ، فاتفق مع حسين بك العظم المذكور،ونسبا الى بربر تلك الحركة ، بالرغم من ان بربر كان خارج طرابلس كما تقدم اعلاه ومقيم في بيروت . رفع حسين بك عريضة الى عبدالله باشا والي عـكاء المعهود شاكياً بربر ، ناسباً له ثورة طرابلس وما لحقه من جرائهـا . أخذ عبدالله باشا تلك الشكوى بعين الاعتبار وصدق بمضمونها ووجه الى بربر بتاريخ ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٣٩ هذه الرسالة التي جاء فيها :

... ورد لنا تحرير من افتخار الأمراء الكرام القائمقام بمحروسة طرابلس الشام ، حالاً ولدنا حسين بك العظم ، زيد مجده ، يتضمن اخبـار الشقاوة

والغرور الذي توقع برلوية (كذا) طرابلس وتعصبهم بالخروج عن الطاعة وتمزيق رؤوسهم من قلادة العبودية وهجومهم عليه ، فاحتاطوا بالسراي بضرب البارود ، ولاجل تسكين الفتنة العصاوة وحسم الشر ، خرج حسين بك من البلده لمقام حضرة الشيخ البداوي ونصحهم كل مرة على ترك العصاوة وحسم الفتنة ، وحقن دماء المسلمين والدخول بالطاعة ، فما افاد النصح . بل ازدادوا تعصب وغرور .

والمسموع ان لكم يد بهذه الحركة.وحاصل منكم تونيس (تشجيع) للاهالي بهذا الحال. كذلك امس تاريخه ورد تاتارنا (رسولنا) من جانب الأستانة العلية، ومن جملة اخباره انه بوروده لطرابلس، تحقق أن لكم مع الأهالي بهذه المادة، وأوادمكم يأتون لعند الأهالي . والمكاتبة دائماً مشتعلة منكم اليهم . ودائماً موجود من اتباعكم ناس بالبلدة . فقد استغربنا هذا الأمر منكم لعلمنا برشدكم ودرايتكم ، وان لكم عين باصرة بالامور تدركون العواقب .

فكيف الآن تجاروا هؤلاء السفهاء على هذا الفعل الشنيع الذي هو محض عصيان وخروج عن طاعة مولانا السلطان ، نصره عزيز الرحمن ، وأيد سرير سلطانه الى انتهاء الزمان وانقراض الدوران ، لان القائمقام هو وكيل جناب الوالي ، والوالي وكيل حضرة مولانا السلطان ، والذي يستعمل الخروج ، يكون خروج من طاعة أولي الأمر ، وبالأخص طاعة حضرة مولانا السلطان ظل الله الظليل ، سلطان الزمان ، أيده الله تعالى وأيد سرير سلطنته وأيد تخت خلافته ..

لزم الان إصدار مرسومنا اليكم لاجل نصحكم ، ونكشف لكم العواقب الوخيمة التي تتولد من هذا الحال ، وهو بحوله تعالى وقوته ، سيف السلطان طويل وعزمه شديد ، ونفسه النفيس نافذ . فكل من ارتكب مطية الغرور والشقاوة ، يحل به الغضب الملوكي والانتقام التام ، دون مرحمة . كذلك الذي يوصوا العصاة ، يجازوا باشد الجزاء والقصاص ، ولا يقبل عذر احد .

المراد الآن ترغبوا سلامتكم وراحتكم. تتركوا مخالطة الاهالي وتكونوا بحالكم. وترسلوا تسحبوا جماعتكم في البلدة (طرابلس) وتكونوا في ذاتكم . لا بل تكونوا مساعدين قدر جهدكم مع ولدنا البك المومى اليه ، لكي تحوزوا الراحة والسلامة وحسن السمعة . وتأمنوا العواقب الوخيمة . وإن بقيتم على غيكم وتماديكم فلا تشكوا بحلول القصاص الملوكي على العاصي والمونس المساعد من دون رحمة ولا سلامة .

٢٥ ذي القعدة ١٢٣٩
والي طرطوس وصيداء وحمص والمعرة
الختم السيد عبدالله

ومن فحوى هذه الرسالة يتبين ان التهمة صادقة ومؤكدة على بربر ، ذلك ان عبد الله باشا يكلمه بلغة التأكيد، الأمر الذي يجعل تلك الحركة التي قامت بطرابلس ، خولت علي بك الأسعد يغتنمها ويتسلح بها لاغراء رجال الاستانة على اصدار امرهم بقطع رأس بربر ، فيتخلص منه ابدياً . أما بربر ، فقد خاف نتيجة هذه التهمة ، وفر من بيروت ولاذ بحمى الأمير بشير الشهابي في بلدة الشويفات . غير انه كتب لعبد الله باشا يبرىء نفسه ويؤكد ابتعاده عن طرابلس ، وانه مقيم في بيروت ، وفي الشويفات ، لكن عبد الله باشا عاد فكتب لبربر في ١٩ رجب ١٢٤٠ يثبت عليه التهمة ويقول :

اطلعنا على تحريركم المتضمن الافتكار والهدس الحاصل عندكم من اخصامكم بتلويثكم بمادة طرابلس . ولاجل ذلك صوبتم على الابتعاد عن تلك الجهات لاجل قطع ألسنة المفسدين . ولاجل ذلك قمتم من ايعال ونزلتم باحد محلات الجبل وجميع ما ذكرتموه صار معلوم . ولكن على كل حال هذا الرأي هو الأصوب لاجل راحتكم وترك القيل والقال بحقكم .

والآن لاجل اشعار وصول تحريركم واستحسان رأيكم ، اقتضى تصدير

مرسومنا هذا اليكم . وفيما بعد لا تمنعوا تحاريركم عنا .

١٩ رجب ١٢٤٠

السيد عبد الله

والي طرطوس وصيداء وحمص والمعرة

كان في ٢ شعبان صدر بيوردي بتعيين الحاج محمد باشا بالوكالة على طرابلس لضبطها بعد وفاة حسين باشا الجركسي . ومحمد باشا هذا هو « مير ميران » وقد أناب عنه في حكم طرابلس الحاج احمد بك وتم تعيينه على اثر عزل علي باشا الاسعد . والحاج محمد المذكور يدعى محمد امين باشا مير ميران ، ويقول الامير حيدر في غرره ان امين باشا ، هو المملوك الشارد الذي فر حين قضى محمد علي باشا ، والي مصر ، على المماليك في القلعة ، واذه هرب لعكا ، ثم تركها وسار لعند الامير بشير الشهابي ، ثم سار للاستانة وأخيراً عينه الباب العالي والياً على الشام .

ويقول نوفل نوفل ان الولاة على طرابلس بخلال غياب مصطفى آغا بربر ، منهم حسين باشا الجركسي المار الذكر وكان يدعى حسين آغا كمركجي ، ولم يكد يستلم مركزه حتى سار الى الحج ومات في الطريق . وخلفه محمد باشا الآنف الذكر ، الذي توجه بعد توليته الى اللاذقية ليجبي المال الاميري ، فظهر هناك للناس انه يميل لمذهب النصيرية ، فثاروا عليه وقتلوه في اللاذقية في سنة ١٨٢٣ . وخلفه امين باشا المملوك الآنف الذكر من الامراء المماليك المصريين ، الذي هرب من مصر يوم نكبة المماليك الشهيرة كما سبق وفصلنا اعلاه . ثم عين على طرابلس سليمان باشا العظم في سنة ١٨٢٤ وهو الذي هدم دار بني غريب ودكها للأرض ، وكانت من اجمل الدور في وقتها .

ثم عادت فوجهت الولاية على طرابلس الى علي بك الاسعد وانعم عليه برتبة الباشوية . ويذكر نوفل نوفل الكثير من مظالم علي باشا الاسعد كهدم

الدور ، واضطهاد وهبة صدقة وولده نعمة ، وفرار قناصل الدول من مظالمه لاجئين الى لبنان .

اما جرجي يني فيذكر هدم علي باشا الاسعد لدار آل غريب وتحويلها جامعاً ، لكن الاستانة لم تأذن باقامة الصلاة فيه لمخالفة ذلك للنصوص الشرعية . وما تزال آثار المأذنة ظاهرة في الحي المجاور لكنيسة الطائفة الارثوذكسية لجهة شارع الكنائس التي شقته بلدية طرابلس مؤخراً .

بين علي الأسعد ومصطفى بربر

هنا مرحلة من الاهمية بمكان ، ذلك ان علي باشا الاسعد كان كل همه ، القضاء على مصطفى آغا بربر بصورة نهائية ، والحصول من الدولة على أمر بقتله ، والتخلص منه الى الأبد ، لانه كان يخاف كل الخوف من عودته ثانية لمتسلمية طرابلس .

كان لبربر نسيب يدعى عبد القادر الحاج، ارسله للاستانة ليدافع عنه أمام أولي الأمر . وقد تبادل عبد القادر هذا مع مصطفى آغا بربر عدة رسائل عرض فيها عبد القادر لمصطفى آغا بربر ، ما قام به من مداخلات مع رجال الاستانة ، خصوصاً بعد ان نجح علي باشا الأسعد واستصدر أمراً من رجال الاستانة بقتل مصطفى بربر ومصادرة جميع املاكه . والرسالة الأولى كتبها عبد القادر لمصطفى آغا بربر بتاريخ ١١ شوال سنة ١٢٤٠ ومن مفادها يتبين ان مصطفى آغا بربر قد اقام في الكورة مبتعداً عن طرابلس. قال عبد القادر في رسالته :

... بعد الديباجة ... البعث لتحريره اولاً التفقد لخاطركم ، والثاني هو انه بينما نترقب اخباركم ، اذ بلغنا خبركم انكم عدتم الى مالكانكم (ويقصد املاكه في الكورة) والآن استقمتم بها وربما في برسا (وهي قرية بالقرب من طرابلس ملك بربر ونشأ بها) فحمدنا الباري تعالى حيث حصل من جنابكم

ذلك وانسرينا غاية السرور ، فالمراد تكونوا مطمئنين الخاطر ، وتمتز جوانب الرعية بالاخلاق الرضية ، كي لا يسمع عنكم الا فعل الخير ، وتكونوا تحت طاعة الدولة العلية ، لان جنابكم في معلوم الدولة العليـــة ، فاذا بلغ خبركم واشتهر عدلكم وفعل الخير للرعية وعامة الناس ، فيزيد ارتفاع مقامكم لدى الدولة العلية ، فننسر نحن بذلك وهذا جل المقصود . بسبب هذا بادرنا برقم اسطر المودة صحبة ناقله تابعنا وخدامنا تطلعوا عليه بالخير .

١١ ش سنة ١٢٤٠

الختم : عبد القادر

والرسالة الثانية ، كتبها عبد القادر الحاج لمصطفى آغا بربر في الخامس من ذي القعدة من سنة ١٢٤٠ وقد شرح فيهـا لمصطفى آغا بربر ما يقوم به اخصامه من مساع ضده واستصدار أمر بقتله ، ومحاولتهم ضبطا أملاكه وانه يسعى – اي عبد القادر – لاخذها منهم وهذا فحوى الرسالة :

بعد الديباجة ... المعروض للجناب انه من حين دخولنا للاستانـــة ، ارسلنا لجنابكم عدة مكاتيب ، ورأى داعيكم العجب من عدم ارسال الجواب ، ومن عدم اشعار هذا الداعي بتلويح المرام ، ورأينا العجب من التغافل بما وقع من عدم الصناعة في التدبير ، حتى صار للاعداء مجال كبير الى ان زاد ونما وصار الامر الخطير (بقتل بربر) . وكل ذلك بتقدير اللطيف الخبير ، وان المطلع الشاهد بمـــا برز لهذا الداعي ، الى ان خشي على نفسه التلف فسكن غصباً عنه وخوفاً على نفسه ، ولما صدر تكرر العرض محضر من الخاص والعام ، وبسبب تكرره أوجب التكرار لخط همايون أولاً بالتلف (اي بقطع الرأس) وبموجب الخط خرج فرمانين . ثم لم يزل العرض يتكرر ، والتنزيـــل بمنزلة المعدوم . حصل ايضاً خط برفـع المالكانات وصار بيد الدلال بالمزاد . والى تلك الاطراف كاتب (على الاسعد) قبوتخدا باخذهم ومع ذلك مزادهم الى من يريد . وهذا الداعي يتلقى بالنيران ، وتفجرت بالدم العينان . وهو في

حالة روبة لما رأى من هذه البلية وبمقدار الامكان اساليب مستحسنة ، يضعف تقوى في الاذهان .

ولما رأى هذا الداعي الزيادة فيالتعصب من ارباب المناصب في اسطنبول، فوقع القضاء عمن هو باسمه لغيره ، ولولا زيادة سلوك داعيكم ، لكان حصل الضرر البليغ . وحين رسوخ ما اعرض مراراً من الخاص والعام ومن المعلوم عدم سماع كلام مفرد عند سماع كلام واتفاق جماعة كثيرة . ولما رأى خروج الخط وتغيير الأحوال ما ساعة الا تدبير خلاصه ما هو خاص من المجال بحسب الحال وخلص نفسه . ومراده تلطف الأحوال وللاعدا تضييق المجال .

والآن نقدم داعيكم بواسطة عمدة لاخذها ـ اي الممتلكات ـ باسم داعيكم. وبلغ من السابق الى والي تلك الاطراف – يعني علي بك الاسعد – فعرض بالقرابة التي لنا ، وما يوجب ابعادنا ، فخلصنا حالنا وأروينا التضرر لنا منكم ، واظهرنا انه صدر منكم علينا تعدي بقرية رأس مسقى وهاب (من أملاك بربر في الكورة) واخرجنا فرمان للمذكور (علي الاسعد) بخصوص ذلك وبالحماية . فكذب بما قد أظهرنا . اما الآن مظهرين أذاكم لنا ، لأخذ هذه المالكانة وتداركها قبل ان يأخذها العدو . ويخبركم هذا الداعي انه قبل تاريخه بيوم واحد اخذ له الواسطة قول بها . ولا يتم الحال الا لبعد العيد . وها ان داعيكم أعرفكم بواقعة الحال . فبالحال عرفوه باسم من يأخذها . هل الآن مناسب أخذها باسمه . وبعد ذلك يتفرغ لمن تريدوه . وان داعيكم لا يخلي احد يأخذها ما عداه ، ولو وصل مزادها لما وصل ومع ذلك انقطع الآن الكلام ، وانتهى حالها بسبب الواسطة العمدة . وهو مقيم بدارهما هنا الى ما بعد الدفع له ويصبر ، وهو عامل معنا مروة كبيرة ، ولا يكون لجنابكم فكرة بتسلط الدشمان عليها ولو داعيكم عرف تلافه بذلك لا بد من أخذها .

آه ثم آه من جنابكم ، هكذا تقطعوا عنا المكاتبة . ولا كنا نفهم منكم

مدار رأيكم وهذا الداعي كلما رأى أو سمع يتقطم قلبه . مع انه كان اقرب ما يكون لكنا نعرف من جنابكم خاطر من زمان ما حصل من المنصب للغير كان حصل لجنابكم بوجود اطعام قليل لتحت يدنا داخل مكتوب منه كما فعلنا ذلك . والرجا اتصال كتبكم بما يلزم . ويا ولدنا نفديك بالارواح بما يمكن ، ولما يلزم الايضاح لجنابكم لمن تنتسبون ولايذين ، ولما هو حاصل من السلوك لا نترك الآستانة إلا بعد حصول المنى لجنابكم ولنا واسلكوا الاوقات بعدم الصعوبة بل بشدة اللين والسهولة وادام نعماكم ومنا جزيل السلام لمن له بجنابكم المام والسلام ختام .

٥ ذي القعدة ١٢٤٠ الداعي لجنابكم الحاج عبد القادر

ثم في ١٣ ذي الحجة يكتب الحاج عبد القادر رسالة تالية لمصطفى آغا بربر يخبره فيها عن المداخلات بشأن قضية بربر ، وتتلوها رسالة رابعة ذيل على الرسالة موضوع البحث نذكرها بما يلي بالنظر لما فيها من المعلومات . قال بعد الديباجة :

... ثم المبدي للجناب انه في شوال هذا حضر لهذا الطرف (الآستانة) رجل مفسد يقال له **الحاج عمر الدبوسي** ، مشتكي على والي صيداء ، عبد الله باشا الخزندار ، بأن له ثلاثة آلاف قرش عند رجل في عكاء يقال له عمر آغا البيلاني ، وان سعادة الوزير ، والي صيداء منعها عنه (اي الدبوسي) وانه عرض عليه فرمان بها (على الوالي) ، فرمى الفرمان بين الرجلين (الوالي) وقال له : (انقعه واشرب ماءه) وغير ذلك من ان الوزير متهاون بأوامر الدولة مستهزىء بها .. وقد قال والي صيداء أخذ من الشيخ بشير جنبلاط عشرين الف كيس وان الشيخ لسبب طاعته للدولة فعل معه هكذا ثم قتله . ومن جملة تشنيعه (الدبوسي) بالكلام بحق سعادة الوزير المفخم المذكور انه ولد زنا وانه فعل بأمه .. وغير ذلك كلاماً شنيعاً لا يليق .

ومن جملة افساد ، اتهامنـــا بتهلكات بجولاته ، انا أقرباء لجنابكم . ومن الجملة قبل تاريخه بيوم ظهر من نجيب أفندي قبوكتخداي والي مصر محمد علي باشا تطلباً لثلث الكورة لطرف الوزير المذكور (محمد علي باشا) ، فذهب الحاج عمر الدبوسي المفسد المذكور لعند خير الله افنـدي ، سر اميني سابق وشاهراميني حالي حيث ان المفسد سأله فقال والي صيداء يطلبها (اي ثلث الكورة) لاجل ان يعطيها البربر الدرزي وغير ذلك من الكلام الشنيع ومن الجملة قال « ما يكفي عبد الله باشا يلعب بالدولة فضحك عليهـا ، يأخذ من بلاد جبيل الف كيس ويدفع للدولة ماية كيس.. وخير الله افندي المذكور، صاحب والي طرابلس علي الأسعد ، والمذكور جاهد بأن ينفينا من اسطنبول بقوله هذا قرايب بربر ومراده يأخـذ الكورة ، ويرجع الافساد والخراب لطرابلس . وسبب اعتصابه كله بفساد الدبوسي . وكان من شهرين ساعـد الدبوسي ببعض كلام لا يلق بحقكم وبحق والي صيداء . والشيخ محمد الدسوقي – أبو الأولاد – له في هذا الظرف نحو سبعة أشهر . والآن رجع عن ذلك بسبب ان المالكانة وقعت بينه وبين والي طرابلس ، وسبب ذلك ان والي طرابلس عليه إحدى عشر كيس تسلمهـا له الحاج **مصطفى البغدادي** ، وفي هذا الظرف من نحو سنتين دفعها بقج هدايا لخير الله افندي وغيره. اخذوها من **محمد عباس الحدبا** الطرابلسي . وحين أتى الحاج مصطفى البغدادي بالعرض محضر من أهالي طرابلس ، يطلب للوالي الأسعد الآن بطرابلس ، مسك الحاج مصطفى على الدراهم . فكفلها الشيخ محمود بالكفالة . والشيخ محمـود له ستة أشهر بها وما أرسل له ولا بارة . والآن بسبب ذلك صاير يذم به ، ويمدح من والي صيداء ، الباشا الخزندار .

فيا سيدي ان الدبوسي صاير منه افساد مبالغـة ، وكلام شنيع بحقكم وبحق والي صيداء، والرجل الذي من خالص الدولة – اي خير الله افندي – يسمع كلامه . وصاير له بهذا الإفساد مجال وتعطيل لمطلوب سعادة والي صيداء

وضد مشاغله. فان كان يصدر من الوالي سعادة الوزير المذكور – الخزندار – مكاتبة الى نجيب وكيل مصر المعهود في الآستانة . وقبوتخدا محمد أفندي ، وكيل عبد الله باشا الخزندار ، بالسعي لنفي الدبوسي . ونحن حيث أنه لم نرَ معنا مساعد ما يمكننا نعرض فيه . فإذا كان لنا مساعد **ما يمكننا أن نعرض بنفيه .**

فاذا كان لنا مساعد بذلك يصير لنا ميدان وجولان . ولأنه اذا هذا المفسد يصير كلامه ضو ويجعل شواهد كلامه بان عند والي صيداء كذا ... واخذ من فلان كذا ، وانه شارب خمر ... وولد ... وبحقكم – اي بحق بربر – انكم دروزه ، وانكم والأمير بشير صايرين فرنج . فبهذا صاير لفلفة كلية ونقصان لوالي صيداء وازدراده . يكون معلومكم وفهمكم كفاية . وبعد شهرين مرادنا أخذ افتى طرابلس والنقابة – نقابة الاشراف – ونأخذ معنا فرمان ومكاتبة من الصدر الأعظم وساير الرجال بالمراعاة ونتوجه لطرابلس. فعرفونا خاطركم بذلك على وجه السرعة ، فبسر سيد المرسلين لا تؤخروا الجواب ولو على لسان أحد اولادكم حتى نفهم رضاكم . وفي هذا كفاية . »

وهناك كتاب لاحق صادر عن مدينة أدنة في الأنضول بتاريخ ٢٧ صفر لعام ١٢٤١ ينبىء الحاج عبد القادر الحاج مصطفى آغا بربر ان الأعداء المعهودين قد استحصلوا من دوائر الاستانة أمراً بنفيه الى ادنة انتقاماً منه لدفاعه عن بربر ، ثم يأتي على ذكر حسين باشا العظم، متسلم طرابلس ، وثورة طرابلس وثورة أهاليها على الوالي المذكور ، لكنه يورد معلومات اضافية تزيد بوضوح تلك الحادثة وما لحق بربر بسببها من انتقام عدوه علي بك الأسعد، والتي منها تحصيل الأمر السلطاني بقطع رأس بربر وها فحوى الرسالة المذكورة:

... قد ارسل لجنابكم عدة مكاتيب من الاستانة ، وما تشرف جنابكم بكتاب ولا بخطاب ، فرأى من ذلك العجب العجاب . وما فهم من جنابكم شيئاً يتقوى به على اخصام ضدكم . والآن يبدي هذا الداعي لجنابكم ما وقع

تفصيلاً في الاستانة. انه عرف جنابكم سابقاً بسلوكه مع صدور الموالي الكرام، وصدور الدولة الفخـــام . وانه حين تولى سليمان باشا العظم زاده ، منصب طرابلس ، وبعد قيامه للجرد ، جرى ما هو معلوم ، من قيام أهالي البلد على حسين بك اخيه المعهود ، وأرسل علامات ، وعرضه بنسبة ذلك الى جنابكم. ثم ايضاً بعد دخوله البلدة ، كذلك أعرض علامات وعرضمحضر . ثم بعـد مجيء سليمان من الجرد ، وموته ارسل علي الأسعد اعلامات وعرضمحضر في جنابكم . وتطلبوا رفع المالكانـــة – ثلث الكورة – عنكم . وعرضمحضر اعلامات ايضاً بطلب المنصب – ولاية طرابلس – علي الأسعد – والواسطة بذلك سراميني سابقاً الحاج خيرالله افندي . والمساعد بالمنصب المذكور نجيب افندي وامين بك المصري . فتوجه علي المذكور علي الاسعد منصب طرابلس وصار قبوكتخداية مدبر أموره – رجل لئيم يقال له أسعد بك – شقيق علي بك .

فكان بسبب الاعلامات والعرضمحضر حين قام أهل البلدة على حسين بك. فخرج أمر عالي بصحبة قدر بك قبوجي باشي بالتفحص عن حقيقة الحال . فحين اعرض علي الأسعد وأرسل الاعلامات والعرضمحضر بتطلب رفع المالكانة عن جنابكم ، وضبط أرزاقكم . ومن الجملة كتابة من قبوجي باشي المذكور موفقاً للاعلانات والعروضة . وانه بسبب وجود المالكانة على جنابكم تخرب البلاد والعباد . وما تركوا قبيحة الا واضافوها لطرف سعادتكم . وفي ذلك الوقت حضر الشيخ محمود للاستانة ، وكان بصحبته الاعلامات والعروضة – الحـــاج مصطفى البغدادي ، وصاروا يقولوا لهذا الداعي انه قريب فلان ، ولقي هذا الداعي انه ما بقي لكلامه نفع وان تكلم بابطال شيء مما عرضوا به من اعلامات والعرضمحضر .

وما صدر بالبلدة ، طرابلس ، من الفتنة وحضور رؤوس بعض اهـــالي البلدة للاستانة فما ساع هذا الداعي إلا ان يدرأ عن نفسه ويبرىء حاله .

ولما رأى سماع ما كتبوه وما اعرضوا به ، فقدم عرضاً للركاب العالي تشكياً منكم بانكم ضبطتم لنا اراض من راس مسقا وهاب ، وأخذتم أنتم والدزدار منا زيادة على المرتب على القرية وهاب، المقيد في الدركنار المصان ، فخرج الأمر العالي بفرمان لنا ، ودار العرض على الاقلام ثم اعطونا فرمانا خطابا لوالي طرابلس – الأسعد – بعدم التعرض والتنازع والضبط لما في ايدينا أباً عن جد والحماية .

ولما تكاثرت الاعلامات والعرضمحضر، وعرض قبوجي باشي من طرابلس، والواسطة خير الله افندي، صدر همايون برفع المالكانة عنكم وضبط ارزاقكم.

ولما رأى هذا الداعي ذلك ، حالاً لتبرئة نفسه من قرابة جنابكم ، ذهب عند الصدر الأعظم واعرض له بان ثلث الكورة المذكورة ، قرية ومزرعة وأرزاق ، وانكم تعديتم على هذا الداعي وضبطم منه بعض الاراضي من ذلك . وقدم عبد القادر عرضاً ثانياً للركاب العالي باعطاء ثلث الكورة لهذا الداعي فخرج أمر باعطائها بعد انتهاء المزاد . وكان نزولها في المزاد في ١٢ شعبان سنة ١٢٤٠ ، فصار ماسكاً لهذا الداعي في المزاد . وعرف جنابكم اولاً وثانياً لكي تعملوا طريقة لكم من والي صيداء – الخزندار وغيره ، فلم ير من أحد حركة . بل والي طرابلس مجتهد هو ومساعديه بأخذها له . وكان مراده اخذها مع الارزاق التي لكم بثلاثة أو خمسة آلاف قرش ، حيث ان معجلتها ثمانماية وثلاثة وثلاثين قرش يضم للمعجلة مايتين او ثلاثة ، ويأخذها على وجه السرعة من غير ان يدري احد .

فبسبب الأمر الذي خرج لداعيكم ، مسكوا مزاد داعيكم وصار يزيد بها الى ان مضى رمضان ونصف شوال . فقدموا بهذا الداعي اعراضاً للوزير بقرابتي لجنابكم ، وان مزادي بها هو لاجلكم ، فأحضر هذا الداعي الوزير الأعظم ، وقال لي بذلك . فكان جوابي ، افندم انني مشتكي على من رفعت عنه . وقد انعمت علي الدولة بفرمان ، وهذا قيد الفرمان ، وان المذكور

آذاني وضبط ارزاقي ، وغـــير ذلك . فصدهم الوزير وقال لهم ، هذا قال السلطان ومن يزيد يأخذ . وخليه يكون اخوه لا يضر ذلك الدولة . والذي أوجب مساعدة الوزير بهذا الكلام هو نقيب افندي،قاضي عسكر روم ايلي، حالاً ، وراقم افندي قاضي عسكر الانضول سابقاً ، ودفتردار افندي لانهم في غاية المساعدة لهذا الداعي .

موقف عبد القادر بجانب بربر

ولمـــا رأروا مساعدي الباشا المذكور - قام الاسعد ومن معه - لذلك ذهبوا عند نقيب افندي ، وتوقعوا عليه ، واعرضوا له انه اذا توجهت ثلث الكورة على هذا الداعي ينكسر نفوذ الباشا الأسعد، ولا تعود تسري احكامه في البلدة - طرابلس - وتتعطل اموال الميرة والجردة ، فأجابهم ان الرجل - يعني عبد القادر - له ارزاق في المقاطعة المذكورة ، وقد اعرض للركاب وخرج الأمر باعطائها له بعد انتهاء المزاد ، فكيف يتركها ، فلم يزل يتوقعوا عليه على ان يكون الثلث باسمي والثلثان باسم المذكور - علي الأسعـــد - فأحضرني نقيبافندي وقال يا ولدي هذا الاسعد ما كان خادم الدولة وبشوع الجردة ، فالدولة تمسك كلامه ، وقد اعطوك الثلث لصيانة ارزاقك . فان تعاندت يثبت أغرضيتك لبربر وغيره ، وأنا استنسبت ان يكون لك الثلث والثلثان للمذكور - الاسعد - فأجاب هذا الداعي ومراده المماطلة لها حيث انه منتظر جواب منكم أو أن يطلبها أحد من عكا ، وقال هذا الداعي افندم اكتبوا للباشا المذكور - الأسعد - لعله يرضى مشاركة هذا الداعي .

ففي غرة ذي القعدة ، ارسلوا له مكاتبات بذلك . وفي آخر ذي القعدة وردت منه أجوبة ، ومن الجملة مكتوباً لهذا الداعي قوي نافش داعيكم ومن الجملة كاتب ، اخونا أنتم أصحـــاب الفضل والكرم فنرجو ان تتركوها - الكورة - لاجل خاطرنا والذي تريدوه نحن نعطيكم عوض الطاق عشرة ومع ذلك مرسل لكتخداية انه لم نتركها يقدم فينا عروضة ، فلم يزل هذا

الداعي مكابراً الى أن كان في نصف ذي الحجة ، تبين لهـــذا الداعي تطلب نجيب افندي لها ، لوالي صيداء ، وتحقق ذلك ، فذهب هـذا الداعي لعند الدفتردار وقال له افندم والي طرابلس يعرض لهذا الداعي وفلان وفلان مغتصبون معه ، وكذلك والي صيداء متطلب لها ، فهـــذا الداعي ليس له مجال بين وزيرين ، وانتهـــاء مزادها على هذا الداعي بسبعة آلاف وخمساية قرش،ووالي صيداء دافع ماية كيس وربما يزيد فأنا أرجو فرمان تأكيد للأول وبعد المعارضة لما في يدي ويد ابي وجدي فالمذكور الدفتردار قبل كلامي .

ثم ذهب هذا الداعي عند خير الله افندي قبوتخدا والي طرابلس ، وقلت لهم ها اني اطلعت افندينا والي طرابلس وانكففت عن المزاد.فكان جوابهم، بعد ماذا ؟ بعد ان دفع بها والي صيداء ماية كيس ... فلم يزل يتكلموا بهذا الداعي ، واكن بسبب انهم يعلموا من الداخل لي من صاحب الاحدب ميل . وانه صدر لي انعام بالف قرش بسبب تاريخ عملته ، مع ان اجل علمـــاء الاستانة عملوا تواريخاً ، وذلك في العام الماضي ، صار مولود بنتاً للسلطان ، والعادة كل من العلماء يعمل تاريخاً ويخرج لهم انعام كل واحـــد خمسين قرشاً وماية قرش لا غير ، وخرج لهذا الداعي ورقة ممسكة داخلهـــا ألف قرش حيث اني عملت بيتاً واحداً اخرجت منه خمس تواريخ وبسببالأمر باعطائها الكورة بعد المزاد لهذا الداعي .

وأيضاً كان هذا الداعي ، في يوم حضور المكاتبة من والي طرابلس ، قدم عرضحال للركاب وأيضاً اخرج امر للباب العالي . فلما رأوا الخصوم ذلـك قصروا عن الاعراض في هذا الداعي، ففي غرة ذي الحجة رفعوها عنيمدعين اني في الآستانة اقيم الآن . وأخذوها من التبانة . والنيابة جعلوها للدرويش محمد ، والافتاء رجعوه باسم ابن كرامة ، والنقابة باسم ابن المقـــدم . وعمل لأسمائهم قبوكتخدا أي الباشا الأسعد خواتم تطبيق وطبقها . وأرسل الخواتم للباشا . وعملوا اعلانات على مقتضى اربهم في الاستانة في هذا الداعي .

نفي عبد القادر قريب بربر

ويظهر ان علي باشا الاسعد كان على صلة حسنة مع رجال الاستانة ، فقد تغلب على عبد القادر ، مندوب بربر ، وتمكن من نفيه . ففي ٢٧ صفر من سنة ١٢٤١ كتب عبد القادر المذكور الى بربر ما فحواه :

في غرة محرم افتتاح سنة ١٢٤١ ، حضر تتـار أغاسي الباشا المذكور للآستانة ونزلوا المنية الى دفتر المزاد خفية . وداعيكم بسبب صحبة الدفتر دار اخبرته بذلك . فلما بلغهم الخصوم ان هذا الداعي صار له اطلاع فاجتهدوا وقدموا لكيخيــا بك الدولة العلية اعلامات وعرضمحضر بأن وجودي بالآستانة تعطلت الأموال الاميرية على المتسلم بطرابلس ، في غياب الوزير الأسعد ، وتعطلت احكامه ، وأنه (اي عبد القادر) تطلب المالكانة لأجل بربر ولأجل والي صيداء الخزندار . ودليل حين طلبهـا والي صيداء ، تأخر عبد القادر . وفي ٢٢ محرم المذكور ، بعد المغرب بعدمـا صليت المغرب في محلي ، وإذا بمهتــار باشي الباب أخرجني بحيلة بأن قال لي « كدار افندم يريدك لأجل سؤال وجواب » الى ان وصل بي ارلي الاسكلة . لقيت جاويشاً من ديوان همايون فانزلوني في الافق الى أسكدار . وصباحـاً اركبوني ومعي مملوك صغير ، وكان أخذه لي راقم أفندي واعتقه على يد المذكور ، والمذكور أعطاه وظيفة في الأناضول .

أركبوني معه في المنزل مع الجاويش المباشر الى آدنة . وفي صفر دخلنـا آدنة والجاويش المذكور كلف هـــذا الداعي عن كري دواب ومصاريف في الطريق الف وخمساية قرش وفي آدنة الف قرش . فكان حين خروجنا من الآستانة في جيب الفقير ستماية قرش ومع الصبي المملوك مصمد في كمره الف وخمساية قرش فذهب الجميع مصروف وخدمة . وعند وصولنا لآدنة ما بقي

معنا سوىماية قرش . والجاويش اشتكى علينا لوالي ادنة ، فأمرنا المذكور بأن نتدينها ونعطي الجاويش . فما وجدنا احد نعرفه لنتدين منه . فكتخدا والي ادنة احضر مبايعجي موجود في ادنة ،فاستقرضنا منه بكفالة القبوكتخدا الف قرش ، واخذها الجاويش ، وأخذ اعلام بوصولنا لادنة وتوجه .

وها انا بآدنة بالهم والكرب وكتبنا لأخينا نطلب الف وخمساية قرش لكي ندفع الالف للمبايعجي والخمساية نخرجها الى ان يفرجها الله علينا للمذكور شكا لنا ما هو به من اذية ابن ابو سليمان وغيره وارسل لنا خمساية قرش لا غير ، وهذه حالنا والسلام في ٢٧ صفر سنة ١٢٤١ .

الداعي عبد القادر الحاج

ملحق هذه الرسالة

ولم يكتف عبد القادر بهذه الرسالة التي تتضمن تفاصيل نفيه الى آدنة بسبب علاقته بربر ، بل عاد فكتب رسالة ثانية لبربر بين له فيها مساعي علي باشا الأسعد لدى رجال الآستانة لفصل جبيل والبترون عن ايالة صيداء وقد جاء في رسالته :

... ونعلم جنابكم ان والي طرابلس الأسعد قد أرسل الى كبوتخداية وأخرج قيد بلاد البترون وجبيل من عهدة والي صيداء واعرضنا بحقه ما لا يليق والواسطة للباشا الاسعد هو خير الله افندي ملفي عليه الشيخ محمود والشيخ عمر الدبوسي . ويتكلم بحق والي صيداء بكل ما لا يليق . فمن جملة كلام الشيخ محمود ، انه من ثلاث سنين ، طلب والي صيداء من الشيخ محمود أن يأخذ البيعة بالخلافة ، وأنه خرج من عكا مغضباً ، فبسبب ذلك جرى على المذكور ما جرى ويتكلم بأنكم نهبتم داره وأخذتم من بيته أحجار الماس وياقوت وزمرد ، وسبايك ذهب بنحو مايتي كيس .

والدبوسي من جملة كلامه ، ان والي صيداء ولد زنا ، وغير ذلك كلام لا

يليق بحق حشاشة ، ومن الجملة انه يأخذ من بلاد جبيل الف كيس ، وانه أخذ من الشيخ بشير جنبلاط الف كيس وأنه قوى رجل كافر ، يقال له الأمير بشير ، وهدم الجامع الذي بناه الشيخ بشير في قريته المختارة . وانكم دروز مثل الامير بشير ، وأنكم عمال تمدوا الاروام بالذخيرة انتم والامير بشير ... وغير ذلك ... وان الامير أرسل هدية الى محمد علي باشا ، خيل وأبغال محملة بمقدار عشرة آلاف كيس وغير ذلك . وهذا الداعي لم يمكنه الا السكوت ، لما انهم ناسبينه للغرضية لطرف والي صيداء، ولكن ممن عليهم المعتمد بالآستانة يسألون من داعيكم عما ذكره ، فيجيبهم نقض ذلك وان كل ذلك لا اصل له ، وخط عرض من والي طرابلس ، واعلم جنابكم اني قبل تاريخه اعرضت لوالي صيداء من جميع ذلك ، والآن مرسل لسعادته كذلك .

ونعلم جنابكم ، حين تطلب ثلث الكورة ، افندينا والي صيداء ، ودفع نجيب أفندي ماية كيس ، فكبوتخداي والي طرابلس وتتار أغاسيه ، حيث مرادهم بأخذ ثلث الكورة مع أرزاقكم التي بها بعشرة آلاف قرش . وانهم معرضين ان يراد أرزاقكم مع الماكانة خمسة عشر كيس . منه عشرة أكياس تؤمل لطرف الجردة ، والباقي مصارف على من يكون مناظراً في المقاطعة لانها دائماً تحتاج ان يكون في المقاطعة مايتين خيال محافظة من تسلط الدروز، والكفرة اتباع الامير بشير ، لانهم خربوا أرزاق المسلمين ، وان والي صيداء جاعل احكامهم في المسلمين الى ابواب طرابلس بسبب مقاطعات طرابلس الذي هو عليه بوجه المالكانة .

ثم ابدى للجناب أن هذا حضر له مكاتيب من الآستانة من طرف دفتردار أفندي وغيره ، انه حاصل منهم هبة بإخراج فرمان باطلاق هذا الداعي . وكتبوا لوالي طرابلس بأن يترجى باطلاق هذا الداعي من النفي ، واخذت ايضاً كتابة من والي ادنة المذكور الى والي طرابلس وكتب له عرضاً بان لي كم سنة مشتت عن عيالي ، كل ذلك بسبب اذية فلان لهذا الداعي . وانني

حين مرادي بالمقاطعة لم اعلم بان سعادتكم طالب لها . ولما ورد كتابكم لهذا الداعي انكف عنها ، وانه حين يصدر اطلاق هذا الداعي، يتوجه لطرابلس ومراد هذا الداعي متى وصل له فرمان الاطلاق يرجع للاستانة . ويعرض ما يوجب زوال المذكور يبين خيانته وكذبه على الدولة العلية وذلك بما اعرض رزقكم والمقاطعة ايرادها في السنة خمسة عشر كيس . والحال انه ضبط في السنين من المالكانة وارزاقكم نحو مايتين كيس ويطلب مباشراً يتفحص من ذلك ولوصول صاحب الاعراض ذلك لصاحب الاحدب .

وعرفت سعادته انني من ذوي الارحام لسعادتكم حيث ان امي لها قرابة من جهة امها لوالدة سعادتكم وان لا يؤخذ المذكور ويصير عليه الغضب الا باظهار ما ذكره ، وداعيكم لم يعرض بهذا سابقاً في الاستانة ، متحسباً من عدم رضا جنابكم ورضى والي صيداء بذلك ، فبالاولى كم مكتوب ارسلنا لجنابكم من الاستانة ، ما رددتم لنا جواب ، فكأنكم حالفين انكم لا ترسلوا للاستانة مكاتيب . والآن نحن في ادنة فالرجاء ارسلوا لنا مكتوب شافي . وتعرفونا ما تستنسبوه صريحاً . ويكفي منكم هجران . وها قد تلفنا بسببكم ان كنتم بجاه تميتونا انكم بغير ذلك كذلك وبالله عليكم لا تؤخذونا هذاالداعي فإنه بغاية الكرب والضيق حيث الآن ما معه بارة يخرج . ولولا ان والي ادنة يعمل تعيين معاش له كل يوم.والا لكان شحد وعلينا للمبايعجي الخمسماية قرش التي ارسلها لنا اخونا .

فبالله عليكم بجاه سيد المرسلين محمد،حالاً ترسلوا لنا مكتوب شافي يكتب عنوانه : الى ادنة يسلم الى السيد عقد القادر افندي حاجي زاده ــ الطرابلسي ويكون داخل المكتوب لنا من بربر عبد الرحمن الآنف الذكر وتكلفوا البربير يسلمه لتتار ويوصيه يسلمه لنا في ادنة بقرب منزل خانمه ، وان كان تستنسبوا ترسلوا لنا صرة خرجية عن السيد عبد الرحمن البربير صحبة المكتوب .

ويواصل عبد القادر رسالته فيشرح لمصطفى آغا بربر ما ذكره في رسائله السابقة معتقد انها لم تصل لبربر الى ان يقول :

ولهم – اي اعداؤه – خمسة او ستة أشهر يتحايلوا على اخراج هـذا الداعي من الاستانة ، الى ان وقع بيدهم . والآن صفى لهم الحال . واتسع لهم الميدان فالآن الرجا تعرفونا طريق ندحضهم بها لأن ان شاء الله قريبـاً يظهر اطلاق هذا الداعي . وفي نيته تكرار رجوعه للاستانة ، خيانة الباشا المذكور – ويعني الأسعد – وكذبه على الدولة واظهار ايراده على حقيقته ان استنسبتم ذلك ، لأنه في هذه السنة ضبط الكورة مايتي كيس ، ومعروف الدولة انه ثلاثين كيس .

فالمراد تعرفونا حالاً ان كان تريدوا اظهار ذلك ، او انتم ماسكين المزاد ونزيد تحولونا على المائة كيس ، ونأخذها باسمنا مـع تعطيل امور الباشا الاسعد واظهار الغضب عليه من وجوه نعرفها . واذا أخذناها باسمنا مأمون لغاية احسن ما يأخذها والي صيداء حيث معرضين بغرضيته . فالحاصل عرفونا ان كان تستنسبوا رجوعنا للاستانة ، فعلنا هكذا ، او تستنسبوا حضورنا لطرف والي صيداء، أو ذهابنا لمصر . لأنه ما قدامنا غير هذه الثلاثة مواضيع . والي طرابلس اقضى مراده حضورنا لطرابلس . وفي هذا كفاية والسلام .

ولا نعلم اذا كان مصطفى آغا بربر قد أجاب على رسائل قريبه عبدالقادر هذه أم لا ، بل كل ما حصلنا عليـه سوف نذكره في مجرى الحوادث التي تتوالى وذلك في الفصول الآتية .

الانكشارية في طرابلس

الانكشارية، فرقة عسكرية انشأها السلطان العثماني اورخان ابن السلطان عثمان الغازي ، مؤسس الدولة العثمانية ، على ما بسطناه في الفصول السابقة ، حين تكلمنا عن كيفية احتلال العثمانيين للبلاد العربية. أسس السلطان المذكور

فرقة الانكشارية في مدينــــة بروسه ، عاصمته إذ ذاك ، وأخذ أفرادهم من الشباب من اسراء الحرب من المسيحيين ، بعد ان اعتنقوا الاسلام ، وابعدتهم الدولة فيما بعد عن كل مــــا يذكرهم بجنسياتهم وأخذت بتدريبهم وتنشئتهم تنشئة اسلامية بحتة ، وجعلتهم لا يعرفون أباً غير السلطان ، ولي نعمتهم ، ولا عملاً غير الجهاد في سبيل الله والعرش العثماني . وعند تأسيسهم ، ذهب بهم السلطان اورخان الى الحاج بكشطاش ، شيخ الطريقة البشكاطية المشهورة استمداداً لبركته ودعائه ولكي يعطيهم اسماً يعرفون به فيما بعد ، فوضع الشيخ المذكور جبته على رأس أحدهم ودلاهـــا حتى ظهره وقال « سيدعون ينيشيرية ، فيكون وجههم بهياً وساعدهم قوياً وسيوفهم ماضية والنصر يلازمهم في الحروب ، وراية الظفر معقودة لهم دائماً » .

وتطور اسمهم الى بيكاجيرية وصحفه العرب الى انكشارية جمع انكشاري ، أي الجديد . ومنذ ذلك الحين بدأوا يلبسون على رأسهم طاقيـــة من اللباد الأبيض على مثال الشيخ بكطاش ، مدلى منها خلاقة على الظهر ذكراً للشيخ المعهود . ويعلقون بطرفها ملعقة من خشب للاكل بها اظهاراً لشدة اهتمامهم للاكل لاستطاعتهم القيام بالحروب الشاقة ، فيجعلون لقدور الطبيخ الشأن الكبير . فالقدور عندهم كانت الشارة المقدسة والهدف الأسمى . وكانوا اذا أرادوا العصيان يقلبون القدور امام منازلهم. أما علمهم فكان ارجواني اللون ، عليه هلال وسيف ذو حدين ،اعتمدوا هذا الشكل خلال خمسماية سنة تقريباً. بلغ عددهم اربعين ألفاً ، وكانوا على أربعة أقسام ، ١ - الجماعات وهم مائة فرقة ، ٢ - الولوق أي الجند ٦٠ فرقة ، ٣ - السكبان اي الصيادون وكانوا ٣٤ فرقة ، ٤ - السولاك اي النشابون وكانوا أربعة فرق .

كانت شجاعتهم في الحروب مضرب الامثال ، كأنهم لم يخلقوا إلا للقتال ، لأن الحرب كانت تسبب لهم الغنائم الوفيرة والمشبعات اللذيذة ... واكسبوا الدولة أعظم الفتوحات العديدة ، فبلغوا اعظم درجات السؤدد والحـول ،

وجعلوا عرش السلطان تحت رحمتهم ، كما كان عرش الخليفة العباسي تحت رحمة الرجال الأتراك وأخضعوا الدولة لنفوذهم ومآربهم ، يعزلون ويولون السلاطين متى شاؤوا ومن شاؤوا وتحكموا بالحكومات والإدارة والسياسة ، ونشروا الفوضى والعصيان ينهبون البلاد ويسلبون العباد ، ولم يستطع أحد مقاومتهم أو معاقبتهم فكم قتلوا من سلاطين وصدور عظام ووزراء ، ومن ضحاياهم السلطان عثمان الثاني ، ومحمد ابن السلطان ابراهيم والسلطان سليم الثالث .

وأخيراً في سنة ١٨٢٠ ، قام السلطان محمود الثاني بإبادتهم وقتلهم جميعاً واستولى على ممتلكاتهم ووجاقاتهم وحل سائر فرقهم التي كانت خارج الاستانة . لكن الدولة العثمانية عدمت بالانكشارية الجيش الباسل الذي دافع عن الوطن ولو عمل السلطان محمود شيئاً فشيئاً على تعليمهم وتدريبهم بالحسنى ورشوة قوادهم لكان ذلك أفضل للدولة العثمانية التي لم يقم لها قائمة بعد إبادة الانكشارية . وموقف الانكشارية يختلف كل الاختلاف عن موقف المماليك الذين أبادهم محمد علي الكبير في مصر قبل السلطان محمود بأعوام .

واتباعاً لما جرى في الآستانة ، استأصل والي طرابلس وجاق الانكشارية وفيما يلي فحوى الأمر الصادر عن والي طرابلس والمذاع باسمه — علي باشا الاسعد — بشأن الانكشارية :

قدوة القضاة والحكام معدن الفضل والكلام ، نائب الشريعة الغراء بمحروسة طرابلس الشام حالاً أفندي زيد فضله ، وعمدة العلماء الكرام ذوي الاحترام ، مفتي بها حالاً أخينا أفندي زيد علمه ، وفرع الشجرة الزكية طراز العصابة الهاشمية ، قائمقام نقيب الأشراف بها حالاً ، أخينا أفندي زيد فضله وصدر الامراء الكرام ، ذوي المجد والاحترام قائمقامنا حالاً أسعد زاده أخينا مصطفى بك زيد مجده ومفاخر أقرانهم وخطباء وأيمة وفقهاء ومدرسين ومحدثين واغايات وضلبطانة ، وسائر أعيان وتجار ووجوه ذوي التكلم

بمحرووسة طرابلس بوجه العموم زيد قدرهم .

بعد التحية والسلام بمزيد الاعزاز والاكرام والسؤال عن خاطركم المنهى اليه، ليس بخافيكم بأن يوم تاريخه قد حضرت أوامر ملوكانية وفرامين خانقية من لدن ولي نعمة العالم الدولة العلية ، والسدة الخسروانية ، تتضمن بخصوص وجاق الانكشارية بأن قد صدر منهم قبائح وغيرها . فقد سمحت القريحة الملوكانية بطفي أوجاقهم من الاستانة العلية . وصدرت الأوامر لسائر المالك المحروسة بإبطال كامل وجاقات الانكشارية واخفاء ذكرهم ولقبهم من الأرض. فأمر الدولة مطاع وواجب القبول والاتباع . فبناء على هذا المنوال أصدرت لكم مرسومنا هذا ، بوصوله الاطلاع على مضمونه ، تعرفوا ان هذا الاوجاق باطل . فأنت يا قائمقامنا المولى اليك حالاً تنظر جميع أودة باشية الانكشارية الذين بطرفكم فتلزمهم بيوتهم ليتعاطوا مشاغل اسباب معاشهم ، غير هذه الطريقة التي كانوا بها . الجوقدارية الذي عندك حالاً ترفع القبالق عن رؤوسهم وتعلم ان الحالة تغيرت وبطلت من سائر المالك المحروسة .

وينطلق المنادي ينادي بالامان بمحروسة طرابلس في ابطال هذه الاوجاق من كافة المالك، أمر عالي من حضرة مولانا السلطان سلطان السلاطين وخاقان الخواقين، ظل الله الممدود على العالمين ايد الله سرير ملكه الى يوم الدين. وتكون الناس جميعها باشغالها واعمالها بالامان والراحة والاطمئنان . هذا ما لزم عرفناكم اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد في ٦ ذي الحجة ١٢٤١ .

الفقير الى عفو ربه علي الاسعد
مير ميران طرابلس وباشبوع الجرده

وفاة علي باشا الاسعد

فصلنا في الصفحات السابقة الصراع بين علي باشا الاسعد ومصطفى آغا بربر وكيف تمكن علي باشا الاسعد من نفي معتمد بربر الى ادنة واتينا على

فحوى الرسائل التي كتبها عبد القادر المذكور الى بربر من الآستانة وادنة .

وبما ان لكل شيء نهاية ، فقد جاءت اخيراً نهاية علي باشا الاسعد الذي وضع كل امكانياته على التخلص من بربر كما قابله بربر بالمثل، فقد اورد الامير حيدر الشهابي في كتابه الغرر الحسان بشأن علي باشا الاسعد ما يلي :

« وفي هذه السنة ١٢٤٢ هـ ١٨٢٦ م حضر أوامر بعزل علي باشا الاسعد عن ولاية طرابلس ، وان يتوجه الى مدينة علايا وان تكون مدينة طرابلس على امين باشا .

اما وفاة علي باشا الاسعد فان نوفل يرويها على ما نصه :

« انه في تلك السنة ١٨٢٦ لما رجع علي باشا الاسعد من الجرده ، سار لملاقاته الامير امين ارسلان الى حوران ، وحضر معه الى طرابلس ، وبعد ان وصلوا ، صدر الامر العالي بعزل الباشا المومى إليه عن طرابلس وارساله والياً على علايا . فذهب يصحبه الامير امين المذكور واخواه (اخوا علي باشا) واستقاموا عنده الى ان مات ، ورجعوا الى اوطانهم بعد سنة من غيابهم . » انتهى كلام نوفل .

لماذا عزل علي باشا الاسعد عن ولاية طرابلس ، فهذا مما لم نتمكن من معرفته ، ولكن ربما كان ذلك بسبب عدم رضا عبدالله باشا ، والي صيداء عنه ، فعمل على اقصائه عن ولاية طرابلس وكان نفوذ والي عكاء بالآستانة عند خير الله افندي الآنف الذكر كبيراً ، فتمكن من ابعاده وتعيينه والياً على علايا ولعل لقضية املاك بربر دخل في ابعاد علي باشا .

ويظهر ان عزله عن ولاية طرابلس اساء إليه كل الاساءة خصوصاً فقد ابعد عن منطقة نفوذه امام ابناء قريته ، فتأثر كل التأثر وكان لهذا التأثر السبب المباشر في القضاء عليه فتوفي بعيداً عن طرابلس ولم يستمر في ولايته الجديدة إلا نحو عام .

ومن المؤسف أيضاً ان جرجي يني في كتابه « تاريخ سوريا » حين يتكلم عن تاريخ طرابلس ، يمر بقضية عزل علي باشا الأسعد فلا يأتي عليها مطلقاً ، حتى انه لم يذكر وفاته في علايا ، بل واصل كلامــه عن احتلال المصريين لطرابلس ، بدون ان يأتي على ذكر علي باشا الأسعد لكنه يذكر كيف ان مصطفى آغا بربر عاد متسلماً على طرابلس من قبل ابراهيم باشا على ما سنفصله في الباب التالي عن الحكم المصري في سوريا ولبنان .

وبوفاة علي باشا الاسعد ، تخلص مصطفى آغا بربر من خصمه الوحيــد ومزاحمه على ولاية طرابلس .

الباب السادس

طرابلس خلال الاحتلال المصري

•

هذه المرحلة من الزمن التي نيفت على العشر سنوات ، تشكل في تاريخ طرابلس ناحية من الاهمية بمكان ، بالنظر لما مر خلالها من حوادث، لم يتعرض لها لا بقليل ولا بكثير ولا بتفصيل جميع من ارخوا طرابلس في عهد الاحتلال المصري للبنان وكتبوا عن عهد ابراهيم باشا وبعضهم أتى على بعض التفاصيل في فهرست كتابه ، ثم حين وصل الى المتن ، مر بهذه الحوادث بكل سرعة، كما فعل الشيخ حسين الجسر حينما كتب عن والده الشيخ محمد الجسر .

حملة محمد علي باشا على سوريا ولبنان

إن الحملة التي جردها محمد علي باشا على سوريا ولبنان سنة ١٨٣١ ، تحت قيادة اكبر ابنائه ، ابراهيم باشا والحكومة التي قامت على أثر هذه الحملة ، كانت بالرغم من الاضطرابات التي صاحبتها ، فاتحة عهد جديد ، انقلبت فيه طرق الحكم من الفوضى التي كانت سائدة في خلال الحكم العثماني الى النظام والانتظام وقد نشر اثناءه بذور النهضتين ، الادبية والسياسية، في هذه البقعة

من الوطن العربي،فتفتحت الاعين على آفاق جديدة،وانحلت الافكار من الجمود الذي كان يستولي عليها خلال ثلاثة قرون . كان للبنانيين النصيب الاكبر في الاحداث التي تلت جلاء المصريين عن لبنان ، فتعالت الاصوات بوجوب النهوض من السبات الذي نحن فيه ، ودوى صوت الشيخ ابراهيم اليازجي يقول :

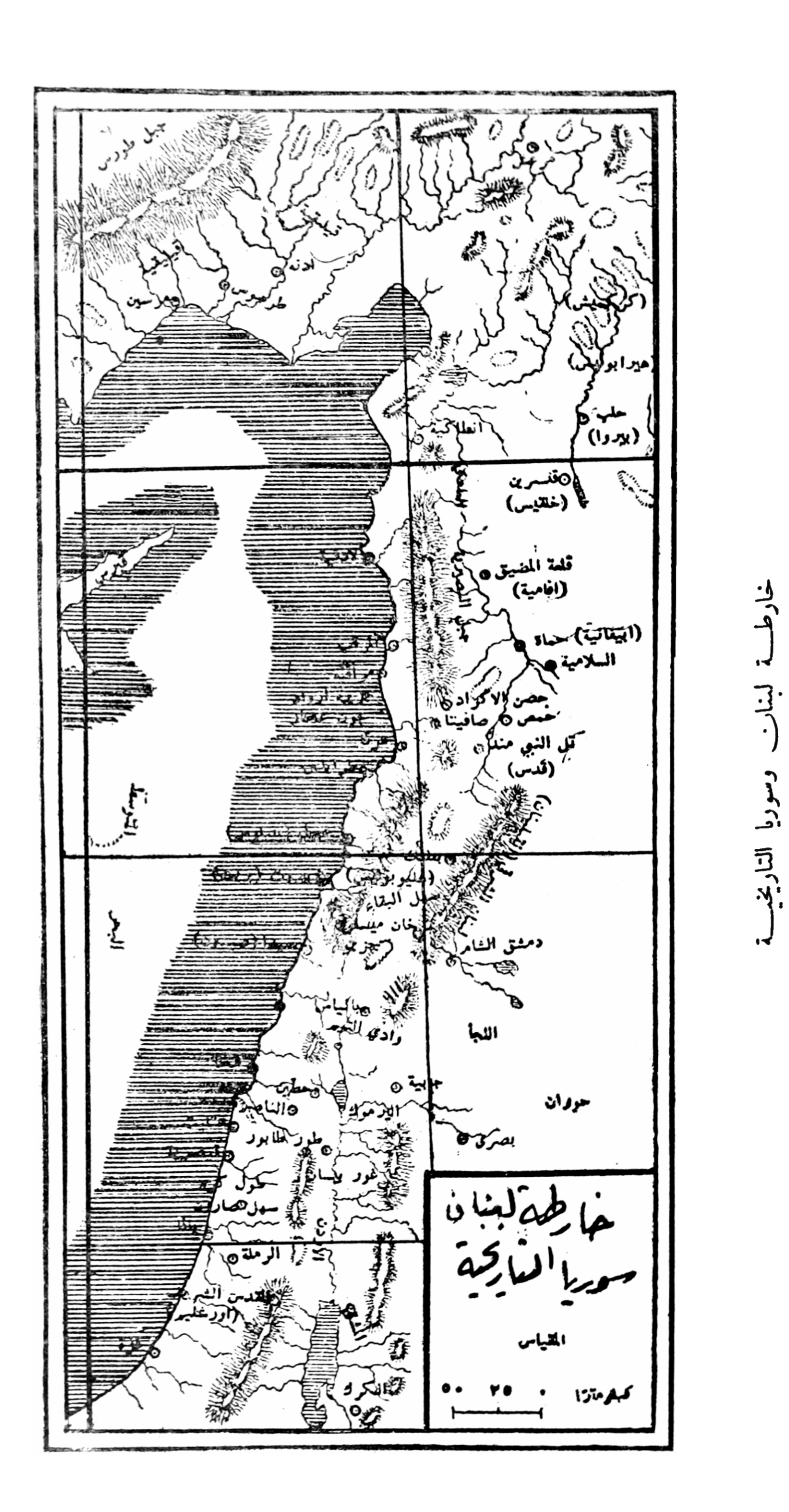
تنبهوا واستفيقوا ايها العرب فقد طغى الخطب حتى غاصت الركب

لذلك لا نرى مندوحة من التبسط في وصف حملة ابراهيم باشا على سوريا ولبنان ، وذكر اسبابها ونتائجها وما آلت اليه البلاد بعد جلاء المصريين عنها .

محمد علي الكبير

ولد محمد علي الكبير في سنة ١٧٦٩ ، في بلدة قوله، وهي ميناء صغير من موانىء مكدونيا في شبه جزيرة البلقان ، وتوفي والده ابراهيم آغا ثم عمه طوسون وهو لا يزال صغيراً ، دون ان يتركا له شيئاً أو مالاً يستحق الذكر فكفله حاكم قوله ، صديق أسرتهم ، ولما شب زوجه من إحدى قريباته ، وكانت سيدة ذات يسار ، فمكنه مالها من تعاطي تجارة الدخان . ثم تطوع في خدمة الحاكم المشار اليه، ولما جاء بونابرت فاتحاً لمصر فاحتلها ووطد سلطته عليها اتفقت الحكومتان ، العثمانية والانكليزية على وجوب اخراجه من الاراضي العثمانية فجهزت كل منهما حملة لهذا الغرض . انتظم محمد علي في عداد الفرقة العسكرية التي شكلها حاكم قوله لمساعد العثمانيين وتولى قيادتها ابن حاكم قوله ، علي آغا ، وتعين محمد علي وكيلاً عن قائد الفرقة موضوع البحث . كما تولى محمد علي ايضاً قيادة شرذمة من جنود هذه الفرقة ، من الجند الالباني، ثم رقي الى رتبة تضاهي رتبة أمير لواء في ايامنا هذه .

كانت سلطة المماليك الذين كانوا يتولون على الديار المصرية قبل دخول



خارطة لبنان وسوريا التاريخية

الفرنسيين ، آخذة بالوهن ، وقد قاوموا الاحتلال الفرنسي بكل ما لديهم من قوى ، لكنهم أخفقوا أمام السلاح الفرنسي الجديد فتشتت شملهم، فاغتنمت الدولة العثمانية فرصة تغلبهـــا على الجيش الفرنسي بمعونة الانكليز ، وارغام الفرنسيين على الانسحاب نهائياً من الاراضي المصرية ، وعودة البلاد للحكم العثماني ، قلنا اغتنمت حكومة الاستانة فرصة تلاشي ظل المماليك ، فاوعزت لمعتمدها، الوالي التركي في القاهرة خسرو باشا، للعمل على محق ما بقي للمماليك من سلطة ، خصوصاً وان الشعب المصري كان يطوق للتخلص من ظلمهم ، وهكذا بدأ الصراع بين الوالي التركي،من جهة وبين المماليك من الجهةالأخرى، واستعمل كل من الطرفين كل ما لديه من قوى للتغلب على الآخر والاستئثار بالحكم دونه .

قلنا ان محمد علي بالرغم من انه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، لكنه كان على جانب كبير من الفطنة والذكاء ، وحين رأى هذه الحال من الفوضى والاضطرابات المنتشرة في القاهرة وفي جميع القطر المصري ، أخذ يتحين الفرص للايقاع بين الحزبين المتنازعين وهدفه الحصول على مركز الولاية مكان خسرو باشا ، لعـــله يتخلص منها ويصفو له الجو ، فكان تارة يمالىء الوالي خسرو باشا ، وتارة يناصر المماليك ، ثم يتحول للجنود الارناؤوط ، فيثير فيهم الشهوات ويغريهم على العصيان والمطالبة بارزاقهم . ولكي يكسب ميل الشعب المصري له ، أخذ يظهر العطف على أمانيه ويشاركه في تخفيف ما يشكو منه حسب استطاعته . وهكذا كان محمد علي يدير من وراء الستار حركات الانقلاب بحذق ودهاء لا مثيل له ، الى ان وصل أخيراً الى إزالة جميع العقبات التي تعترضه لتحقيق أمانيه وجعل الشعب المصري يطلب من الدولة العثمانية ان تعينه - أي محمد علي والياً على مصر بدل الوالي التركي، وهكذا ورد في ٧ تشرين الثاني من سنة ١٨٠٦ الفرمان السلطاني بتعيين محمد علي والياً على مصر .



ابراهيم باشا فاتح سوريا ولبنان

أخذ محمد علي ، منذ استلم الفرمان المذكور، يعمل على تنظيم أمور مصر، فضبط الادارة كما ضبط المالية ونظم جباية الضرائب ووطد أركان الأمن ، وأخذ بانشاء المدارس والمصانع، وبعث الارساليات العلمية لاوروبا لتعلم العلوم الحديثة كما عمل على تنمية الثروة الزراعية والتجارية، وأحدث نهضة صناعية. ثم اهتم بالجيش فنظمه على أحدث الطرق التي وضعها نابليون بونابرت ، وولى ادارته للكولونيل سيف الفرنسي ، الذي عرف فيما بعد تحت اسم سليمان باشا الفرنساوي . اكتسب محمد علي ثقة الجماهير بعد ان وطد سلطاته في البلاد ، ولم يبق عليه إلا التخلص من المماليك الذين بقوا عثرة في طريقه وكانوا له بالمرصاد لأنه خفف الكثير من نفوذهم .

صمم محمد علي على نكبتهم والتخلص منهم بصورة نهائية، فاختار يوم أول آذار سنة ١٨١١، فدعاهم مع رجال الحكومة الى حفلة في القلعة بمناسبة تهيئة جيش تحت قيادة ابنه طوسون للزحف على السودان . وبعد انتهاء الحفلة والدعاء لهذا الجيش بالنصر سار الموكب من القاعة الكبرى وركب المماليك خيولهم في موكب رسمي لوداع الحملة المشار اليها ومشوا في طليعة الموكب ولما وصلوا الى باب القلعة الخارجي ، اغلق في وجههم ، وأحدق بهم جنود محمد علي وأمطروهم وابلاً من الرصاص ، ثم أجهزوا بالسيوف على من لم يصبه الرصاص وبقي حياً ، ولما كان المماليك غير مستعدين لمثل هذه المفاجأة ، لذلك فقد قتلوا عن بكرة أبيهم ولم يبق منهم أحدعلى قيد الحياة ممن حضروا الحفلة . ثم أعلن محمد علي إباحة نهب دور المماليك والاستيلاء على ما يملكوه ، لجميع جنده فاستولى الجنود على أموالهم وتحفهم ونسائهم بل على كل مايملكون من حطام الدنيا ، وهكذا وصل محمد علي لتحقيق الخطوة الأولى لتوطيد نفوذه وأصبح السيد على مصر لا يناوئه أحد .

كانت أهداف محمد علي البعيدة ، الاستيلاء على الدولة العثمانية والحلول مكانها ، واعادة سلطة مصر السابقة على البلاد العربية ، تلك السلطة التي

كانت لمصر أيام المماليك وفقدوها باحتلال السلطان سليم العثماني للبلاد العربية والقضاء على الغوري ، سنة ١٥١٥ ، كما فصلناه في فصل سابق . رأى محمد علي ان هناك عقبات جمة تعترض تحقيق أمانيه ، فاغتنم فرصة حضور الامير بشير الشهابي ، حاكم لبنان الى القاهرة ، راجياً من محمد علي توسط الاستانة بينه وبين عبد الله باشا ، فأظهر للامير بشير شيئاً من مطامعه : خصوصاً وان الفرصة مواتية لتحقيق هذه المطامع، فقد ربح الحرب في الحجاز وقضى على الوهابية واستولى على السودان وساعد الدولة في القضاء على الثورة في اليونان ، ولولا تألب أساطيل أوروبا على الاسطول المصري ، لكان عاد ظافراً .

المصاعب التي تعترض محمد علي

رأى محمد علي ان هناك مصاعب جمة تعترض تنفيذ فكرته وإخراجها الى حيز الوجود ، والقضاء على الدولة العثمانية، وإذا لم يمكن ذلك الاستقلال بمصر وسوريا ولبنان وفلسطين وجعلها دولة واحدة تحت حكمه، وان هذه العقبات تنحصر بثلاث نقاط من الأهمية بمكان :

١ – مقاومة الدولة العثمانية لسلخ سوريا ولبنان عنها لأن سوريا هي مفتاح أو باب البلاد العربية ، وبالتالي مفتاح وطريق الحرمين الشريفين ومقصد جميع المسلمين لأداء فريضة الحج .

٢ – احوال سوريا الداخلية التي تجعل الفاتح يتهيب من الزحف عليها ، لأن طريقها محفوفة بالمشقات لاختلاف نزعات السكان وصعوبة المسالك ، وانتشار النظام الاقطاعي ، وكثرة أصحاب الامتيازات ، واصطدام مصلحة الفاتح بالمقاصد والتقاليد المحلية ، ويرافق ذلك انتشار الاضطرابات .

٣ – تصادم مصالح محمد علي والمصالح الأوروبية ، وعلى الأخص مصالح

الانكليز ، وتعذر على محمد علي حل هذه العقبة كما تعذر ذلك على من قبله .

وفي سنة ١٨٣١ ، رأى محمد علي ان احوال الدولة العثمانية بما يثيره عليها السياسيون في أوروبا ، والاحوال الدولية عامة ، ربما كل ذلك يبشر بنجاح تحقيق فكرته العتيدة التي يرغب في تحقيقها من زمن بعيد ، ذلك ان الدولة العثمانية كانت مهتمة في اخماد ثورة نشبت في ولاية البوسنة وفي البانيا. اما في سوريا فان هذه الولاية كانت خالية من وسائل الدفاع ، فحامية حلب وجهت الى بغداد لمحاربة واليها سليم باشا الذي شق عصا الطاعة ، وفي دمشق لا يوجد حامية قادرة على رد اي اعتداء عليها. هذا فضلاً عما كانت عليه الدولة من ضعف بسبب حروبها المتكررة مع روسيا . ثم ان أوروبا كانت منهمكة في اخماد الثورات التي نشأت عن انتشار مبادىء الثورة الفرنسية ، في نفوس الشعوب لذلك لم تهتم أوروبا في مقاومة اطماع محمد علي الا بعد ان استولى على سوريا ولبنان وتوغل في الأنضول وكاد يقضي على الدولة العثمانية ، حين اقتربت جيوشه من أبواب الاستانة ، العاصمة العثمانية .

أما أهل سوريا ولبنان ، فيظهر ان محمد علي لم يحسب حساب مقاومتهم لأنه كان استوثق سلفاً من الأمير بشير الشهابي حين جاء لمصر متشفعاً بعبد الله باشا على ما مر وعقد الاتفاقات السرية معه على ان يكون عونا له في زحفه على سوريا ولبنان .

الأسباب التي انتحلها محمد علي للزحف على سوريا ولبنان

ادخل محمد علي فيما ادخله من اصلاحات على انظمة الحكومة ، نظام الجندية الاجبارية وسن لها أنظمة حديثة ، طبقاً لما احدثه بونابرت ، واستحضر ، كما مر آنفاً ، الكولونيل سيف الفرنسي لوضع تطبيق هذه الأنظمة العسكرية ، فنظم الجند على أحسن ما يرام ، وقد أساء هذا النظام للشعب المصري خصوصاً لدى الفلاحين ، الذين اجبروا على الانتظام في سلك الجيش ، وتفادياً

من الانخراط في الجندية العسكرية ، هرب عدد من الفلاحين يقدر بستة آلاف ، لجأوا الى عكاء ، كما هرب أيضاً من الغرامات وتنفيذ أحكام بحقهم عدد من المجرمين الذين غادروا مصر لينجوا من تنفيذ الأحكام المارة الذكر ، فطلب محمد علي والي عكاء ان يعيد الهاربين المذكورين لمصر ، فأبى عبد الله باشا والي عكاء الاجابة لطلب محمد محتجاً بأن المصريين هم من رعـايا الدولة العثمانية ولهم نفس الحقوق التي لبقية رعايا الدولة وبالتالي لهم الحق بالاقامـة حيثما شاءوا ضمن الولايات العثمانية .

أثار هذا الجواب حفيظة محمد علي، فكتب لعبد الله باشا انه سيأتي بنفسه لإرجاعهم ، وزيادة واحد عليهم ، وقصد بذلك عبـد الله باشا . ثم ان عبد الله باشا كان مديناً لمحمد علي بمبلغ عشرة آلاف كيس ، استلفها منه لتسديد الأموال الأميرية عن سنة ١٨٢٨ ، ولما طالب محمـد علي عبد الله باشا بهذه الأموال ، امتنع عبد الله باشا عن الدفع ، ثم ان محمد علي ادخل لمصر تربية دود الحرير وكان يستورد بزوره من لبنان ، وفي سنة ١٨٣١ ، منع عبد الله باشا اخراج بزر الحرير من لبنان بالنظر لاستحكام الجفاء بينه وبين محمد علي.

وهناك امر آخر لا يقل خطورة عما تقدم ، ذلـك ان محمد علي اتهم عبد الله باشا بأنه يشجع تحويل تجارة الحاصلات المصرية الى طريق سيناء بدلاً من تصديرها عن طريق الموانىء المصرية ، وفي هـذا التحويل ضرر كبير بمصلحة محمد علي ثم أخذ محمدعلي يذيع بـين السوريين انه ينوي الهجوم على سوريا لتأديب عبد الله باشا .

الاسباب الحقيقية لهجوم محمد علي على سوريا ولبنان

أهم هذه الأسباب ثلاثة :

١ – تأمين سلامة الدولة الجديدة التي ينوي محمد علي تأسيسها ، ويجعلها تضم الأقطار العربية، من مصر الى حدود جبال طوروس، ومن البحر المتوسط

الى بوغاز باب المندب، ذلك ان كل فاتح استولى على القطر المصري ، استولى بدوره على القطر السوري ايضاً ، ثم اننا إذا استثنينا غزوة الفاطميين الذين جاؤوا مصر من الغرب وبونابرت الذي جاءها من البحر ، نجد ان كل الفاتحين الذين استولوا على مصر، جاؤوها من سوريا ، فالحثيون والكلدان والأشوريون والاسكندر ثم الفتح الاسلامي ، جميع هؤلاء جاؤوا لمصر عن طريق سوريا واخيراً الأتراك ، بعـــد ان استولوا على الشام ، واصلوا زحفهم على مصر من الشام .

٢ – لكثرة ما قام به محمد علي من حملات عسكرية ، نضب لديه المـال وفي القطر السوري ثروة طبيعية لا يستهان بها، ففيها الانتاج المتنوع والخشب والفحم والنحاس والحديد ، مما لا وجود له في مصر ، خصوصاً وان محمد علي بحاجة للمواد الأولية لتوسيع انتاجه الصناعي . وهناك أيضاً أهمية اقتصادية لسوريا لا يستهان بها وهي علاقتها بالانضول وأنهـا طريق القوافل التجارية بين الشرق والغرب كما أنهـــا طريق الحج لبيت الله الحرام ومن دمشق يسير المحمل الشامي للحجاز. ويجب الفات نظر القارىء انه في ذلك الوقت لم يكن لترعة السويس وجود .

٣ – اتصف اللبنانيون بالشجاعة والجلد في الحروب وشاركهم بهـــذه الشجاعة السوريون ، لذلك فان محمد علي اعتقد ان بوسعه حينما يضع يده على لبنان وسوريا ، سيتمكن من تجنيد أهلها وفرض الجندية الاجباريـة وسوق السكان الى ميادين القتال مع الدولة العثمانية لذلك رغب في الزحف على سوريا ولبنان . كان هذا الظن من أهم أسباب انخذال محمد علي وإرغامه على التخلي عن سوريا ولبنان،لأن السوريين واللبنانيين لم يخضعوا لقانون الجندية الاجبارية الذي سنه ابراهيم باشا وارغم أهالي سوريا ولبنان على الانخراط في عـــداد الجيش المصري فاضطر الى تجنيدهم بالقوة بوضعه على أبواب المساجد يوم الجمعة بعـــد صلاة الظهر جنوده الارناؤوط وسوق كل من خرج من المسجد بالقوة

الى الثكنات للانخراط في عداد الجيش المصري المهيأ للزحف على الأنضول .

الزحف على سوريا ولبنان

حشد محمد علي جيشاً كبيراً مؤلفاً من نحو ثلاثين الف جندي مزوداً بالمدافع الثقيلة بلغ عددها نحو الأربعين مدفعاً ، من مدافع الميدان وبعدد من مدافع الحصار ، والمتقدمون بالسن من اهالي اسكلة طرابلس يذكرون ولا شك مدافع ابراهيم باشا و « كلله » التي كانت مرمية على شاطىء البحر لجهة البوابة ، جانب دار آل علم الدين ، أمام دار آل اديب عبدالواحد ،وجرى طمرها بالاتربة حين انشىء مرفأ طرابلس،قلنا ان محمد علي هيأ جيشاً عرمرماً لاكتساح سوريا ولبنان تحت قيادة ولده الاكبر ابراهيم باشا . وهناك شك بأن ابراهيم باشا هذا ليس بولده بل ربيبه كما جهز اسطولاً بحرياً مؤلفاً من ثلاث وعشرين سفينة حربية وسبع عشرة سفينة نقل ، بقيادة امير البحر عثمان نور الدين .

وفي العشرين من شهر تشرين الثاني لسنة ١٨٣٢ ، بدأ هذا الجيش الزحف على فلسطين بطريق العريش ، بقيادة ابراهيم باشا الصغير ، اما ابراهيم باشا ابن محمد علي ، فقد سافر بطريق البحر على ظهر إحدى القطع الحربية الى ثغر يافا ، ثم الى حيفا ، ومعه اركان حربه ، والقسم الباقي من الجيش والمدافع الضخمة والذخيرة الكافية . استولت القوى البرية بزحفها ، بدون مقاومة تذكر على غزة ويافا وحيفا ، وحين وصل ابراهيم باشا ليافا مكث فيها قليلاً ثم سافر الى حيفا واتخذها قاعدة لاعماله الحربية ومستودعاً للمؤن والذخيرة . وبعد وصوله لحيفا ، قدم عليه شيوخ القدس ونابلس وطبريا وقدموا له خضوعهم ، لأنهم كانوا غير راضين عن عبدالله باشا وتصرفاته . وهكذا تمكن ابراهيم باشا من احتلال المدن الآنفة الذكر بدون قتال ، وبذلك أصبح خط اتصاله مع مصر مؤمناً .

كان ابراهيم باشا ينتظر معاونة اللبنانيين بناء على سابق اتفاق محمد علي مع الامير بشير الشهابي حينما زار هذا الاخير مصر متشفعاً بعبدالله باشا ، كما مر ،لذلك كتب للاميربشير يستعجله بالقدوم اليه على رأس الجيش الذي وعد به.

ويقول الشدياق بكتابه أخبار الأعيان في جبل لبنان بشأن زحف ابراهيم باشا على لبنان ما نصه :

« وفي سنة ١٨٣٢ ، أرسل محمد علي ، عزيز مصر ، ولده ابراهيم باشا بجيشه من مصر الى حصار عكاء ، ولما وصل الى يافا ، كتب عبدالله باشا الى الامير بشير يستدعيه اليه برجاله . فأطلق الامير بشير على جميع رجال جميع المقاطعات ان يستعدوا للسفر . ولما وصل ابراهيم باشا بجنوده الى صحراء عكاء ، كتب الى الامير يستدعيه ، ولما أبطأ كتب ابراهيم باشا الى والده يخبره ، فغضب العزيز من الامير بشير وكتب اليه كتاباً يتهدده على انه اذا تأخر عن الحضور الى ولده ابراهيم ، يخرب مساكنه ويغرس موضعها تيناً . ثم توجه الامير الى ابراهيم باشا بمائة فارس ، وبينما هو في الطريق ، التقى برسول العزيز ذاهباً الى بيت الدين ، فأخذ الكتاب منه وتلاه وظل ذاهباً الى صحراء عكاء،ولما أقبل على عسكر ابراهيم باشا،خرج الى لقائه الاميرالاي بعسكره وبعض رؤساء العساكر بالموسيقى واطلاق البارود ، ودخلوا للمعسكر وتبعهم مصطفى بربر وحنا البحري بموكب عظيم ونزلوا بالخيمة المعدة للوزير . وكان حينئذ ابراهيم باشا يتجول بين الجيوش والحرب قائمة على عكاء . ولما رجع مساء استدعى الامير بشير لديه وتلقاه احسن ملتقى ، وكتب لوالده يخبره بطاعة الامير بشير وحضوره ، فكتب محمد علي للامير كتاباً يمدحه فيه ويمدح همته . »

ومن النص اعلاه يتبين لنا ان مصطفى آغا بربر لم يتوان عن الخضوع لعزيز مصر ومرافقته لجيش ابراهيم باشا على امل الوصول الى بغيته من الرجوع لمتسلمية طرابلس بعد ان لاقى الامرين من الحكم العثماني الذي أوشك ان يفقده

حياته بدسائس علي باشا الاسعد .

حصار عكا واستسلامها واستسلام طرابلس

في ٢٧ تشرين الثاني لسنة ١٨٣٢ شرع ابراهيم باشا في حصار عكاء ، وقد استبسلت حاميتها استبسالاً ذكر باستبسال حاميتها حين حاصرها بونابرت على عهد الجزار ، ولم يتمكن ابراهيم باشا من فتح عكاء بالسرعة التي كان يأملها ، لذلك ترك قسماً من جيشه يواصل حصار عكاء ووجه قوة مؤلفة من أربعة آلاف مقاتل زحفت على صور ، ثم على صيداء فاحتلت البلدين ، ثم واصلت هذه القوة زحفها ايضاً على طرابلس ، فاحتلت المدينة بدون مقاومة تذكر . لكن ابراهيم باشا خاف من قيام الطرابلسيين عليه، فطلب من الامير بشير ان يرسل جيشاً لبنانياً الى طرابلس لاستبقائها بيد الجيوش المصرية، فارسل الأمير بشير ابنه الامير خليل على رأس الفي مقاتل ، على ما يقول الشدياق وذلك خوفاً من ارتداد العساكر العثمانية على المدينة .

ويواصل الشدياق ذكر حصار عكاء ثم يذكر حملة الامير خليل ابن الأمير بشير على طرابلس فيقول ان الامير خليل نهض بالعسكر الى الشويفات ، واحضر اليه الشيخ حمود النكدي والشيخ حسن تلحوق والشيخ يوسف الملكي وبعض أقاربهم ومعهم الف مقاتل وسار بهم وبالامير عبدالله حسن الى طرابلس . وعين ابراهيم باشا لكل واحد من هؤلاء اللبنانيين خمسين قرشا بالشهر . وبعد ان وزع ابراهيم باشا قواه على المدن التي احتلها ، عاد الى عكاء وراح يشدد الحصار عليها ، فامطرها وابلا من القنابل، احدثت ثغرتين في سورها، وبالرغم من مقاومة حاميتها ، فقد تغلغل الجنود المصريون في قلب المدينة من الثغرة في الاسوار ، واحتلوا منطقة الدفاع فيها . وهكذا اضطرت عكاء للاستسلام لابراهيم باشا بعد ان عجز بونابرت عن فتحها قبل ربع قرن وتراجع عنها مندحراً . وعند منتصف الليل حضر والي عكاء عبدالله باشا لعند ابراهيم

باشا مستسلماً ، فاستقبله ابراهيم باشا بمـــا يليق به ثم أرسله الى والده محمد علي في القاهرة .

وبسقوط عكاء انفتحت امام ابراهيم باشا كل الثغور السورية واللبنانية وزالت من طريقه كل العقبات، وبما انه كان قد ثبت أقدامه في طرابلس وبعلبك، وكان لبنان موالياً له فقد أخذ يتأهب للزحف على سوريا الداخلية .

الدولة العثمانية وطرابلس

كانت الدولة العثمانية ورجالها في الاستانة ، قد لمت شعثها بسرعة أمام هذا الخطر الداهم الذي لم تكن تتوقع حدوثه بمثل هـــذه السرعة وذلك في خلال الفترة الواقعة بين حصار مدينة عـــكاء ، والاستيلاء على بقية المدن الساحلية بما فيها صيدا وصور وطرابلس وخلافها ، فطلبت من حـــكام المدن في الأنضول كقيسارية وسيواس وأدنة واياس وأزمير ، أن يجمعوا الجنـــود ويزحفوا على حلب لتشكيل جيش موحد يقف بوجه ابراهيم باشا ، وعينت عثمان باشا اللبيب ، والي الشام سابقاً ، والياً على طرابلس ، التي كانت جنود ابراهيم باشا وجنود الامير خليل الشهابي قد احتلتها كما قدمنا آنفـــاً . سار عثمان باشا على رأس بضعة آلاف جندي من الخيالة غير النظامية ومعها نحو اربعين مدفعاً من مدافع الميدان ، وأخذ في طريقـه يستنفر الأهلـين وينهض هممهم لمحاربة ابراهيم باشا الخارج على الدولة والدخيل على سلطة الباب العالي وسلطة الخليفة الأعظم والمتمرد عليه . كانت حامية طرابلس مؤلفة من الف وخمسماية جندي مصري والف جندي لبناني ، تحت قيـــادة الامير خليل الشهابي ابن الامير بشير وخمسماية جندي آخرين من النابلسيين . تقدم عثمان باشا ونصب مدافعه أمام طرابلس من جهة الشمال ولم يكن هنـــاك من أسوار لطرابلس كما سبق وفصلناه ان السلطان قلاوون المملوكي كان قد هدم جميـــع الاسوار حين أجلى الصليبيين . فأغار عثمان باشا بجنوده الخيالة والمشاة على

المدينة ودخلها ، لكن الحامية المصرية واللبنانية تلقت عثمان باشا وجنوده بنار حامية آكلة ألجأت جميع جنود عثمان باشا الى الفرار . لكن عثمان باشا عاد فجمع جنوده وأعاد الكرة على طرابلس ، فخرجت اليه الحامية المصرية واللبنانية وتصدت له ولجنوده ففتكت برجاله وبرؤسائهم وأجبرت الجميع على الفرار مرة اخرى الى معسكرهم خارج طرابلس .

نهاية حكم مصطفى آغا بربر ووفاته

عرضنا فيما مر ما قام به مصطفى آغا بربر من مساع حميدة بشأن عبدالله باشا ، ولما صدر أمر الدولة بطلب بربر لإعدامه ، هرب الى مصر فالتقاه محمد علي بالترحاب وبكل اعتبار واحترام وأفرد له سكناً في مدينة دمياط. ولما زحف ابراهيم باشا على سوريا ولبنان رغب بربر في مرافقة الحملة وهكذا عاد الى لبنان في سنة ١٨٣٠ مع الحملة المصرية. كان بربر في جملة الذين خرجوا لملاقاة الأمير بشير الشهابي حين جاء على رأس الجيش اللبناني لمعاونة إبراهيم باشا في زحفه ومساندته على الدولة العثمانية كما قلنا آنفاً .

وحين استسلمت طرابلس للمصريين وجاء ابراهيم باشا الى طرابلس اعاد مصطفى آغا بربر لمنصب حاكمية طرابلس فاستلم أمورها مرة أخرى وذلك في سنة ١٨٣١ .

ولما جاء عثمان باشا على رأس جيش العثمانيين لاحتلال طرابلس واسترجاعها للدولة العثمانية ، كما عرضنا آنفاً ، كانت طرابلس تحت حكم بربر وتمكن هذا من القاء القبض على رسول يحمل كتاباً من أعيان طرابلس ومن القاضي والمفتي لعثمان باشا يطلبون بهذا الكتاب من عثمان باشا ان يسرع لاستلام البلدة لكي يتخلصوا من الحكم المصري ، فأسرع مصطفى بربر والقى القبض على القاضي والمفتي وعلى الاعيان الذين وقعوا الكتاب .

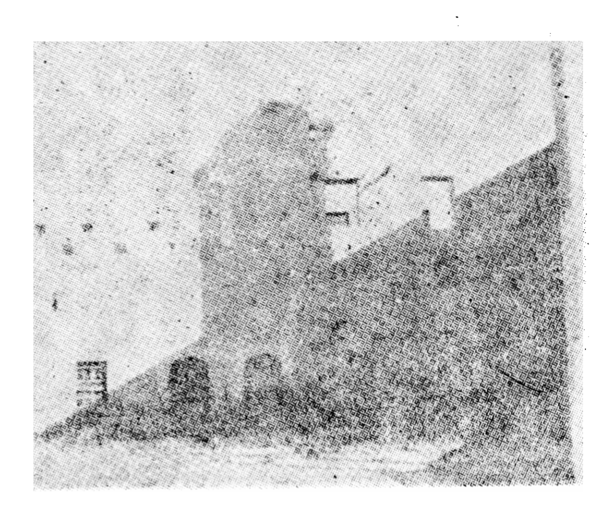
وبعد انكفاء عثمان باشا عن طرابلس ومجيء إبراهيم باشا للبلدة ، خرج

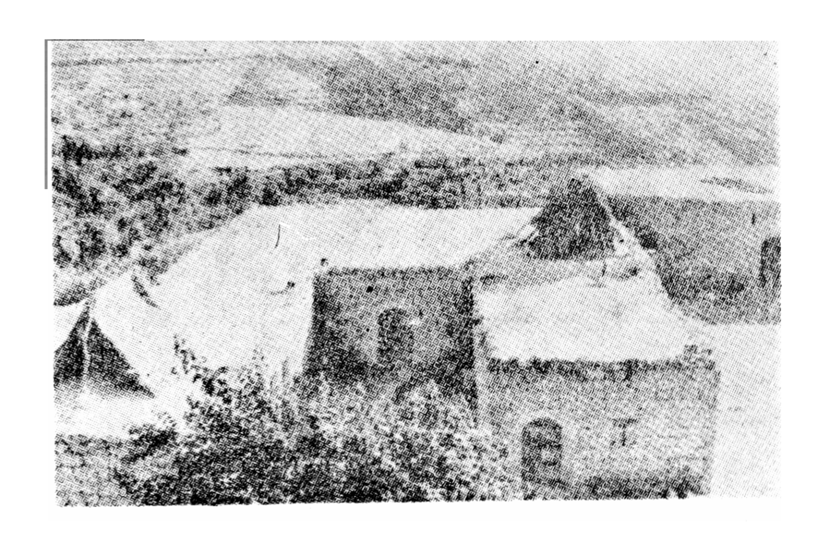
الامير خليل ومصطفى بربر لملاقاة إبراهيم باشا وحين علم عثمان باشا بمجيء ابراهيم باشا فر ليلاً الى حماه تاركا كل عدد الجيش ومدافعه حتى الجرحى من الجنود ، فأرسل إبراهيم باشا الأمير عبد الله واستولى هذا على كل ما تركه عثمان باشا . أما ابراهيم باشا فلحق بعبد الله باشا الى حمص .

مكث مصطفى آغا بربر في حاكمية طرابلس حتى سنة ١٨٣٢ ، حين امرت حكومة إبراهيم باشا بتلزيم الرسوم على الحانات بعد ان أباحت شرب الخمور وبيعها ، حينئذ رفض مصطفى آغا بربر القبول بهذه الانظمة ، وهكذا أعفي من منصبه وولي مكانه **علي آغا الترجمان** حاكماً على طرابلس وهو من أعيان دمشق ، واستقر مصطفى آغا بربر في قريته إيعال حتى عام ١٨٣٣ حين حدث شغب في طرابلس لخلع إبراهيم باشا على ما سنفصله في الفصول التالية ،فخاف مصطفى آغا بربر من ان يتهم بالاشتراك في هذا الشغب لذلك ترك إيعال ، وسار الى بيت الدين ملتمساً من الامير بشير الشهابي ان يستعطف خاطر ابراهيم باشا عليه ففعل الامير بشير وأعطاه إبراهيم باشا الامان فعاد الى قريته إيعال معززاً مكرماً. لكنه كان قد بلغ من الكبر عتياً، فما لبث ان توفي في إيعال ودفن فيها فخرج **يوسف بك شريف** الذي خلف علي آغا الترجمان بعد وفاته على حاكمية طرابلس، لضبط موجودات مصطفى بربر برفقة بعض أعيان البلدة لكن أحد أخصاء بربر سافر الى مصر وعرض الامر على محمد علي فأمر هذا برفع الحجز عن ممتلكات بربر وتسليمها لورثته.

بربر الاديب

بالرغم من ان مصطفى آغا بربر كان امياً تقريباً ، لكنه كان على صلة بادباء زمانه وقد مدحه الشيخ ناصيف اليازجي ، صاحب مجمع البحرين ، بقصيدة عصماء رأينا ان نثبتها بالرغم من طولها بالنظر لما تضمنته في مدح مصطفي بربر . قال اليازجي :





قلعة بربر في قرية ايعال

خطرت كما خطر القضيب الاملد — غيداء معطفهـــا يقوم ويقعد
ممشوقة تضع البنان بخصرهـــا — فيكاد بعض فوق بعض يعقد
هي من ظبى الوادي ولكن لي بها — لمح من الفردوس قامت تشهد
ما ضرها وهي المراض جفونها — لو اننـــا يا صاحبي العود
لقيت بطلعتها الهلال فاعلمت — ان الأهلة طالما تتولد
وتأودت بين الرماح فلم يبن — لولا السنان الاسمر المتـــأود
ورخت غدائرها تعالت خصرها — كارقـــام الوادي انثنت تتجعد
والله ما مدت سلاسل شعرها — الا لتسبي القلب وهو مقيد
فتنت مقاصير الخيام بقـــامة — كالغصن في مر الصبا يتردد
وبمقلة نادت على عشاقهـــا — لا تقربوا فانا البلاء الاسود
ما بين وجنتها ودمعي نسبة — كلاهما من حمرة يتورد
وكأن ليلي شعرها فكلاهمـــا — متطاول الاطراف اسود اجعد
تذكي لواحظها ويخمد ثغرها — فكانـــه في الـــكافرين موحد
لا بدع في سلسال ريقك ان روى — فهو المبرد والزلال مبرد
قسماً بثغرك يا اميمـــة درة — لي أدمع هن الجمان ينفـــد
درر تغص ذوائباً فسمطها — اهداف جفني والصبابة تعقد
ما كنت سيدة الملاح من الدمى — الا وعبدك في العشيرة سيد
حسبي بحبك عزة وبانني — بالرق عند عزيز حسنك اشهد
ولدي منك مواعد ما تنقضي — فاليوم يشقيني ويسعدني غد
مـــا انت كاذبة جللت انمـــا — سوء النصيب يقود ما لا يقصد
ولقد اسفت على الصدور لانها — كانت وانت قريبة تستطرد
وشكرت حسن المطل منك لانه — قد كان يوم يكون منك الموعد
ولقد تداولنا العوازل ليلة — حلفت بالا غاب منها الفرقد
لاموا وقلبي من احب وعندكم — قلبي فكيف خطاب من لا يوجد
ولقد صبوت فقالوا انك أشيب — راسي وقال القلب انك أمرد

والنفس ناصحة ولكن عندها اذا اعتذر الفتى لا يحمد
ولهوت عن أدبي القديم وكيف لا وصبابتي في طيه تتجدد
ونسيت نظم الشعر لولا شيمة في المصطفى تدعو الحضور فينشد

يعني (مصطفى بربر)



ضريح مصطفى آغا بربر في قرية ايعال واضرحة رجاله من المماليك

في أوحد الفضلاء والكرماء والبلغاء لا يتقيد
كالبدر أو كالفجر أو كالقطر أو كالبحر أو كالدهر إذ يتشدد
ريان تنتحر المكارم عنده كبراً ويصغر في يديه العسجد
يتوهم الأقلال في صون اللهى ويظن جمع المال وهو يبدد
وكانما ظن الهبات ودائعاً عند القوافل والودائع عود
سمح الأنامل في العطاء فكلما قلت خزائنه تراه يجود
لاشيء أهون عنده من ماله إلا المنية في الوغى تتورد
متقلد بيض النصال وانما بيض النصال بكفه تتقلد

يا من يقول لسيفه يوم الوغى   هاك القلوب فقد شكتك الأكبد
لو شئت اكحال العيون بجده   ضرباً ، لمر كما يمر المرود

(المرود : ميل الكحل)

يا من ينال اذا تكاثر وفده   طرب السوى بالمال لما يحشد
ما سر وفدك ما بذلت أشد ما   سرتك حين اتت تفرقه اليد
صدق المخبر عن صفاتك قومه   حتى أطال فقال انك أوحد
ذكر الحديث الى جلالك مسندا   فانصاع وهو الى حديثك مسند
وعلى طرابلس الشآم صبابة   مذ غبت عنها فهي صب مفقد
لو انصفتك، وقد رحلت ربوعها   هرعت على آثار ركبك تنشد
ما كنت الا رحمة في ارضها   بعدت ولكن فضلها لا يبعد
أخصبتها جودة فكانت جنة   لو كان ساكنها بها يتخلد
ما كان أحسن برهة خدمت بها   كفاك حق الله وهو مؤيد
شهدت لك الاحكام انك ربها   والله يشهد انها لك أعبد
لله درك ما أجلك سيداً   وأسد رأيك والطريق مسدد
أنا أشعر الشعراء فيك ولا تقل   هذا الغلام بجهله يتمرد
لم تجتمع فيك المحاسن انما   انت المحاسن وهي فيك تعدد
يتلو عليك الحمد في صلواته   من قال باسم الله ثم يردد
ما اكثر الجهلاء لكن شرهم   من كان عن ابواب فضلك يتشرد

موقعة الزراعة

حين بلغت اخبار حملة عثمان باشا على طرابلس وأخبار ما جرى في البلدة من شغب كما بيّنا في الصفحات السابقة ، ترك ابراهيم باشا حصار عكا وسار على رأس قوة لنجدة طرابلس ، وحين وصل وسمع عثمان باشا بقدومه ، انهزم بجنوده نحو مدينة حماه تاركاً وراءه الخيام والمعدات كما سبق وفصلناه ،

وحين علم ابراهيم باشا بانكفاء عثمان باشا وفراره لا يلوي على شيء رأى أن المصلحة تقضي باللحاق به ، وهكذا أسرع ابراهيم باشا للعمل الجدي وسار الجيش تحت رئاسة سليمان باشا الفرنساوي ورئاسة ابراهيم باشا فأدرك عثمان باشا عند الزراعة وحدثت بين الفريقين الموقعة التي أطلق عليها اسم موقعة الزراعة وكان لهذه الموقعة الصدى البعيد في الحرب القائمة بين محمد علي والدولة العثمانية .

تولى سليمان باشا الفرنساوي قيادة هذه الموقعة ، فصف رجاله صفاً بديعاً ورتب مدافعه بشكل سترها عن ابصار عسكر ابراهيم باشا ، الذين كانوا يفوقونه عدداً . وحين بدأت المعركة ، أحاط عسكر عثمان باشا بالعسكر المصري ، لكن سليمان باشا أعطى اوامره بغتة الى المدفعية المستورة عن انظار عسكر عثمان باشا فراحت تصب حممها على عسكر عثمان باشا وألقت الرعب بقلوبهم وشتتت صفوفهم فدب الرعب بينهم على أصوات المدافع التي كان يطلقها « الطوبجية » من المصريين، فتحصدهم حصداً ، وهكذا فرّ جميع جنود عثمان باشا ممن سلموا من حمم مدافع ابراهيم باشا ، على أعقابهم نحو ابواب حماه ناجين بأنفسهم ، وهكذا ربح ابراهيم باشا اول معركة لها قيمتها على جنود الدولة العثمانية .

فتح باقي المدن السورية

بعد أن رتب ابراهيم باشا شؤون عكاء ، حين رجع من موقعة الزراعة بعد ان استسلمت له كما قلنا آنفاً ، أناب عنه في حكمها منيب افندي ، رئيس ديوانه لادارتها ، كما فوض حنا البحري بالاعمال المدنية والتجارية ، ثم قرر مواصلة الزحف على بلدان سوريا الداخلية مبتدئاً بدمشق عاصمة سوريا فأرسل كتاباً الى واليها علي باشا يدعوه فيه الى التسليم ، كما كتب الى احمد اليوسف والى بقية أعيان المدينة بنفس الموضوع طالباً اليهم العمل على تسليم المدينة وإلا أخذها بالقوة . وفي التاسع من حزيران ، سار ابراهيم باشا على رأس

جيش مؤلف من ثمانية عشر ألف مقاتل منهم تسعة آلاف من الجنود النظامية وتسعة آلاف من الجنود اللبنانيين عدا عن البدو والعربان الذين رافقوا جيش ابراهيم باشا أملاً بالمكاسب وكان لدى هذا الجيش نحو العشرين مدفعـاً من مدافع الميدان . وحين بلغت مسامع الدمشقيين أخبار زحف ابراهيم باشا على مدينتهم ، وبالرغم من أنهم لم يكونوا راضين عن الحكم العثماني ، وربما كان من الخوف من انتقام الجند العثماني ، قرروا المقاومة والوقوف في وجه جيش ابراهيم باشا . وفي الخامس عشر من حزيران ، وصلت طلائع جيش ابراهيم باشا لضواحي دمسق ، فخرج والي دمشق وعدد من الدمشقيين لمقابلتهم ، وحين شاهدوا الجنود راعهم ما نظروه من نظام جند ابراهيم باشا ، ولم يتجرأوا على ابداء أية مقاومة وارتدوا على أعقابهم هاربين . وعلى اثر رجوعهم ، خرج وفد من أعيان دمشق وقدم هذا الوفد خضوع دمشق لابراهيم باشا ، ذلك أنهم رأوا أن لا سبيل لهم للمقاومة أمام قوى الجيش المصري وانهم لا يجنون من المقاومة سوى خراب البلدة وقتل ابنائها .

دخل ابراهيم باشا دمشق وأمن سير الحكم فيها ، بعد ان انسحب والي دمشق الى حمص ، وكان الامير بشير قد سارع لمعاونة ابراهيم باشا بنفسه على رأس خمسة آلاف مقاتل ، ويقول المسيو بازيلي ، قنصل روسيا في بيروت في تقرير رفعه لسفيره في الاستانة ، ان الفضل الاكبر لاخضاع سوريا لابراهيم باشا بالسهولة التي حصلت ، **إنما يعود الى الجنود من اللبنانيين** ، وهكذا وافقه بقية قناصل الدول في بيروت في تقاريرهم لسفرائهم في الاستانة عن كيفية استيلاء ابراهيم باشا على سوريا .

حمص وحلب

- ترك ابراهيم باشا دمشق بعد ان رتب امورها واطمأن الى صحة الترتيب الذي وضعه وزحف نحو حمص وبرفقته الامير بشير الشهابي وولده الامير خليل وعدد من امراء وادي التيم ومشايخ نابلس عدا عن بعض اعيان المدن

التي استولى عليها ، كرهينة من الفتن . وفي الثامن من تموز التقى ابراهيم باشا بجيشه ، – بالجيش العثماني – بالقرب من قرية « القطينة » الواقعة على مجرى نهر العاصي . كان الجنود العثمانيون يتبعون النظام الحربي القديم ، لذلك لم يقووا على الثبات أمام جند ابراهيم باشا المنظم من جهة ، ثم ان قوى ابراهيم باشا كانت تفوق بعددها وعددها الجنود من العثمانيين ، من الجهة الاخرى ، لذلك انكفأ الجند العثماني أمام الجند المصري ، وهرب الجند العثماني بمجموعه ، وانفتحت أمام ابراهيم باشا مدينة حمص فدخلها واستقبله الاهلون كما استقبله أهالي دمشق فرتب امور البلدة على النحو الذي رتب عليه دمشق ، ثم واصل زحفه على حماه فاحتلها ومنها سار نحو حلب ، فخرج اليه اهلها مستسلمين فاحتلها دون قتال وواصل زحفه فاحتل بيلان ، ثم اللاذقية وانطاكية والاسكندرونة ، ثم توغل في الاراضي الانضولية فاحتل طرطوس وأدنة ووصل الى جبال طوروس الفاصلة بين سوريا والانضول . وهكذا عاد للحكم المصري سائر البلاد السورية واللبنانية وخضعت للقاهرة كما كانت تخضع قبل الاحتلال العثماني واكتساح السلطان سليم لجميع البلاد العربية .

موقعة قونية

لم يتوقف ابراهيم باشا في زحفه بالنظر لعدم وجود قوة كافية تقف في وجهه . وحين وصل بزحفه الى قونية ، التقاه رشيد باشا الوزير التركي ، على رأس جيش كبير ، لكن إبراهيم باشا تمكن من الانتصار عليه ، وكانت هذه الموقعة بمثابة الموقعة الفاصلة كما كان لانتصار إبراهيم باشا على الجيش التركي الصدى البعيد المدى ، ولو واصل ابراهيم باشا زحفه على الاستانة ، لكان غير وجه التاريخ وقضى القضاء التام على عرش آل عثمان ومحاه من خريطة

العالم . حدثت موقعة قونية في ٢١ كانون الثاني من سنة ١٨٣٣ وقد حفظ العالم الشرقي هذا التاريخ كما حفظ تاريخ تغلب السلطان سليم على الغوري بمعركة مرج دابق ، وهكذا كانت معركة قونية كرد فعل على معركة مرج دابق .

معركة كوتاهية

بقي ابراهيم باشا في قونية حتى ٣٠ كانون الثاني من سنة ١٨٣٣ ، ثم واصل زحفه فاحتل كوتاهية . لكن هذا الانتصار المفاجىء حين بلغ مسامع دول أوروبا ، هبت جميعها للوقوف في وجه محمد علي وانتصاراته على الجيش العثماني ، ذلك انها اقتنعت ان محمد علي سيقضي على الرجل المريض ، وهو الاسم الذي كانت تطلقه دول أوروبا على الدولة العثمانية ، وبالتالي هذه الدول سوف تخسر مصالحها الاقتصادية وأطماعها باحتلال الاراضي العربية وسلخها عن جسم الدولة العثمانية ، والبقرة الحلوب التي تشكلها الدولة العثمانية لدول أوروبا ، فباحتلال محمد علي لاراضي الدولة العثمانية تتحول هذه الدولة الهرمة الى دولة فتية ليس باستطاعة دول أوروبا الوقوف في جهها . تداخلت هذه الدول سريعاً ، وأرغمت محمد علي على التوقف بزحفه وعلى ان يعقد صلحاً مع الآستانة .

وهكذا أصدر السلطان محمود الثاني خطاً شريفاً مؤرخاً في ١٦ ذي الحجة ١٢٤٧ الموافق لـ ١٦ أيار من سنة ١٨٣٣ قضى بموجبه تأييد حكم محمد علي على مصر وجزيرة كريت ومنحه الحكم على سوريا ومنطقة أدنة وتلقيب إبراهيم باشا بشيخ الحرم المكي وجعله محصلاً لأقاليم أدنة ، ووقع هذا الاتفاق البارون روسان بالنيابة عن السلطان محمود ، وإبراهيم باشا بالنيابة عن والده محمد علي باشا وقد تعهد محمد علي بأن يدفع للسلطان الأموال التي كان يدفعها الولاة السابقون لخزينة الدولة العثمانية على ان يسحب جنوده الى البلاد التي وضعت تحت إدارته .

تشكيلات ابراهيم باشا

بعد ان اطمأن محمد علي على استيلائه على سوريا ولبنان ومصر وفلسطين أوكل الى ابراهيم باشا ، ولده ، أمر إدارة القطر السوري الفلسطيني ، فوجه هذا كل اهتمامه الى الشؤون العسكرية ، فحصن المدن والثغور، ونظم الإدارة الداخلية وضم فلسطين للشام ونصب شريف باشا ، أحد أقارب محمد علي ، والياً على دمشق ، وأطلق عليه لقب والي عربستان ، وفوض أمور عكاء الى الشيخ عبد الهادي من زعماء فلسطين . ثم وجه على طرابلس وصور وصيداء وبيروت متسلمين ، لكن جاءته تعليمات من والده محمد علي ، بأن يترك أمر تنظيم هذه المدن للأمير بشير ، فولى عليها هذا متسلمين من أقاربه . لكنه عاد فضرب بتعليمات أبيه عرض الحائط وعزل المتسلمين الذين عينهم الأمير بشير وعين متسلمين من طرفه . وإزاء الاضطرابات التي لم تخل منها هذه المدن ، اضطر ابراهيم باشا لتثبيت متسلمين من رجال العسكرية ، فولى سليمان باشا الفرنساوي على إيالة صيداء وولى اسماعيل بك على ولاية حلب ، واحمد بك المنيكلي على أدنة .

كان يتولى على كل مدينة متسلم أو حاكم يدير امور البلدة الادارية وتحته مباشرة مدير المال لجباية الضرائب ، هم ابراهيم باشا الأكبر ، وفي كل مدينة يفوق العشرين الفاً عدد سكانها وضع ابراهيم باشا مجلس اعيان أو ديوان يتراوح اعضاء هذا المجلس بين ١٢ و ٢١ عضواً ينتخبون من أعيان البلد وتجارها ويمثلون جميع المذاهب، فكان عمله هذا بمثابة أول حكم نيابي للبلاد تمثلت فيه جميع المذاهب وقد حفظ لنا التاريخ اسماء اعضاء مجلس ديوان بيروت وهم عبد الفتاح حمادة وعمر بيهم واحمد العريس وحسن البربير وامين رمضان واحمد جلول عن المسلمين وجبرائيل حمصي وبشاره نصرالله وناصيف مطر ويوسف عيروط وموسى بطرس والياس منسى ، عن النصارى .

أما في طرابلس ، فلم نتمكن من العثور على الوثائق الرسمية لمعرفة اسماء

اعضاء مجلسها فاضطررنا الى البحث عن اسمائهم من افواه المسنين كالسيد المرحوم عبد الستار بك علم الدين الذي افادنا عن بعض اسماء من يذكرهم وهم عبدالله آغا يحيى ومحمد علم الدين وواحد من آل الشنبور وواحد من آل الزيقي وواحد من آل الشهال ومسيحي من آل نوفل وآخر من آل صدقة .

وترانا في هذا الكتاب مدينين بالكثير من المعلومات التي استقيناها من ذاكرة المرحوم عبدالستار بك علم الدين الذي لم يضن علينا بكل ما يذكره عن الحوادث التي مرت على طرابلس وكان على اطلاع على مجرياتها تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه .

سياسة ابراهيم باشا في سوريا ولبنان

حسب السوريون واللبنانيون أن حكم محمد علي لهذه البلاد سيكون رحمة بالنسبة لما كان يقوم به الاتراك العثمانيون ، لكنه لم تمض أيام معدودات، حتى ابتدأ ابراهيم باشا بتنفيذ سياسته الجديدة وسن القوانين المالية لجبي الضرائب التي قضت على آمال السكان بحسن نية المصريين . وقد قام ابراهيم بما يلي :

١ ـ احتكر تجارة وصناعة الحرير في لبنان وسوريا ، تلك التجارة والصناعة التي كانت تشكل مورداً من أهم موارد البلاد .

٢ ـ سن ضريبة ، سماها ضريبة الفرد وهي ضريبة على الرؤوس بقطع النظر عن المذاهب وتستوفى من جميع الرجال ، باعتبار أجر يوم واحد ، وبقيت هذه الضريبة حتى ألغاها الحكم الوطني أيام الانتداب .

٣ ـ التجنيد الاجباري . ولهذه القضية أهميتها القصوى ، ذلك ان التجنيد بعهد الحكومة العثمانية كان أمره موكولاً لرجال الانكشارية الذين كان من وظيفتهم أمر الدفاع عن البلاد . وقد جاء الغاء وجاقاتهم قبيل زحف ابراهيم باشا على سوريا ولبنان ، وبناء على اوامر محمد علي ، أصدر

ابراهيم باشا تشريعاً يقضي بالتجنيد الاجباري ، ولما لم يمتثل ابناء البلاد لهذه الاوامر ، أرسل ابراهيم باشا عساكره ووقفت يوم الجمعة على أبواب المساجد وكلما خرج واحد بعد الصلاة صالح للجندية ساقه جنود ابراهيم باشا الى الثكنات وأرغموه على الانخراط بالجندية المصرية . وكان لهذا العمل أثره البليغ في طرابلس ، وتذمر الطرابلسيين من الحكم المصري على ما سنذكره في الصفحات التالية .

٤ ـ ونزع السلاح من أيدي أهالي البلاد ، واللبناني متعلق بسلاحه كتعلقه بولد من اولاده ، وأدى هذا الامر الى جملة ثورات على حكم محمد علي في لبنان .

وكان على ابراهيم باشا ، حين تلقى اوامر أبيه بما مر ، كان عليه أن ينفذ هذه الاوامر بلباقة وبحكمة لأن سوريا ولبنان هما غير مصر ، فقد نفذ اوامره في مصر بالقوة والشعب المصري تقريباً واحد ليس بينه نزعات متعددة كما في سوريا ولبنان ، خصوصاً وقد عمل ابراهيم باشا ما في وسعه على تجريد الزعماء من زعاماتهم التي ورثوها عن آبائهم منذ مئات السنين وعلى الأخص تجريد هؤلاء الزعماء من سلطتهم القضائية . وقد شكل محاكم في لبنان ألفها من الطوائف المتعددة وقصده من ذلك التقرب من رجال الدين . أما طرق الجباية فكانت سيئة للغاية ، والجباة كانوا يسومون الأهلين بما لا طاقة لهم .

الثورات على الحكم المصري :

بدأ التذمر من الحكم المصري يتفشى شيئاً فشيئاً في سوريا ولبنان ، فأول ما ثارت نابلس ، وامتدت بها الثورة لكل فلسطين ، ثم انتقلت الى جبال العلويين ، فشمالي سوريا ، فحوران وقد بدأت الثورة في سنة ١٨٣٤ وحماتها في نابلس من آل طوقان وآل الجرار وآل ابو غبوش ، وتولى قيادة

الثورة الشيخ قاسم الاحمد ، وأخذ يفتك بالحاميـــات المصرية ، واستفحل الأمر واضطر محمد علي أن يأتي بنفسه لاخماد هذه الثورات على ما سنقدمه فيما يلي : وقد تبع أهل نابلس في ثورتهم أهل مدينة الخليل ثم امتدت الثورة من الخليل الى دمشق ، لكن شريف باشا حاكم الشام تمكن من القضاء عليها.

الثورة في طرابلس :

كانت مدينة طرابلس في مطلع المدن التي تذمرت من الحكم المصري بالنظر لمصالحها الاقتصادية التي قضى عليها نظام ابراهيم باشا ، وعلى الخصوص تجارة الحرير ، ثم الجندية وقد وصف لنا نوفل نوفل في كتابه المخطوط الموجود في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت ، والذي اطلق عليه اسم « كشف اللثام عن محيا الحكم والاحكام » وصفاً دقيقاً لم يسبقه اليه احد ، **ومن المؤسف ان يبقى هذا الكتاب مخطوطاً في مكتبة الجامعة ، ولعل وزارة التربية الوطنية تنظر في أمر طبعه واخراجه بالنظر لما يتضمنه من المعلومات عن تاريخ لبنان ، خصوصاً إبان الحكم المصري .**

قال نوفل :

أما الاستنطاقات التي كانت تجري على المتهمين بجنايات يريد الحاكم تحقيقها، فليس لها طريقة الا العذابات المريعة ، على وجوه متعددة ، فوض أمر التفنن بها الى الجلادين الموكلين بتعذيبهم مع افراد الضابطة ، وأهون ما فيها الضرب بالسياط أو بالعصي التي لا تعد بكمية الجلدات بل بكمية ما يتكسر منها على ظهر المضروب ، أو على رجليه ، فلو قيل ان فلاناً ضرب مائة عصا فيكون المفهوم بذلك كسر المقدار بضربه ، وأما الاستنطاقات المعتنى بها ، كاستنطاق كتاب الخزينة المتهمين ، فلا يترك لرأي الضابطة بل لاعتناء مخصوص من ذات الحاكم ، كاستنطاق طائفة اليهود في الشام لما اتهمت بقتل البادري توما ، فان ما اجراه شريف باشا الحكمدار بحقها من المظالم والعذابات الهائلة ، أوجبت

دولة فرنسا أن تهدر دم البادري المذكور وترسل أوامرها الى سفرائها للتوسط مع الحكومة بالكف عن هذه الاعمال [١] .

أما قضية سفك الدماء التي جرت بمدة حكمه في هـذه البلاد (ويقصد نوفل ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا)فلا نطيل الكلام على تفاصيلها بل نذكر بعض ما كان منها غريباً في معظم اسبابه وعجيباً في الاعتذار عنه من هـذا الوزير الذي كان يوهم الناس انه نشر العدل في بلاده ومؤسس التمدن في ولايته ، وهو أولاً ، أمر في بعض الايام مملوكا بحفر حفرة في الارض ، وبعد ان اتمها ، امره ان يرقد فيها ، ثم رد عليه التراب ودفنه حياً ، ولما سأل بعض المقربين اليـه عن السبب اجاب بان الدفين المذكور له اطلاع على بعض اسراره ويشاركه في هذا الاطلاع يوسف عيروط ، كاتب التحريرات العربية فشعر هذا بان الباشا يريد ان يعامله بما عامـل به المملوك ففر هارباً والتجأ الى قنصلات النمسا لانه كان من حمايتها ، وتخلص بذلك من تلك الميتة الشنيعة. ومنها ايضاً قضية علي آغا الخزينة كاتب أحد اعيان الشام،فيوم خروجه من الشام وتوجهه الى مصر بالذات ، ومع انه كان ضيفاً عليه ونازلاً في بيته ، ومن أعز المقربين اليه ، أمر بقتله واعتذر عن ذلك انه لا يريد ان يكون نديماً لغيره من بعده .

ومنها قتله المرحوم والدي بعد ان أقام نحو العشرين سنة رئيساً في بعض اقلام المحاسبات في حكومة مصر ، ثم عينه ابراهيم باشا رئيساً للمحاسبة في خزينة طرابلس ، حينما كانت النصارى في بلاد سوريا شرعت في خلع شعار الذمية ، وادعت المساواة في الحقوق كما كان يبلغهم هو جـار في بر مصر ، فصاروا يلبسون الملابس الملونة ، ويقابلون من يتعدى عليهم بمثل ما يعاملهم

---

(١) لو عاش المؤلف نوفل نوفل لهذه الايام وشاهد ما قام ويقوم به اليهود في فلسطين من الاعمال الوحشية والبربرية كضرب السكان الآمنين بقنابل النـابلم المحرقة واجلاء العرب عن ممتلكاتهم وغيرها من الفظائع ، لاستقل ما قام به شريف من الاعمال بشأن التحقيقات المشار اليها .

به ، ويتظاهرون بشرب المسكرات،ولا يعملون عملاً لاحد في الوجود بدون اجره فاستعظم المسلمون ذلك وصعب عليهم للغاية وقـام في نفوسهم بان المرحوم والدي هو الذي كان يقوي النصارى ويشجعهم على هذا الأمر وأن لولاه ما كانوا يتجاسرون عليه حق لاجل وجه من وجوه الافندية والثاني بجلسة اخذ يتشكى ويقذف في اليوم الذي حضرنا فيه من مصر ، مدعياً أنه لولا وجود ابي ما كان احد من كلاب النصارى يتجاسر ان يطلب من افندي اجرة ، وكان يحق لهم هـذا الزعم البعض من النصارى وهم الذين خسروا وظائفهم واضر بعضهم البعض وبغض الحكومة كلها ، وصاروا يتمنون زوالها بأية وسيلة كانت، فلما رأى النصارى انهم اصابوا الغرض من سعايتهم صاروا يهيجون ما في بيوتهم اصحاب المشاكل ويتظاهرون امام المسلمين بالاسف والكدر من ذلك الى ان جرت واقعة اللجاه وجرى للعساكر المصرية مـا جرى حضر ابراهيم باشا لدير الافرنج ، وحضر والده محمد علي باشا الى يافا، لم يشكوا في نوال مرغوبهم وجرى ما جرى مما اغاظ الحكومة وعاملتهم تلك المعاملة العظيمة فصارت النصارى تشترك مع المسلمين بقولهم ان قتل المسلمين هو المرحوم والدي وليس ابراهيم باشا لانه كان سبباً في بغض هؤلاء الناس للحكومة حتى جرى فيهم ما جرى واقدموا يسعون في عزل والدي بتهمات يتهمونه بها عند ابراهيم باشا بواسطة رجل من الاقباط كان كاتباً عنده يقال له **واصف صيدون** ، وهو ابن امرأة قوادة شهيرة في مصر يضرب بها المثل في صناعتها ، يسمع عنها الناس الذين زاروا مصر ، واغتنموا الفرصة لاجتذاب هذا الرجل الى بغض المرحوم والدي ، واخبروه انـه هو الذي اشاع الخبر عنه فصار يساعدهم عند الباشا المشار اليه الى ان تمكن من عزل المرحوم والدي ، وشرعوا في تحقيقات مـا ادعوا به من الشبهات ولما لم يقدروا أن يثبتوا منها شيئاً ، ذاع الخبر بأن المرحوم والدي يعود لوظيفته، فاستوحشوا من ذلك وان إبراهيم باشا عمل عرساً لاسماعيل بك ، أحد مماليكه الذي كان حكمدار في حلب، واستدعى حكام الولايات من كل الجهات،

ومن الجملة يوسف باشا شريف الذي كان متسلماً في طرابلس ، وكان قد تمكن في قلبه بغض المرحوم والدي ، لانهم أقنعوه فيما زعموا الاساءة الى المسلمين ، ولما وصل لحلب، اغتنم فرصة مكنته بإقناع ابراهيم باشا بأن المسلمين لم يفعلوا ما فعلوه إلا من جراء الاهانات التي الحقها بهم والدي بتسليط النصارى عليهم الى ان حصل على أمر بقتله نفذه في اليوم التاسع والعشرين من حزيران سنة ١٨٣٦ م .

انتهى ما ذكره نوفل نوفل في كتابه كشف اللثام عن محيا الحكم والاحكام المخطوط والمحفوظ في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت تحت رقم و ٦٠ مخطوطات .

الثورة في طرابلس

قلنا في الفقرة السابقة ان طرابلس ثارت على ابراهيم باشا وحكمه ، وكان لهذه الثورة أثرها البليغ على الحكم المصري . تنحى بربر عن مستلمية طرابلس كما قلنا آنفاً بعد ان احتدم عليه ابراهيم باشا لرفضه الخضوع لما أعطاه من تعليمات وقد كان احتدام ابراهيم باشا على مصطفى آغا بربر متجاوز الحدود وأهانه في شيخوخته بهجر الكلام مهدداً اياه بكسر رأسه بعود الحطب ، وبعد ان يصف نوفل نوفل ما حدث بين مصطفى بربر وبين ابراهيم باشا يقول :

ثم أرسل ابراهيم باشا عوضه (عوض عن بربر)رجلاً يقال له علي آغا . لكنه لم يلبث ان مات في تلك السنة (١٨٣٣) ، فنصب عوضاً عنه رجلاً من أهالي حلب يقال له يوسف آغا شريف ، وكان لئيماً بخيلاً متعصباً حقوداً وبعد مدة رقاه ابراهيم باشا الى رتبة اميرالاي فصار يدعى يوسف بك شريف ، وبقي متسلماً على طرابلس الى ارتحال المصريين نهائياً عن بر الشام سنة ١٨٤١ .

ويوسف بك شريف هذا هو الذي قتل والد نوفل نوفل كما سبق وبيناه في الفقرة السابقة. عزل ابراهيم باشا مصطفى بربر عن متسلمية طرابلس عزله أو أعفاه من الوظيفة أو استعفى بربر من متسلمية طرابلس وننقل فيما يلي النص الرسمي لأمر ابراهيم باشا بتنحية بربر عن المتسلمية المسجل في المحكمة الشرعية في طرابلس قال ابراهيم باشا :

افتخار القضاة والحكام ، معدن الفضل والكلام ، الحاكم للشريعة الغراء بطرابلس الشام حالا أفندي زيدت فضائله . ونخبة العلماء الاعلام المفتي بهـا حالا زيد علمه . وفرع الشجرة الزكية طراز العصابة الهاشمية قيمقام نقيب الاشراف بها حالا دام شرفه . وافتخار الاماجد الكرام المنصوب المعين من طرفنا متسلما بها حالياً الحاج علي آغا زيد مجده . وباقي الوجوه والاعيـان زيدت مقادرهم ، المنهى اليكم .

انه في هذا الآن عزل السيد مصطفى آغا بربر ، ونصب رافعه الحاج علي آغا ترجمان محكمة محروسة الشام سابقاً ، متسلماً بطرفكم . فالمراد انكم تعرفوه منصوب ومعين من طرفنا . وتكونوا جميعاً بالاتفاق والاتحـاد في ادارة أمور الرعايا والفقراء ، وفي أداء الخدمات المرضية ، وتحصيل الاموال الاميرية يداً واحدة . ولا يبدو من أحد منكم قصور .

بناء عليه أصدرنا لكم مرسومنا هذا من ديوان ايالة جدة وسر عسكرية مصر القاهرة . بوصوله تعتمدوه وتعملوا بموجبه في ٢٩ (جمادى الاولى سنة ١٢٤٩ هـ) (١٨٣٣ م) .

لكن الاخبار وصلت لطرابلس أن ابراهيم باشا حصره النابلسيون في دير الفرنسيسكان وانـه انكفأ وان الدولة العثمانية ستسترجع البلدة ، فقامت الافراح والليالي الملاح ، وقرأ الوجهاء في منازلهم قصة المولد النبوي الشريف تيمناً برجوع الحكم العثماني وحصر الطرابلسيون الحامية المصرية التي فرت الى

الميناء ونعود لنوفل نوفل فننقل عنه وصف هذه الفتنة .

« ان محمد علي باشا أرسل أمراً الى الامير بشير ليرسل ولده الامير خليل بألف مقاتل الى طرابلس ، لملاقاة سليم بك الملقب بالوزير ، وأحد أمراء المصريين فيسيروا من هناك لتأديب أهالي عكار وصافيتا وبلاد الحصن فذهب الامير خليل الى طرابلس واجتمع فيها بسليم بك المذكور والقيا القبض على ٢٥ رجلاً من الطرابلسيين وسجنهم في القلعة وبينهم ثمانية من أعيان المدينة .

ثم زحفا على عكار فقبضا على أسعد بك المرعب ، وأسعد بك الشديد وعلى اثنين من أولاد محمد بك القدور وعلى ثلاثين رجلاً ، وبعض وجوه عكار. وبعد ذلك رجع الامير خليل الى بتدين ، وسليم بك الوزير رجع لطرابلس ، واستحضر بكوات عكار ووجوهها المذكورين ، وأجرى محاكمتهم في مجلس الشورى فحكم بقتلهم فقتلهم جميعاً ، وبينهم عبد الله آغا المحمود من أغوات الدنادشة.وضبط أملاكهم وأرزاقهم وموجوداتهم ومواشيهم وأرسلها لطرابلس وباعها فيسوق المزاد «هذا ما ذكره نوفل نوفل في الصفحتين ٤٧٤ و ٤٧٥ من كتابه كشف اللثام وإذا عدنا لجرجي يني ، نجده يأتي في السنة ١٩٢٢ في الصفحة ٨٧ من مجلته المباحث نقلاً عن الياس صدقة تفاصيل فتنة طرابلس موضوع البحث . قال جرجي يني :

واتفق سنة ١٨٣٣ ان ذهب ابراهيم باشا الى جبل نابلس في فلسطين يقصد رمي مال الاعانة على الناس ، فأبى النابلسيون وهرجوا وشقوا عصا الطاعة ،وحملوا على مقر الباشا بدير الافرنج (الفرنسيسكان) بالقدس وحصروه فيه . فلما علم محمد علي باشا بأن ابنه محصور ، ركب البحر الى يافا بعدد من العسكر . ونهض الامير بشير الشهابي بمن اجتمع حوله من رجال لبنان وزحف فسلمت اليه صفد وعندئذ وهنت قوى المتالبين على ابراهيم باشا وتفرقوا فرفع الحصار عنه ، وما لبث ان أخمد الثورة .

والثورة كلها على ما يؤخذ من كلام نوفل ، نشأت بسبب تمنع النابلسيين

عن إداء الإعانة . ولم ينحصر الهياج بهم بل تعداهم الى سواهم ، حتى حصروا إبراهيم باشا في قلب القدس وطار الشرر من فلسطين الى جوار طرابلس . لان محمد علي باشا الموجود بأسطوله في مياه يافا ، لم يكتف بالسعي لإنقاذ ابنه المحصور، بل كتب للأمير بشير، وهو يومئذ زاحف الى صفد، بأن يرسل ابنه الامير خليل بألف رجل الى طرابلس فينضمون الى سليم بك الوزير أمير اللواء ، ويخرجون معاً الى عكار والحصن وصافيتا لتأديب الثائرين و كبح جماحهم . ولما اجتمع الامير خليل بسليم بك في طرابلس أمر بالقبض على ثمانية من كبار الاعيان وعلى ١٧ رجلاً آخرين من الاهلين ، وسجناهم في القلعة . وخرجا الى عكار وقبضا على بعض أعيانها وأعيان الحصن وصافيتا وأعملا السيف في من وجداه مذنباً » .

مصطفى بربر والفتنة

حاول يوحنا بك بحري ان يلصق ثورة طرابلس بمصطفى بربر ، فقد كتب إلى اللواء سليم بك الآنف الذكر يؤكد له ان لمصطفى بربر يداً في فتنة طرابلس وأنه ترك طرابلس بعد اخماد الحركة، معلناً انه إنما ذاهب للتشرف بمقابلة السر عسكر ابراهيم باشا وانه يضمر في الباطن الالتجاء الى الامير بشير الشهابي . ثم يزيد حنا بك بحري علماً باسماء المعتقلين في فتنة طرابلس فيقول:

وهذه الفتنة نشبت في أواسط ربيع الاول سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) وأخمدها اللواء سليم بك حول ٢٣ منه ، اذ القى القبض على اعيان عكار : سعيد بك ومحمد بك وسعدين بك واخيه حسن آغا ، وجمع اسلحتهم ثم سجنهم في قلعة طرابلس . والذين سجنوا بأمر السر عسكر ابراهيم باشا من اهالي طرابلس والذين فروا ٥٧ منهم **الحاج عبدالله علم الدين ، والحاج شاكر المطرجي ، والسيد شاكر عدره ، والسيد ابراهيم افندي السندروسي، والحاج حسين علم الدين ، والسيد مصطفى ملك ، والحاج مصطفى الادهمي**

ومحمد افندي الذوق والسيد خليل الثمين امين الفتـــوى واسماعيل افندي اخو النقيب .

هذا ما ورد في « المخطوطات الملكية المصرية للدكتور أسد رستم في المجلد الثاني صفحة ٤٣٢ والصفحة ٤٣٦ ، أما جرجي يني فيعلق على قول حنا بك بحري فيقول ان مجريات فتنة طرابلس كانت على مرأى ومسمع من بربر وله في بعض الامور مشاركة .

أما صاحب مذكرات تاريخيـــة ففي الصفحة ١٧٤ يذكر فتنة طرابلس بتفاصيل اكثر نوراً وجلاء وينوه بفضل بربر بقمعها بالرغم عن عزله عن متسلمية طرابلس وأيده بقوله سليمان بك ابو عزالدين بكتابه عن ابراهيم باشا في سوريا .

ونلخص الروايتين فيما يلي :

لما ظهرت بوادر الثورة في طرابلس على الحكم المصري في حزيران سنة ١٨٣٤ م تآمر المسلمون على الفتك بالحامية المصرية في طرابلس ، وكانت مؤلفة من اربعماية جندي فانسحب الجنود الى الميناء وتحصنوا فيها ، فتصدى لاخماد تلك الثورة مصطفى آغا بربر متسلم طرابلس السابق وكان معزولاً وقاوم مريديها وابطالها واتخذ له حزباً من اهل المدينة وهكذا حال دون الفتنة وأخمدها .

كان قد بلغ محمد علي باشا ثورة الطرابلسيين عليه فأرسل الى الامير بشير بتوجيه ولده الامير خليل على رأس الف مقاتل لبناني لتأديب الثائرين . وهكذا في ٣ تموز سنة ١٨٣٤ نزل الامير خليل برجاله الى طرابلس حيث اتحد مع سليم بك قائد الحامية المصرية المعهود ، فألقيا القبض على ٢٥ رجلاً من الجانحين الى الفتنة بينهم ثمانية من اعيان المدينة وسجنوهم في القلعة .

وحينئذ كان ابراهيم باشا قد أخمد ثورة فلسطين ، وأم دمشق ، ومنها

أرسل الأوامر الى كل جهة ظهرت فيها الفتنة، مشدداً بوجوب معاقبة العصاة فعوقب الطرابلسيون **بقتل ثلاثة عشر رجلاً من اعيانهم ، وطرحت جثثهم في الشوارع مدة ثلاثة ايام .**

بربر والضرائب المصرية

ولا بد لنا ان نتساءل لماذا ترك مصفى آغا بربر قريته ايعال وجاء لطرابلس وعمل على اخماد الفتنة ؟

ان بربر لم يكن راضياً مع غيره من اهالي لبنان عن تدابير ابراهيم باشا الجائرة ولا سيما ضريبة مال الاعانة التي سنها في سائر البلاد، واهابت بالشعب الى الفتنة ، والى الخروج على ابراهيم باشا وعلى حكمه لا في طرابلس فحسب بل في سائر سوريا ولبنان وفلسطين وحصره في دير الفرنسيسكان كما مر. وعلى الرغم ان بربر كان معزولاً ومنزوياً في قريته ايعال فقد ساهم في انتقاد تلك الضريبة الجائرة وذلك في مجلس طرابلس، وبلغ ابراهيم باشا في نابلس موقف بربر وانه يعارض في استيفاء هذه الضريبة فاشعله الغضب والحنق ووجه لبربر الرسالة القاسية التي لم يراع فيها المرونة والادب بل انطلق وراء نزقه ومنازعه المعهودة وفيما يلي نص هذه الرسالة :

فخر الاماجد والاكارم مصطفى آغا — انه طرق مسامعنا تكلمكم في مجلس طرابلس ، وتمسكوا لحيتكم وتقولوا للنصارى انكم انتم الذين علمتم الباشا اخذ اعانة من الفقراء . فقوى استغرابنا ذلك من صداقتكم لكونك رجل عاقل وتحكي كلام فارغ مثل هذا فيا هل ترى نحن عديمين الفهم مثل خلافنا (ويقصد بربر) حتى اننا نساق بكلام اثنين ... ونرهن رأينا اليهم هلترى انت غشيم لم تعرف احوال مصر ، لها قدر عساكر واذا ما اخذنا اعانة اي شيء نكفي العساكر .

مصطفى آغا تبقى قدر كدا مستغرق في بحر عناية ولي النعم وتهمى هذا

الهميان في وسط المجلس ؟ فبذا الوجه لم تخاف من وجه رب العالمين . كل مقام له مقال . وسلامة الانسان حفظ اللسان . فيلزم تضبط لسانك في هذا الوقت. لأن من تكلم في ما لا يعنيه يسمع ما لايرضيه . ومن بعد الآن اذا بلغنا عنك شيء ،قسماً بواحد أحد،وحق رسوله الاعظم ـصلى الله عليه وسلم ـ نبوظ معك وأعاملك معاملة ردية . ولا أشفق ولا أرحم شيخوختك فيقتضي ترك كلام الهذيان وشوف شغل نفسك ولا تجبرني أن أتغير معك وفي هذا كفاية .

عن نابلس في ٢٢ رمضان سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٤ م)
الختم – سلام على ابراهيم

هذا ما كتبه ابراهيم باشا لمصطفى بربر ونعتقد ان فيه الكفاية لاقناع بربر بوجوب العمل على اخماد فتنة طرابلس خوفاً من أن يلصقها اعداؤه به .

شهداء طرابلس في العهد المصري

التعليق على اسباب قتل نعمة نوفل

نعود لبحث الاسباب الموجبة التي قضت بموافقة ابراهيم باشا على قتل نعمة نوفل نزولاً عند طلب يوسف باشا شريف متسلم طرابلس خلال الاحتلال المصري .

ان نعمة نوفل بقي مدة طويلة موظفاً لدى الحكومة المصرية على عهد محمد علي ، وكان على صداقة وثيقة بابراهيم باشا ابنه ، ولما زحف ابراهيم باشا على سوريا ولبنان رافق نعمة نوفل ابراهيم باشا . كانت حكومة محمد علي سنت عدة قوانين بدعوى أنها قوانين اصلاحية تتمشى مع التمدن الاوروبي ،

ومنها إباحة شرب الخمور وبيعها وتحصيل ضرائب عنها ، وحين جاء ابراهيم باشا الى لبنان وبالتالي الى طرابلس ، عين نعمة نوفل في احدى الوظائف الادارية ، وبالتالي أيضاً أباح ابراهيم باشا بيع وشرب الخمور كما سن عدة قوانين بالمساواة بين السكان ، وبوصف نعمة نوفل موظف قديم لدى الحكومة المصرية ، اعتقد الطرابلسيون أن نعمة نوفل هو سبب قوانين بيع الخمور ، وقد عرضنا فيما مر أن مصطفى آغا بربر اعتزل الحكم بسبب قوانين إباحة الخمور .

شهداء طرابلس

نعود لكتاب نزهة الفكر في مناقب الشيخ محمد الجسر بقلم ولده العالم الفاضل الشيخ حسين الجسر فقد جاء في الصفحة ٧٣ من الكتاب المشار اليه ان ابراهيم باشا بعد إقامته في البلاد الشامية مدة ثلاث سنوات ، شاع في طرابلس ان أهالي فلسطين أو بالأحرى الخليل ثاروا عليه وقبضوا عليه وهزمت عساكره ، وهكذا ظهر على أهالي طرابلس السرور كراهة لحكم ابراهيم باشا الذي اباح المحرمات ، ورغبة برجوع حكم الدولة العلية العثمانية وصدر منهم كلمات التشفي وعدد منهم.قرأ قصة المولد النبوي الشريف تيمناً برجوع الحكم العثماني .

لكنه ظهر فيما بعد ان محمدعلي والد إبراهيم باشا جاء الى يافا وانقذ ولده. وبالرجوع الى الشيخ توفيق الصفدي ، الاخصائي بعلم الانساب وبتاريخ العائلات أفادنا ان الطرابلسيين فعلا حين علموا بانكفاء إبراهيم باشا عمالسرور بينهم وأقاموا الافراح والليالي الملاح . وبالنظر لعلاقة نعمة نوفل بإبراهيم باشا ، فقد كتب هذا له بجلية الأمر .

ويقول الشيخ حسين الجسر بكتابه المذكور آنفاً ان بعض المفسدين ويعني نعمة نوفل حرروا لإبراهيم باشا بما حدث في طرابلس ونقلوا اليه أسماء أكابر



منظر لساحة التل القديمة

علمائها ووجهائها ومشائخها ومنهم اسم الشيخ محمد الجسر وقد اضطر الى الاختفاء ثم الهرب الى جزيرة قبرص .

الشيخ الجسر والشهداء

وكان الشيخ محمد الجسر صائب الرأي بعيد التفكير ، لذلك فانه تنبأ بما سيكون مصير الوجهاء والعلماء الطرابلسيين من جراء شماتتهم بانكفاء ابراهيم باشا في فلسطين ، فيقول الشيخ حسين الجسر أن والده الشيخ محمد الجسر المشار اليه كان ساهراً في دار عبدالله علم‌الدين وانه في خلال السهرة اشار إلى باب الدار ومنها إلى الساحة التي أصبحت فيما بعد المقبرة التي دفن فيها شهداء طرابلس وإن عبد الله علم الدين - سيكون من جملة من سيلقى عليهم القبض .

ويضيف الشيخ حسين الجسر بكتابه المشار إليه أن والده في أثناء إقامته في قبرص هرباً من ابراهيم باشا تنبأ أيضاً بأن الذي فسد على الطرابلسيين ، ويعني نعمة نوفل قد جرى شنقه .

اسماء الشهداء

وقد عانينا الكثير من المتاعب للوصول إلى معرفة أسماء الذين ذبحوا بأمر ابراهيم باشا فالمرحوم عبد الستار بك علم الدين ذكر لنا اسماء بعضهم كما ذكر لنا أن القتل جرى على يد سياف ابراهيم باشا ، المملوك الزنجي سعيد آغا أما الشيخ توفيق الصفدي فوافق على قول عبد الستار بك علم الدين وأضاف لنا بعض الأسماء .

وأخيراً تمكنا من الحصول على اسماء هؤلاء الشهداء وهم أحمد آغا الحجه ، واحد من بيت محسن لم نتمكن من معرفة اسمه ، ابراهيم الحاج حسن النابلسي ،

البهلوان ابن الرفاعي شاكر المطرجي وكان موظفاً في الديوان ، شاكر الشهال الحاج عبد الله علم الدين الحاج حسن علم الدين ، طالب آغا الحمزة ، عبد الله آغا عدره وقد صدر أمر خاص بقتله ، عثمان محسن ، الشاعر إسحق الأدهمي واحد من بيت سيفا لم نعثر على اسمه ، واحد من عائلة منقاره لم نعثر أيضاً على اسمه ، الحاج أحمد الدويدي وكان موظفاً في الديوان ، وأخيراً الشيخ محمد رفاعية وكان يصرخ عند ذبحه « مظلوم .. مظلوم .. » وبقي يردد هذه الكلمة حتى وفاته .

قتل نعمة نوفل

ويتضح مما تقدم أن الطرابلسيين أوغروا صدر يوسف باشا شريف متسلم طرابلس وحمسوه على طلب قتل نعمة نوفل بسبب أنه هو الذي نقل لابراهيم باشا اسماء الطرابلسيين وإنه هو السبب المباشر لاعدام من أعدم من وجهاء وعلماء طرابلس وقد جرى صف رؤوسهم على بركة الملاحة الباقية في مكانها لليوم كما ألقيت جثثهم في الأسواق من سوق العطارين حتى الملاحة .

الباب السابع

طرابلس بين ١٨٤٠ و ١٨٦٠

خروج ابراهيم باشا من طرابلس

أحب ابراهيم باشا السكنى في طرابلس بالرغم عن مشاكله السياسية ، خصوصاً الميناء ، وما زال هناك منزل في محلة المشتى يطلق عليه اسم بيت الباشا ، نسبة الى ابراهيم باشا الذي سكن فيه ، ذلك ان ابراهيم باشا احب طرابلس واحب جنائنها ومياهها ومتنزهاتها ، لكن عهده لم يكن بالعهد القريب من قلب الطرابلسيين بالنظر لما قام به نحوهم ، كما فصلناه في الفصل السابق . كانت النقمة مكتومة في نفوس الطرابلسيين ، فقد خطا ابراهيم باشا على خطوات والده بإباحة شرب الخمر وبيعه مما زاد في نقمة الطرابلسين عليه.

ثم نقمته على بعض الوجوه من عائلات طرابلس المعروفة . فقد روى لي السيد احمد عويضة ، ان ابراهيم باشا كثيراً ما كان يرغب في الجلوس في سوق النركان حيث كانت دكاكين العقادين ممن يعملون في غزل الحرير ، فصادف يوماً أنه كان جالساً لدى العقاد الذي يرغب في الجلوس في دكانه وكان في الجهة المقابلة أحد وجهاء طرابلس من بني الشنبور جالساً أيضاً لدى العقاد المقابل ، وكانت هناك مشاحنات بينه وبين ابراهيم باشا ، فعمد ابراهيم باشا الى ورقة وكتب عليها بيتاً من الشعر لعنترة بن شداد جاء فيه :

لي النفوس وللطير اللحوم وللـ وحوش العظام وللخيالة السلب

ثم ناولها للجالس مقابله من الوجهاء وقال له : « أنظر خطي ما أجمله ».
فتناولها هذا منه ولما قرأ الشعر المذكور تناول قلماً وكتب بخطه تحته :

ان كنت تعلم يا نعمان ان يدي قصيرة عنك فالأيام تنقلب

ثم أعادها لابراهيم باشا وقال : « وانا خطي جميل أيضاً » .

ولما قرأها ابراهيم باشا تبين الشرر في عينيه لكنه كتم غيظه وسعى للانتقام منه فيما بعد .

وقبل انسحاب ابراهيم باشا من طرابلس ، شاء ان يترك أثراً ثانياً فقد رفض النزول عند تهديد الحلفاء الذين بموافقة الباب العالي في الآستانة ، انذروا والده محمد علي بوجوب اخلاء سوريا ولبنان بكل سرعة ، وقد تخلت فرنسا عن محمد علي وعن مساعدته ، ولما لم يذعن ابراهيم باشا للأمر ، جاءت الدوارع الانكليزية فضربت ميناء بيروت كما ضربت ميناء طرابلس وفر أهالي الميناء منها ، لكن التلفيات كانت ضئيلة ، ونزل اخيراً محمد علي عند الأمر واعطى تعليماته لولده ابراهيم باشا بوجوب الانسحاب من سوريا ولبنان .

كان لانسحاب الجيش المصري من طرابلس بل من لبنان أطيب الأثر فقد عمت التهاني وقرأ الطرابلسيون الموالد النبوية ، والقيت الخطب الرنانة وخرج المشايخ أصحاب « النوبات » بطبولهم وزمورهم وبالأعلام النبوية في الطرقات ، وقام الطرابلسيون بأداء صلاة الشكر في الجامع الكبير المنصوري ، ولهجت الألسن بالدعاء للسلطان عبد المجيد الشاب الذي خلف والده السلطان محمود على عرش آل عثمان ، وكيف لا تلهج الألسن بالدعاء وقد تخلصت طرابلس

من الحكم المصري الذي أثقل السكان بالضرائب الفادحة ، ومن نظام الجندية ومن الرسوم على تجارة الحرير والزيتون وسائر المحصولات ، أسوة بمـــا فعله محمد علي في مصر ، والذي زاد في الطين بلة ، ما فعله ابراهيم باشا في طرابلس في قتله الوجهاء ورمى بجثثهم في الشوارع كما فصلناه آنفاً .

وقد أخطأ محمد علي باشا أشد الخطأ فيالسياسة التي اتبعها في سوريا ولبنان باستعماله الشدة وبسنه الأنظمة التي سنها في مصر ، والفرق بين لبنان وسوريا ومصر من هذه النواحي ومنها :

١ – كان الشعب المصري ، والفلاح على الخصوص تابعاً للاقطاعية وللأمراء من المماليك الذين يسومون الشعب كل الظلم ويستولون على موارده لذلك فان سن محمد علي للأنظمة الجديدة لم تلاق هذه الأنظمة استياء من لشعب لأنهـــا كانت أرحم من أنظمة المماليك ، أما في لبنان فقد كان اللبناني حراً في تجارته وفي اقتناء السلاح الذي هو عنده أعز من ولده ثم إن اللبناني لم يكن متعاداً على الجندية الاجبارية .

٢ – اتبع ابراهيم باشا في لبنان سياسة الشدة وقتـــل الناقمين على حكمه بدلاً من أن يستدعيهم ويعمل على إزالة ما يتظلمون منه .

٣ – كان الحكام الذين أقامهم ابراهيم باشا على لبنان وسوريا لا دأب لهم إلا جبي الضرائب بكل شدة ثم هناك ضريبة الرؤوس التي سنها ابراهيم باشا ولم يكن لها وجود سابقاً .

ولو ابستعمل محمد علي سياسة اللين لتنشيط سكان لبنـــان لكان هؤلاء فضلوا الحكم المصري على الحكم التركي ولا يجب أن ننسى اباحته لشرب الخمور وبيعها مما أثار نقمة الطرابلسيين .

وبعد جلاء المصريين عـــن طرابلس ، عينت الدولة العثمانية متسلماً على طرابلس على سابق عادتها وضمت اليها قضاء اللاذقية وما يليها ، وأخذ الأمن يستتب شيئاً فشيئاً،وانصرف الطرابلسيون لمزاولة اعمالهم التجارية والصناعية طبقاً للأنظمة العثمانية السابقة ويقول جرجي يني في تاريخ سوريا إن الرخـاء في طرابلس كان عاماً حتى بلغت الأموال الاميرية المجباة في هذا العهد لخزينة الدولة ، ما ينوف على مائة الف ليرة ذهبية ، وهو مبلغ لا يستهان به في مثل ذلك الزمن .

الباب الثامن

طرابلس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

بسط محمد فريد في كتابه تاريخ الدولة العلية العثمانية ما عاناه لبنان بعد جلاء الجيش المصري عن البلاد فقال أنه بمجرد إخلاء الجيوش المصرية للأراضي اللبنانية وعدم شعور السكان بسطوة إبراهيم باشا وبطشه تحركت فيهم العداوة القديمة وزادت الدسائس الأجنبية نار الشقاق ، فكانت فرنسا تساعد فئة وانكلترا تساعد الفئة الأخرى وكلا الدولتين تعد العدد وتثير الشقاق لكي تتمكن من الحصول على تحقيق فكرة مبيتة تتلخص بالاستيلاء على هذا القطر ، وهكذا ظهر الشقاق وتعدت الفئة الأولى على الثانية خصوصاً في حوادث عام ١٨٤١ حيث عمت الاضطرابات في قرية دير القمر وكثر النهب والسلب ولولا تداخل الجيش لامتدت هذه الاضطرابات .

وفي عام ١٨٤٥ تجددت الحوادث فلم ير الباب العالي من مندوحة من التداخل بشدة في إدارة لبنان ، فعزل الأمير الشهابي حاكم لبنان وأبطل ما للبنان من امتيازات ، فتداخلت الدول الأجنبية باعتبار ان امتيازات لبنان قديمة وجرى الاتفاق على ان تعين الدولة حاكمين للبنان الواحد ماروني والآخر درزي والاثنان يمثلان الوالي ، لكن هذه الطريقة لم تنجح ، فسلخ الباب العالي اقليم الجبل الآهل بالموارنة وضمه الى طرابلس ، فعارض البطريرك

الماروني واحتج الى قناصل الدول ، فأرسل الباب العالي بصفة وال على الشام أسعد باشا للنظر في تسوية هذه القضية ، فرأى ضرورة ارجاع الأمير بشير الشهابي الى إمارة الجبل فلم تقبل الآستانة بهذا الحل وانتدبت خليل باشا كوال آخر لحل المسألة وإزالة تشكيات الطرفين فدرس الخلاف وأشار بالرجوع الى القائمقامين وانه إذا حصل خلاف يرفع هذا الخلاف للوالي العثماني الذي يوكل اليه ايجاد الحل المناسب .

فرمان الكلدخانة

كان لهذه الخلافات أثرها الفعال لدى رجال الآستانة ، فبعد ان سنت الثورة الفرنسية القوانين الجديدة ، وبعد ان نبهت هذه الثورة الشعوب ، وبالنظر لتعدد المذاهب في الدولة العثمانية وضرورة إيجاد تشريع جديد يحفظ الحقوق كاملة لكل فرد من رعيتها ، اصدر السلطان عبد المجيد في ٢٦ شعبان من سنة ١٢٥٥ فرمان « الكلدخانة » الذي افصح عن ان الدولة عازمة على وضع القوانين التي تحفظ لكل واحد حقه في العيش بأمان ، ومنع تعدي الواحد على الآخر .

جاء فيهذا الفرمان أنه وجد السلطان من الضروري وضع وتأسيسقوانين جديدة لتحسين إدارة الممالك المحروسة وتلخص هذه القوانين بما يلي :

١ – التأمين على الأرواح وحفظ العرض والناموس والمال .

٢ – نأمين الخراج ومبلغ الضرائب التي تجبيها الدولة لكي تتمكن من إدارة البلاد .

٣ – تعيين قانون الجندية ، ذلك ان الدولة بحاجة الى العساكر لحماية البلاد والدفاع عنها ولا بد أن نقف هنا قليلاً ، فالجندية في الدولة العثمانية كان موكول أمرها لفرقة الانكشارية وبما ان السلطان محمود قد أباد فرقها لذلك

فقد قضت الضرورة بسن قوانين للجندية وتعيين الخدمة العسكرية خلال عدة سنوات للدفاع عن الوطن .

٤ – عدم تكليف الشعب بدفع ما لا طاقة به من الضرائب بشكل ان ضرائب الدولة يجب ان تكون متناسبة مع واردات المكلف .

٥ – إعتبار كل العثمانيين سواسية أمام القانون .

٦ – تشكيل محاكم نظامية يحاكم أمامها المجرمون وتكون جلساتها علنية وكل انسان يصبح مالكاً لامواله ولا يتعرض للمصادرة الا بمقتضى القانون.

٧ – حرية القول والعمل بمقتضى القانون .

٨ – كل من خالف القانون مهما يكن مركزه يحاكم امام المحاكم بمقتضى القانون .

هذه هي أهم بنود الكلدخانة وقد تلتها الاصلاحات الخيرية لكن هذه الاصلاحات وهذه القوانين لم تتبع بالمعنى التي وضعت لها وتوفي السلطان عبد المجيد وخلفه السلطان عبدالعزيز وبقيت الدولة على حالها تتأرجح فيها طلبات الاصلاح ولا من مجيب الى ان قامت الجمعيات وتألفت الوفود بطلب الاصلاح وكان بطل طلب الاصلاحات الزعيم مدحت باشا الملقب بأبي الأحرار .

مدحت باشا والقانون الاساسي

كان سبق لرجال الآستانة ان شكلوا لجنة عليا وضعت مجلة الأحكام العدلية استمدت موادها من المذهب الحنفي ومن مختلف الاجتهادات وتشكلت المحاكم النظامية وفصل عن المحاكم الشرعية قضية المعاملات وقضية العقوبات كما تأسست المحاكم التجارية لفض الخلافات بين التجار على اثر اتساع التبادل التجاري مع أوروبا .

لكن مدحت باشا كان هدفه تأسيس دولة مشروطية ونزع السلطة المطلقة عن السلطان وقد تمكن بجهاده هو واخوانه من الأحرار من خلع السلطان عبد العزيز وتولية السلطان مراد ولما أصيب هذا بعارض جنوني جرى خلعه وتولية السلطان عبد الحميد الذي شرط عليه مدحت باشا واخوانه وضع دستور للبلاد ، او ما أطلق عليه القانون الاساسي ، وهكذا في السادس من أيلول لعام ١٨٧٦ جرى تنصيب السلطان عبد الحميد على العرش العثماني .

وفي العاشر من الشهر المشار اليه اصدر السلطان عبد الحميد الفرمان الخاص بتولية محمد رشدي باشا رئاسة الوزارة لكن وزارة رشدي باشا لم يطل أمدها فعزل وفي السابع من ذي الحجة لعام ١٢٩٣ صدرت الارادة السنية بتولية مدحت باشا رئاسة الوزارة وتكليفه بتنفيذ أحكام الدستور الذي جرى سنه كما جرى وضع سائر القوانين الادارية لاتباعها وتخليص البلاد من الفوضى.

السلطان عبد الحميد ومدحت باشا

وجد السلطان عبد الحميد بمدحت باشا منازعاً له على السلطة وإن هذا الدستور أو القانون الأساسي الذي عمل مدحت باشا على وضعه وتقييد سلطة الجالس على عرش آل عثمان إنما هو حد لسلطة الخليفة أو ظل الله في أرضه ، لذلك أخذ يعمل في الخفاء وهدفه الغاء هذا الدستور والرجوع إلى الأنظمة السابقة ، فكان أول عمل قام به هو اتهامه لمدحت باشا بأنه يعمل على إعادة السلطان المخلوع مراد فعزله من منصب الصدارة في ٢١ محرم من سنة ١٢٩٤ ، أي بعد شهرين من تعيينه وذلك بموجب المادة ١١٣ من القانون الأساسي المشار إليه وأصدر أمراً بنفيه ناسباً له أنه يعمل على إعلان أن الخليفة العثماني إنما هو خليفة العثمانيين وليس خليفة المسلمين كافة ووجهت الصدارة إلى أدهم باشا.

طرابلس ومجلس النواب العثماني الأول

نص القانون الأساسي على إيجاد مجلسين الأول للمبعوثان أو النواب والثاني

للأعيان أو الشيوخ ويجري انتخاب أعضاء الأول من الشعب على درجتين ويعين السلطان أعضاء المجلس الثاني من أرباب الوظائف العليا ومن الوزراء السابقين ووجهاء البلاد وأعيانها .

كان عهد الانتخاب جديد على الطرابلسيين وأتت الأوامر من الولاية بوجوب انتخاب رجل مسالم ولكن يحسن التركية ، ولما لم يكن بين المسلمين من يحسن التركية جيداً سوى نقولا لطف الله نوفل ، وكانت جرت العادة بتكليفه بقراءة الفرامانات التي ترد من الاستانة بالتركية يتلوها على الاهلين ويفسرها لهم بالعربية لذلك اتجهت إليه الأنظار وتم الاتفاق على انتخابه ممثلاً لطرابلس في مجلس المبعوثان العثماني ، وكان انتخابه أكبر دليل على اتفاق المسلمين والمسيحيين ، ذلك أن طرابلس ، البلد المسلمة انتخبت لتمثيلها في أول مجلس للنواب نقولا لطف الله نوفل المسيحي الأرثوذكسي .

ذهب نقولا نوفل للاستانة مع بقية مبعوثي البلاد العربية وفي الرابع من شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٤ افتتح السلطان عبد الحميد البرلمان العثماني الأول في سراي بشكطاش واستقبله أعضاء المجلسين بالهتافات والطلب إلى الله بأن ينصره على أعدائه . وبعد أن جلس السلطان على العرش ، وقف رئيس الوزراء وألقى خطبة العرش وهي أول خطبة لسلطان عثماني دستوري وقد آثرنا أن ننقل شيئاً من هذه الخطبة لكونها أول وثيقة تاريخية تبسط حالة الدولة في ذلك الحين قال :

أيها الأعيان والمبعوثان .

إنني أبث المنونية بافتتاح المجلس العمومي الذي اجتمع المرة الأولى في دولتنا العلية وجميعكم تعلمون أن ترقي شوكة واقتدار الدول والملل إنما هو قائم بواسطة العدالة حتى أن ما نشر في العالم من قوة دولتنا العلية وقدرتها في أوائل ظهورها كان من مراعاة العدل في أمر الحكومة ومراعاة حق ومنفعة كل صنف من صنوف التبعة وقد عرف الناس أجمع تلك المساعدات

التي أبداها أحد أجدادنا المرحوم السلطان محمد الفاتح في مطلب حرية الدين والمذهب وكافة أسلافنا العظام أيضاً سلكوا على هذا الأثر فلم يقع في هذا المطلب خلل في وقت من الأوقات وغير منكر أن المحافظة منذ ستمائة عام على السنة صنوف تبعتنا ومللهم ومذاهبهم كانت النتيجة الطبيعية لهذه القضية العادلة ، والحاصل بينما كانت ثروة الدولة والملة وسعادتها صاعدتين في درجة الترقي في تلك الاعصار والازمان بظل حماية العدالة ووقاية القوانين ، أخذنا بالانحطاط تدريجياً بسبب قلة الانقياد للشرع الشريف والقوانين الموضوعة وتبدلت تلك القوة بالضعف وقصارى الامر ، ان المرحوم والدي الاكبر السلطان محمود خان أزال عدم الانتظام الذي هو العلة الكبرى للانحطاط الذي طرأ منذ أعصار على دولتنا ورفع من الوجود غائلة الانكشارية المتولدة منه وقلع شوكة الفساد والاختلال الذي مزق جسم الدولة والملة وكان هو السابق لفتح باب ادخال مدنية اوروبا الحاضرة الى ملكنا ، وهكذا والدي الماجد المرحوم عبد المجيد خان فقد اقتفى هذا الأثر ، فأعلن أساس التنظيمات الخيرية المتكفلة بالمحافظة على نفوس أهالينا وأموالهم وأعراضهم وناموسهم ، ومنذ ذلك اليوم اتسعت تجارة ممالكنا وزراعتها وزادت واردات دولتنا أضعافاً في أمد قليل ، ومن ثم وضعت القوانين والنظامات التي هي مدار لما يعوزنا من الاصلاحات ، وأخذ تحصيل المعارف والفنون بالامتداد بينما شب في دولتنا أمل النجاح بناء على هذه المقدمات الحسنة ولا سيما بناء على الامنيات الداخلية .

ظهرت حرب القرم فكان ظهورها مانعاً لدوام المساعي بتنظيم أحوال المملكة والتبعة ومع ان خزينة دولتنا كانت حتى ذلك الوقت غير مديونة للخارج بقرش واحد ، اضطررنا للاستقراض الخارجي دفعاً للاحتياج والضرورة . فتعذر والحالة هذه تقابل وارداتنا مع مصاريف الحرب المبرمة. وبهذا السبب فتح باب الدين . نعم إنه في هذه المسألة بواسطة اتفاق الدول

المختلفة التي صادقت على مشروعية حقوقنا وبانتظام معاونتها الكاملة الفعلية التي لا تبرح مدى الدهر زينة صحائف التواريخ قد انتجت المصالحة التي وضعت تمام ملكية دولتنا واستقلالها تحت ضمان دول أوروبا لعهدي وغلب على الظن ان هذه المصالحة قد مهدت لمستقبلنا زمانا مساعداً على وضع أعمالنا الداخلية في طريقها ، وسلوك جادة الترقي الحقيقي .

ثم يأتي الخطاب فيما بعد على وصف سوء الحالة بسبب ظهور بعض الحركات وان هذه الحركات كانت السبب لعدم مواصلة سن القوانين لترقية الشعب ونجاحه وان عدم وضع موازنة للدخل والخارج كان سبباً مباشراً لسوء الحال. ثم يأتي على كيفية وضع القانون الاساسي ثم انتخاب مجلسي المبعوثان والاعيان وان الدولة وضعت جميع القوانين اللازمة وتعرضها على المجلسين للموافقة عليها ووضعها في حيز التنفيذ .

هذا مجمل لما جاء في خطبة السلطان عبد الحميد الاول في مجلسي الاعيان والمبعوثان . لكن دول أوروبا حين رأت ان الدولة العثمانية مزمعة حقيقة على اجراء الاصلاحات الامر الذي لا يعود يخولها التدخل في شؤونها ، قررت العمل على إثارة النعرات الطائفية وإثارة ايضاً الفكرة الاستقلالية وهكذا ابتدأت تبث الحركات بين الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية هذه الحركات التي أدت الى نشوب الحرب الروسية العثمانية ، والى احتلال روسيا القسم الكبير من أملاك الدولة واضطر السلطان عبد الحميد الى طلب الصلح ودفع غرامة لروسيا بلغت نحو ٢٤٥ مليون ليرة عثمانية ذهب .

حل مجلس المبعوثان

وفي ٧ ذي الحجة اجتمع المجلسان والقى السلطان عبد الحميد خطبة كافية وافية بسط فيها أمور الدولة وما هي عليه من احوال كما بسط الاصلاحات التي قامت بها الحكومة من اعلان المساواة بين الشعب وتجنيد العناصر الغير مسلمة ثم كيفية جباية الاموال الاميرية .

وقد رد أعضاء مجلس المبعوثان على خطاب السلطــان فبينوا الأخطاء التي ارتكبتها الدولة ثم طلبوا تطبيق القوانين بحذافيرها وعدم المراعاة في تطبيقها وقدم الجواب للسلطان الذي لم يرض عن مضمونه وبالاتفاق مع أركان الدولة والوزراء صدرت الارادة السنية بتأجيل جلسات مجلس المبعوثان كما جرى القاء القبض على عدد من النواب ومن اظهروا عــدم انصياعهم لمشيئة السلطان ، وهكذا قضي على المشروطية وعادت الى مــا كانت عليــه في السابق من أن السلطان هو المرجع الوحيد لكافة أمور الدولة .

حوادث عام١٨٦٠

لم تتأثر طرابلس في حوادث عـــام ١٨٦٠ بسبب ان الطرابلسيين عاشوا مئات السنين وهم على أتم وفاق لا فرق بـــين المسلم والمسيحي. فابن طرابلس المسلم كان عملاؤه من الموارنة والارثوذكس من سكان الزاويــة والكورة ولم يكن للخلافات الدينية أدنى تأثير بين الطرفين .

مدحت باشا والي سوريا

وفي اواخر القرن التاسع عشر أرسل السلطــان عبد الحميد مدحت باشا والياً على سوريا فجاء لطرابلس وأعجبه مركزها كما أعجبه هواؤها وجنائنها ومياهها فأخذ يعمل على تحسين مرافقالبلدة بكل ما لديه من قوى .

كان أول عمل قام به مدحت باشا ان أحاط رابيـــة التل العليا بجدار حجري وانشأ فيها المقهى المعروف « بقهوة الفوقانية » والذي مــا زال قائماً لليوم ويعد من أحسن مقاهي طرابلس ومـــا زالت ايضاً الاشجار التي أمر بغرسها مدحت باشا ومن بينها شجر الكرمة وغيرها من أنواع الشجر قائمة .

كانت الطريق بين الاسكلة والبلدة ضيقة وينتقل الاهلونالى الاسكلة ومنها على ظهور الحمير ، فأمر مدحت باشا بإنشاء طريق معبدة عريضة بين الاسكلة

والبلدة ثم جمع أغنياء طرابلس واجبرهم على تأسيس شركة مساهمة برأس مال كاف واستصدر فرماناً بإنشاء هذه الشركة وهدفها انشاء خط ترامواي حديدي يصل البلدة بالاسكلة . وبعــد ان جمع المال اللازم وبموجب الفرمان الآنف الذكر صار طلب الادوات والخطوط الحديدية واستحضار العربات من معامل انكلترا حيث تعاقد مدحت باشا باسم الشركة معها .

كان البخار بأول عهده لذلك تم الاتفاق ان تكون الحافلات تجر على الخط الحديدي على البغال وبعد الانتهاء من مد الخط الحديدي ووصــول العربات الخمس التي استحضرت من انكلترا وكانت اثنتين بطابق علوي واثنتين بدون طابق وواحدة مكشوفة تشبه مقاعدها مقاعد المدرسة لذلك أطلق عليهـــا إسم « المدرسة » واحتفل بتدشين الخط بحضور رجال الدولة وقناصل الدول والوجهاء وجعلت الأجرة من البلدة للأسكلة ذهاباً وإياباً بمتليكين أي مـــا يعادل نصف قرش ذهب بعملة اليوم .

وقد تولى رئاسة شركة الترامواي عبد القادر باشا المنلا، من وجهاء طرابلس ثم خلفه بعد وفاته أخوه محمود بك المنلا ودامت شركة الترامواي تعمــل حتى سنة ١٩٣٣ حين ابتاعتها شركة فرنسية ، وقد حاولت شركة كهرباء قاديشا ابتياعها لتسيير عرباتها على الكهرباء ، فحاربها الفرنسيون وابتاع الشركة ، كما قلنا فريق الفرنسيين، وتلاشت الشركة وبيعت أملاكها بعد ان أصبحت السيارة تفوق عربات الترامواي حسناً وأقل عرقلة للسير .

وقد حاولت شركة الترامواي في أثناء عملها استثمار عربات الخيل على طريق الميناء ، لكن بعد مداخلة قنصل فرنسا وأخيه والامتيازات الاجنبية لم تتمكن شركة الترامواي من الحصول على مرغوبها .

ثم أسس مدحت باشا شركة ثانية على نمط شركة الترامواي دعاها شركة « الشوسيه » صنعت عربات كبيرة تجرها أربعة من البغال ، ابتدأت في أول

الأمر تأمين السفر بين حمص وطرابلس مرتين في الأسبوع ، ثم نجحت الشركة وأصبحت ترسل عرباتها يومياً لحمص ذهاباً وإياباً . كانت تسير العربات عند بزوغ الفجر وتغير البغال على الطريق فتصل لحمص في أواخر النهار . والفضل في ذلك لمدحت باشا الذي أنشأ طريقاً معبدة بين حمص وطرابلس . وحين قررت الحكومة العثمانية منح امتياز إنشاء خط حديدي بين حمص وطرابلس عرضت الامتيـــاز على شركة الشوسية فاعتذرت وقامت شركة سكة حديد الشام وتمديداتهـــا بمد الخط الحديدي بين حمص وطرابلس كما سيجيء في الفصل التالي .

الحالة السياسية والأدبية

أخذت الأفكار تتنبه بعد جلاء المصريين عن لبنان وعن طرابلس خصوصاً فأنشأت الدولة بمساعي مدحت باشا مدرستين رسميتين الاولى في الأسكلـــة والثانية في البلدة لتعليم العلوم واللغة التركية . ثم جاء الآباء الكرمليون فأنشأوا مدرسة في الميناء عرفت بمدرسة التراسنتا ولحقهم اخوان الفرير فأنشأوا مدرسة في البلدة ومدرسة في الميناء وهكذا الآباء البادرية أنشأوا مدرسة في الميناء وهكذا الروس أيضاً ، أنشأوا مدرسة في الميناء، وأرسلو المتفوقين من الطلاب ، لاكمال التعليم في موسكو وكان من بينهم ، قسطنطين عـازار ، الذي اتقن الروسية في موسكو ، العاصمة الروسية .

ثم أنشأت المطرانية الارثوذكسية في طرابلس ، مدرسة داخلية في قرية كفتين ، في الكورة ، في الدير المعروف تحت اسم « دير كفتين » وقد ذاع صيت هذه المدرسة وكان من بين أساتذتهـــا المعلم عثمان الارناؤط ، والشيخ ابراهيم الفتال ، وانطوان شحير ، والشيخ يوسف الاسير . وقـــد خرجت هذه المدرسة عـــدداً من الادباء منهم جرجي يني وشقيقه صوموئيل وفرح

انطون وأسعدباسيلي وشقيقه انطونيوس وجرجي مابرو وشقيقه توفيق وجبرائيل نعوم وأمين نعوم وسليم نعوم وخير الدين عبد الوهاب الهندي وحنا حكيم والد الوزير جورج حكيم . ولاقت هـذه المدرسة كل التشجيع من منشئها المطران غرغوريوس حداد مطران طرابلس .

ثم أنشأ الشيخ حسين الجسر ، عالم طرابلس الأوحد ، مدرسته الوطنية في الغرف الملحقة بجامع طينال ، ومن تلامذته في هـذه المدرسة ، الشيخ عبد الكريم عويضة والشيخ أمين عز الدين والشيخ رشيد رضا ، والشيخ عبد القادر المدربي ، مما سنأتي على ترجمة حياتهم في باب علماء طرابلس .

وكان للنهضة العلميـة أطيب الأثر ، وتبارى الشعراء ، من تلامذة الشيخ الجسر ، في نظم القصائد الوطنية ، خصوصاً بلبل سوريا عبد الحميد بـك الرافعي ، وقد حاول شعراء طرابلس استنهاض الهمم ضد العهد الحميدي .

لكن هذا العهد لم يخل من الاضطهادات على يد المتصرفين الأتراك خلال العهد الحميدي ومنهم «بدري باشا» الذي حارب الأحرار وألقى بهم بغياهب السجون باعتبار انهم ينشرون « الأوراق المضرة » على حـد تعبير رجال العهد الحميدي . كانت صحف القاهرة كالمؤيد والأهرام والمقطم والهـلال والجامعة والنيل والمنار والمقتطف ، جميعها ممنوعة من الدخول للبلاد العربية ، فكانت تدخل بواسطة البريد الفرنسي ، لأن الامتيازات الأجنبية كانت تبيح للدول صاحبة هذه الامتيازات من نقل بريد خاص بها .

وفي خلال هذه السنين صدرت في طرابلس ، جريدة « طرابلس » وهي أول صحيفة صدرت في البلدة ، لصاحبها محمد كامل البحيري وتولى كتابة المقال الأول فيها الشيخ حسين الجسر . كانت جريدة طرابلس تدافع عن العهـد الحميدي ، لأن الشيخ الجسر كان من الراضين عن هـذا العهد يمجده ويمجد الجالس على عرش الاستانة في خلال شتى المناسبات . وللسلطان عبد الحميد ألف الشيخ الجسر كتابه «الرسالة الحميدية» وطبعه في مطبعة جريدة طرابلس.

غرق الدارعة الانكليزية فيكتوريا في مياه طرابلس

•

في ٢٢ حزيران من عام ١٨٩٧ م أقبل على طرابلس الاسطول الانكليزي المؤلف من ١٧ قطعة بزيارة رسمية بعد أن زار مرفأ بيروت وقد احدث نبأ هذه الزيارة ضجة في البلدة لانها المرة الاولى التي يزور في خلالها مثل هذا العدد من الدوارع طرابلس .

كان الاسطول تحت قيادة الأميرال جورج تريان اشهر القادة البحريين في ذلك الحين لدى دولة انكلترا وقد رغب قائد الاسطول قبل دخول القطع التي تحت إمرته مياه طرابلس اظهار عظمتها فأصدر اوامره باجراء مناورة حربية تتماثل مع عظمة انكلترا واسطولها .

ولكن حدثت ضجة في الاسكلة، ذلك أن البحارة شاهدوا قطع الاسطول تقف في مياه طرابس بعيداً عن الشاطىء بالقرب من جزيرة الفنار ثم وردت الاخبار بسرعة ولكن بين مصدق ومكذب بان الدارعة فيكتوريا المعقود لواؤها على الاميرال جورج تريان قد اصيبت بعطل مفاجىء ثم تواردت الاخبار بانها غرقت .

الدكتور هاريس

كان للولايات المتحدة قنصل في الاسكلة يدعى الدكتور هاريس وفي الوقت ذاته كان الطبيب الخاص بالمستشفى الاميركي وكان ايضاً مراسلاً لجريدة التايمس اللندنية في لبنان وبحكم عمله كان مضطراً لنقل أخبار الاسطول، لذلك بادر فقصد الصقالة التي سينزل عليها ضباط الدوارع وحين علم باخبار الدارعة فيكتوريا ، وجدها فرصة مناسبة لسبق صحفي يبرق به لجريدة التايمس ، فاسرع باستحضار كاتبه السيد شكري فاخوري واعطاه تعليماته بان يبرق لجريدة التايمس أن تنتظر خبراً هاماً ثم كلفه بان يسلم عامل التلغراف قطعاً من الكتاب المقدس يبرق بها لجريدة التايمس المذكورة حتى يحفظ لنفسه الدور في البرقيات ، ذلك أنه في ذلك الحين لم يكن من تلغراف لاسلكي ولا راديو بل كانت المخابرات تقتصر على التلغراف السلكي .

وقد تمكن الدكتور هاريس من الحصول بسرعة على فحوى الخبر الذي يتلخص بان الاميرال اعطى تعليماته للدارعتين فيكتوريا وكمبردون بان تقوما بحركة دولابية ولما قال له « الدفيف » بان المسافة بين الدارعتين لا تكفي ، صعب عليه أن يكون مخطئاً ، فأمر الدفيف بان يواصل المسير ، فاصطدمت الدارعتين وأصيبت فيكتوريا بصدع في مقدمتها يعجز عن سده ودخل الماء لمستودعاتها ، وإزاء هذه الحالة المفاجئة اغلق الاميرال على نفسه باب غرفته وابتلعت المياه الدارعة في أقل من عشرة دقائق .

جمع كل هذه المعلومات الدكتور هاريس وابرق بها الى جريدة التايمس التي علمت بالحادثة قبل وزارة البحرية فصدرت اعداد التايمس في الصباح الباكر تحمل في صفحتها الاولى باحرف بارزة نبأ غرق الدارعة فيكتوريا وكافأت إدارات التايمس الدكتور هاريس على هذا السبق الصحفي بخمسين ليرة انكليزية ذهباً ، إذ لم يكن في ذلك الحين ليرات من الورق كما هي الحالة الآن .

السلطان عبد الحميد والانكليز

اهتم متصرف طرابلس بالأمر وأبرق لبيروت للوالي الذي بدوره أبرق للآستانة لوزارة الداخلية ، فحمل وزير الداخلية النبأ للسلطان الذي اهتم كل الاهتمام وأعطى تعليماته بأن تقوم الدولة بكل ما يجب من إسعاف ثم منح الانكليز قطعة أرض بمحلة المقابر في الاسكلة ، من الاراضي الاميرية تخصص لدفن الغرقى من طائفة الدارعة فكتوريا .

وقدانزلت بقية الدوارع قوارب النجاة وتمكنت هذه القوارب من انتشال جثث ٢٩ ضابطاً و ٢٦٢ بحرياً أما بقية البحارة وعددهم ٣٤٠ بحاراً و ٢٢ ضابطاً والاميرال جورج فقد قضوا نحبهم غرقاً تحت الماء ولم يظهر لهم أثر .

وقد جرى دفن الغرقى باحتفال مهيب كان علىرأسه المتصرف و كومندان الجندرمة حسن ومدير الاسكلة مصطفى الانجة ورئيس بلدية الاسكلة الحاج ابراهيم علم الدين وقنصل انكلترا الحاج عبد الله غازي وكومسيير البوليس حسن الانجا وصدحت الموسيقى بالالحان الحزينة .

ثموردت التعليمات بأنيقوم مدير الاسكلة مصطفى الانجا وترجمانالمتصرفية قيصر النحاس لتبليغ قائد الاسطول بالوكالة بأن الحكومة العثمانية مستعدة للقيام بكل ما يلزم .

وقد رأينا ان نورد أسماء الدوارع التي كان يتألف منها الاسطول كذكرى للتاريخ :

الدارعة	ربانها	مدافعها	بحارتها	الدارعة	ربانها	مدافعها	بحارتها
فيكتوريا	ليبرك	١٦	٦٤٠	كامبردون	جونسون	١٠	٥٦٠
دريد نوكل	مور	٤	٤٢٣	انقلاسبيل	فاندر مولو	٤	٤٢٣
النيل	نوبل	١٠	٤٤٧	ادمبزرغ	بريكامبورغ	٩	٤٦٤
سان باريل	ويلسون	١٥	٥٩٨	كولتغرد	جانيكس	١٠	٤٧٨
كولوسيسيل	كارلسيك	٩	٤٤٧	ادغ ر	اكلاند	١٢	٥٠٠
افينيون	باتسيون	١٠	٢٩٧	فيرلس	ديكنسون	٤	١٤٦
فايتون	كوستانس	١٠	٣٠٠	سكوت	فيلد	٤	١٤٥
برهام	جنسي	٦	١٢٠	بوليفامسيس	كاميل	٤	١٤٥

وما تزال لليوم تعرف هذه المقبرة باسم مقبرة الانكليز وقد جرى فيحينه وضع لوحة رخامية نقش عليها بالتركية ان هذه المقبرة هدية من السلطان عبد الحميد لبحارة الدارعة فيكتوريا الذين قضوا نحبهم لكن من المؤسف ان الجيش الانكليزي في خلال الحرب العالمية اقتلع هذه اللوحة الاثرية واستبدلها بلوحة كتب عليها بالانكليزية عبارة « المقبرة العسكرية » .

مراحل الحكم الرسمي في طرابلس

حاكم البلدة :

لم يحدث تغيير كبير في طريقة الحكم إن كان في العهد العربي أو في العهد المملوكي بعده أو في خلال الحكم التركي قبل التنسيق الجديد الذي أحدثه السلطان عبد العزيز كان الخليفة يعين عامله على دمشق وكانت طرابلس في أغلب الأحيان تابعة لدمشق وعامل دمشق هو الذي يعين حاكم طرابلس وكان هذا الحاكم مطلق التصرف بأمور البلدة خصوصاً بجباية الضرائب .

فالحاكم هو الذي يلزم الضرائب وتجري جبايتها بواسطة الملتزم وكثيراً ما كان الحاكم يرهق الأهلين بوضعه مختلف الرسوم ان كان على البضائع أو على المحصولات وفي خلال العهد الفاطمي استقلت طرابلس وانفرد بالحكم فيها بنو عمار ودام هذا الاستقلال حتى احتلال الصليبيين لطرابلس .

وحين رجعت طرابلس للحكم المملوكي عادت نفس طريقة الحكم وتبعت دمشق ولما احتل الاتراك سوريا ولبنان تبعت طرابلس تارة دمشق وتارة عكاء وتوالى عليها الحكام وكانت الضرائب تجبى بنفس الطريقة السابقة .

القاضي والمحاكم :

بقيت الاحكام بيد القاضي الشرعي الذي كان المرجع الصالح الوحيد لجميع الدعاوى فكان يصدر أحكامه طبقاً للشرع الشريف وعلى صاحب

الشرطة تنفيذ هذه الأحكام وفي خلال العهد العثماني كان القاضي هو الممثل للسلطة وحين تعين الدولة متسلماً على طرابلس كان يصدر المرسوم بشكل خطاب للقاضي ثم أحدثت الحكومة العثمانية وظيفة المفتي وأوكل له الفتاوى الشرعية منها اثبات صيام رمضان والعيدين ثم نقابة الاشراف وكان لها المركز المرموق أيضاً في البلدة .

وحين سن السلطان عبد العزيز الكلد خانه ومجلة الأحكام العدلية وأنشئت المحاكم النظامية حد من سلطة القاضي وأصبحت وظيفته قضايا الزواج والطلاق وانيطت بالمحاكم النظامية قضايا الحقوق والجزاء،لكن هذه المحاكم كانت تؤلف من وجهاء البلدة الذين لا يحسنون معرفة القوانين وهكذا كان رئيس المحكمة التركي الذي تعينه الدولة هو الكل بالكل في المحكمة وما على الأعضاء إلا الانصياع لرغبته .

الاوقاف :

الاوقاف قديمة وهي « حبس العين عن تملكه لأحد من العباد والتصدق بالمنفعة » وقد كثرت الأوقاف بسبب مصادرة الولاة والاغنياء وذلك لحفظ الممتلكات كان الحاكم أو الثري يوقف أملاكه لأحد المساجد ثم على أولاده وأحفاده من بعده بالفائض من الواردات وهكذا حفظت الأملاك من المصادرة وكثرت الاوقاف وأصبحت أكثر العقارات وقفاً .

الباب التاسع

طرابلس من مبتدأ القرن العشرين لنهاية الحرب العالمية الاولى

•

النهضة السياسية :

كان في طرابلس في مستهل القرن العشرين عاملان ، الاول خفي ويدور حول الحرية والاخاء والمساواة وفقاً للمبادىء التي سنها ابو الدستور مدحت باشا ، ولما بثه من بذور النهضة الشيخ جمال الدين الافغاني ، والثاني ظاهر ويرتكز على التمجيد بالعهد الحميدي والسلطان عبد الحميد واظهار العبودية لصاحب عرش الاستانة حامي الإسلام .

كان في طليعة رجال الفريق الأول شاب من القلمون هو الشيخ رشيد رضا وصديق له هو الشيخ عبد القادر المغربي وكلاهما من طرابلس درسا عند الشيخ حسين الجسر وتشربا مبادىء الشيخ جمال الدين الافغاني ، ثم كان هناك شاب مسيحي آخر على اتصال وصداقة مع الشيخين المشار إليهما هو فرح انطون من خريجي مدرسة كفتين التي ذكرناها في الفصل السابق .

كان فرح انطون يراسل جريدة الاهرام التي أنشأها في الاسكندرية

الاخوان سليم وبشاره تقلا ويوقع مقالاته باسم « سلامة » كما كان الواسطة بين اصحاب الاهرام وبين جرجي وصموئيل يني ، من أبنـــاء طرابلس وخريجي مدرسة كفتين والساعين لنشر مبادىء الحرية .

كان سبق للشيخ رشيد رضا ان تتلمذ عند الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده اثناء اقامته في بيروت منفياً على أثر الحوادث العربية ، وهكذا أخـذ يفكر بالهجرة للقاهرة حيث أباح اللورد كرومر حرية الأقلام .

كانت هناك صداقة وثيقة بين الشيخ رشيد رضا وعبـــد الحليم مراد من الاسكلة بالنظر للقرابة التي تربط هذا الاخير بالشيخ أبي المحاسن القاوقجي ، وكان عبد الحليم مراد يملك داراً في الاسكلة باعها واتفق والشيخ رشيد رضا على الهجرة للقاهرة واصدر صحيفة حرّة لتبيين مساوىء العهد الحميدي وهناك أيضاً صداقة وثيقة بين فرح انطون والشيخ رشيد رضا وقـد ضاقت الاسكلة بمطامح فرح انطون فقرر أيضاً الهجرة للاسكندرية والعمل في الصحافـــة بالاشتراك مع صديقه اسعد باسيلي .

هاجر الثلاثة إلى أرض الكنانة على ظهر إحدى البواخر الافرنسية ،وحين وصل الشيخ رشيد رضا وشريكه عبد الحليم مراد للقــاهرة ، اتصل الشيخ رشيد رضا بالشيخ محمد عبده وبسط له رغبته باصدار مجلة اسلامية تدافع عن الاسلام ، فشجعه الشيخ محمد عبده واختار له كلمة « المنـــار » اسماً لمجلته العتيدة وهكذا صدرت المنار في القاهرة محررهـــا الشيخ رشيد رضا ومدير ادارتها عبد الحليم مراد . لكن عبـد الحليم مراد كان همه الوصول لنتيجـة فعالة ، فحصل على امتياز صحيفة يومية اطلق عليها اسم « ابو الهدى » شيخ السلطان عبد الحميد والخافق الرافق في الاستانة وأخذ الشيخ رشيد رضا يحمل على رجال الاستانة بصحيفة «ابو الهدى» وكانت الصحيفة توزع في القاهرة بالاسواق وقد حدثني المرحوم عبد الحليم مراد انه كان يوصي الباعة بان يرددوا كلمة .. ابو الهدى بمليم ... ابو الهدى رخيص ... ولما بلغت مسامع ابي الهدى مـا

يكتبه عنه عبد الحليم مراد بصحيفته ، ارسل وسطاءه للقاهرة واتفق هؤلاء مع عبد الحليم على ان يوقف صحيفته « ابو الهدى » وانـــه سيتعين مأموراً للنفوس في بيروت براتب قدره ٢٠ ليرة عثمانية في الشهر الواحد وفي الوقت ذاته عرض وظيفة دينية رفيعة على الشيخ رشيد رضا رفضها الشيخ وفضل البقاء في القاهرة أما عبد الحليم مراد فقد قبل العرض ورجع الى لبنان وشغل الوظيفة التي عرضت عليه .

الشيخ عبد القادر المغربي

كان الشيخ عبد القادر المغربي من اصحاب الأفكار الحرة وقـــد انتسب لحزب الاتحاد والترقي ورجال الاصلاح وبالتالي أخذ رجـــال العهد الحميدي يضايقونه وخوفاً من القاء القبض عليه، ترك طرابلس وجاء للقطر المصري على أمل ان يتمكن من الحصول على وظيفة قاض شرعي بواسطة صديقه ورفيقه الشيخ رشيد رضا والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية لكن الشيخ رشيد رضا حسن للشيخ المغربي العمل في الصحافة بالنظرلأفكاره الحرة ورغبته في الاصلاح وهكذا انتسب الشيخ المغربي لقلم تحرير جريدة «الظاهر» ثم تركها والتحق بقلم تحرير جريدة «المؤيد» التي كان يصدرها الشيخ علي يوسف أخذ الشيخ المغربي يكتب في المؤيد واخذت مقالاتـــه تستلفت نظر الجمهور المصري حتى ان باعة الصحف كانوا ينادون ... المؤيد ... مقـــال الاستاذ المغربي اليوم ... وبقي الاستاذ المغربي في القاهرة لحين اعلان الدستور العثماني حين رجع لطرابلس وانشأ جريدته البرهان على ما سنفصله في الأبواب الآتية.

السياسة في مجتمعات طرابلس

رأينا ان نعتمد في هذا الفصل على مذكرات الاستاذ يوسف الحكيم الذي عاصر الاحداث وشغل وظيفة نائب عام في طرابلس خلال عدة سنين .

كان المجتمع الطرابلسي ممثلاً برجال الدين والعلماء منهم ووجهـــاء البلدة

البارزين والتجار وجمهور الاطباء والشعراء . لم يتجاوز عدد سكان طرابلس في ذلك الحين ، أي قبل الحرب العالمية الأولى الخمسين الف ساكن من مختلف الطوائف . كانب الامتيازات الاجنبية تلعب دورها الفعال ، فالشرطي العثماني لم يكن له الحق بإيقاف أي أجنبي والبريد الفرنسي والنمساوي ينقل الصحف والمراسلات المنوعة والمحاكم القنصلية تنظر بخلافات الاجانب وكان هناك عدد كبير من الطرابلسيين حصل على وظائف اسمية كترجمان وقواص لدى احد القناصل فيتمتع بجميع الامتيازات التي يتمتع بها الاجنبي وبكلمة مختصرة نقول ان الامتيازات الاجنبية كانت دولة ضمن دولة .

وهكذا كان بعض العائلات المسيحية تتمتع بالامتيازات الاجنبية كال كاتسفليس وغيرهم من العائلات المسيحية ، اما المجتمع الاسلامي فكانت الأمية منتشرة بالرغم عن المدرسة الوطنية التي انشأتها الدولة وكان السعيد من تمكنه حالة اهله من ارساله للاستانة للالتحاق بالجامعة بها فيتخرج منها اما طبيباً أو مهندساً أو موظفاً بالادارة المدنية وكان هؤلاء من المسلمين وقد خرجت جامعة الاستانة عدداً لا يستهان به من الذين تعلموا التعليم العالي منهم الدكتور عبد اللطيف البيسار والدكتور حسن رعـد والدكتور عبد اللطيف الزاهد والصيدلي نوري عويضة والصيدلي بيس دوبا والمهندس مصباح حولا ومن رجال الادارة حسين المعصراني والرئيس سعدي المنلا وغيرهم .

اما المسيحيون فكانوا يلتحقون إمـا بالجامعة الاميركية في بيروت وكان اسمها الكلية السورية الانجيلية أو بجامعة القديس يوسف أيضاً في بيروت ومن خريجي هاتين الجامعتين الدكتور مخايل ماريا والدكتور ابراهيم الخولي والدكتور السيوفي والدكتور عفيف عفيف والدكتور يعقوب لبان في الاسكلة، وجميع هؤلاء المتقدم ذكرهم من مسلمين ومسيحيين عادوا لطرابلس بعد نيلهم الشهادة النهائية وأخذوا يخدمون أبناء بلدتهم بكل اخلاص .

كان المجتمع الاسلامي يحافظ على حجاب المرأة ولم يكن لها أقل نصيب

في النهضة ، بل كانت المرأة أمية بكل ما في الكلمة من معنى والسعيدة من كانت تحسن قراءة كتاب الله ، اما النساء من الطوائف المسيحية فقد تعلمن إما بمدرسة الراهبات الفرنسية أو بمدرسة الاميركان للبنات وعرفنا منهن السيدة لبيبة صدقة ، الأديبة الشاعرة وغيرها ممن عملن في المجتمع .

كانت الحياة الخاصة تقام في الدور فحفلات الرجال تقتصر على الرجال كما أن حفلات النساء تقتصر على النساء فقط . وتقام هذه الحفلات إما بمناسبة الزواج أو بمناسبة الختان ويطلق على هذه الحفلات اسم « ليلية » .

وممن اشتهر بالغناء في هذه الفترة من السنين بين الرجال المغني السي احمد الاله المصري التبعة ومخايل القطريب وولده صليبا بعده ، وكان مخايل القطريب يحسن الضرب على العود لدرجة الابداع كما يحسن غناء الموشحات والادوار الدارجة في اندية القاهرة من ادوار عبده الحمولي ومحمد عثمان واهمها دور « بدع الحبيب كله يطرب » ودور « عهد الأخوة نحفظه » وموشح « بستان جمالك » ومن الاغاني الشعبية « يا طيره طيره يا حمامه » وأغنية « دومك دومك دوم » « وعلى الصالحية يا صالحة » « والبنت الشلبية عيونها لوزيه » وغيرها ولا يجب أن ننسى موشح « حير الافكار » وموشح فيك كلما أرى حسن « وقدك المياس يا بدري » وغيرها .

وكان هناك أيضاً فرقة للغناء خاصة للسيدات فقط هي فرقة ام محمد ندي المصرية الأصل وكانت تضرب على الدف وتدير الفرقة، رخيمة الصوت عذبته وتعاونها ابنتها المشهورة باسم « الست » وتضرب على العود ثم فاطمة القانونجية وتضرب على القانون ويلحق بهن من تضرب على « الدربكة » كانت الست رخيمة الصوت كوالدتها وتحسن غناء الأدوار الدارجة اشتهرت بدور حلالي بلالي وافي الحبيب .. حلالي بلالي شراب الزبيب .. حلالي بلالي سقاني الحبيب .. بيده سكرت . وكثيراً ما كان الرجال يجتمعون حول النوافذ في الشارع ليستمعوا الى الست وهي تغني هذا الدور .

وقبيل الصبح كانت الست تنهي غناءها بموشح يا أخا البدر سناء وسنا من مقام الصبا فتدهش المستمعات ويتمنين أن لا ينتهي الليل .

النهضة الادبية :

تأثرت طرابلس بالنهضة الأدبية التي قامت في مصر ، فقد بنى السيد حسن الانجه ، الذي سنتكلم عن دوره في الفصل الآتي ، بنى مسرحاً فوق مخازنه الكائنة في ساحة التل على الطراز الحديث يتسع لخمسماية مقعد وعلى مداره « الواج » روعي في هندسة بنائه ان يكون صالحاً للتمثيل بحيث يتمكن جميع المشاهدين من الاستماع للفرق التي تمثل على المسرح بكل سهولة .

وقد احتفل بتدشينه ومثلت عليه فرقة الشيخ سلامة حجازي المصرية وعلى رأسها الشيخ سلامة نفسه وفرقة أولاد عكاشة وفرقة اسكندر فرح .

وكانت الحفلات تكتظ بالمشاهدين والوقوف أكثر من الجلوس وقد مثل الشيخ سلامة حجازي عدداً من مسرحياته الخالدة ، كمسرحية شهداء الغرام أو روميو وجوليت حيث انشد الشيخ سلامه حجازي قصيدته المشهورة :

سلام على حسن يد الموت لم تكن لتمحوه أو تمحو هواه من القلب

ومنها مخاطباً البطلة جوليت :

أجوليت ما هذا السكوت ولم أكن لاعهد فيك الصمت عني في قربي
امائتة انت؟ نعم.لا فانت لا تموتين بل تحيين مني في لبي
وعما قليل سوف أقضي وعندها تموتين إذ لا بد أن يقتلني قلبي

ومسرحية صلاح الدين الايوبي وغيرها من المسرحيات الخالدة على ما قلنا اعلاه . اما فرقة اولاد عكاشة فقد امتاز رؤساؤها الثلاثة الاخوة عكاشة بالصوت الرخيم فكانوا يبتدئون مسرحيتهم دائماً بقصيدة :

مرحبا بالسادة النجب سادة العرفان والادب

يمتم دارنا كرماً . . . .
. . . . وليعش تمثيلنا العربي

فيعلو الهتاف وتصفيق الجماهير حين يردد ابن عكاشة «وليعش تمثيلنا العربي».

أما في الاحياء الداخلية ، فكان الحاج محمود الكراكيزي يقوم بتمثيل ألاعيب كره كوز وأخيه عيواظ والمدلل والعم قريطم وغيرهم من خيالات خيمة كره كوز وكان الحاج محمود المذكور من الادباء يحفظ الأشعار والنوادر الأدبية وكانت حفلاته تخلو من الكلام الفاحش ، لذلك كانت القهوة التي يمثل فيها تمتلىء بالمشاهدين من علية القوم وكان يحيي حفلاته بعد صلاة العشاء والحد الأقصى الساعة الرابعة على التوقيت العربي .

وفي الميناء كان أبو علي أمبوبا « الحكواتي المشهور » واسمه عبد الغني العناني أصله من دمشق الشام وصفه لي من عرفه بأنه كان طويل القامة ممتلىء الجسم حاضر النكتة ظريف المعشر ، قام في شبابه بالكثير من المغامرات وزار بغداد والحجاز والآستانة وبعض مدن البلقان وعدداً من مدن الانضول ، وقطع الطريق وسلب ونهب وعرف السجن ، وهكذا كانت أحاديثه أكثرها عن المغامرات التي قام بها يضيف عليها ما شاء وشاء له الحديث من أوصاف البطولات التي قام بها وهكذا أيضاً كانت أحاديثه شيقة وتمتلىء القهوة التي يحدث الحاضرين بها لقاء ما يعادل المتليكين أو النصف قرش ذهبي بعملة هذه الايام.

ثم كان هناك القصاصون فمنهم من كان يقرأ على المستمعين قصة عنترة بن شداد أو قصة الملك الظاهر ومواقعه مع الصليبيين وهي قصة طويلة تقع بخمسة من المجلدات الضخمة ذات الصفحات الكثيرة أو قصة الملك سيف بن ذي يزن ومغامراته مع الجن . وكان القصاصون يقصون هذه البطولات خلال ليالي الشتاء الطويلة .

الحياة السياسية

قلنا آنفاً أننا اعتمدنا بالاكثر على وصف الحياة السياسية في طرابلس على

مذكرات يوسف بك الحكيم ، الذي عاش في طرابلس سنين طويلة وعاشر الاوساط الطرابلسية المختلفة ، ويقول الاستاذ الحكيم ان الحياة السياسية في طرابلس كانت كما في غيرها من المدن اللبنانية والسورية قبل اعلان الدستور في عام ١٩٠٨ . كانت هذه الحياة قائمة على مظاهر الاخلاص لجلالة السلطان والدعاء له بطول العمر في كل مناسبة من المناسبات الاجتماعية والحفلات التي تقيمها الحكومة في المناسبات السياسية ، وعلى دوام حسن الصلات بينها وبين الشعب الممثل آنئذ بكبار العلماء والوجهاء أمثال المفتي أفندي ونقيب الاشراف والقاضي والوجهاء كالشيخ حسين الجسر والشيخ عبد الفتاح الزعبي ودرويش أفندي الشنبور وعبد القادر باشا المنلا وأحمد أفندي سلطان وقيصر بك نوفل وآل كاتسفليس وآل طربيه ونوفل وغريب ، في البلدة ، أما في الاسكلة فهناك آل علم الدين ومنهم الحاج عبد القادر علم الدين وعبد الرزاق علم الدين وديب الزين وابن أخيه عبد القادر الزين وولده محيي الدين الزين وبشاره كرم وأخيه نقولا كرم وغيرهم ، وكل هؤلاء شغلوا حيزاً كبيراً من أواخر القرن الماضي حتى القرن الحالي .

كان السلطان عبد الحميد أكثر السلاطين اهتماماً بالاسلام والاسلامية وقد كان من المقربين اليه الشيخ ابي الهدى الصيادي الرفاعي وكان من العلماء ، ترجم له الشيخ عبد الرزاق البيطار في كتابه حلية البشر وأصله من جهات حلب . اتصل بالسلطان عبد الحميد فقربه اليه بسبب حادثة كان لها الوقع المستحسن لدى السلطان عبد الحميد نلخصها بما يلي :

كان من عادة السلطان المذكور ان يؤدي صلاة الجمعة في أحد مساجد الاستانة او ما يعبر عنه بالسلاملك ، وبالنظر لما قام به السلطان عبد الحميد من فظائع في أرمينيا بواسطة رجاله من العسكريين فقد قرر الأرمن اغتيال السلطان عبد الحميد المذكور بوضع قنبلة زمنية في العربة التي تنقله من المسجد يوم الجمعة بعد ادائه الفريضة وكان دائماً يرجع في ساعة معينة .

وصادف انه بعد ان وضع الأرمن القنبلة في عربة السلطان ، وقبل ان يركب السلطان العربة بعد خروجه من المسجد ، استوقفه الشيخ ابو الهدى على باب المقصورة السلطانية حيث يؤدي الصلاة وأخذ يدعو له بالنصر والتأييد والتوفيق على اعدائه واستغرق هذا الدعاء وقتاً غير قليل وفي خلال هذا الدعاء ، ووقوف السلطان للاستماع اليه ، انفجرت القنبلة التي وضعها الأرمن في عربة السلطان وقتل الحوذي والجوادان ، ونجا السلطان عبد الحميد من هذه المؤامرة . وهكذا اصبح للشيخ ابي الهدى المنزلة التي لا تقدر لدى السلطان المذكور ، فلولا ان استوقفه للدعاء له ، لكانت انفجرت القنبلة واودت بحياة السلطان .

كان للشيخ ابي الهدى صداقات متينة مع علماء طرابلس ومع عدد من العائلات منهم عائلة الانجا وكان عبد الغني باشا الانجا موظف في الاستانة ومن المقربين من الشيخ ابي الهدى وبواسطته تمكن شقيقه حسن الانجا من الحصول على وظيفة رئيس الشرطة في طرابلس كما تمكن شقيقه الآخر من الحصول على وظيفة قائمقامية عكار .

عهد الانجا :

وعهد الانجا من العهود المشهورة في طرابلس وقد حدثنا عن هذا العهد الكثيرون من الطرابلسيين الذين ما زالوا يذكرونه ، فقد تعيّن حسن الانجا رئيساً للشرطة أو ما كان يطلق عليه لفظة « كومسيير » فضبط أمور البلدة احسن ضبط وغدا سيّد طرابلس الرسمي لا يحدث أي شيء في البلدة إلا بعلمه ومعرفته ، وهابه الاشقياء ويقول الاستاذ الحكيم في مذكراته أنه كان لدى حسن الانجا حمار ، فإذا اقيمت حفلة ما ، أرسل حسن الانجا حماره ليسير في مطلع الحفل فيعلم الاشقياء ان الحفل محمي من حسن الانجا .

كان حسن الانجا مخلصاً أشد الاخلاص للدولة ، فكان يفرض الاعانات للسلطان ولا يسع المفروض عليهم إلا ان يدفعوا صاغرين وإلا تعرضوا لما لا

يسرهم . وجميع الجرائم التي حدثت في عهد الانجا لاقى مقترفوها نصيبهم من العقاب خصوصاً إذا كان هؤلاء ممن يسيئون للدولة ويماشون الاجنبي ، وكانت امتيازات الدول الاجنبية تشغل حيزاً كبيراً فالحكومة العثمانيـة لا تستطيع ان توقف اجنبياً إلا بمعرفة قنصل دولتـه ، وكان القناصل يعينون لديهم مـا يسمونه قواصاً وهذا كانت تشمله الحماية الاجنبيـة فيهرب السلاح والبضائع الممنوعة ولا تستطيع الحكومة العثمانية ان توقفه لان الامتيازات كانت تحميه، لكن حسن الانجا هزأ بهذه الامتيازات في اكثر الامرار على ما سيجيء .

كان أحد آل كاتسفليس في طرابلس قنصلاً لدولة روسيا ووكيلاً لشركة البواخر الروسية ،وكان للشركة زورقاً هوائياً لنقل الوكيل القنصل من اليابسة الى الباخرة لتسليم ربان الباخرة البريد وبالتالي يرفع القنصل على الزورق العـلم الروسي ويعتبر أرض أجنبية ضمن أراضي الدولة ولا يحـق لأفراد الضابطة العثمانيين النزول الى هذا الزورق وكل فرد في الزورق يعتبر على أرض أجنبية .

صادف أن أحد العاصين على الدولة ممن يرغب حسن الانجا بالقاء القبض عليهم ، اغتنم فرصة وجود باخرة روسية في الميناء فنزل في زورق الوكيل باعتبار أن الامتيازات الأجنبية تحميه ولا تسمح بالقاء القبض عليه .

كان حسن الانجا يراقب المذكور من نافذة السراي فما أن نزل في الزورق حتى اسرع بذاته ومعـه بضعة نفر من أفراد الشرطة ، فنزل الى الزورق ونزع عنه العلم الروسي وألقى القبض على المطلوب بالرغم من احتجاج القنصل.

وقد وصلت القضية للاستـانة واضطرت الحكومـة العثمانية للاعتذار وعزلت حسن الانجا من وظيفة الكومسيرية ، إلا أنها عادت فأنعمت عليـه فيما بعد ورفعت درجة وظيفته لحسن خدماته للدولة .

الهجرة لاميركا :

قويت الهجرة لاميركا في هذا العهد وكانت الحكومة العثمانية تمانع في الموافقة على الهجرة لان المهاجر كان على الاكثر يفر من خدمة العلم أو من أرباب الشقاوات العاصين على القانون . وكان اللبنانيون يهاجرون لعدم توفر الاسباب وهكذا فرغت البلاد من شبانها وتأسست في طرابلس عدة وكالات لتسفير المهاجرين او تهريبهم خلال الليل الى البواخر الراسية في الميناء وازدهرت هذه التجارة كل الازدهار .

كانت المزاحمة تأخذ أشدها بين عدد من شركات البواخر فشركة المساجيري ماريتيم الفرنسية تنقل المهاجرين عن طريق مارسيليا وشركة فلوريوفلورينو الايطالية تنقلهم عن طريق جنوه وهناك أيضاً الشركة النمساوية تنقلهم عن طريق تريسته في النمسا .

وقد بقيت هذه المزاحمة حتى بعد الحرب العالمية الأولى حين أسرع اللبنانيون للهجرة الى الاميركيتين لدى أقاربهم الذين كانوا أثروا خلال الحرب وبقي سوق الهجرة مشتداً حتى سنة ١٩٢٥ تقريباً .

الدستور العثماني

حين جرى إعادة نشر الدستور العثماني الذي سبق ووضعه مدحت باشا وذلك في سنة ١٩٠٨ خلع السلطان عبد الحميد وإجلاس السلطان محمد رشاد ، أول سلطان دستوري في الدولة العثمانية ، عم السرور في طرابلس واقيمت الحفلات الخطابية تيمناً بهذا العهد الجديد وأخذ الناس يهنئون بعضهم البعض بانتهاء عهد العبودية والاستبداد وقامت المظاهرات باسقاط رجال العهد البائد القديم وقد قام أهالي الأسكلة بمظاهرة كبيرة واسقطوا موظفي الحكم الحميدي وأطنبوا برجال جمعية الاتحاد والترقي .

وجرى تأسيس فرع للجمعية المشار اليها في طرابلس وانتسب اليها قسم كبير من وجهاء البلدة كما أخذت الاجتماعات تتوالى لترشيح من سيمثل طرابلس في مجلس المبعوثان أو النواب وقد رشح الاتحاديون فؤاد خلوصي لتمثيل البلدة وكان الانتخاب على درجتين ينتخب الشعب عدداً من الممثلين الذين يقومون بدورهم بانتخاب عضو المجلس العتيد ، ولعبت المداخلات لان فؤاد خلوصي لم يكن من طرابلس لكن الاتحاديين رشحوه وهكذا فاز بعضويـــة المجلس عن طرابلس .

التعليم بعد الدستور

عملت حكومة الاتحاديين على تشجيع التعليم الرسمي بعد الدستور فاسست في طرابس عدداً من المدارس الرسمية منها ابتدائية ومنهـــا رشدية ثانوية ومدرسة لتخريج المعلمين وكان التعليم في اللغة التركية حتى مادتي الصرف والنحو العربيتين كانتا تدرسان باللغة التركية فكان الاستاذ يلقي على الطلاب هذا السؤال .. فعل ماضي ندر ؟. أي ما هو الفعل الماضي ؟ وقد انتسب بعض الطلاب الى مدارس بيروت الثانوية ونالوا شهاداتها . وقد اكمل بعض المتخرجين من مدارس بيروت علومهم في جامعات الاستانة . وقد انشأ الاتراك ايضاً جامعة لتدريس الطب في دمشق وكان التعليم في سائر المعاهد التركية من ابتدائية وثانوية وجامعية بالمجان .

الصحافة في طرابلس

بالنظر ما للصحافة من مركز في عالم الأدب والسياسة ، رأينا أن نفرد لها فصلاً خاصاً فنتكلم عن الصحافة قبل الدستور العثماني ثم بعد الدستور واخيراً في عهد الانتداب والاستقلال .

١ ـ الصحافة قبل الدستور .

كانت طرابلس قبل الدستور العثماني تتلقى صحف بيروت كثمرات الفنون

والاحوال وغيرها في البريد الذي كان ينقل في البواخر ثم اصدر محمد كامل البحيري جريدة طرابلس وعهد بتحريرها الى الشيخ حسين الجسْر وكانت طرابلس عبارة عن جريدة باربع صفحات تصدر مرة في الاسبوع وتحتوي على مقال رئيسي بقلم الاستاذ الجسر في الاصلاح الديني الاسلامي وبتمجيد عهد السلطان عبد الحميد وكان الاستاذ الجسر مشمولاً بعنايته وهكذا كانت طرابلس الصحيفة الوحيدة الصادرة في البلدة .

٢ – الصحافة بعد الدستور .

بالنظر لحرية الصحافة التي اعلنها الدستور كثرت الصحف الصادرة في طرابلس ولكنها كانت جميعها أسبوعية ولم تعرف طرابلس صحيفة يومية قبل جريدة الانشاء لصاحبها الاستاذ محمود الادهمي على ما سيجيء . وفيما يلي نذكر اسماء الصحف الصادرة في طرابلس مع ذكر اصحابها وسياستها .

١ – **طرابلس الشام** : الصحيفة المارة الذكر لصاحبها محمد كامل البحيري واصلت الصدور بعد الدستور نصف اسبوعية وانقلبت الى اتحادية تناصر حزب الاتحاد والترقي وبقي الاستاذ الجسر يكتب المقال الاول حتى وفاته كما بقيت طرابلس تصدر حتى وفاة صاحبها في اواخر الحرب العالمية الاولى .

٢ – **المدلل** : هذه الصحيفة اصدرها الاستاذ الشيخ منير الملك هزلية والمدلل احد افراد خيمة كراكوز وكان الاستاذ الملك خفيف الروح حاضر النكتة قريباً للقلب لا يود سامعه أن ينقطع عن الحديث . وقد مشى الاستاذ الملك في صحيفته على نمط الجريدة التي اصدرها في دمشق الاستاذ توفيق جانا واطلق عليها اسم الحمارة وراح يكيل بها لأعداء حزب الاتحاد والترقي وكتب تحت اسمها هذين البيتين :

يا للعجائز ما احلى براطعها ... فكم أماتت وأحيت فيها من كدش
يرى الأديب بها علماً ومعرفة ... ولا تراهـــا ذوات الأعين العمش

أما الاستاذ ملك فكان يغتنم كل فرصة سانحة لارسال الكثير من نكته وخفة روحه في جريدته « المدلل » وهكذا راجت المدلل كل الرواج وكان الأستاذ المغربي قد رجع من القاهرة واصدر جريدته « البرهان » وأخذ ينشر فيها مقالاته النيرة عن الاصلاح الاسلامي كما دعا الى تحرير المرء طبقاً لما قام به في مصر قاسم امين وهكذا اتخذها الاستاذ الشيخ منير الملك ذريعة وأخذ يحمل على البرهان وصاحبها في جريدته المدلل وكانت حملاته من أسباب رواج المدلل لما فيها من خفة الروح وقد بقيت المدلل تصدر في طرابلس حتى قبيل الحرب العالمية الاولى حين دخل الشيخ منير الملك في خدمة الدولة وتعين في إحدى الوظائف الدينية في خارج طرابلس

٣ – **كراكوز** : أصدر هذه الصحيفة الشاب الاديب الاستاذ صلاح مراد ابن عبد الحليم مراد وكانت أيضاً تدافع عن الاتحادين وعن الاصلاح بقالب هزلي طريف بل على منتهى الظرافة متخذاً صاحبها منخيالات خيمة كراكوز أبطالاً لحلالته الهزلية . لكن هذه الصحيفة لم تعش طويلاً فقد احتجبت بوفاة صاحبها الاستاذ مراد في شرخ شبابه فقد توفي بالوافدة التي عمت طرابلس في سنة ١٩١١ .

٤ – **البرهان** : حينما عاد الاستاذ عبد القادر المغربي من القاهرة بعدإعلان الدستور ، كان تشرب حرية الصحافة من القاهرة بعد ان قضى عدة سنين بالكتابة في جريدتي الظاهر والمؤيد فأصدر صحيفته البرهان وأخذ يدافع فيها عن الاصلاح الديني ويدعو المسلمين الى التجديد كما كان يدافع عن الاتحاديين وحزبهم كل الدفاع وقد راجت البرهان لدى جميع الاوساط وأخذت الصحف العربية ان كان في لبنان وسوريا أو في القاهرة تنقل على صفحاتها مقالات الاستاذ المغربي الاولية في صحيفته البرهان .

وبقي الاستاذ المغربي يصدر برهانه في طرابلس حتى عام ١٩١٥ حين استدعاه أحمد جمال باشا ، القائد التركي ، لتولي رئاسة تحرير جريدة« الشرق»

التي أنشأها المومى اليه في دمشق للدفاع عن سياسته .

٥ **الرغائب** : هذه الجريدة أصدرها أسبوعية الاستاذ حكمت شريف، والاستاذ شريف من ادباء طرابلس المشهورين وكان يملك قلماً سيالاً ومقالاته في الرغائب تشهد له بطول الباع في اللغة . دافع في جريدته عن الاصلاح وعن آراء حزب الاتحاد والترقي . وقد احتجبت الرغائب خلال الحرب العالمية الاولى .

٦ – **جراب الكردي** : هذه الجريدة وان كانت صدرت في المهجر لكن صاحبها انطون زريق كان من طرابلس وقد توقفت عن الصدور والقي القبض على صاحبها وحكمت عليه المحاكم التركية العسكرية بالاعدام بالنظر لمقالاته في جراب الكردي وأعدم في دمشق .

٧ – **الحوادث**: أصدر هذه الجريدة الاستاذ لطف الله خلاط وعهد برئاسة محريرها الى الاستاذ سابا زريق ، أمد الله بعمره ، وقد دافعت الحوادث عن طرابلس وعن الاصلاح لكن الاتحاديين لم يكونوا راضين عن سياسة الجريدة لذلك خلال الحرب العالمية الاولى نفي الاستاذ خلاط الى الانضول . وبعد الحرب أعاد اصدار الحوادث حتى السنين الاخيرة ، باعها للاستاذ سليم اللوزي الذي أصدرها اسبوعية سياسية ونقلها الى بيروت .

٨ – **المحامي** : المحامي صحيفة حقوقية أصدرها الاستاذ احمد سلطان وكان ينشر فيها المرافعات والأحكام والنظريات الحقوقية وبقيت تصدر حتى وفاة صاحبها .

٩ – **المباحث** : المباحث مجلة أدبية علميـــة انشأها في طرابلس كل من جرجي وصموئيل يني وقد بلغت شأواً كبيراً من الرقي وانتشرت في الوطن العربي والمهجر ثم في خلال الحرب العالمية توقفت عن الصدور بسبب نفاد الورق وبعد الحرب صدرت صحيفة سياسية يومية حتى وفاة صموئيل يني في عام ١٩١٩ ثم انضمت إلى المجلة وبقيت تصدر حتى وفاة صاحبها جرجي يني في عام ١٩٤١ .

هذه هي الصحف التي صدرت في طرابلس في العهد العثماني .

الصحافة في عهد الانتداب والاستقلال :

صدر في خلال الانتداب وثم في عهد الاستقلال عدد من الصحف أكثرها باق يصدر في طرابلس وفيما يلي اسماء هذه الصحف واسماء أصحابها :

١ – **صدى الشعب** : أنشأ هـــذه الجريدة الامير أسعد الأيوبي اسبوعية سياسية حلت مكان طرابلس التي كان يصدرها محمد كامـــل البحيري والد امرأته لكنها كانت قصيرة الأجل لأنهـــا كانت تناهض الانتداب فأقامت السلطة عليهـــا عدداً من الدعاوى واضطر أخـــيراً صاحبها الى التوقف عن اصدارها .

٢ – **الديك** : جريدة هزلية أصدرها الأمير أسعد الايوبي بدلاً من صدى الشعب لكنها أيضاً كانت قصيرة الاجل واضطر صاحبها الى إيقافها .

٣ – **التمدن الاسلامي**: مجلة شهرية أصدرها عبد الحليم مرادبالاشتراك مع عبد الله الشامي وغايتها الدفاع عن القضايا الاسلامية وقد عاشت حتى عام ١٩٢٦ حين توفي صاحبها الاستاذ مراد

٤ – **ابجد هوز** : جريدة هزلية أصدرها زخريا أسعد زخريا بالاشتراك مع نجيب مراد وهي جريدة هزلية انتقادية بقيت تصدر خلال عدة سنوات بالنظر ما لنجيب مراد من خفة الروح ولما له من مناصرين وقد قـام جدل بين أبجد هوز في طرابلس وبين المناغش في بيروت لصاحبهـا جرجي عوض أدى الى المهاترة وإلى استعمال الكثير من الادب المكشوف وانتهت المهاترة بين الطرفين في المحاكم ثم توقفت أبجد هوز عن الصدور .

٥ – **الشفق** : جريدة سياسية اسبوعية اصدرهـــا المحامي زخريا أسعد زخريا وقد عاشت عدة سنين ثم حجبها صاحبها حينما اعتزل مهنة المحاماة .

٦ – **الصباح** : جريدة سياسية اسبوعية اصدرها المحامي سليم غنطوس

وراح يدافع فيها عن طرابلس ويناهض سياسة الانتداب الاستعمارية وقد حاول كثيراً رجال السلطة المنتدبة استمالة صاحبها لطرفهم فلم يقبل بل داوم حملاته واخيراً اضطر الى ايقافها ازاء الدعاوى التي اقامتها عليه السلطة المنتدبة.

٧ – **التمدن** : صحيفة سياسية اسبوعية أنشأها توفيق المرعبي ومكث يصدرها طيلة حياته واحتجبت بعد وفاته .

٨ – **صوت الفيحاء** : صحيفة اسبوعية سياسية انشأها الاستاذ رهيف الحاج وما زالت تصدر لليوم وخطتها سياسية استقلالية تعمل لما فيه خير البلدة.

٩ – **الحضارة** : صحيفة اسبوعية أنشأها أنور عدرة ورياض دبليز وما زالت تصدر وخطتها أيضاً العمل لما فيه خير طرابلس والعرب .

١٠ – **الانشاء** : الجريدة اليومية الوحيدة التي صدرت في طرابلس وما زالت تصدر في كل صباح لصاحبها الصديق الاستاذ محمود الادهمي . والانشاء عربية النزعة تدافع عن الأمة العربية وعن لبنان العربي وتقاوم الاستعمار في كل ما لها من قوة ولا تقل رقياً عن صحف بيروت اليومية ، تنقل في كل صباح للطرابلسيين الاخبار الاخيرة واخبار العاصمة عدا عن أخبار العالم بشكل ان من يطالع الانشاء لا يعود بحاجة لمطالعة جريدة ثانية .

١١ – **الانتقاد** : صحيفة اسبوعية أنشأها بهاء مولوي تحتوي على اخبار طرابلس المحلية وتصدر في كل اسبوع مرة .

١٢ **الغربال** : صحيفة هزلية أنشأها حسن الحفار ولم يصدر منها سوى عدد واحد ثم احتجبت بسبب سفر صاحبها للمهجر في افريقيا .

١٣ – **الاجيال** : صحيفة سياسية اصدرها توفيق اليازجي ولم تعش طويلاً واحتجبت بعد وفاة صاحبها .

١٤ – **صدى الشمال** : جريدة اسبوعية سياسية ما زالت تصدر لليوم

مؤسسها فريد انطون .

١٥ – **الرائد** : جريدة اسبوعية سياسية ما زالت تصدر لليوم مؤسسها جبر جوهر .

١٦ – **الرقيب** : صدرت سنة ١٩٢٠ لاصحابها اميل ناصيف واخوانه والياس طربيه وتولى رئاسة تحريرها الاستاذ يوسف الفاخوري . كانت سياسة رائدها مناصرة الانتداب وقد دب الخلاف بين أصحابها ثم استقل بها اسكندر نصر وبقي يصدرها في طرابلس اسبوعية حتى قبيل وفاته ثم انتقلت الى بيروت .

هذا تاريخ مجمل للصحافة في طرابلس ونعتقد اننا ذكرنا سائر ما صدر من الصحف منذ أن صدرت أول صحيفة وهي طرابلس حتى تاريخه والصحافة في طرابلس كانت ثانوية بالنظر لتغلب صحف العاصمة بيروت عليها ففي العهد العثماني كانت صحف بيروت كالمفيد والاتحاد العثماني والاحوال وغيرها ترد يومياً لطرابلس وفي عهد الانتداب كانت الحقيقة والحرية والبرق والأحوال تكتسح أسواق طرابلس ثم في عهد الاستقلال ما زالت صحف بيروت ترد في الصباح الباكر وفي الوقت الذي تباع فيه في العاصمة الانوار والنهار والهدف والجريدة ولاجور والاوريان وغيرها من الصحف تكون هذه الصحف قد وصلت لطرابلس وأخذ باعة الصحف ينادون عليها في ساحة التل .

طرابلس بعد الدستور العثماني

يمتد هذا العهد من عام ١٩٠٨ حتى عام ١٩١٤ حين أعلنت الحرب العالمية الأولى في أواسطه . وقد تولى متصرفية طرابلس في خلال هذا العهد عزمي بك مدير شرطة الآستانة الذي نقل من هذه الوظيفة لمتصرفية طرابلس لخلاف وقع بينه وبين أحد السفراء . حاول عزمي بك القيام ببعض الاصلاحات

فجمع الوجهاء وحاول إقناعهم بجر مياه الشفة على الطريقة الفنية ضمن قساطل مغلقة بعد تصفية المياه في محلة القناطر . ومياه الشفة في طرابلس قديمة



جمال باشا بين ضابطين من اركان حربه



عزمي بك متصرف طرابلس ثم والي بيروت

تعود لعهد الصليبيين وتأتيها من نبع رشعين القريب من زغرتا وقد ساقها الصليبيون ضمن اقنية مكشوفة وأقاموا جسراً في محلة القناطر وصلوا محلة القبة

بمحلة أبي سمراء لايصال المياه لطرابلس . كانت قساطل هذه المياه عرضة للجراثيم وسبباً مباشراً لانتشار حمى التيفوئيد وغيرها من الحميات خصوصاً حمى الزحار ، لذلك حاول عزمي بك تصفية هذه المياه وسوقها لطرابلس ضمن قساطل من الحديد ، لكنه لم ينجح في مسعاه وبقيت هذه المياه حتى عام ١٩٣١ حين جرى جرها على عهد المحافظ الشيخ كسروان الخازن .

وقد حاول عزمي بك ايضاً شق شارع مستقيم يصل البلدة بالاسكلة وتمكن من تنفيذ رغبته خلال الحرب أثناء توليه ولاية بيروت . بقي عزمي بك متصرفاً في طرابلس برهة من الزمن واخيراً نقل والياً على بيروت خلفاً للوالي بكر سامي بك .

وبعد نقل عزمي بك والياً على بيروت خلفه على متصرفية طرابلس رشيد بك طليع وقد اشتدت اعمال الشقاوة في الاسكلة واضطرب حبل الامن وقام اربعة من شبان الاسكلة بالعصيان واخذوا يفرضون الاتاوات على الاغنياء والويل لمن لا يدفع وقد حاول كومندان الجندرمة مطارتهم فاردوه قتيلاً ولم يعد أحد في الاسكلة يخرج من داره في الليل إلا في الضرورة القصوى واعلنت الضابطة أن على كل واحد يخرج ليلاً من داره أن يحمل بيده فانوساً .

صادف أن كان هناك حفلة عرس في الحي المسيحي وقد دعي لحفلة العرس هذه الشبان الاربعة العاصون على الحكومة فاستفردهم احد افراد الدرك وتمكن من قتل واحد منهم وفر الثلاثة الباقون .

وقد عرض عليهم وكيل وابورات المساجري ماريتيم الفرنسية أن يهاجروا الى اميركا وتعهد لهم بدفع « الناولون » عنهم وبإعطاء كل واحد خمسين ليرة عثمانية فقبل واحد منهم ورفض الاثنان الاخران .

واخيراً اتفقت الضابطة مع احد أمراء قرية دده ، وكانوا من آن لآخر يبيتون عنده ، اتفقت وإياه على أن يخبر كومندان الدرك بمبيتهم في منزله

وهكذا في احدى الليالي جاؤوا الى قرية دده وبالحال ارسل الاميرالمومى اليه يعلم الضابطة بالامر فارسلت الحكومة عدداً كبيراً من الدرك احاطوا بالقرية ثم اطلقوا عليهم الرصاص وقتلوهم وجرى دفنهم بمعرفة الدرك .

الحالة الاقتصادية

ازدهرت طرابلس في خلال السنين التي سبقت الحرب العالمية الاولى واحتفل بتدشين الخط الحديدي الذي مد بين طرابلس وحمص ووصلها بحماه وحلب ودمشق وذلك في عام ١٩١٢ وتكدست البضائع في مستودعات الجمرك التي ضاقت بها واضطرت إدارة الجمرك الى استئجار مستودعات اضافية . كانت صادرات طرابلس عديدة منها الصابون كان يصدر لقبرص ومصر والعراق والانضول والحرير والشرانق يصدر الى أسواق فرنسا ومنها الثمار الحمضية التي كانت تصدر الى اسواق روسيا والى اسواق الاستانة ، العاصمة العثمانية ، وقد اسس الإخوان نعوم ، من اسكلة طرابلس ، محلاً تجارياً في مدينة أودسا في روسيا لتصريف ليمون طرابلس كما اسس أحد بني العنكليس في الاستانة محلاً للغاية ذاتها .

اما سوق التهريب فقد ازدهر ايضاً خصوصاً تهريب الاسلحة وأثرى البحارة في الاسكلة من هذه التجارة الرابحة . ويتلو تهريب الاسلحة تهريب اكياس التمباك العجمي وكانت الحكومة عاجزة عن ضبط التهريب .

الحرب العالمية الاولى

وبينما طرابلس في هذا الازدهار ، وقبيل تموز لعام ١٩١٤ دعي المختارون لدار المتصرفية وسلم كل منهم مغلفاً رسمياً مختوماً بالشمع الاحمر من اطرافه الأربعة وقعوا على استلامه وانذروا بان عقوبة الاعدام هي لكل من يتجرأ على فتح الغلاف بدون اذن رسمي من المتصرف. كانت اوروبا تغلي كالمرجل بعد مقتل ولي عهد النمسا وزوجته في بلدة سراجيفوا في البلقان ،

فأعلنت النمسا الحرب على سربيا واعلنت روسيا الحرب على النمسا واعلنت المانيا الحرب على روسيا وعلى فرنسا، وهكذا لم ينتصف شهر تموز لعام١٩١٤ حتى جمع المتصرف المختارين وأمرهم بفتح المغلفات المشار إليها وإذا بداخل كل مغلف ورقة مستطيلة عليها صورة مدفعين باللون الازرق والاحمر وتحت هذين المدفعين هذه العبارة التركية :

سفر برلـــك وار عسكر اولانارسلاح باشينه

ومعناها بالعربية : نفير عام من يكن تحت سن الجندية فليبـــادر لحمل السلاح .

لبى الشباب بأجمعهم النـــداء ووزعت الألبسة على الجنود كما وزع عليهم السلاح واخذوا بالتدريب العسكري ثم في شهر آب جرى نقل كافة الجنود الى حمص بالقطار الحديدي وقد اتخـــذت حمص مركزاً لتوزيع الجنود على الجبهات لان رجال الاستانة كانوا مصممين على الاشتراك في الحرب .

وهنا حادثة على جانب من الطرافة رأينا أن نأتي على ذكرهـا بالنظر لما كان لها من تأثير ، ذلك ان أحد عمال الافران الذي كرع الكثـــير من كؤوس الخمر . فأوحى إليـــه سكره ان يقف في وسط السوق في حوالي منتصف الليـل بقرب السحور ، وكان الوقت شهر رمضان ، ويعلن بصوت جهوري ، يا اخوان « فودس العسكر » على بيوتكم .. وبالحال صدق الناس وهبوا الى طبول « نوبات » اصحاب الطرق وطافوا بشوارع الاسكلة مبتهجين على الانتهاء من الجندية لكن الفرح لم يستمر سوى ساعـــات فقد اتصلت الضابطة بالمتصرف الذي نفى الخبر والقي القبض على المذكور واحيل للمحكمة العسكرية بعد ان اشبع ضرباً .

وهكذا خلت الاسواق من الرجـــال ولم يبق في طرابلس سوى النساء والاولاد المتقدمين بالسن ومن سمحت له أحواله المادية بدفع البـدل النقدي

عن الانخراط بالجندية وكان هذا البدل يبلغ ٤٣ ليرة عثمانية تدفع نقداً وعداً لصندوق الخزينة ويعفى الدافع من خدمة العلم .

وطرابلس ذات قسمين ، البلدة والاسكلة ، على ما هو معروف فالاسكلة بلدة بحرية والحركة فيها ترتكز على البحر اي الصادرات والواردات وقد وقفت الحركة لأن جميع البواخر من فرنسية وانكليزية والمانية وروسية جميعها توقفت عن الرسو في ميناء طرابلس وهكذا أيضا توقفت البواخر الايطالية بعد دخول إيطاليا بالحرب الى جانب الحلفاء .

أما البلدة فبالنظر لأنها مدينة داخلية فقد بقيت فيها حركة البيع والشراء ، واخذت الاسعار بالارتفاع شيئا فشيئا لأنه لم يكن هناك من صناعة وطنية وكانت البلاد تستورد كل ما تستهلكه من الخارج ، واول ما ارتفعت اسعار البترول ، لانه لم يكن في طرابلس كهرباء للانارة بل كان الاهلون يستخدمون زيت البترول ، وهكذا ارتفع ثمن الصفيحة من ثلاثة ارباع المجيدي ، بعملة ذلك الزمن الى مجيدي فمجيديين فثلاثة فأربعة فليرة عثمانية ذهب ثم نفد زيت البترول من الاسواق .

وهكذا السكر ، فقد ارتفع سعر الرطل منه من الربع مجيدي حتى وصل شيئاً فشيئاً الى الليرة العثمانية الذهب واصبح يباع في الصيدليات كالدواء وفقد من الاسواق واستعاض عنه الاهلون بالدبس وايضاً القهوة فقدت واستعيض عنها بالحمص والذرة البيضاء . أمـــا سائر الاصناف من ملبوس وخرضوات وجلود فقد ارتفعت الاسعار بشكل جنوني خصوصاً المسامير والجلود وغيرها.

وشيئاً فشيئاً ارتفعت اسعار الخبز من اربعة متايك الرطل الواحد حتى بلغ سعر الرطل نصف ليرة عثمانية ذهب وعبثاً حاولت الحكومة ايجاد دائرة للاعاشة فاخفقت لان الاغلال كان يشتريها الألمان وينقلونها لبلادهم بالسيارات . لم تتأثر البلد كثيراً لان البيع والشراء ظل متواصلاً ، أما الاسكلة فقد خلت تقريباً من السكان واقفلت اسواقها .

وقد زاد في الازمة ان الحكومة العثمانية اصدرت عملة ورقية بدل العملة المعدنية فتدنت اسعار الليرة العثمانية الورق حتى بلغت خمس قيمتها .

حريق جسر اللحامين

على نهر أبي علي الذي يشطر طرابلس لشطرين جسر روماني اقيم على جانبيه مخازن للتجارة ولبيع اللحوم ، وقد هدمه طوفان النهر في عام ١٩٥٦ .

كانت تقوم على جانبي هذا الجسر ، كما قلنا سابقاً ، عـــدة مخازن تمتلىء بالخردوات وبالجلود وبالصابون والزيوت، وقد صادف أن احد اللحامين، نسي اطفاء النار في دكانه التي كان يشوي عليها اللحوم،فاشتعلت هذه النار وامتدت شيئاً فشيئاً الى دكان جاره وازدادت اشتعالا بما في هذه الدكاكين من الزيوت حتى اخذت على كل ما في المخازن المشار اليها الواقعة على جانبي الجسر من بضائع ، ولم يكن آنئذ في طرابلس اية وسيلة من وسائل الاطفاء .
وقد هب الاهلون جميعهم لمكافحة النيران لكنهم اخفقوا وتحولت جميع البضائع الى ركام من الخرائب . وقد أتى عزمي بك ، والي بيروت للنظر في أمر المنكوبين ، ولما لم تكن هناك خسارة في الأرواح ، ضرب صفحاً عن مساعدة المنكوبين من التجار .

الحاج مصطفى حولا :

الحاج مصطفى حولا ، تاجر من تجار الاخشاب في الأسلكة ، على سعة محدودة من الثروة ، لكن الاريحية ومشاهدة الجياع من سكان الاسكلة ، هزت هذا المحسن الكبير الى تخصيص شيء من ماله لوجه الله الكريم ، فراح كل يوم يبتاع نحو المائة كيلو من الدقيق يجري عجنها بأحد الافران لحسابه كما يبتاع كمية من الخضروات والقطاني يطهيها أيضاً في منزله ، وقبيل العصر كان يقعد على باب داره ويقوم بتوزيع أرغفة الخبز وكميات من الطعام على فقراء الاسكلة بموجب بطاقات رسمية فيمنح كل فقيرة ، لان الرجال كانت

في الجندية ، عـدداً من الأرغفة وقـدراً من الطعام على عدد أولادهـا وأفراد عائلتها .

ومن المؤسف أن اريحية الحاج مصطفى حولا لم تتعد غـيره من أغنياء الاسكلةوعلى الاقتداء به بمساعدة الفقراء .

وفي أواخر عام ١٩١٦ اشتدت المجاعة ، فجاء عزمي بك ، والي بيروت وأنشأ في طرابلس فرعاً لجمعية حماية الاطفال التي أسستهـا الكاتبة التركية خالدة أديب وعهد برئاسة هذا الفرع للسيد فؤاد المنـلا بمعاونة السيد فؤاد الذوق رئيس البلدية والسيد عبد الفتاح الحداد نائب الرئيس .

وقد تعين على الوارد من الاغلال رسماً صارت تجبيه البلدية ومن أموال هذا الرسم كان يبتاع رئيس الجمعية كمية من الدقيق يجري عجنها وتوزيعها على الفقراء مع كمية من الخضروات كانت تطهى خصيصاً لهذه الغاية وقد عهـد بتوزيع الخبز والطعام الى كل من رشيد النعوشي وبشير شانوحة ووجيه الزين فقاموا بالمهمة خير قيام .

وقد توفي الحاج مصطفى حولا في أواخر الحرب العالمية الاولى ومؤسف حقاً ان الحكومة لم تعمل على مكافاته ولو بوسام . لكن المهاجرين من أبناء طرابلس في الولايات المتحدة حين بلغهم خبر وفاته أرسلوا خصيصاً السيـد نعمة تادرس ، من مهاجري الاسكلة ، وضع اكليلاً من الزهر على ضريحـه شكراً على ما قام به من عمل جليل .

اشتداد المجاعة :

وقد اشتدت المجاعة واعتاض الناس عن الخبز بالليمون الحامض فكنت ترى الجدران صفراء من حف ثمار الليمون الحامض لازالة القشرة الخارجية وحين نفد الدقيق من مخازن الجيش في الاسكلة وزع كومندان الجند التركي على الجنود اثمار الليمون الحامض بدلاً من الخبز .

وقد أخذ أولياء الاطفال في الاسكلة يفقدون اولادهم الصغار .

وعبثاً حاولت الشرطة العثور على الاولاد المفقودين واخيراً لاحظ طفل من سكان الاسكلة ان احد الاطفال يرتدي اسم شقيقه المفقود وبعد البحث والتدقيق بواسطة الشرطة والدرك تمكن هؤلاء من الوصول الى معرفة ان جماعة من سكان القرى المجاورة يقبضون على الاولاد ويقومون بذبحهم واكل لحومهم فالقي القبض عليهم وتوفوا جميعهم في السجن قبل محاكمتهم .

طرابلس وشهداء الوطن :

لماذا لم يعدم احمد جمال باشا من رجال طرابلس مع من اعدمهم في السادس من ايار ؟ سبق لنا ان اجبنا على هذا السؤال في صحيفة الجريدة البيروتية وبينا السبب المباشر الذي حال دون اعدام رجال الاصلاح من الطرابلسيين.

كان في طرابلس قنصل لفرنسا تداخل في الاوساط الوطنية وحصل على ثقتهم وصداقتهم ، وكانت فرنسا تعمل جهدها للوصول الى هدفها البعيد وهو وضع يدها على لبنان وسوريا . وهكذا اخذ هذا القنصل يعمل على اقناع الطرابلسيين ان فرنسا لا ترغب الا بحصولهم على الاستقلال التام وفوزهم بحقوقهم السياسية .

وفي احد الايام جاءت تعليمات للقنصل المذكور بان يستحصل على افادة موقعة من علماء طرابلس بان الخلافة الاسلامية في قريش وان الخلفاء من بني عثمان اغتصبوا هذه الخلافة من العرب . وهكذا تمكن القنصل المذكور من الحصول على هذا الاقرار ووقعه علماء ووجهاء طرابلس ويفيد بصراحة عن كل مطالب القنصل او دولته بان الخلافة في قريش وان الاتراك اغتصبوها من العرب .

وقد احتفظ القنصل بالصورة الاصلية بين مستنداته وارسل لرؤسائه

نسخة مصورة عنها . وفي اوائل عام ١٩١٤ وردت للقنصل الفرنسي المشار اليه تعليمات بواسطة قنصله في بيروت صادرة عن السفير في الاستانة بوجوب اتلاف كل وثيقة تتهم رجالات البلاد . لكن القنصل كان على اقتناع تام بان الحرب واقعة بين فرنسا والدولة العثمانية وان فرنسا ستستولي بالنتيجة على لبنان ، لذلك لم يتلف الوثائق التي تتهم الوطنيين بل اخفاها في صندوق خشبي وضعه على «التختية» في المنزل الذي كان يسكنه وختم باب «التختية» بالشمع الاحمر ثم لما وردت تعليمات دولته بالسفر وترك البلاد العثمانية ترك جميع الوثائق ومن بينها عريضة الخلافة المارة الذكر في الصندوق المذكور وسافر .

وفي خلال السنة الاولى من اعلان الحرب العامة ، جاء احمد جمال باشا قائداً عاماً على سوريا ، وفتح خزائن القنصلية الفرنسية في بيروت وحفظ مستنداتها لديه وارسل تعليماته لطرابلس بوجوب فتح ابواب القنصلية الفرنسية في طرابلس وضبط مستنداتها وتنظيم قائمة بهم وبما تحتوي هذه المستندات من وثائق وقعها اهالي البلاد من الخونة .

كان في طرابلس قائد للجيش يدعى كمال بك العبد ، لانه كان اسود البشرة،عسكري بكل ما في الكلمة من معنى لا يهمه تنفيذ اي شيء في سبيل خدمة الدولة ، وقد استولى على كافة محفوظات القنصلية بما فيها ما تضمنته الصندوقة الخشبية المارة الذكر الموضوعة على « التختية » وبما ان اكثر هذه الوثائق كانت باللغة الفرنسية ، وبما انه كان لا يحسن الفرنسية فقد استبقاها لديه للعمل على البحث عن رجل مخلص للدولة يحسن الفرنسية ليقوم بفحص هذه المستندات وتنظيم جدول باسماء الخونة ممن لهم علاقة مباشرة بفرنسا .

وبعد البحث الدقيق وجد بالمرحوم بشير علم الدين الرجل المخلص للدولة فاستدعاه اليه وأفهمه انه يعهد اليه بمهمة رسمية دقيقة وهي فحص مستندات قنصلات فرنسا وانه يضع ثقته به ، ثم أشار لأحد الجنود فأحضر الصندوقة

التي تتضمن المستندات .

كان بشير علم الدين على اطلاع عما تقوم به قنصلات فرنسا وقـــد أدرك بسرعة ما لأمر فحص المستندات من أهمية ، لذلك قال للقائد كال بك ان فحص هذه المستندات أمر بغاية الاهمية وان من المستحسن ان يعهد اليه بهـا ليقوم باجراء الفحص الدقيق عليها لديه في منزله ، منعاً لاستلفات الانظار ، وقد توقف كال بك المذكور ، لكنه انصاع أخـــيراً لطلب بشير علم الدين بالنظر لمـا يعلمه من اخلاصه واخلاص والده للدولة وهكذا حمل أحد الجنود الصندوقة المذكورة لدار بشير علم الدين لفحص محتوياتها .

كانت الوثيقة التي تتضمن تواقيع رجالات طرابلس وعلمائها على ان آل عثمان اغتصبوا الخلافة أول ما عثر عليهـا ، هذا عدا عن الكثير من الوثائق الـــتي تحمل تواقيع الطرابلسيين بطلبهم المعونة من فرنسا على الدولة العثمانية وطلب الاصلاح عدا عن عدة وثائق تتضمن الطلب من فرنسا مساعدة سوريا ولبنـــان على الانسلاخ عن جسم الدولة والحصول على الاستقلال التام أيضاً بمعونة فرنسا .

جمع بشير علم الدين كل الوثائق التي تدين الطرابلسيين وأشعـل « اتون » الحمام وأودعه كل هذه الوثائق ، ثم عمد الى ما لا أهمية له من مخابرات عادية ، فنقلها الى التركية ونظم جدولاً بها وأودعها في اليوم التـالي للقائد التركي بعد ان عرض له انه لم يجد في مستندات القنصل الفرنسي ما له اهمية تذكر وان كل ما في الصندوقة عبارة عن مخابرات عادية .

وهكذا تمكن بشير علم الدين باخلاقه الحميدة وتوقيه الاساءة لابناء بلدته من تخليصهم من منصة الاعدام . وقد كافأته فرنسا فيما بعد فمنحته وساماً من أرفع الاوسمة الفرنسية .

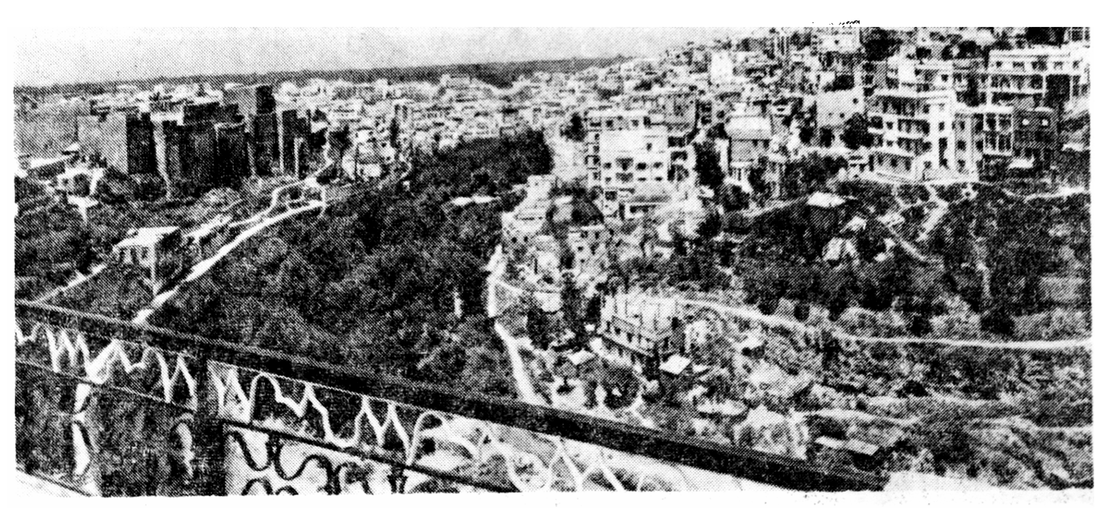
لكن طرابلس ساهمت في بناء الاستقلال على جماجم ابنائها .

من طرف آخر ، فحين أعلن النفير العـــام ، أسرع شبان طرابلس للانخراط في الجندية على ما فصلناه سابقاً ، لكن سرعان ما عرفوا مقاصد رجال الاتحاد والترقي من إبادة العنصر العربي ، ثم لما كانوا يعانونه من فقـــد المواد الغذائية لدى الجيش ، لذلك فر الكثيرون من الجنود من ابناء طرابلس.

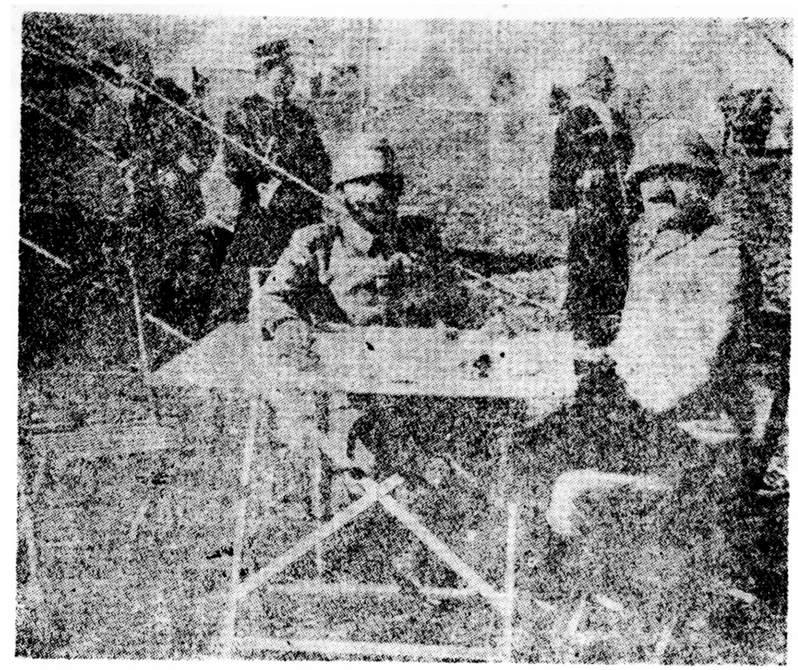
كان رئيس قلم أخذ العسكر في طرابلس ، ضابط شديد الانصياع لخدمة الدولة ، لذلك عمل بكل ما لديــه من قوة على تجنيد الطرابلسيين وإرسالهم للجبهة حيث يلاقون حتفهم ، لذلك حين تزايد عدد الفارين من الجنديـــة ، أعطى أوامره بالقاء القبض على كل الفارين وسوقهم أحياء أو أمواتاً فألقي القبض على عدد منهم وسيقوا أمام الضابط المشار إليه ، وبالحـــال أعطى أوامره باعدامهم وفي ثاني يوم علقت مشانقهم في ساحة التل .

ولم اتمكن من العثور إلا على أسماء أربعة من الذين استشهدوا من ابنـــاء طرابلس وكان عددهم على ما قيل لي ثمانية . أما الأربعة الآنفي الذكر فهم : ابراهيم العطري ، ومحمود الشامي ، ومحمد البلطجي ورابع من القناتي .

وهكذا تكون طرابلس قد ساهمت بنصيبها من شهداء الوطن ولكن من المؤسف اننا لا نتذكر هؤلاء الشهداء في عيد السادس من أيار حتى ولا بآكليل من الزهر .



منظر لقبة النصر ولابي سمراء



جمال باشا مع أركان حربه

جمال باشا وعرش سوريا ولبنان

هدف الاتحاديين :

كان كل واحد من رجال جمعية الاتحاد والترقي في الاستانة ، له هدف بعيد يسعى لتحقيقه ، فالبرنس سعيد حليم رئيس الوزارة كان هدفه بوصفه أحد أحفاد محمد علي ، ان يستولي على منصب خديوية مصر بعد ان عزل الانكليز عباس ، يزاحمه على هذا الهدف احمد جمال باشا وزير البحرية ، وانور باشا كان هدفه الاستيلاء على عرش آل عثمان وكان لطلعت باشا هدف آخر لا يقل عن أهداف البقية .

حسب الاتحاديون انه بمجرد اعلان الجهاد العام وتشكيل حملة للاستيلاء

على القطر المصري ، سوف يهب المصريون ويطردون الانكليز لذلك حين سعوا بابراز الفكرة إلى حيز الوجود تعهد احمد جمال باشا ، القائد التركي ان بوسعه القيام بهذه الحملة فيما لو عهد إليه بقيادتها وهكذا صدر المرسوم بتعيينه وودعه رجال جمعية الاتحاد والترقي في محطة الاستانة الحديدية وتمنوا له التوفيق خصوصاً انه ازيح من طريقهم . أما احمد جمال باشا فكان يحلم بالتغلب على الانكليز وعزل حسين كامل الذي اجلسه الانكليز على عرش مصر والحلول محله .

وحين زحف بجيشه المؤلف من شباب سوريا ولبنان واجبره الانكليز على الانكفاء تأكد من أن حلمه سوف لا يتحقق وأخذت تراوده فكرة جديدة وهي الاستيلاء على سوريا ولبنان وخلق عرش جديد لهذين القطرين يجلس عليه ويورثه لابنائه من بعده . وقبل الحرب العالمية الاولى كانقد زار فرنسا ولقي من رجالاتها كل ترحاب ، لذلك حسب بان فرنسا إذا انفرد عن جسم الدولة سوف تساعده في تحقيق حلمه خصوصاً إذا كان يتعهد لفرنسا بانه سوف يحقق لها كل مطامعها .

الشيخ فؤاد العازار :

تخابر احمد جمال باشا بالسر مع أحد أعوانه الذي قام بدور الوسيط بينه وبين فرنسا وكان الجواب انه على احمد جمال باشا ان يرسل من طرفه مندوباً عنه للتفاوض .

فتش احمد جمال باشا كثيراً عن رجل يكون موضع ثقته ليرسله لتنفيذ هذه المهمة واخيراً وجد ضالته بالشيخ فؤاد العازار قائمقام الكورة .

والشيخ فؤاد العازار ينتمي إلى عائلة بني العازار ، من عائلات الكورة القديمة وهو عبقري بكل ما في الكلمة من معنى وسياسي مدهش ويملك لساناً فصيحاً ، سريع الفهم ، قوي الحجة سعى احمد جمال باشا حتى اجتمع به

أول مرة ثم ثاني مرة واخيراً فاتحه بفكرته مهدده في الوقت ذاته بانه إذا أفشى السر سوف يكون الاعدام نصيبه .

وفي احدى الامسيات جــاء احمد جمال باشا الى اسكلة طرابلس يرافقه ياوره الخاص الذي كان على اطلاع تام بنواياه وسأل عن شخص على معرفة بامور البحر ويملك قارباً يمكن التجول بواسطته ،فأشير عليه بالسيد خير الدين عبد الوهاب[١] من وجهاء وزعماء طرابلس . وحين دعي المذكور لمقابلة احمد جمال باشا، أظهر له هذا رغبته بالتجول في قارب بمحاذاة الجزر التي تقع أمام الميناء ، كما سأله اذا كان يحسن التركية ، فأجابه السيد خير الدين ان بامكانه التخلص بما ينوي الافصاح عنه بالتركية ،وهكذا نزل احمد جمال باشا ومعاونه والسيد خير الدين عبد الوهاب وأحد البحــارة في قارب وراحوا يتجولون بمياه الاسكلة ، ثم حين اقترب احمد جمــال باشا من جزيرة الفنار الكائنة على بعد ستة اميال من الميناء ، نادى خير الدين عبد الوهاب وقال له بتركيته ان عليه ان ينتظر شخصاً في منتصف الليل القادم ليوصله الى جزيرة الفنـــار ، وان عقوبة الاعدام تنتظره فيما اذا افشى السر .

فرنسا واحمد جمال باشا :

وقبيل الغروب في اليوم التــالي أتى لمنزل السيد خير الدين عبد الوهاب الشيخ فؤاد العازار وأخبره أنه هو الشخص الذي كلف بنقله الى جزيرة الفنار الكائنة أمام الاسكلة ، وهكذا قبيل منتصف الليل جرى نقل الموصى اليه وجرى الاتفاق معه انه حينما يعود سوف يرفع علماً عثمانياً على السارية الكائنة في الجزيرة المشار اليها .

ذهب الشيخ فؤاد العازار مندوباً من قبل احمد جمال باشا وجرى نقله على متن دارعة فرنسية الى بور سعيد حيث قابل مندوباً فرنسيـــاً عن وزارة

---

(١) انظر ترجمته في باب علماء طرابلس .

الخارجية ثم عاد بالجواب للاستفسار من احمد جمال باشا بوضوح عن مطالبه .

وقد جرى ارجاعه الى اليابسة حسب الاتفاق وبعد اسبوع تقريباً عاد الشيخ فؤاد العازار ثانية الى الاسكلة حيث جرى نقله الى الجزيرة ومن ثم الى بور سعيد ، لكنه اخفق بمهمته لان عرض احمد جمال باشا جاء متأخراً إذ كانت فرنسا ناجحة في الجبهة الغربية وتطمح بان تستولي على سوريا ولبنان وتضع يدها عليها بصورة مباشرة لا ان يكون لها شريك في نصيبها من تركة الرجل المريض أو الدولة العثمانية .

الباب العاشر

من الانتداب الى الاستقلال

انتهاء الحكم التركي :

تمتد هذه المرحلة من أواخر عام ١٩١٨ حتى أواخر عام ١٩٣٩ حين نشبت الحرب العالمية الثانية . ففي أواخر أيلول لعام ١٩١٨ لم تعد تأتي للاسكلة السيارات الالمانية لنقل الاغلال الى المانيا ، ثم أخذت الأخبار تذيع بالسر عن اندحار الجيش التركي واحتلال الانكليز لفلسطين ، وبما انه ليس لطرابلس أية قيمة حربية ، لذلك كانت هذه الاخبار تأتي متأخرة .

وقد عرف الموظفون الاتراك ان مغادرتهم للبلاد العربية أصبح وشيكاً وجاءتهم تعليمات بوجوب الانسحاب سراً وهكذا جلا جميع الموظفين الاتراك عن طرابلس رويداً رويداً بما فيهم الضباط من الاتراك . وقد اختفى أيضاً بعض الموظفين من ابناء البلاد من العرب الذين كانوا أتراكاً أكثر من الاتراك .

وفي صباح الحادي عشر من تشرين الاول رست في الاسكلة دارعة افرنسية ، وكان المتصرف قد سلم أمور البلدة إلى السيد عبد الحميد كرامي ، مفتي طرابلس ، وجلا عن المدينة ، فخرج بحارة الدارعة الى البر واستقبلوا احسن استقبال .

وفي اليوم الثاني جاء جنديان من الانكليز للاسكلة للاستطلاع فاستقبلوا

أيضاً احسن استقبال وبعد يومين رست في الاسكلة عدة بواخر أفرغت محمولها على زوارق أتت بها وخرج إلى البر عدد من العمال المصريين ، أخذوا ينقلون محمول البواخر من العتاد إلى مخازن ومستودعات الجمرك التي كانت فارغة .

وفي اليوم التالي جاءت القيادة الانكليزية إلى الاسكلة واجبروا سكان الدور التي على البحر على اخلائها وشغلتها القيادة الانكليزية المشار إليها .

وبعد يومين أيضاً رست في الاسكلة باخرة مطلية باللون الابيض وفي وسطها صليب أحمر وأخذت سيارات الجيش تنقل لهذه الباخرة الجرحى والمرضى من أفراد الجيش الانكليزي .

كانت طرابلس فارغة من كل شيء وهكذا اغتنم العمال المصريون الفرص السانحة وراحوا يزودون الطرابلسيين بما يحتاجونه من مأكول وملبوس وتفننوا ببيع ما يحصلون عليه من مؤن الجيش وهكذا عاد السكر للاسواق وامتلأت البيوت بعلب المحفوظات من مؤن الجيش وبملابس الجيش وارتدى الاهالي الكثير من ملابس الجنود من الانكليز كما يقول المثل العامي « من البابوج الى الطربوش » وبهذه المناسبة نذكر هذه الحادثة الطريفة التي وقعت لقريب للمؤلف . كان البوليس الانكليزي يرتاد سوق الاسكلة مفتشاً على ملابس الجيش التي يرتديها الاهلون ومن عثر عليه مرتدياً شيئاً منها يرغمه على انتزاعها ويصادرها .

وصادف ان قريب المؤلف كان ماراً في السوق وقد ابتاع « حراماً » من مخلفات الجيش صنع من هذا الحرام بدلة يرتديها فاوقفه البوليس وارغمه على نزع البدلة بما فيه السترة والسروال « البنطلون » فاذا به يرتدي تحت السروال كلسوناً من مخلفات الجيش وفوقه قميص أيضاً من مخلفات الجيش ، وأيضاً الجراب من الصوف مما يرتديه الجيش ، وازاء هذه الحالة فمن المتوجب عليه ان ينزع جميع ثيابه ويسلمها للبوليس الانكليزي فيصبح ببدلة ابينا ادم .

وازاء هذه الحالة لم يتمالك البوليس الانكليزي من الضحك ... ثم تركه قائلاً ... كمون ... معليش ..

وقد وصف لي بعضهم قضية لا تقل طرافة عما مر . كانت محطة السكة الحديدية المستودع العام للجيش الانـكليزي تحتوي على جميع المؤن من ماكول وملبوس لكنها كانت تحت حراسة شديدة من طرف الفرقة الهندية وذلك خوفاً من سرقات العمال من المصريين .

قـــام عدد من هؤلاء العمال باحضار ثلاثة توابيت من مستودع التوابيت لاموات المسلمين، ملأوها بكميات كبيرة من المؤن والملابس ثم حمل كل تابوت اربعة من العمال ومشى خلفهم عدد اخر وامام التوابيت الثلاثة مشى عامـل يردد كلمة .. لا اله الا الله ... سبحان الحي الذي لا يموت .

ولما مروا امام الحارس من الجنود الهنود ، رفع هـــذا بندقيته لتحية الموتى حسب النظام العسكري ، وهكذا مر العمال بما معهم الى مقـــبرة المسلمين حيث كان ينتظرهم عدد ممن كانوا يبتاعون منهم ما حصلوا عليه من مخلفات الجيش الانـكليزي .

الجيش الانكليزي في طرابلس :

كان لحلول الجيش الانكليزي في طرابلس اطيب الاثر ، فقد كسا العريان واطعم الجائع واغنى الفقير بما كان ينفقه افراده من الجنود الاستراليين والعمال المصريين . وفي اوائل ليل ١١ - ١٢ تشرين الثاني اخذت صفارات البواخر الراسية في الميناء بالصفير ، وساد الفرح بين الجنود ، ذلك ان الاخبار وردت بان الهدنة اعلنت وان الحرب قد انتهت فجمع ابو علي الزغلول — الدلال في الاسكلة — عدداً من الشباب ومشوا في عراضة واخذ ينشد ما جرت العادة بانشاده في الافراح مثل .. باشا يا باشا — الورد مفتح فوق بيت الباشا .. ثم الله وي سور الى اخره والجموع يرددون وراءه اناشيد الفرح .

وهكذا بعد أشهر معدودات وفي خلال عام ١٩١٩ رست البواخر فألقت مرساتها في المرفأ ، وابتدىء بنقل الجيش الانـكليزي وجلائه عن طرابلس

بعد ان كان يعسكر في محلة فوق الريخ في الاسكلة وينفق الاموال الطائلة ، وهكذا أسف سكان الاسكلة لخسارتهم مبلغاً وموردا لا يستهان به بعد ان خرجوا من الحرب باشد حالات الفقر .

اما الجيش الفرنسي فقد احتل الثكنات وشغل الخان الكائن في الاسكلة أمام الجمرك .

طرابلس والجيش الافرنسي :

ابتدأ الفرنسيون بالتسلط على مرافق البلاد وبالتالي على طرابلس، فأرسلت السلطة الفرنسية الكومندان « المان » فاستلم مقدرات البلدة من الوطنيين وعينت معاوناً له الكابتان بيشون ، وكلا الاثنان من العسكريين الذين غرهم النصر ، وستراً للظواهر الوطنية ، عينت السلطة الفرنسية المرحوم حسين الاحدب متصرفاً على طرابلس كما عينت جبران بك النحاس متصرفاً على زغرتا لانها خلقت من الزاوية مركزاً للمتصرفية .

الحكم النيابي واعلان لبنان الكبير :

توالت الاحداث في سوريا وأعلن الامير فيصل ملكيته على سوريا وكان لهذا الاعلان اثره في طرابلس ، وأخذ الناس يتحدثون بمجريات الامور ولكن الحالة ما لبثت ان تبلورت ، فانكفأ الامير فيصل ودخل الجنود الفرنسيون دمشق تحت قيادة الجنرال غورو الذي عينته الحكومة الفرنسية مفوضاً على سوريا ولبنان وأعلنت بلديات طرابلس الكيفية في الشوارع .

وبعد ان وضع الافرنسيون يدهم على لبنان ، اصدر الجنرال غورو في ٣١ آب من سنة ١٩٢٠ قراراً باعلان استقلال لبنان الكبير بحدوده الطبيعية وضمت اليه المدن المنسلخة عنه بما فيه طرابلس وبيروت وصيداء وصور والاقضية الأربعة . وفي صباح أول ايلول رست باكراً باخرتان في المرفأ

ونقلتا الطرابلسيين لبيروت لحضور حفلة اعلان استقلال لبنان في قصر الصنوبر بحدوده الطبيعية من وادي حرمون الى النهر الكبير ومن رؤوس انتيلبنان الى البحر المتوسط وان بيروت هي عاصمته وتعين الكومندان ترابو حاكماً للبنان بعد استقلاله .

وبعد أيام صدر قرار بتأليف لجنة ادارية تحل محل مجلس ادارة لبنان المنحل وتعين الحاج عثمان علم الدين ممثلاً لطرابلس في اللجنة المشار اليها .

وقد واصلت طرابلس احتجاجاتها بطلب الاستقلال التام وتنظمت العرائض بدون انقطاع وجاء مندوب فرنسي لاستلام هذه العرائض فاستقبله الطرابلسيون بالهتافات ضد فرنسا وطلب الاستقلال .

ولكي ينتقم الفرنسيون من طرابلس المطالبة بدون انقطاع للاستقلال صدر قرار من المفوض السامي الفرنسي بخلق شركة فرنسية اسمها شركة غرنبلاط خولوها نقل البضائع من المواعين الى مستودعات الجمرك لقاء رسوم باهظة فرضتها على جميع البضائع ، فاضرب الطرابلسيون عن اخراج بضائعهم من مستودعات الجمرك خلال ثلاثة أسابيع واخيراً أعطى المفوض الفرنسي تعليماته بوجوب استيفاء هذه الرسوم بصورة موقتة ريثما يبت بالامر وقد انتهى امتياز هذه الشركة وبقيت الرسوم على حالها والتي كانت فادحة كما قدمنا مما دعا تجار الداخل ان يستوردوا بضائعهم عن طريق مرفأ الاسكندرونة والاستغناء عن مرفأ طرابلس .

بلديات طرابلس :

أصدرت المفوضية الفرنسية القرار ١٢٠٨ قانوناً للبلديات وبموجبه جرى انتخاب أول مجلس بلدي في عهد الانتداب للبلدة وللاسكلة وبنتيجة الانتخاب عينت السلطة الفرنسية خير الدين عدره رئيساً لبلدية طرابلس ونور علم الدين رئيساً لبلدية الاسكلة ، كما عينت عبد الحليم الحجار حاكماً إدارياً على طرابلس.

قام خير الدين عدره بعدد من الاصلاحات في البلدة فرصف شوارعها القديمة. وأنشأ حديقة التل بجانب ساعة البلدية العامة، وهي أول حديقة تنشأ في لبنان بالمعنى المعروف. اما في الاسكلة فلم يتمكن نور علم الدين إلا من اجراء اصلاحات طفيفة لان شركة غرنبلاط كانت تستولي على قسم كبير من واردات بلدية الاسكلة لقاء الصقالة الحديدية التي انشأتها .

نور علم الدين

بقي نور علم الدين رئيساً لبلدية الاسكلة حتى عام ١٩٢٦ حين استقال للتفرغ لأعماله التجارية والزراعية وخلفه مصطفى غازي حتى عام ١٩٣٣ حين استقال وخلفه عبد الستار علم الدين الذي بقي رئيساً للبلدية حتى عام ١٩٣٤ وبعدها عين بدله خير الدين عبد الوهاب ودامت مدة رئاسته حتى عام ١٩٤٤ حين انتقل للدار الباقية وتلاه عدد من الرؤساء كما سنبينه في الجدول الآتي :

بلدية طرابلس

وفي طرابلس بقي خير الدين عدره رئيساً للبلدية حتى عام ١٩٢٩ ثم تلاه بعد ذلك عدة رؤساء كما سنذكره في باب لاحق وفي أوائل الحرب العالمية الثانية الغت الحكومة اللبنانية رئاسة بلديتي طرابلس وعينت مديراً يشرف على البلديتين انطون اده ومنحته صلاحيات انفاق موازنات البلديتين . ثم بعد مدة من الزمن ولجت المحافظ بادارة بلدية طرابلس واخيراً اعيد نظام رئاسة البلدية وما زال هذا النظام مرعي الاجراء حتى اليوم .

قامت بلدية طرابلس باصلاحات عديدة وحصلت على ثلاثة قروض من البنك اللبناني حسنت بها شوارع البلدة فشقت شارع الراهبات وشارع الكنائس وشوارع ابي سمراء والقبة واضاءت البلدة بالفلوريسانت وانشأت الملعب البلدي الذي كلف البلدية مليون ليرة لبنانية وربع المليون ووسعت طريق مدخل البلدة من طرفيها كما عدلت طريق الاسكلة وطريق المايتين وجعلت كلا منهما بعرض ٢٢

متراًوانشأت بمعاونة الحكومة بولفار مدخل طرابلس بعرض٣٢متراً وأوصلته الى محلة الملولة بذات العرض .

اما بلدية الاسكلة فقد شقت شارعاً عريضاً من محلة البوابة حتى كنيسة مار الياس على البحر ورصفت بقية الشوارع الداخلية واضاءت الاسكلة بالفلوريسانت وأنشأت بعض الحدائق ، ولكنها حدائق صغيرة لا تصلح كمتنزه لاهالي الاسكلة .

الانتخابات النيابية :

في سنة ١٩٢٣ حلت الحكومة اللبنانية اللجنة الادارية المعينة واصدرت قراراً بموجبه جرى انتخاب أول مجلس تمثيلي وجرت الانتخابات على درجتين وفاز نور بك علم الدين بتمثيل طرابلس في هذا المجلس الذي بقيت صلاحياته استشارية .

وفي عهد الجنرال سراي انتخب مجلس ثان فاز خير الدين بك عدره بتمثيل طرابلس ثم انقلب هذا المجلس الى مجلس نواب .

الثورة السورية وتشريع ١٩٢٥ – ١٩٢٩ :

على اثر الثورة في دمشق وجبل الدروز التي نضرب صفحاً عن ذكر حوادثها لعدم تعلقها بموضوعنا ، تاريخ طرابلس ، نقول ان المندوب الفرنسي الجديد ، المسيو دي جوفنيل منح المجلس النيابي اللبناني حق وضع دستور الى لبنان باعتباره بلداً مستقلاً ، فاجتمع المذكور وألف لجنة من اعضائه عملت بمساعدة مندوب فرنسا على وضع دستور للبلاد فجاء دستوراً مبتوراً باعتبار ان للدولة المنتدبة الحق بممارسة السلطة وبتعديل هذا الدستور متى شاءت وقد نص الدستور المشار اليه على ايجاد مجلسين للنواب وللشيوخ وبقي خير الدين بك عدره نائباً عن طرابلس كما تعين الشيخ محمد الجسر ، شيخاً ، عنها

واجتمع المجلسان كل على جدة ، لكن السلطة المنتدبة رأت فيما بعد ان الضرورة تقضي بالغاء مجلس الشيوخ ، فجرى تعديل الدستور والغي مجلس الشيوخ وجرى ضم اعضائه لمجلس النواب بعد توحيد المجلسين وا كمل المجلس مدته حتى عام ١٩٢٩ .

التشريع الثاني ١٩٢٩ ١٩٣٢ :

في عام ١٩٢٨ تغير المفوض السامي واستبدل بمفوض اخر هو المسيو هنري بونسو ، من موظفي وزارة الخارجية ، فجاء لبيروت والتزم الصمت ، وانتهت ولاية مجلس النواب وجرت الانتخابات وفـاز بتمثيل طرابلس رشاد بك اديب وبقي الشيخ محمد الجسر باعتبار ان الدستور اباح تعيين ثلث النواب فتعين الشيخ محمد الجسر عن طرابلس واجتمع المجلس وانتخب الشيخ محمد الجسر رئيساً له ثم انتهت مدة رئاسة الجمهورية ، فقرر النواب انتخاب الشيخ محمد الجسر ، فساء ذلك الدولة المنتدبة ، وازاء اصرار النواب على انتخاب الشيخ محمد الجسر ، اصدر المفوض السامي قراراً بحل المجلس والغاء الجمهورية وعين الرئيس السابق الاستاذ شارل دباس رئيساً موقتاً للجمهورية .

وقد انسحب الشيخ محمد الجسر من ميدان السياسة ، ولا ازال اذكر له عبارة قالها امامي في مقهى ضهور الشوير عقب حل المجلس النيـابي والغاء الجمهورية وتسلم الفرنسيين شؤون الحكم في لبنان، أمام عدد من رجال السياسة المصريين المصطافين في لبنـان ، وقد دار الحديث حول الانتداب والاستعمار والقضايا العربية وتدخل الدول في الشؤون العربية ، فالتفت الشيخ الجسر ، رحمه الله ، وقال خذوها قاعدة ، ان البرلمانتيسم في البلاد غير المستقلة هو عبارة عن ألعوبة في يد المستعمر .

وهكذا بقي لبنان بدون تمثيل نيـابي وتغير المفوض السامي الفرنسي واستبدل بمفوض آخر هو الكونت دي مارتيل ، جاء في خلال عام ١٩٣٥ ، وأخذ يدير البلاد بسياسة جديدة تهدف لعقد معاهدة مع لبنان على نمط معاهدة

انكلترا مع العراق وراح يفاوض الوطنيين ، ثم أعلن رجوع الحياة النيابية الى لبنان .

تشريع ١٩٣٦ – حتى الحرب العالمية الثانية :

استعدت طرابلس للانتخابات النيابية وترشح لتمثيل طرابلس كل من السيد شفيق كرامة والسيد راشد المقدم وفاز الاثنان بكرسي النيابة واجتمع المجلس وألف لجاناً لوضع مشروع معاهدة تربط لبنان مع فرنسا وسافر المفوض السامي الى باريس وصحبه وفد من سوريا وقامت المفاوضات وعقدت المعاهدة التي بينت حقوق الطرفين ودامت المفاوضات إن كان بين فرنسا وسوريا أو بين فرنسا ولبنان واحيل خلال ذلك الكونت دي مارتيل على المعاش واستبدل بمفوض آخر هو المسيو بيو وحين اعلنت الحرب ، حل المفوض السامي بما له من سلطة مجلس النواب والحكومة الدستورية واستلمت فرنسا الحكم .

وقد اشتد الصراع ثانية بين ممثل فرنسا ورئيس الجمهورية المعين من قبل الفرنسيين ، واستبدل المفوض السامي بمفوض عسكري هو الجنرال دنس واستسلمت فرنسا وتبع المفوض السامي حكومة فيشي ، ثم زحفت الجيوش الانكليزية على سوريا ولبنان بمعاونة فرنسا المحاربة تحت قيادة الجنرال دي غول ، واستسلمت البلاد وانسحب الجنرال دنس وجاء من طرف الجنرال دي غول الجنرال كاترو ، الذي أعلن استقلال سوريا ولبنان .

الحرب وارتفاع أسعار الحاجيات :

كما قلنا سابقاً ، في أوائل عام ١٩٣٩ خلقت فرنسا وظيفة جديدة في طرابلس هي منصب مدير بلديتي البلدة والاسكلة وعينت لهذه الوظيفة السيد انطون اده ، وقد دبت الحياة في البلديتين في خلال مديرية السيد اده بعد أن كانت الفوضى تعمها وأوجد موازنة مضبوطة لكل من البلديتين وتمكن من

قبض الأموال المجمدة لدى خزينة الدولة لبلديتي طرابلس .

كان مجموع واردات بلدية طرابلس لا يتعدى الـ ٣٥ ألف ليرة في السنة وكانت الرسوم تجبى على طريقة التلزيم وهكذا واردات بلدية الاسكلة التي كانت ما يقارب الـ ١٥ ألف ليرة .

نظم السيد اده أول موازنة لبلدية طرابلس بلغ مجموعها ٨٤ ألف ليرة ثم الغى التلزيم وأوجد ضريبة الدخولية على الواردات ، ثم اعلنت الحرب العالمية الثانية وأخذت الأسعار بالارتفاع فاختفى السكر من السوق كما اختفى قسم كبير من الحاجيات وأخذت أسعار الخبز ترتفع وكانت قرارات المفوض السامي بتحديد الأسعار حبراً على ورق لا قيمة لها ، فاهتم السيد اده كل الاهتمام وراح يتنقل بين طرابلس وحلب ، وابتاع كمية من القمح أخذ يطحنها ويوزعها على الأفران وحدد ثمن كيلو الخبز بـ ٧٫٥٠ غرش لبناني ثم أوجد مكتب الاعاشة البلدي وفرض على تجار السكر والارز كميات ابتاعها بأسعار مخفضة وأخذ يوزعها على الأهلين .

لكن السيد اده نقل لبيروت وعادت الفوضى بالرغم من أن الفرنسيين تولوا التوزيع وقد اشتدت الضائقة وفقد القمح من مكتب الإعاشة البلدي وكان لديه كمية من العدس طحنها ووزعها على الأفران التي عجنتها وباعت الأهلين خبزاً مصنوعاً من العدس وكانت تفوح منه الروائح الكريهة .

وقد هجم الأهلون على العربات التي كانت تنقل الأغلال وتداخلت الشرطة ثم سلمت السلطة الفرنسية كمية من القمح لمكتب الأعاشة البلدي لطحنها وتوزيعها على الأفران .

اخيراً دخل الجيش الانكليزي ، واستلم الاعاشة ، وأحدثت الحكومة اللبنانية وزارة للتموين ، وأوجد الانكليز مكتباً دعوه بمكتب الميرة وأحصوا الأهالي وجرى توزيع بطاقات اعاشة على كل وتخصيص كمية ٩ كيلوات من القمح لكل شخص من السكان . وهكذا تنظمت الإعاشة وبقي هذا التنظيم حتى نهاية الحرب .

الباب الحادي عشر

طرابلس في عهد الاستقلال

تشرين ١٩٤٣ – ١٩٤٧

بقيت البلاد بدون تمثيل نيابي خلال السنتين الأوليتين من الحرب العالمية الثانية وفي أواسط عـــام ١٩٤٣ تقرر اجراء انتخابات لمجلس النواب وعمت الخلافات حول التمثيل الطائفي ثم لمداخلة الانكليز والفرنسيين وفرض كل منهما مرشحيه ، واخيراً بعد اجتماعات عدة ، عقد الميثاق الوطني بين طوائف لبنان وتقرر أن يكون التمثيل بنسبة ٤ الى خمسة ، اربعة من المسلمين وخمسة من المسيحيين ، وهكذا تقرر ان يكون عدد النواب من المسلمين ٢٥ وعدد النواب من المسيحيين ٣٠ وبقيت هذه القاعدة متبعة حتى اليوم .

كان نصيب طرابلس مقعدين وانتخب بالاجماع المرحوم الرئيس عبد الحميد كرامة والرئيس سعدي المنـــلا ، واجتمع المجلس وانتخب الرئيس بشارة الخوري رئيساً للجمهورية فكان أول رئيس في عهد الاستقلال .

ألف الرئيس رياض الصلح أول وزارة دستورية في عهد الاستقلال وراح ينقح دستور البلاد من المواد التي تخالف الاستقلال وتجعل من فرنسا وصية على لبنان . كان المسيو هلو يشغل وظيفـــة المفوض السامي الفرنسي ، فاشتد الخلاف بينه وبين حكومة الرئيس الصلح بعـــد ان قرر مجلس النواب تغيير شكل العلم اللبناني والغاء المواد التي تبيح لفرنسا التصرف بأمور لبنان وفي ليل ١٢ تشرين الثاني من عام ١٩٤٣ ،ارسل المسيو هلوعدداًمن الجنودالسنغاليين، القوا القبض في بيروت على رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري وعلى رئيس

الوزارة رياض بك الصلح وعلى وزير الخارجية سليم تقلا وعلى وزير الداخلية الرئيس كميل شمعون ، وفي طرابلس على الرئيس عبد الحميد كرامي وأودعوا الجميع في قلعة راشيا . هبت البلاد عن بكرة ابيها للدفاع عن كيانها وأعلنت حكومة موقتة في قرية بشامون ، وتداخل الانكليز في القضية واخيراً في ٢٢ تشرين أفرج عن المعتقلين ، ومن ذلك الحين اعتبر ٢٢ تشرين الثاني العيدالوطني في لبنان ونالت البلاد امانيها وعم السرور في طرابلس وحدثت المظاهرات.

وفي خلال العشرة ايام التي مرت قاست طرابلس الكثير من توحش الجنود الفرنسيين فقد صادف ان الاطفال في طرابلس قاموا بمظاهرة في شارع التل بالقرب منمفرق الجميزات فجاءت دبابة فرنسية من شارع كنيسة مار مارون وأخذ الجندي الفرنسي قائدها يطلق النار على الاطفال المتظاهرين ثم داس بدبابته عليهم وحين ارتبك قائد الدبابة السنغالي امام المتظاهرين من الاطفال، مـــا كان من قائد الدبابة إلا ان امره ان يدوس على الاطفال ، وكنت من الذين شاهدوا هذا المنظر وسالت دماء الاطفال الابرياء على الارض ، وهكذا ابن الثورة الفرنسية وابن الحرية لم يتوان عن قتل الاطفال الابرياء بينما ابن افريقيا السوداء منعته اخلاقه من القيام بهذا العمل البربري .

واخيراً نالت البلاد امانيها وفي ٣١ كانون الاول من عام ١٩٤٦ جلا آخر جندي اجنبي عن لبنان .

تشريع ١٩٤٧ – ١٩٥١ :

انتهت مـــدة اول مجلس نيابي في عهد الاستقلال وتوالت الوزارات على لبنان فخلف الرئيس كرامة الرئيس الصلح ثم خلف الرئيس سامي الصلح الرئيس كرامة ثم عـــاد الرئيس رياض الصلح لرئاسة الوزارة واجريت الانتخابات لثاني تشريع ففاز عن طرابلس الاستاذ مايز المقدم والاستاذ عدنان الجسر ، ثم اعيد انتخاب الرئيس بشارة الخوري لرئاسة الجمهوريـــة

لكنه استقال فيما بعد وخلفه الرئيس كميل شمعون .

تشريع ١٩٥١ – ١٩٥٥ :

حدثت الانتخابات بكل هدوء وفاز عن طرابلس كل من الرئيس رشيد كرامي والدكتور هاشم الحسيني والسيد فؤاد البرط ولم يحدث خلال هـــذا التشريع شيء يستحق الذكر .

تشريع ١٩٥٥ – ١٩٥٩ :

حدثت الانتخابات ايضاً بكل هدوء وفاز عن طرابلس بالاجماع كل من الرئيس رشيد كرامي والدكتور هاشم الحسيني وسماحة الاستاذ الشيخ نديم الجسر والسيد فؤاد البرط .

وفي سنة ١٩٥٨ حدثت خلافات سياسية على أثرها اغتيل السيد نسيب المتني صاحب جريدة تلغراف وقام اضراب عام في البلاد وأغلقت طرابلس اسواقها من اواسط ايار حتى اواخر ايلول وفي خلال هذا الاضراب جرى انتخاب الجنرال فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية بعد انتهاء رئاسة الرئيس كميل شمعون ، وبعد ايلول عاد الهدوء لطرابلس واستأنف الناس اعمالهم .

تشريع ١٩٥٩ – ١٩٦٤

حدثت الانتخابات ايضاً بكل هدوء وفاز عن طرابلس الرئيس رشيد كرامي والدكتور هاشم الحسيني والسيد فؤاد البرط والسيد محمد بك حمزه والسيد امين الحافظ ولم يحدث في خلال هذا التشريع شيء يستحق الذكر في طرابلس .

تشريع ١٩٦٤ - ١٩٦٨ :

مثل طرابلس في هذا التشريع كل من الرئيس كرامي والدكتور هاشم الحسيني والسيد امين الحافظ والاستاذ سالم كباره والسيد فؤاد البرط .

تشريع ١٩٦٨ - ١٩٧٢ :

هو التشريع الحالي ويمثل طرابلس كل من الرئيس رشيد كرامي والدكتور هاشم الحسيني والاستاذ سالم كباره والسيد امين الحافظ والسيد فؤاد البرط .

الباب الثاني عشر

طرابلس من اواخر العهد العثماني الى اليوم

الحكام والبلديات والهيئة الاجتماعية :

بعد اعلان الدستور حدثت مشادة بين مدير شرطة الاستانة عزمي بك وأحد قناصل الدول فاضطرت وزارة الداخلية الى نقل مدير الشرطة من مكانه ونقله متصرفاً على مدينة طرابلس .

كان عزمي بك ، موضوع البحث في عنفوان شبابه ، من رجال الدولة المخلصين حقيقة يتفانى في خدمة الدولة ويسعى لتخليصها مما هي فيه ، لذلك حين جـــاء متصرفاً على طرابلس تحسن الأمن بالنظر لما كان عليه من حزم وادارة . سكن في الاسكلة وابتاع عربة لنقله يومياً من داره الى السراي فكانت عربته لما تمر في شوارع الاسكلة يسرع السكان للوقوف ليلقوا التحية على المتصرف الذي كان يجيبهم عليها بابتسام . كان عزمي بك على ما وصفوه لي ، مربوع القامة نحيفها يطلق لحيته السوداء على الطريقة الفرنسية .

لكن مـــا لبثت وزارة الداخلية ان نقلته والياً على بيروت مكان بكر سامي بـــك واليهـــا وفيما يلي نأتي على اسماء متصرفي طرابلس من بعد الدستور الى الانتداب الى الاستقلال :

المتصرفون

عزمي بك سنة ١٩٠٨ م .

حسين راغب بك سنة ١٩١٠ م .
رشيد بك طليع سنة ١٩١٢ م وبقي على المتصرفية حتى جلاء الاتراك عن لبنان وتولى الرئيس عبد الحميد كرامي حاكمية طرابلس لمدة وجيزة في عهد الحكومة الفيصلية .
الرئيس عبد الحميد كرامي سنة ١٩١٨ م .
حسين بك الاحدب سنة ١٩٢٠ م .
عبد الحليم بك الحجار سنة ١٩٢١ م .
خالد اسماعيل سنة ١٩٢٦ م .
الشيخ كسروان الخازن سنة ١٩٣٠ م وفي عهده جرى تلزيم جر مياه الشفة من رشعين لطرابلس .
جرايل الاسود سنة ١٩٣٥ م .
اسعد عقل سنة ١٩٣٦ م .
احمد البرجاوي سنة ١٩٣٧ م .
جبرايل الاسود سنة ١٩٤٠ م .
كميل شدياق سنة ١٩٤١ م .
نعيم العياش سنة ١٩٤٣ م .
نور الدين الرفاعي سنة ١٩٤٩ م .
نعيم العياش سنة ١٩٥٢ م .
محمد اليافي سنة ١٩٥٦ م .
منير تقي الدين سنة ١٩٦٠ م .
حليم ابو عز الدين سنة ١٩٦٢ م .
بشير الأعور سنة ١٩٦٥ م .

رؤساء البلديات

انشأت البلدية في طرابلس بعد سنة ١٨٧٧ م حين أعلن السلطان عبد

الحميد الدستور لأول مرة وقد توالى على رئاسة البلدية عدد من وجهاء طرابلس آخرهم في العهد العثماني هو فؤاد الذوق وفيما يلي اسماء رؤساء البلدية من نهاية العهد العثماني حتى الاستقلال وبعده :

فؤاد الذوق بقي حتى سنة ١٩٢٠ م .
خير الدين عدره سنة ١٩٢١ م .
هاشم الذوق سنة ١٩٢٨ م .
مصطفى عز الدين سنة ١٩٢٩ م .
هاشم سلطان سنة ١٩٣٠ م الغيت رئاسة البلدية وتعين هاشم سلطان قائمقاماً على طرابلس ورئيساً للبلدية .

عثمان سلطان سنة ١٩٣١ م .

فؤاد الذوق
عبد الفتاح الحداد عين كل منهما نائباً للرئيس وانيطت رئاسة البلدية بالمحافظ سنة ١٩٣٢ .

فوزي رمضان سنة ١٩٣٥ م عين قائمقاماً على طرابلس ورئيساً للبلدة.
انطون اده سنة ١٩٣٩ م عين مديراً على بلديتي طرابلس والغيت رئاسة البلدية .

كنعان ادهم سنة ١٩٤١ م عين مديراً على بلديتي طرابلس .
كميل شدياق سنة ١٩٤١ م اعيد منصب الرئاسة للمحافظ .
محمد كرامي سنة ١٩٤٤ م عين مديراً على بلديتي طرابلس .
مصطفى كرامي سنة ١٩٤٤ م عين مديراً على بلديتي طرابلس بعد وفاة شقيقه .
منير المامون سنة ١٩٤٧ م تعين مديراً على بلديتي طرابلس .
نور الدين الرفاعي سنة ١٩٥١ م اعيدت رئاسة البلدية للمحافظ .
مصطفى كرامي سنة ١٩٥٣ م تعين مديراً على البلدية في طرابلس .
عادل الحامدي سنة ١٩٥٥ م عين مديراً على بلدية طرابلس .

راشد سلطان سنة ١٩٥٧ م عين رئيساً على البلدية .

محيي الدين عدره سنة ١٩٥٨ م عين مديراً على البلدية .

اكرم عويضة سنة ١٩٥٩ م الغيت المديرية وتعين رئيساً على البلدية .

محمد المسقاوي سنة ١٩٦٣ م عين رئيساً على البلدية .

عبد الحميد عويضة سنة ١٩٦٤ م انتخب رئيساً للبلدية بموجب النظام الجديد.

كما سبق وعرضنا في فصل سابق ، بقيت موازنة بلدية طرابلس لا تتجاوز الـ ٣٥٠٠٠ ليرة لبنانيــة وهو المبلغ الذي كان بالكاد يكفي للتنويرات والتنظيفات ودفع الرواتب للموظفين الذين كانوا لا يتجاوزون العشرين موظفاً بما فيهم الحلاوزة .

وفي سنة ١٩٣٩ عينت الحكومة اللبنانية الاستاذ انطون اده مديراً على بلديتي طرابلس ، فجاء واحدث ثورة في موازنة البلدية بما وضعه من الرسوم ونظــام أول موازنة بلغت نحو ٨٤٠٠٠ ليرة لبنانية ثم اخذت تتزايد شيئاً فشيئاً وهي اليوم تربو على السبعة ملايين ليرة لبنانيــة ، وأصبــح لدى البلدية مئات الموظفين الاكفاء من مهندسين واداريين وعلى رأس الاداريين السيد عشير الداية الذي مضى عليه نحو ثلاثين سنة ونيف وهو يدير ادارة بلدية طرابلس بكل نشاط واخلاص في العمل وتفان على خدمة البلدة ممـا استحق معه تقدير الرؤساء فمنحته الحكومة وساماً تقديرياً لجهوده .

وهناك ايضاً المهندس السيد اشرف كباره الذي رافق كل الاصلاحات التي جرت في البلدة وكان على رأسها بحسن درايتــه وهمته فرافق تطور البلدة خلال ثلاثين سنة ونيف ايضاً وفي خلال ترأسه لدائرة الهندسة جرى انشاء شبكة المجارير في كافة انحاء البلدة فراقبها بكل حمية واخلاص كما جرى ايضاً في عهده شق كافة الشوارع الحالية ووضع تصميمها على الشكل الحالي .

بلدية الاسكلة

حين انشئت البلدية في طرابلس كانت تضم البلدة والاسكلة لكن بسبب خلاف على فوانيس الانارة سافر الحاج عثمان علم الدين الى دمشق مركز الولاية واستحصل على أمر من والي دمشق التي كانت طرابلس تابعة له بانشاء بلدية في الاسكلة وتنصيب الحاج ابراهيم علم الدين رئيساً للبلدية .

قام الحاج ابراهيم علم الدين بعدة اصلاحات فرصف شوارع الاسكلة ثم بنى الجامع الحميدي وبنى الجامع الكبير على اثر جامع ابي بكر ولكن يا ليته ابقى هـــذا الجامع على حاله ورممه ترميماً إذ أنه باعادة بنائه اضاع اثراً من آثار الاسكلة القديمة .

تناوبت رئاسة البلدية بين الحاج ابراهيم علم الدين وبين محيي الدين كباره ومحيي الدين اليافي وغيرهم من آل علم الدين ثم انيطت بطبيب الكرنتينا واخيراً بعد جلاء الاتراك انيطت بنور علم الدين وفيما يلي جدولاً بأسماء رؤساء البلديـــات .

نور علم الدين	سنة ١٩٢٠ م .
مصطفى غازي	سنة ١٩٢٦ م .
عبد الستار علم الدين	سنة ١٩٣٣ م .
خير الدين عبد الوهاب	سنة ١٩٣٤ م .
المحافظ	سنة ١٩٤٤ م .
سعدي غازي	سنة ١٩٤٨ م .
حبيب عبد الوهاب	سنة ١٩٥٦ م .
سعيد البايقلي	سنة ١٩٥٨ م .
احمد كباره	سنة ١٩٦٤ م .

اهم ما اجري من اصلاحات في عهد الاستقلال هو شق شارع بور سعيد

الذي يشطر الاسكلة الى شطرين وتقويم طريق البلدة ورصف شوارع الاسكلة وإنارتها بالفلوريسانت .

النقابات في طرابلس

في طرابلس نقابات متعددة لسائر الحرف منها نقابة المحامين ونقابة الاطباء ونقابة الصيادلة ونقابة المهندسين ونقابة موظفي شركة نفط العراق ونقابة النجارين والحلاقين وعمال الحدادة وغيرهم وفيما يلي نتكلم عن اشهر النقابات :

نقابة المحامين

اول نقابة عرفت في طرابلس تأسست سنة ١٩٢٢ وقام بتأسيسها المحامي الاستاذ غلاييني والمحامي الاستاذ طرابلسي وهما من سكان الديار الفانية ، وقد ازداد نشاط النقابة بازدياد عدد المحامين في طرابلس والشمال .

تعد النقابة الآن (٢٢٠) محامياً وللنقابة صندوق للتقاعد لمساعدة المحامين المتقاعدين الذين بلغوا السن القانونية وفي صندوق النقابة ما يقارب النصف مليون ليرة النقيب الحالي الاستاذ عدنان الجسر وهو من المحامين المتضلعين في الحقوق وله شهرة عالمية في لبنان ولدى كافة المحاكم بأنه من كبار المشرعين .

نقابة الاطباء

ابتدأت نقابة الاطباء بجمعية للاطباء اسسها الدكتور اسكندر غريب والدكتور وهيب نيني والدكتور غنطوس والدكتور نخلة شماس .

ثم انتقلت هذه الجمعية الى نقابة في عام ١٩٤٧ وكان قوامها كل من الدكاترة نيني وغنطوس وشماس وغريب وذودة . أول نقيب للنقابة كان

الدكتور غنطوس ثم تتالى النقبـــاء والنقيب الحالي هو الدكتور النطامي السيد ذوده .

نشاط النقابة محصور بمساعدة الاطباء المتقاعدين ولدى النقابة صندوق للتقاعد يغذى من طابــع بخمسة غروش يضعه الطبيب على كل وصفة. عدد الاطباء في النقابة نحو ١٧٥ طبيباً .

نقابة المهندسين

اسس النقابـــة المهندس اشرف كباره سنة ١٩٥٢ وسعى السعي الحثيث للحصول على التفويض بانشائها وضم اليها كافة المهندسين في الشمال وتولى منصب النقيب عـــدة سنوات وتضم النقابة نحو ٣٥٠ مهندساً ولدى النقابة صندوق للتقاعد يحتوي على نحو نصف مليون ليرة ومخصص لمساعدة المهندسين الذين يبلغون السن القانونية . النقيب الحالي المهندس صلاح خياط .

نقابة الصيادلة

نقابة الصيادلة حديثة العهد وتتضمن كافة الصيادلة المسجلين في طرابلس ونشاطها محدود ويقتصر على مساعدة الصيادلة المسجلين حين يبلغون السن القانونية .

القضاء في طرابلس

كما سبق وعرضنا في فصل سابق ، انه كان منوطـــاً خلال العهد العربي وقسم من العهد العثماني بالقضاة الشرعيين ، امر الفصل في جميع الخلافات ، من حقوقية وجزائية ، ثم في خـــلال العهد العثماني الاخير جرى تنظيم المحاكم النظامية التي انيط بهـــا امر الفصل في القضايا الحقوقية والقضايا الجزائية واستبقت المحاكم الشرعية الفصل في قضايا الزواج والارث وما شابه .

واكثر الذين تولوا منصب القضاء في طرابلس كانوا من الاتراك عدا عدد قليل من القضاة من العرب وفي آخر العهد العثماني صدر قانون اصبح بموجبه أمر تعيين القضاة يصدر عن الاستانــة ، العاصمة العثمانية ولمدة سنتين فقط . فكان القاضي الشرعي يضطر بعد انتهــاء مدة السنتين الى الذهاب مجدداً الى الاستانة للحصول على منصب جديد .

وقد رأينا أنه من التطويل على القارىء ذكر اسماء من تولوا القضاء خلال العهود السابقة ، وأنه من المستحسن أن نذكر فقط اسماء القضاة في طرابلس في عهدي الانتداب والاستقلال مع الاضافة أن آخر قاض في العهد العثماني كان من الاتراك وقد انسحب من طرابلس مع من انسحب من الموظفين الاتراك حين احتل الحلفاء طرابلس .

وفيما يلي الجدول باسماء قضاة طرابلس في عهدي الانتداب والاستقلال مع سنة توليتهم :

القاضي السيخ امين عز الدين	تعين سنة ١٩٢٠ .
القاضي الشيخ نديم الجسر	تعين سنة ١٩٣٦ .
القاضي الشيخ منير المقدم	تعين سنة ١٩٤٧ .
القاضي الشيخ مصطفى الرافعي	تعين سنة ١٩٥٤ .
القاضي الشيخ رشاد الخطيب	تعين سنة ١٩٥٥ .
القاضي الشيخ عبد اللطيف زيادة	تعين سنة ١٩٦١ .

المفاتي في طرابلس

منصب الافتاء من المناصب التي احدثها الحكم العثماني وقد انيطت بالمفتي أمور الافتاء فيما اذا كانت القضايا موافقة للشرع الشريف وبقي منصب الافتاء يتولاه الطرابلسيون في مختلف عائلات الزيني والمقدم وكرامي وآخر مفتي في العهد

العثماني هو الرئيس عبد الحميد كرامي الذي استقال ورفض ان يتعاون مع الدولة المنتدبة .

وقـــد عينت الدولة المنتدبة لوظيفة مفتي في طرابلس الشيخ رشيد الميقاتي الذي بقي في هذا المنصب حتى وفاته . وقد سنت الدولة اللبنانية قانونـــاً لوظيفة المفتي جعلتها انتخابية ويقوم بالانتخاب اعضاء المجالس البلدية من المسلمين واعضاء غرفـــة التجارة من المسلمين ايضاً ثم جميع الايمة والخطباء الرسميين في مختلف مساجد البلدة ويعينه للوظيفة اكبر موظف مسلم في الدولة .

وفيما يلي اسماء الذين تولوا منصب الافتاء في طرابلس خـــلال عهدي الانتداب والاستقلال :

المفتي الشيخ رشيد الميقاتي	تعين سنة ١٩٢٠ .
الشيخ عبد الكريم عويضة	بعد وفاة الشيخ رشيد الميقاتي تعين مفتياً بالوكالة سنة ١٩٥٣ .
المفتي الشيخ كاظم الميقاتي	انتخب مفتياً سنة ١٩٥٥ .
المفتي الحالي الشيخ نديم الجسر	انتخب مفتياً سنة ١٩٦١ وما يزال امد الله في عمره .

لغة الدواوين في طرابلس

العهد العربي

كانت العربية لغة الدواوين في خلال العهد العربي كله من الأموي الى العباسي الى الطولوني الى الفاطمي ومن بعده العهد المملوكي . ولم تتغير هذه اللغة إلا في خلال العهد الصليبي فقد اتخذ الصليبيون لغتهم لتسجيل معاملاتهم القضائية والحكومية .

ومن المؤسف ان سائر مستندات العهد العربي قد فقدت في خلال الحروب الصليبية ، فقد اتلف الصليبيون كل ما كان هناك من وثائق رسمية كما اتلفوا مكتبة طرابلس التي تحدثنا عنها فيما مر وكان الحاكم الصليبي مرجعاً للخلافات، وقد اضطر الصليبيون لتعلم بعض العربية للتفاهم مع من بقي من العرب في طرابلس كما ألم السكان الاصليون ببعض اللغات الاجنبية للتفاهم مع الصليبيين .

وحين استولى الملك المنصور قلاوون على طرابلس هدمها حجراً على حجر كما فصلنا سابقاً وبالتالي اتلف جميع المستندات الصليبية ، كما سبق للصليبيين ان قاموا به ولم يبق من آثار العهد البائد إلا بعض النقوش النادرة .

العهد التركي

وفي أوائل القرن السادس عشر الميلادي استولى السلطان سليم على الاقطار العربية ، لكنه بقيت المستندات الرسميه تسجل بالعربية وبقي القاضي هو المرجع الرسمي لحل المشاكل والمنازعات بين الاهلين وبالتالي بقيت المحاكم تسجل عقودها بالعربية وهكذا نرى ما بقي من حجج الوقف ومستنداتها في سجلات المحاكم الشرعية مسجلاً بالعربية .

لكن التركية اخذت تزاحم العربية في الفرمانات الصادرة في الاستانة فكانت هذه الفرمانات تأتي من العاصمة محررة بالتركية وكانت ثمة معضلة قصوى بالنظر لعدم وجود من يعرف التركية . كانت الفرمانات تجري قراءتها على الجمهور من على منبر الجامع الكبير المنصوري وكثيراً ما كان يضطر الطرابلسيون الى الاستعانة بأحد اخوانهم من المسيحيين لقراءة هذه الفرمانات إذ أن عارفي اللغة التركية كان محصوراً بالمسيحيين كما كانت محصورة بهم علوم الحسابات وتسجيل الضرائب .

وقد انقضى اكثر من ثلاثة قرون على طرابلس والذين يحسنون التركية

قلة حتى جـــاء العهد الحميدي حين تنبه الطرابلسيون الى وجوب تعلم اللغة التركية ومن الامثلة على ندرة عارفي اللغة التركية انه لم يكن في الاسكلة خـــلال القرن الماضي من يحسن التركية إلا عبد الرزاق الزين وقد تعلمها في الجندية حين خدم العلم في الحرب الروسية – العثمانية .

وحين جاء مدحت باشا والياً على سوريا وزار طرابلس تنبه لهذا الأمر فأنشأ في الاسكلة وفي البلدة مدرستين لتعلم التركية وأخذ يشجع الوجهاء على ارسال أولادهم الى الاستانة للالتحاق بمدارسها وخصوصاً المدرسة العسكرية التي انشئت لتخريج الضباط .

وهكذا أخـــذ الطرابلسيون شيئاً فشيئاً يشعرون بضرورة تعلم التركية والتحق الكثيرون بمدارس الاستانة ونالوا شهاداتها ان كان في الطب أو الصيدلة أو الهندسة أو الحقوق وكان اكثر الطلاب يرغبون في الالتحـــاق بمكتب الملكية التي يعين من خريجيها الولاة والمتصرفون وغيرهم من السلك الاداري .

لكن المسيحيين لم يلتحقوا بمدارس الاستانة بل رغبوا المدارس الاجنبية وهكذا انقلب الوضع فأصبـح عارفو اللغة التركية مـــن المسلمين وعارفو اللغات الاجنبية وعلى الاخص الفرنسية من المسيحيين .

وحين صدر الدستور العثماني على عهد السلطان عبد الحميد في سنة ١٨٧٧ انبرى نوفل نعمة نوفل لنقله بمجموعه الى العربية والناظر إلى هذه الترجمة التي يحتويها مجلدان ضخمان طبعا بالحرف الدقيق وتضمنا سائر ما سنته الدولة مـــن قوانين وانظمة يرى ما عاناه المترجم من صعوبات في الترجمة وايجاد الالفاظ الخاصة لها .

وقبيل الحرب العالمية الاولى زاد عدد عارفي اللغة التركية من الشباب الطرابلسي بانتسابهم لمدارس الاستانة أو للمدارس الرسمية في طرابلس لكن

بالرغم من ذلك لم تصدر صحف في اللغة التركية لا في لبنان ولا في سوريا ولم يضع احد كتاباً في اللغة التركية وقد اتقن اللغتين التركية والفارسية اتقاناً تاماً محمود عثمان الحداد في البلدة وعبد الرزاق مراد في الاسكلة وعينتهما الحكومة العثمانية استاذين في المدارس الرسمية لكنهما لم يضعا كتباً لتعلم اللغة التركية بل اكتفى كل واحد منهما بأن يدرس اللغة بالمؤلفات التي وضعها الاتراك .

ومن الطرابلسيين الذين حصلوا على مراكز مرموقة في الحكومة العثمانية حسين المعصراني ، فقد تعلم في مدارس الاستانة ثم تعين قائمقاماً في مختلف المدن العثمانية وحين اتى الانتداب ثبته في مركزه . وسعدالله المنلا مثل طرابلس في مجلس النواب في الاستانة وكان يحسن التركية كأحد ابنائها . وهناك عدد من الأطباء والصيادلة تعلموا في الاستانة أتينا على ترجمتهم في قسم علماء طرابلس ومن الذين حصلوا العلوم في الاستانة — أمد الله في عمره — الصيدلي احسان الرواس ، فقد درس الصيدلة في جامعة الاستانة كما اتقن التركية اتقاناً لا نظير له .

وبصورة عامة لا يمكننا أن نقول عن العهد العثماني الذي دام اربعة قرون إلا أنه كان عصر ركود في سائر أنواع العلوم والفنون وان النهضة العلمية بدأت في اواخر القرن الماضي على يد مختلف البعثات الاجنبية الدينية من فرير وفرنسيسكان وروس وبروتستانت اميركان ، ولم تعرف طرابلس مدرسة وطنية إلا مدرسة الشيخ حسين الجسر والمدرسة التي اسسها البطريرك غرغوريوس في قرية كفتين . ومدارس الدولة الرسمية تأسست بعد مجيء مدحت باشا والياً على سوريا . أما تعليم المرأة فكان معدوماً والاميركان هم أول من أنشأ مدرسة في طرابلس لتعليم الفتيات . والمرأة المسلمة بقيت أمية خلال القرون السالفة واقتصر تعليمها على حفظ بعض الصور القصيرة من كتاب الله لكي تتمكن من أداء فروض الصلاة ، وكان من النادر ، بل من النادر

جداً أن ترى امرأة تحسن الكتابة . وتعليم المرأة كان يجري على بعض النساء ممن يحسن قراءة القرآن ويطلق عليهن اسم « الخوجايات » وقد اشتهرت في الاسكلة صفية خانم وكانت لا تحسن غير القراءة في القرآن .

وفي البـــدء اشتهر الشيخ محمد الميقاتي ، كصاحب كتاب ، وهو الشاعر المشهور ، صاحب ديوان « حسن الصياغة » وقد اتينا على ترجمة حياته في باب علماء طرابلس .

الطب

الطب في طرابلس قبل الجامعة الاميركية كان موقوفاً على بعض الاطباء الذين اتقنوا علم الأبدان على تذكرة داود الانطاكي وقانون ابن سينا ويرثون المهنة أباً عن جد ومن اشهر الاطباء في ذلك الحين الحاج درويش في الاسكلة والحكيم لطفي في البلدة . كانت الادويـــة عبارة عن الحشائش كالسنمكة والتمر الهندي والسياروبا وحين جاءت الكينـــا صاروا يصفونها للحميات ويطلقون عليها اسم « الشلفاطة » .

اما الصيادلة فكانوا العطارين وفي اكثر الأوقات كان الاطباء هم يركبون الدواء ، وحين جاء مصطفى الميقاتي المعروف بمصطفى افندي الحكيم يحمل دبلومامنالقصرالعيني في القاهرة أوكل لابنته أمر تركيب الدواء الذي كان يصفه على « الروشتا » .

واطباء الأسنان كانوا الحلاقين وكان لدى كل منهم «كلابة» لقلع الاضراس ولم يكن للاسنان الاصطناعية « الوجبة » من وجود .

المرأة

كانت المرأة المتقدمة بالسن تخضب شعرها بالحناء والصبغة السوداء المركبة من العفص والزيبق . والتبرج لدى السيدات كان قوامه الماشطة التي كانت

تقوم بصبغ اصابع العروس بالحناء والنقش وذلك بغلي الحناء على النار ثم غمس دبوس بالمغلي وكوي اصابع المسكينة نقطاً عليها .

وكان للداية مركزاً هاماً ، فهي التي تغسل السيدات في الحمام العمومي وهي رائـــدة السيدات في الافراح فكل سيدة كانت تصطحب الداية لكي توصلها للحفلات التي كانت تقام في شتى المناسبات . والحمام كان في الصباح للرجال وبعد الظهر للسيدات ويرفع صاحب الحمام العلم العثماني على باب الحمام علامة على انه للسيدات .

والوجيه كان يأخذ المفتاح من الحمامي بعد العشاء حيث يغتسل هو وعائلته وبعد الانتهاء يحمل الخادم الفانوس لينير الطريق امام العائلة أثناء رجوعها للمنزل إذا لم يكن يوجد انارة عامة في الشوارع .

وفي خلال فصل الربيع كان الأهلون يقضون دائماً يوم الجمعة في المتنزهات أو ما يعبرون عنه بالسيارين ، فالرجال يجتمعون مع بعضهم ويذهبون امـا للجنائن واما لبرج رأس النهر أو للبحصاص أو ابين الابراج في الاسكلة ويأخذون معهم الخراف والاثمار وأطباق الكنافة يجري ذبح الخرفان وشي اللحوم على النار وتهيئة الكنافة كما كانوا يصطحبون معهم عدداً من المغنين يحملون آلات الطرب . وتبقى هــذه السيارين الى ساعة متأخرة من المساء وعند الانتهاء يحمل الخدم الفوانيس للانارة لكن اكثر المحتفلين كان يأتي على دابته .

واشهر هذه السيارين التي كانت تقام بمناسبة قرب حلول شهر رمضان وتدعى بسيارين رمضان وقد وصف النابلسي هذه السيارين في طرابلس حين زارها فأتى على وصف دقيق لها نثراً وشعراً .

أما النساء فكن يقمن باحياء سيارين مماثلة ولكن مع بعضهن وفي داخل جنائن الليمون ويصطحبن المأكل المهيأ واللحوم والكنافة عدا عن المغنيات

اللاتي يحملن آلات الطرب وتبقى هذه السيارين حتى قبيل المغرب وحين يحين موعد الرجوع كان يحيط بهن الخدم للمحافظة عليهن .

وفي خلال فصل الشتاء كان الشباب من الطرابلسيين يقضون السهرة كل يوم بمكان يطلقون على هذه السهرات اسم الدورية بمعنى انها كانت يوم «ملانة» تقدم في خلالها انواع الكنافة وغيرها من المأكل ويوم « فاضية » يقتصر فيها على تقديم القهوة والنارجيلة .

ومن اشهر باعة الحلوى في طرابلس كان السيد مصطفى الملقب « بجرادة » كان له دكان في سوق العطارين لكنه كان يدعي الادب ونظم الشعر ومعرفة أبواب اللغة وقد نظم بعض الادباء بحقه هذين البيتين نذكرهما على سبيل الفكاهة كما نذكر شيئاً من شعره الطريف .

الله الله يا جراده اقرع لابس لباده
حاجي تقلي بالمقلى شبعت الناس براده

فكان المغنون يترنمون بها امامه ولا يتمكن من الجواب لأن اكثر الحاضرين من زبائنه ويخاف ان يبتاعوا الحلوى من عند غيره .

ومن شعره في وصف الفوانيس التي كانوا يضعونها فوق اشجار الجميز لمنع الوطاويط من اتلاف الاثمار قال :

وضعوا الفوانيس وسط الجماميز ليمنعوا عنها اكل الوطاويط
ولما استوى وانتهى واصبح مثل الرطيط
اكلوه اكلاً حطائيطاً حطائيط

ولما سأله بعضهم عن معنى الحطائيط اجاب « اكل الجميز طاب فطاب وليس زلع بلع ».

ومن شعره من قصيدة :

قدل اضاء فوق الليلكي متشبثاً بأكل قرص مشبك

فسأله بعضهم ايضاً ما معنى القدل فأجاب القدل نجم فيالسماء يردد: كا.. كا .. كا كا ..

اما بيع الخمور فقد كان مقتصراً على المسيحيين ولم يكن هناك من مسلم يجترىء على بيع العرق أو غيره وشرب الخمور كان بالسر يغتنم بعض الشباب من المسلمين الفرص النادرة لشرب العرق والذي يشتهر انه يشرب الخمر أو العرق كان ينبذ من عائلته ففي الاسكلة كان عبيد عبد الوهاب، من نحو مائتي سنة ، شغف شرب الخمر من تعاطيه مهنة البحر وسفره بالمراكب الهوائية التي كان يملكها النصارى ، نبذته عائلته حتى اضطر للسكن بمفرده .

وفي البلدة لم يكن هناك من يشرب الخمر فإذا أراد بعضهم شرب العرق اضطر الى الذهاب الى الاسكلة والعرق كان لا يباع في الاسكلة إلا في سوق الخراب الذي يسكنه المسيحيون. والبغاء كان موجوداً ولكن بصورة سرية جداً ولم تسمح الحكومةبالبغاء الرسمي إلا في سنة ١٩١٠ حين باشر الفرنسيون بمد الخط الحديدي بين طرابلس وحمص فسمحت باقامة محلات عمومية في الاسكلة وبمكان ناء عنها في محلة فوق الريح حيث لا يسكن احد من اهالي الاسكلة .

المجتمع والعائلات والالقاب

كان المجتمع الطرابلسي محافظاً كل المحافظة على الألقاب التي تمنحها الدولة فأكثر العائلات كانت حصلت اما على لقب البكوية أو على لقب الافندية وكانت الدولة تمنح الامين لقب الآغا كما تمنح بعض العائلات من اللبنانيين لقب « شيخ » وكان الافندية لا يسمحون مطلقاً بتلقيب احدهم بالافندي أو بالبك اذا لم يكن حائزاً على هذا اللقب بصورة رسمية وقد تساهلت العائلة العلوية في القاهرة فمنحت عدداً من الطرابلسيين لقب البك . وقد لعبت ايضاً قضية شراء الالقاب وتمكن عدد من الطرابلسيين على الحصول على لقب بك من الحكومة العثمانية .

وقد بلغ من تعصب الافندية انه اذا ذكر بعضهم كلمة قصاب اتبعها المتكلم بكلمة «اجلك الله» أو كلمة كندرجي اتبعها بكلمة «انت اجل قدر».

كان المجتمع الطرابلسي يرى في السلطان ظل الله في ارضه خصوصاً بعد جلاء المصريين عن طرابلس ، ذلك ان ابراهيم باشا على ما قلناه سابقاً اباح شرب الخمور كما اباح الفحش الرسمي تقريباً فكسب نقمة الطرابلسيين وقاوموا الحكم المصري بكل ما لديهم من قوى .

كان الكرم الطرابلسي لا حد له فلم يكن في السابق فنادق بالمعنى المعروف إلا الخانات المعدة لنزول الغريب إذا كان لا يعرف احداً من طرابلس أما الوجهاء من البلاد والمدن المجاورة فكانوا حين يأتون لطرابلس يقصدون دور الوجهاء من معارفهم من الطرابلسيين للنزول ضيوفاً عليهم ، وهكذا كان الطرابلسي حين يذهب لحماه أو لحمص أو لحلب ، كان ايضاً ينزل ضيفاً على معارفه من وجوه هذه المدن . كان كل وجيه من وجهاء طرابلس لديه غرفة خاصة بالضيوف مع منتفعاتها الصحية وسجادة للصلاة وعدد من القباقيب وحنفية ماء للوضوء. وقد حدثني والدي انه كان لدى جده محمد الزين وشقيقه ديب الزين قاعة خاصة للضيوف مع عدد من الفرش لا يقل عن الخمسين فرشة مهيأة للضيوف .

وكانت منتشرة عادة تدخين التبغ بالشبق وهو عبارة عن قصبة طويلة تصنع من خشب الورد برأسها مدورة من فخار لوضع التبغ . اما حديث المجتمعات فكان يدور اما على السلع التجارية أو على أصناف المأكول والمشروب وقلما كان يجري التعرض للامور السياسية .

وهكذا كان الطرابلسي يقضي ايامه ، وحين عزمت الحكومة العثمانية على اقامة محجر صحي في الجزر الكائنة امام الاسكلة احتج الطرابلسيون باعتبار ان المحجر انما يجلب الامراض لطرابلس وعارضوا في امر اقامته وهكذا اضطرت الحكومة العثمانية الى انشائه في بيروت .

طرابلس والعمران في خلال العهد المملوكي

بناء طرابلس الجديدة

بعد أن استولى الملك المنصور قلاوون على طرابلس الساحلية، امر بدك معالمها وبناء مدينة جديدة على بعد ميلين من المدينة القديمة . كان هدفه من ذلك توقي طرابلس الجديدة هجمات الصليبيين والقبارصة الذين كانوا يغيرون بمراكبهم على طرابلس الساحلية ، فبناء المدينة على بعد ميلين من البحر انما يوقيها من هذه الهجمات .

أول ما بنى من المدينة هو الجامع الكبير المنصوري أمر ببنائه على شكل الجامع الاموي بدمشق وجعل له اربعة ابواب تطل على اربعة احياء من احياء المدينة الجديدة . وقد اكمل بناءه من بعد وفاته ولده الذي خلفه واحاط بيت الصلاة من جوانبه الثلاث بعقود ونقش على كل باب كتابـــة تؤرخ سنة بنائه .

وقد اخذ العمران والبناء يحيط بالجامع شيئاً فشيئاً من مختلف جوانبه وامتد هذا العمران لسوق مستطيل يمتد من كل باب من ابوابه الاربعة فسوق حتى محلة باب الرمل وثان حتى سوق الصاغة وثالث لسوق العطارين ورابع لسوق بوابة الحدادين .

لم يرغب الملك المنصور ببناء سور حول المدينة الجديدة بل جعل لهـــا ابواباً متعددة فمن جهة الشرق كان باب الحديد وسوق الالبان والاجبان ومن الشرق الشمالي كان باب التبانة وسوق الاغلال ومن جهة الغرب كان باب بوابة الحدادين وسوق الحدادين ثم باب الرمل ويؤدي الى مقبرة باب الرمل واخيراً باب التل وداخله أول أسواق البلدة .

وقد اقيمت الاسواق الداخلية على نمط بقية المدن السورية متعرجة وضيقة

لاتقاء الغارات ، ليسهل الدفاع عن البلدة . كانت ابواب المدينة تغلق من غياب الشمس والقوافل التي ترد بعد هذا الوقت كانت تضطر للمبيت خارج البلدة حتى الصباح .

وقــد ازيلت جميع ابواب المدينة ولم يبق منها سوى معالم باب التبانة والعقد الكائن فوق هذا الباب ولعل دائرة الآثار تعمل على ترميمه واستبقائه كأثر قيم من آثار المدينة القديمة .

الاهلون

لم يكن ثمة من انارة في الشوارع خلال الليل واكثر الاهلون يقصدون منازلهم مع الغياب واذا رغب بعضهم في قضاء السهرة خارج منزله ، كان يصطحب مملوكه الزنجي يحمل امامه فانوساً مناراً بسراج على الزيت لاتقاء الحفر والوحول .

وكل حي كان يسكن فيه وجيه من الوجهاء وفي الطابق الارضي من البناء الذي يسكنه ، غرفة واسعة وضع حول جدرانها مساند على مقاعد خشبية وضعت عليها طراريح من القش للجلوس . وكان يطلق على هذه الغرف اسم المنزول وهو بصورة دائمة معد للاستقبال .

وقد تلاشت هذه المنازل شيئاً فشيئاً مع الزمن .

كان يصل بين طرفي البلدة على ما قلنا الجسر الصليبي ويطلق عليه اسم الجسر العتيق وقد اقامت الحكومة العثمانية حين احتل السلطان سليم جسراً ثانياً يصل طرفي البلدة اطلق عليه اسم الجسر الجديد أو جسر اللحامة لأن عدداً من بائعي اللحوم استقر على هذا الجسر إذ أن بناءه كان مغلقاً وعلى جانبيه مخازن للبيع والشراء ويغلب الظن على أن الاهلين هم الذين اقاموا هذا الجسر محتفظين بجانبيه مقابل نفقات بنائه .

وفي خلال القرن الماضي حين انشئت شركة الشوسيه بين حمص وطرابلس

استحصلت من الحكومة على اذن ببناء جسر آخر يصل حي التبانة بحي التل لكي تمر عربات الشوسيه ومقابل النفقات كانت تستوفي رسماً من أصحاب عربات النقل ومن قوافل الجمال فيما اذا مرت على هذا الجسر .

شوارع البلدة

بقيت شوارع البلدة على حالها القديمة بعضها مرصوف بالبلاط البحصاص وبعضها بدون رصف وتتراكم فيها الوحول ايام الشتاء حتى جاء خير الدين عدره رئيساً للبلدية في عام ١٩٢٢ م فقام برصف جميع شوارع البلدة اما بالحجر الاسود واما بالبلاط المنحوت وبقيت هذه الشوارع على حالها لم تتدركها يد الاصلاح بالنظر لعدم وجود المال لدى البلدية حتى جاء انطون اده مديراً على البلدية فسعى مع الحكومة وقبض ما للبلدية من بقايا الرسوم ثم الغى تلزيم الاقلام ووضع قانوناً جديداً للرسوم واحدث ضريبة الدخولية وهكذا تمكن من اجراء الاصلاحات في شوارع البلدة .

القروض

تمكنت البلدية في طرابلس في السنين الاخيرة من الحصول على ثلاثة قروض انفقتها في سبيل العمران فبأموال القرض الأول وقدره مليون ونصف مليون ليرة لبنانية شقت شارع قبوة الترمواي بعد الغائها ووسعت الشارع الذي يصل شارع التل بشارع الزهرية ثم وسعت الشارع الكائن أمام طلعة قهوة التل العليا من جهة الزهرية .

وبأموال القرض الثاني وقدره ثلاثة ملايين شقت الشارع الممتد من مقبرة باب الرمل حتى السراي العتيقة ثم هيأت وصل هذا الشارع من السراي العتيقة حتى مجرى نهر أبي علي واطلقت على القسم الاول شارع الراهبات وعلى القسم الثاني شارع الكنائس .

وبأموال القرض الثالث وقدره سبعة ملايين ونصف قامت بالاعمال التالية :

١ – اكمال شارع الكنائس حتى مجرى نهر ابي علي .

٢ – شق شارع الحدادين من مقهى موسى حتى أول مطلع الرفاعية .

٣ – شقت شارعاً جديداً من عمارة البحيري في ساحة الحسيني حتى شارع بوابة الحدادين بعرض ١٥ متراً .

٤ – شقت شارعاً يصل ساحة السراي القديمة مخترقاً سوق النحاسين ، أوصلته بمطل الرفاعية حتى قلعة ريموند بحيث اصبح بمقدور السائح الذي يأتي لطرابلس أن يزور القلعة في السيارة .

٥ – وسعت شارع التبانة بمدخل طرابلس وانشأت ارصفة على جانبي الطريــق .

٦ – اكملت شق شارعين من المستشفى الايطــالي على طريق البلدة حتى البلفار الذي انشأته وزارة الاشغال العامــة في مدخل طرابلس من جهة بيروت .

٧ – شقت شارعاً يصل بين طريق الميناء وشارع عزمي وشارع المايتين .

٨ – انشأت في طريق المايتين ملعباً بلدياً متسعاً كلف نحو مليون ونصف مليون ليرة لبنانية .

وقد انشأت البلدية فيما يلي من موازنتها عدداً كبيراً من المشاريع العمرانية منها احداث روضات في مختلف شوارع البلدة واحداث برك في ملتقى الطرق.

والتحسين في مختلف انحاء البلدة متواصل وقد قامت البلدية بانشاء شبكة مجارير فنية في مختلف ارجاء البلدة كلفتها نحو سبعة ملايين ليرة لبنانية .

الصناعة الوطنية في طرابلس

اشتهرت طرابلس على مدى التاريخ بمختلف صناعاتها منها صناعة السكر

التي نقلها عنها الصليبيون ومنها صناعة الصابون وحياكة الحرير والزنار الطرابلسي . وقد تلاشت هذه الصناعات جميعها عدا صناعة الصابون التي ازدهرت قبل الحرب العالمية الأولى فكانت طرابلس تصدر صابونها الى الانضول والى مصر والى العراق وقبرص . وبعد الحرب العالمية الاولى تأخرت هذه الصناعة باعتبار انسلاخ طرابلس عن بقية جسم الدولة العثمانية وشيئاً فشيئاً اقتصر تصريف منتوج الصابون على الجمهورية اللبنانية خصوصاً بعد القطيعة مع سوريا .

في طرابلس الآن صناعة السكر وصناعة الخسب المضغوط وصناعة الحديد العتيق وصناعة السمن النباتي وصناعة الزجاج واكثر هذه الصناعات يقتصر تصريف الانتاج على الاراضي اللبنانية . وهناك صناعة حياكة المنتوجات القطنية ايضاً .

وتستخدم هذه الصناعات عدداً كبيراً من العمال .

بلدية الأسكلة

بقيت الاسكلة عهداً طويلاً على ما هي عليه من خراب بعد احتلال الملك المنصور قلاوون لها واطلق عليها اسم حي الخراب وما يزال هذا اللقب يطلق على الحي المسيحي فيها . كانت الاسكلة عبارة عن حي واحد طويل يمتد من البوابة وتقع في أول الاسكلة وهناك كان يرابط عدد من الحمارة وكل واحد منهم لديه عدد من الحمير يؤجرها لمن يرغبون في الذهاب الى البلدة وهناك يستلم منهم وكيله الحمار المؤجر . وقد اشتهرت هذه الحمير بأنها لا تسير إلا بضع خطوات وينبغي على الذي يمتطي حماراً من حمير الاسكلة للبلدة أن يستعد على عصا قوية لكي يتمكن من الوصول .

أما النساء فكن لا يذهبن الى البلدة إلا في الحاجة القصوى ولا تستطيع

اية واحدة منهن الذهاب للبلدة إلا اذا كان لها من يرافقها عدا عن المكاري وطريق بلدة الاسكلة عبـــارة عن زاروب قليل العرض غير مرصوف وفي الشتاء يمتلىء بالوحول . كان الذهاب للبلدة أو للاسكلة عبارة عن سفرة وابن البلدة اذا جاء للاسكلة فلكي يقيم عند اقربائه أو اصحابه عدة ايام .

اتى مدحت باشا والياً على سوريا وحين زار طرابلس تمكن من تأسيس شركة الترامواي كما سبق وبينا في فصل سابق وقد ابتاعت الشركة طريقاً لمد الخط الحديدي ثم وسعت البلدية هـــذا الطريق ورصفته لكي تسير عليه عربات الخيل .

واخيراً انشئت بلدية في الاسكلة وتولى رئاستها الحاج ابراهيم علم الدين وأول عمل عمله ان خطط طريقاً على البحر في الحي الاسلامي فشق الحائط الذي كان يفصل شط البحر عن الاسكلة جانب دكان – عبد الحميد نيكرو اللحام اليوم – ثم عمل على هدم الجامع الكبير فبنى العقود للطابق السفلي ولما لم يعد لدى البلدية من المال ما يكفي اكمال البناء اقنع والده الحاج عبد القادر علم الدين ببناء الجامع على نفقته .

كان احد آل الداكيز قـد بنى جامعاً على البحر قرب السراي القديمة ، لكن هذا الجامع كان يقع في وسط الطريق الموصلة بين الحي الاسلامي والحي المسيحي وبقيت الطريق على هذه الحال لا تتسع لمرور العربات حتى لعربات النقل بالرغم من اتساع مدار الاعمال . وبعد الحرب العالمية الاولى تولى نور علم الدين رئاسة بلدية الاسكلة وأول عمل قام به هو توسيـع الطريق بضم شطر من الجامع اليها والاستعاضة عن الشطر المقتطع بما يماثله من المساحة من البحر .

وقد عمل نور علم الدين على رصف بعض الشوارع حسب ما تسمح موازنة البلديـة ثم جاء الفرنسيون فأسسوا شركة غرنبلاط ورصفوا البحر وأنشأوا صقالة حديدية وخط – دكوفيل – لنقـل البضائع من المواعين الى مستودع الجمرك. لكنهم وضعوا رسوماً فادحة على البضائع مما ادى الى اضراب التجار

عن اخراج بضائعهم استمر /١٧/ يوماً واخيراً انتهى الاضراب ولكن بدون نتيجة على ما سبق وبينا في فصل سابق .

واقتصرت الاصلاحات في الاسكلة على ترميم الشوارع ترميماً بسيطاً لقلة الواردات وفي عهد رئاسة خير الدين عبد الوهاب صممت البلدية على شق شارع يخترق الاسكلة من الشمال الى الجنوب وقد اتينا على ذكره وتم شق هذا الشارع .

وفي العهد الاخير قامت البلدية بانشاء شبكة مجارير جديدة في الشارع الجديد المشار اليه وتم انشاء محطة لضخ المياه الوسخة المالحة الناتجة عن قاذورات البلدة والاسكلة .

وتعتزم البلدية على شق عدة شوارع تخترق الميناء من الشرق الى الغرب .

واذا قابلنا الاصلاحات والعمران الذي جرى في البلدة بالعمران الذي جرى في الاسكلة نجد فرقاً عظيماً فالاسكلة بعد انشاء الخط الحديدي الذي يصل طرابلس ببيروت، لم تعد ميناء لتصدير بضائع سوريا والعراق وايران كما كانت قبلاً بل اصبحت عبارة عن محطة كبقية المحطات وسائر البضائع تواصل سيرها بالقاطرات حتى ميناء بيروت .

ويؤسفنا ان نقول ان الاسكلة والبلدة اصبحت كل منهما بلداً ثانوية وكل النشاط التجاري انحصر بثغر بيروت العاصمة ولم يعد هناك من تجار يستوردون البضائع رأساً من اوربا واميركا واليابان وغيرها بل كل ما تستورده طرابلس اصبح عن طريق بيروت .

غرفة التجارة في طرابلس

يرجع تاريخ غرفة التجارة في طرابلس الى اواخر القرن الماضي حين اعلن السلطان عبد الحميد الثاني الدستور وجرى وضع الانظمة المختلفة التي سنت

في ذلـــك الحين وجرى اتباعها . وحين عطل السلطان المشار اليه الدستور وصرف النواب بقية الانظمة مرعية الاجراء .

ومن مراجعة الدستور المذكور لم نجد ذكراً لقانون الغرف التجارية وعلى الاغلب ان قانون غرفة التجارة صدر فيما بعد وبموجبه تشكلت أول غرفـــة للتجارة في طرابلس .

الرئيس الاول

أول رئيس لغرفة التجارة في طرابلس كان عبد الرحمن عدره وتحددت صلاحية الغرفة المشار اليها بتقييد بعض اسماء التجار لكن اكثر تجار طرابلس لم يهتموا بتسجيل اسمائهم هرباً من ان تسن الحكومة قوانين تجبرهم على دفع ضرائب اضافية .

الرئيس الثاني

وبعد وفاة عبد الرحمن عدره انتخب رئيساً لغرفة تجارة طرابلس خير الدين عدره وكان من تجار طرابلس المعدودين يتعاطى تجارة الصابون ومال القبان كاكثر التجار وقد اهتم بغرفـة التجارة اشد الاهتمام لكن اكثر التجار لم يسجلوا اسماءهم في سجل الغرفـة وبعد الحرب العالمية الاولى حين انتخب خير الدين عدره نائباً عن طرابلس ترك غرفة التجارة لنائب الرئيس الحـاج حسين عويضة الذي عمل على ترغيب التجار بتسجيل اسمائهم في سجل الغرفة .

الرئيس الثالث

وبعد وفاة خير الدين عدره انتخب رئيساً لغرفة التجارة الحاج حسين عويضة المشار اليه ، وفي زمانه بسبب اتساع التبادل التجاري خصوصاً تجارة الاخشاب ولاضطرار الغرفة الى اعطاء المعلومات التجارية للخارج عن تجارة طرابلس وتجارها ، جرى تسجيل عدد كبير من التجار في سجل الغرفة عدا

عن الذين كانوا يتعاطون مهنة اخراج البضائع من الجمرك ، ذلك ان ادارة الجمرك كانت لا تسمح بتعاطي هـــذه المهنة إلا للذين سجلوا اسماءهم بسجل غرفة التجارة .

الرئيس الرابع

وبعد وفاة الحاج حسين عويضة انتخب رئيساً لغرفة التجارة رشاد اديب الذي ناب ايضاً عن طرابلس في مجلس النواب اللبناني وفي خلال عهد رشاد اديب عقد مؤتمر الغرف التجارية في مختلف البلاد العربية واتخذت فيه عدة مقررات لتنشيط التجارة والتبادل التجاري .

شغور الرئاسة

وبعد وفــاة رشاد اديب شغر منصب رئيس غرفة التجارة وادار امور الغرفة امين السر عارف الحسن وبقيت غرفة التجارة بدون رئيس تحت ادارة عارف الحسن خلال اكثر من عشر سنوات حتى اوائل الحرب الأخيرة حين انتخب الرئيس الحالي السيد نجيب المنلا .

الرئيس الحالي

والرئيس الحالي السيد نجيب المنلا ادخل على غرفة التجارة عدة اصلاحات بحيث اصبح لغرفة تجارة طرابلس المركز المرموق في مختلف المراحل التجارية .

ففي خلال المؤتمرات للغرف التجــارية التي عقدت خلال السنين الاخيرة قام السيد منلا بعرض وجهة نظر طرابلس وما هي بحاجة اليه من اصلاحات بشأن التجارة وما يتوجب على الحكومة اللبنانية القيام به للنهوض بتجــارة طرابلس التي ابتلعتهــــا العاصمة لدرجة ان طرابلس اصبحت عبارة عن بلدة

ثانوية بالنسبة للعاصمة .

وقد اهتم ايضاً بسائر المرافق التي من شأنهـــا النهوض بغرفة التجارة نلخصها بما يلي :

١ – عمل على تسجيل اكبر عدد ممكن من تجـــار طرابلس في سجل غرفة التجارة .

٢ – عمل على اعطاء كل الايضاحات للخارج عن مركز طرابلس التجاري وعما بامكانها القيام به من تنشيط التبادل التجاري بين طرابلس والخارج .

٣ – كما قلنا أعلاه مثل طرابلس في مختلف المؤتمرات وأحدث «موجودية» لطرابلس التي كانت مجهولة من سائر الغرف في مختلف البلدان العربية .

وما زال يغتنم كل فرصة سانحة لتعريف ولاة الامور بان هناك طرابلس وان في طرابلس تجاراً وتجارة ومن واجب ولاة الامور الاهتمام بهذه البلدة (طرابلس) التي تشكل العاصمة الثانية في الجمهورية اللبنانية .

الارساليات الاجنبية في طرابلس

اخوة المدارس المسيحية (الفرير)

اسس اخوة المدارس المسيحية أول مدرسة لهم في طرابلس سنة ١٨٩٠ فابتاعوا قطعة أرض في حي الزهرية بنوا عليها مدرستهم ثم اشتد الاقبـــال عليهم فابتاعوا من عائلة صوايا المصبنة المجـــاورة لهم فهدموها وحولوها الى ملعب .

وقد تعاقب على مدرسة الفرير عدد كبير من الرؤساء عملوا على النهوض

بالمدرسة منهم الأخ ليونس ومنهم الأخ افانتان وقد اتسعت المدرسة جداً فابتاعوا تلة البراغيت المجاورة وحولوها ايضاً الى مدرسة مجانية .

وقد ابتاعوا قطعة ارض في الاسكلة مجاورة لبرج عز الدين في سنة ١٨٩٠ أيضاً وأنشأوا مدرسة تحت رئاسة الأخ « جان » أخرجت عدداً كبيراً من شبان الاسكلة .

وفي اوائل الحرب العالمية الاولى حين اشهرت الدولة العثمانية الحرب على فرنسا ، اغلق الفرير مدرستيهم واحتلها الاتراك ، وبعد الحرب اعادوا المدرستين ثم الغوا مدرسة الاسكلة وباعوا العقار لكنهم عادوا فأنشأوا مدرسة ثانية على منتصف الطريق بين البلدة والاسكلة .

والمدرستان تعج كل منهما بالطلاب .

الآباء الكرمليون

الآباء الكرمليون اسسوا مدرستم على انقاض دير الآباء الكرمليين ويعود لمئات السنين ، ايضاً في حي الزهرية ، لكن الذي احدث التجدد في الارسالية هو الاب ستانيسلاوس فقد جاء من ايطاليا وجدد الكثير في امور الارسالية ونهض بالدير وبالمدرسة ان كان في قرية بشري أو في قرية القبيات حيث احدث لنفسه صداقات وثيقة مع السكان وحين توفي في عام ١٩٢٧ أوصى ان يدفن في قرية القبيات .

وقد تطورت المدرسة واصبحت تعد في طليعة مدارس طرابلس .

اخوات الاحسان

راهبات الاحسان ، الارسالية الفرنسية تعود ايضاً للقرن الماضي ، فقد انشأوا مدرسة للبنات في حي اطلق عليه فيما بعد حي الراهبات وحين جاء مدحت باشا والياً على سوريا ، زار مدرسة راهبات الاحسان واهدى المدرسة

حوض ماء وأمر بسوق كمية من الماء للمدرسة على حساب الدولة .

وحوض الماء المار الذكر ما زال في باحة المدرسة ومنقوش عليه انه هدية من مدحت باشا .

الارساليات البروتستنتية

في أواسط القرن الماضي جاء الاميركان البروتستانت الى طرابلس وانشأوا مدرسة للصبيان وأخرى للبنات ومن اساتذة مدرسة الصبيان كان الدكتور بوست الطبيب الشهير والدكاترة اصحاب المقتطف فارس نمر ويعقوب صروف. وقد بقي المستر نيكل الاميركي وقتاً طويلاً مديراً على مدرسة الصبيان ثم خلفه الدكتور نلسن . وقد اخرجت المدرسة عدداً كبيراً من الشبان اكثرهم انتسبوا للجامعة الاميركية في بيروت .

وكان ايضاً لمدرسة البنات الاثر الطيب ، خرجت الكثيرات من الفتيات في الوقت الذي كان في خلاله تعليم الفتيات نادراً .

التعليم الرسمي

انتبه الاتراك الى وجوب احداث تعليم رسمي لنشر اللغة التركية في طرابلس بعد مجيء مدحت باشا والياً على سوريا. فقد اسسوا في البلدة مدرسة ابتدائية وعينوا لها الاساتذة ثم انشأوا مدرسة اخرى في الاسكلة عينوا لها عدة اساتذة .

وقد انتسب للمدرستين عدد كبير من الطلاب ثم انشأوا ايضاً في البلدة مدرسة اخرى للتعليم الثانوي وتخرج في هذه المدارس كل الذين فيما بعد انتسبوا للجامعات في الاستانة وتخرجوا اطباء ومحامين وموظفين في مختلف دوائر الدولة كما تخرج ايضاً عدد من الضباط انتسبوا للجيش العثماني .

وكانت المدارس الرسمية التي انشأها الاتراك النواة للمدارس الرسمية فيما بعد التي تعم طرابلس الآن .

الابرشيات المسيحية في طرابلس

الابرشيات المسيحية في طرابلس قديمة جداً ، فكما عرضنا في الباب الذي تكلمنا بـــه عن العهد الرّوماني ، بان الحواريين جاءوا لطرابلس بعد المسيح واقاموا عدة اساقفة فيها وبالتالي اعتنق الكثيرون هذا الدين الجديد .

الابرشية الكاثوليكية للروم

كرسي الاسقفي لطائفة الروم الكاثوليك في طرابلس قديم جداً ، إذ نقرأ توقيع اسقفه « هلينيكس » في اعمال مجمع نيقية الاول المسكوني المنعقد سنة ٣٢٥ الذي قرر دستور الايمان ، ونجـــد ايضاً توقيع « ثاودورس » اسقف طرابلس في اعمال مجمع خلقيدونية الرابع المسكوني المنعقد سنة ٤٥١ . وقد توالى الاساقفة على ابرشية طرابلس وينقل لنا التاريخ اسماء هؤلاء الاساقفة حتى يقف بنا في أواخر القرن السادس عشر امام انسطاسيوس وما اقيم اسقفاً على طرابلس فحسب ، بـل ايضاً على صور وصيدا وبيروت ، ونعتقد ان ذلك بالنظر لقلة عدد ابناء هذه الطائفة .

وفي سنة ١٦٨٠ كان السيد مكاريوس مطراناً على كرسي طرابلس ، وهو الذي حضر مجمع طرابلس في تلك السنة وهو ايضاً الذي بعث في سنة ١٦٩٩ برسالة الى رومة يعلن فيها ايمانه الكاثوليكي وخضوعه للكرسي الرسولي . ولما جرى الانفصال عـــن رومة في البطريركية الانطاكية سنة ١٧٢٤ ، انضم كرسي طرابلس الى سلفسترس القبرصي البطريرك المنفصل .

وقد بقي الاساقفة يتناوبون على كرسي طرابلس ، وفي سنة ١٨٣١ ، حين

حمل ابراهيم باشا على سوريا واحتل طرابلس ، كان في حاشيته المدعو بحري بك الملكي الكاثوليكي ، فجــاء لطرابلس ورغب في حضور الذبيحة الالهية حسب طقسه البيزنطي ، فقيل له ما من كاهن ملكي كاثوليكي يجرؤ على المجيء الى طرابلس ويقيم هذه الذبيحة فأمر بالحال واستحضر خوري قرية دومـا الجديد الذي احتفل بالقداس امام جمهور من شتى الطوائف وجمع بحري بك الصينية بنفسه وابتاع قطعة ارض كانت اساس المطرانية .

وفي سنة ١٨٣٥ اراد البطريرك مكسيموس مظــلوم ان يحيي كرسي طرابلس الكاثوليكي ، فأقام عليه اثانيوس توتنجي واشترى قطعة ارض اخرى بنى عليها الكنيسة الحالية . وحين تسلم البطريرك يوسف زمام البطريركية اقام على طرابلس في ١٩ ك٢ سنة ١٨٨٠ المطران بولس مسدية .

وفيما يلي اسماء الذين تتابعوا على كرسي ابرشية طرابلس .

المطران يوسف دوماني سيم مطراناً على طرابلس سنة ١٨٩٧ .

المطران يوسف كلاس « « « « « ١٩٢٣ بعد وفـــاة المطران دوماني .

المطران اغناطيوس فرح « « « « « ١٩٦١ بعد وفـــاة المطران كلاس .

والمطران فرح ، امد الله في عمره ، ما زال في عنفوان الشباب يملك ناصية اللغة العربية وخطيب مفوه وعلى ثقافة تامـــة ويحسن عدا العربية اللغات الافرنجية .

الابرشية المارونية

تكلمنا في القسم التاريخي عن اصل الطائفة المارونية وذكرنا تاريخ مؤسسها القديس مارون وكيف نزح الموارنة الى السكنى بشمالي لبنان .

والابرشية المارونية في طرابلس قديمة جداً فقد عاد الموارنة الى طرابلس بعد جلاء الصليبيين عنها وسكنوا البلدة لكن الابرشية تأسست بعد احتلال العثمانيين لسوريا ولبنـــان فقد اعترف هؤلاء بوجود الموارنة في الشمال حين احتلوا طرابلس في عـــام ١٥١٧ وأول مطران سيم على الطائفة المارونية في طرابلس هو المطران سمعان فقد جلس على كرسي الابرشية في عام ١٥٣٤ وعني بشؤون الطائفة واعترف بـــه الحكام الاتراك وخلفه الراهب يوسف بطرس .

وقد سكن الموارنة في حي الزاهرية وبنوا مؤخراً الكنيسة الكائنة في الحي المشار اليه وبنوا بجانبه ابرشية سكنها المطارنة حتى عام ١٩٢٧ حين أشاد المطران انطون عريضة – البطريرك عريضة فيما بعـد – وقد اتينا على ترجمة حياتـــه في باب علماء طرابلس الابرشية المعروفة بابرشية الصليب والكائنة في اول طريق عزمي .

وقـد خلف المطران انطون عبد – امد الله بعمره – البطريرك عريضة على كرسي الابرشية ونقدم له جزيل شكرنا لاشارته للاب شلهوب لكي يمدنا بتاريخ الابرشية وفيما يلي اسماء المطارنة الذين جلسوا على كرسي الابرشية منذ العهد العثماني حتى تاريخه وقد امدنا باسمائهم الاب شلهوب المشار اليه ونقدم له شكرنا .

وفي خلال السنين الاخيرة بنى الموارنة كنيسة فخمة جداً في شارع عبد القادر باشا المنلا اطلقوا عليها اسم كنيسة مار مارون ، وذلك بهمة المطران عبد المشار اليه ، والكنيسة تعد في طليعة كنائس الشمال وقد شيد في الطابق الاسفل الواقع تحت الكنيسة قاعة متسعة جداً تقيم فيها جمعية الشبيبة المارونية من آن لآخر الحفلات الادبيــة وهي تقريباً المنتدى الوحيد في طرابلس الذي تلقى فيه المحاضرات الادبية مرة كل اسبوعين خلال السنة المدرسية .

سلسلة اسماء اساقفة طرابلس للطائفة المارونية

اسم المطران	تاريخ توليه على ابرشية طرابلس
المطران سمعان	١٥٣٤
الراهب يوسف بطرس	
المطران يوحنا الحصروني	١٦٠٣
المطران اسحق الشدراوي	١٦٢٩
المطران مخايل سعادة	١٦٤٤
المطران يوسف الحصروني	١٦٧٥
المطران يعقوب عواد	١٦٩٨
المطران الياس الجميل	١٧٠٦
المطران باسيليوس البجاني	
المطران بطرس عطايا	١٧٤٦
المطران اغناطيوس الخازن	
المطران يوسف حبيش	١٨٢١
المطران بولس موسى كساب	١٨٢٦
المطران اسطفان عواد	١٨٧٨
المطران انطوان عريضة	١٩٠٨
المطران انطون عبد	١٩٣٣

وهو المطران الحالي على ابرشية طرابلس المارونية امد الله في عمره .

الابرشية للروم الارثوذكس

ابرشية الروم الارثوذكس في طرابلس قديمة جداً تعود للعهد المملوكي حين فتح الملك المنصور قلاوون طرابلس واجلى عنها الصليبيين وقد اتينا في باب آثار طرابلس على تاريخ كنائس الطائفة .

اما الابرشية فكانت في الحي الارثوذكسي حتى جاء المطران الكسندروس طحان الذي اصبح فيما بعد بطريركاً فبنى الابرشية الحالية واتخذت مكاناً للمطرانية وقد تناوب على الطائفة عدة مطارنة لكننا لم نتمكن من العثور إلا على اسماء المطارنة الذين نذكرهم فيما يلي مع سنة توليهم على كرسي المطرانية .

اسم المطران	تاريخ توليه على كرسي المطرانية
المطران نيديوس	١٨٢١ .
المطران ايونتيوس	١٨٣٤ .
المطران صفرونيوس	١٨٦٩ .
المطران غرغوريس	١٨٩٠ وقد انتخب بطريركاً .
المطران الكسندروس	١٩٠٨ وقد انتخب بطريركاً .
المطران جحا	١٩٣٤ .

شغرت المطرانية في سنة ١٩٣٤ وادار امورها بالوكالة الخوري نقولا غريب حتى عام ١٩٤٨ حين جرى انتخاب المطران تيودسيوس ١٩٤٨ وقد انتخب بطريركاً.

المطران قربان ١٩٨١ .

وهو المطران الحالي .

مياه الشفة والانارة في طرابلس

مياه الشفة

حين بنا الفينيقيون مدينة طرابلس في اللسان الكائن بين انطرطوس وجبيل شكلت قضية مياه الشفة مسألة هامة ، لعدم وجود نبع ماء قريب من البلدة الجديدة .

لكن الفينيقيين تمكنوا من تذليل هذه الصعوبة بمد قناة من القساطل الفخارية أسالوا ضمنها قسماً من مياه نبع هاب الكائن بالقرب من طرابلس وهكذا تمكنت طرابلس من الحصول على المياه .

وقد بقيت هذه القساطل الى ما بعد العهد الصليبي، ذلك انه حين حاصر الملك المنصور طرابلس وفتحها واجلى عنها الصليبيين وهدم البلدة عن بكرة ابيها ، هدم قساطل المياه والذي يجري حفريات في محلة ارض البلحة في الاسكلة يجد آثار هذه القساطل لليوم .

وبعد ان عمرت طرابلس ثانية واطلق عليها اسم الاسكلة أو الميناء بقيت قضية مياه الشفة ولم يتمكن اهالي الاسكلة من حلها الا باقامة صهاريج لجمع مياه المطر لاستخدامها وهناك كانت تقع في أول الاسكلة عين ماء اطلق عليها اسم عين مار تقلا كان يستقي منها فقراء الاسكلة مياه الشفة .

وفي خلال الاحتلال المصري كافأ ابراهيم باشا آل علم الدين في الاسكلة وكان قد قتل اثنين منهم بحادثة ١٨٣٤ ، كافاهم بأن اسال مياهاً للاسكلة من مياه البلدة بقساطل فخارية كما انشأ عدة اسبلة من هذه المياه للعامة عدا عن تزويد جوامع الاسكلة بالمياه .

لكن هذه المياه كانت ملوثة ثم لا تصلح للاسكلة بصورة منتظمة واخيراً

جرى تزويد الاسكلة بمياه رشعين ثم بمياه هاب كما سنذكره فيما بعد .

وفي البلدة ، بعـــد ان بنى صنجيل قلعته ، واقيمت حولها في وادي الكنائس منازل عديدة ، انشأ الصليبيون قساطل لمياه الشفة اسالوها من نبع رشعين الواقع في سفح قرية زغرتا وبنوا القناطر المعروفة بقناطر البرنس على نهر ابي علي بين القبة وابي سمراء وبقيت هذه المياه الى حين جرى تلزيم اسالة المياه بصورة فنية .

فقد حاول عزمي بـــك حين كان متصرفاً على طرابلس انشاء مصاف لتكرير مياه الشفة لان قناتها كانت مكشوفة ومياهها ملوثة فلم ينجح وبقيت المياه على حالتها الاصلية حتى عهد تولي الشيخ كسروان الخازن على محافظة طرابلس وبهمته وهمة الدكتور عبد اللطيف بيسار وبمساعدة الدولة ، وضع المهندس رشدي سلهب تصميماً لاسالة المياه من نبع رشعين ضمن اقنية مـــن الحديد وجرى تلزيم المشروع وانشئت مصلحة مياه طرابلس وانفقت على المشروع بلدية طرابلس وسلمته لمصلحة المياه وهكذا زودت البلدة والاسكلة بمياه نظيفة باردة صيفاً .

واخيراً لم تعد تكفي كمية هذه المياه البلدة بالنظر لاتساعها ، فمنحت الدولة مصلحة مياه طرابلس قسماً من مياه نبع هاب واسيلت المياه ضمن اقنية حديدية وزودت الاسكلة والبلدة بمياه نبع هاب وخصصت القبة وابي سمراء بمياه نبع رشعين .

ألانارة في طرابلس

بقيت الإنارة في طرابلس في عهدها البدائي كما في سائر مدن العالم،فالإنارة في البيوت كانت إما بواسطة الشمع العسلي أو بواسطة « السراج » بفتيـــلة على الزيت .

وفي أواسط القرن الماضي حين اكتشف البترول واستخدم للانارة ، وصل

لطرابلس وابتهج الطرابلسيون بهذه الطريقـة الجديدة ، وأول حفلة ليلية للرجال وللنساء أنيرت بالبترول ، كانت حفلة زواج عبد الله عبد الوهاب الهندي في الاسكلة ، وقد اكتظت بالمعازيم لرؤية الانارة بالبترول .

وبالرغم من أن بلدية بيروت أنارت البلدة بالكهرباء ، فقد بقيت طرابلس بدون كهرباء حتى نهاية الربع الاول من القرن الحالي ، حين قـام البطريرك انطون عريضة بالحصول على امتياز توليد الكهرباء من نبع قاديشا ، وذلك في خلال عهده بمطرانية طرابلس للموارنة ، وآزره الشيخ رشيد كيروز وجرجي صعب وكال البركه والسيد طوق وغيرهم من أثرياء طرابلس والشمال ، وهكذا في نهاية عام ١٩٣١ أنيرت طرابلس بالكهرباء .

وقد اتسعت البلدة وبالتالي اتسعت اعمال شركة قاديشا وانضمت اليهـا شركة نبع الغار التي انشأها المشايخ اسطفان على نهر أبي علي بالقرب من قرية كسبا ثم انشأت شركة قاديشا المشار اليهـا مولداً ثالثاً في القرب من قرية القلمون .

كارثة نهر ابي علي في عام ١٩٥٦

في الساعة السابعة عشرة من يوم السبت الواقـع في ١٧ كانون الأول من عام ١٩٥٦ هبت على طرابلس رياح شديدة جدا لم تلبث ان صحبتهـا غيوم سوداء واخذ المطر بالانهمار لا على البلدة فحسب بل على سائر انحاء طرابلس خصوصاً على الكورة والزاوية وبقي المطر شديداً جداً كافواه القرب مـا يقرب على الثلاث ساعات .

كانت نتيجته ان توافدت سيول المياه على وادي نهر ابي علي وفي حوالي الساعة الحادية والعشرين وصلت المياه الى جسر المحمودية الواقع بين منطقتي

ابي سمراء والقبة فاجتاحت الجسر ولم تقو المياه المتدفقة على هدمه بسبب ان الجيش الانكليزي كان قد اقام على جانبيه دعمات قوية من الباطون المسلح لذلك طفت المياه من فوقه بطريقها الى جسر القناطر .

وجسر القناطر هذا قديم اقامه الرومانيون في العهد الصليبي مؤلف من ثلاث عقدات طغى الطرابلسيون على مساحة عقدتين اقاموا عليها شجر الليمون ولم يبق لمجرى النهر سوى العقد الوسطي وتمر فوق هذا الجسر قناة المياه القديمة الآتية من نبع رشعين لارواء طرابلس البلدة .

كانت مياه النهر كما قلنا اعلاه متدفقة بشدة تجرف معها الاشجار التي اقتلعتها من سقي المرجة في طريقها الى طرابلس ولم يتمكن جسر القناطر القديم من الصمود أمام تدفق المياه فانهار وواصلت المياه سيرها الى جسر السويقة المؤلف من عقدتين ، وهو جسر روماني ايضا قديم فلم يقو بدوره على صد المياه فانهار أيضاً ثم وصلت المياه الى جسر اللحامة الواقع على بعد نحو مائتي متر من جسر السويقة وبالنظر لاتساع عقداته فقد تحملت ضغط المياه التي طافت على الدكاكين الواقعة على جانبي الجسر فهدمتها واجتاحت كل ما فيها من بضائع ثم واصلت المياه سيرها فطغت على أحياء السويقة والجسرين والزهرية وعلى معامل الصابون فاجتاحت الصهاريج الممتلئة بالزيوت وحين وصلت لجسر طربيه الواصل بين حي الزهرية وحي التبانة طفت المياه من فوقه ووصلت لباب التبانة واجتاحت المخازن الواقعة بالقرب من الجسر المشار اليه وحملت كل ما فيها من بضائع .

كانت الكارثة عظيمة فقد طفت المياه على جميع المساكن الواقعة في الاحياء المذكورة التي اجتاحتها المياه وبالتالي اجتاحت عدداً كبيراً من السكان أغرقتهم مياه الفيضان وبلغ عدد الضحايا نحو الثمانين شخصاً من رجال ونساء وأولاد .

وقد هبت البلدية والحكومة وتجند الاهالي لاسعاف المنكوبين وقامت

الحكومات المجاورة العربية والنقطة الرابعة بدفع الاموال للاسعاف وارسال الخيم والمعدات والادوية للمصابين وأسرعت البلدية فنقلت الوحول وأقامت جسراً موقتاً من الحديد بين السويقة وباب الحديد .

ولما انتهت الكارثة اخذت الدولة منجهة والبلدية من الجهة الأخرى بدرس الوضع الناتج عن هذا الفيضان وتألفت لجنة من المهندسين درسوا القضية من جميع نواحيها وذلك بهمة حضرة الرئيس رشيد كرامي الذي لاحق الامر بكل ما لديه من قوى .

وبعد الدرس الطويل وبناء على الهمة التي بذلها دولة الرئيس رشيد كرامي تنظمت الخرائط التي قضت بشق شارع عريض بثلاثة أقسام ، القسم اليميني بعرض نحو العشرين متراً ثم القسم الوسطي، اي مجرى النهر بعرض مماثل ، ثم القسم الشمالي ايضاً بنفس العرض ويمتد هذا الشارع من محلة المولوية ويسير حتى برج رأس النهر في الميناء .

وقد اقيمت خمسة جسور تعارض الشارع المشار اليه الاول بقرب المولوية والثاني بقرب الجسرين والثالث محل جسر اللحامة القديم والرابع محل جسر طربيه الواصل بين حي الزهرية وحي التبانة والخامس والاخير بمحلة برج رأس النهر .

وقد استملكت الدولة جميع العقارات التي يخترقها الشارع وتمكن الرئيس كرامي من فتح اعتماد بنحو ١٢,٥٠ مليون ونصف ليرة لبنانية لتنفيذ المشروع بتمامه .

لزمت الدولة أولاً القسم الواقع بين باب التبانة والسويقة وإقامة الجسرين الآنفي الذكر ، ثم لزمت أخيراً القسم الاخير الواقع بين المولوية وباب الحديد ثم بين باب التبانة حتى جسر راس النهر أو بالأحرى حتى البحر ، وقد أوشك المشروع على الانتهاء .

وبما أن هذا المشروع بتمامه إنما تم بهمة دولة الرئيس رشيد كرامي ولعل مجلس البلدية الموقر يطلق اسم الرئيس كرامي على هذا الشارع بتمامه من المولوية الى البحر .

أما الأموال التي تجمعت من تبرعــات الدول الشقيقة من الاعتمادات التي رصدتها بلديات لبنان والحكومة اللبنانية لاسعاف المنكوبين فقـــد ابتاعت الحكومة قطعة أرض في محلة المولوية أقامت عليها عدداً من الابنية الحديثة وزعتها على المنكوبين ممن اجتاحت المياه عقاراتهم .

الباب الثالث عشر

آثار طرابلس

بالنظر لتوالي النكبات على طرابلس من طبيعية وسياسية ، ولاختلاف من استولوا عليها من فينيقيين وأروام وعرب وصليبيين ومماليك ثم أتراك ، ولتراكم الزلازل عليها ، فانه ليس في طرابلس آثار تعود لقبل العهد الصليبي أو المملوكي . وكان قد مر معنا خلال الكلام عن عهد المماليك ، فان الملك المنصور أمر بهدم طرابلس القديمة بأجمعها ، وبناها على بعد ميلين ، لأن طرابلس كانت تقع على ساحل البحر .

وفيما يلي سنأتي على وصف آثار طرابلس الحالية الباقية من مختلف العهود.

المساجد – الجامع الكبير

أهم مساجد طرابلس وأوسعها هو المسجد الكبير المنصوري الذي يقع تقريباً في وسط المدينة على الضفة اليسرى من نهر أبي علي الذي يشطر البلدة الى قسمين . أمر ببناء هذا الجامع الملك المنصور قلاوون في سنة ٦٩٣ على أنقاض كنيسة قديمة أقامها الصليبيون وأطلقوا عليها اسم كنيسة سان جان في الوقت الذي كان فيه صنجيل يحاصر طرابلس ، لانتزاعها من يد المسلمين ، واختار لها مكاناً بالقرب من الحصن الذي أقامه على الرابية . وقد تهدمت هذه الكنيسة على أثر الزلزال الذي حصل سنة ١١٧٠ وشاهده بنيامين التطلي

وشاهد آثار الكنيسة عند زيارته لطرابلس ، وقد عمل صنجيل جهده لاعادة بنائها وترميم ما تهدم منها ، وأقام البرج الواقع على مدخل الجامع الحالي من جهة سويقة النوري . وعلى أثر فتح المسلمين لطرابلس تهدم القسم المرمم من الكنيسة ، فأمر الملك المنصور تحويل الانقاض الى جامع كبير ، واستبقى برج الناقوس وحوّله الى مئذنة ، وبالنظر لتكاثر الأبنية حول الجامع التي فاقت بارتفاعها ارتفاع المئذنة ، فقد عمدت دائرة الاوقاف مؤخراً الى تعليتها على نفس الطراز القديم .

وقد اكمل الملك الاشرف ، ابن الملك المنصور بناء الجامع فحول البوابة القوطية الطراز الى بوابة اسلامية بصورتها الحالية على شكل عقد مدبب ، ويتناوب فيها اللونان الابيض والاسود . وهناك زخرفات هندسية اسلامية الطابع والعقد المدبب يعتمد جانباه الى ادنى البوابة بحيث يؤلفان عضادتي البوابة . والعتبة قطعة واحدة من الحجر تستند على مسندين محدبين وطبقة العقد يكسوها ملاط خشن المظهر عليه زخرفة من العصر العثماني مكتوب تحتها « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

وهناك نقش تاريخي مثبت على عتب الباب كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، امر بانشاء هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الاعظم سيد ملوك العرب والعجم ،فاتح الامصار ومبيد الكفار ،الملك الأشرف صلاح الدين والدنيا خليل قسيم امير المؤمنين ابن مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي ، خلد الله ملكه في نيابة المقر العالي الامير الكبير العزى عز الدين ايبك الخزندار الاشرفي المنصوري ، نائب السلطنة بالفتوحات والسواحل المحروسة عفا الله عنه ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين وستماية والحمد لله وحده .

وبأعلى العضادة اليسرى للباب وتحت آخر النص السابق مـا نصه ، تولى عمارة هذا الجامع المبارك الفقير لله تعالى سالم الصهيوني ابن ناصر الدين العجمي عفا الله عنه .

واذا القينا نظرة كاملة شاملة على هذا الجامع ، نجد انه بناء اسلامي لا اثر للتخطيطات المسيحية فيـه ولا اثر للكنيسة القديمة فيه ، يشتمل على ثلاث مجنبات تحيط بصحن مستطيل ، على مكان الصلاة تعلو هذه المجنبات قبوات متعارضة ، وتطل المجنبات على الصحن بعقود تقوم على دعائم ضخمة وتتألف المجنبة الشمالية من سبعة عقود ، والشرقية والغربية من خمسة عقود .

اما مجنبات الصحن فقد اقيمت بعهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥ في نيابة المقر السيفي كستان الناصري ، وسجل ذلك على لوحة في الجدار الشمالي المطل على الصحن وهذا نصها « بسم الله الرحمن الرحيم ، انمـا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . امر بانشاء هذه الروافات تكملة للجامع المبارك ، مولانا السلطان الملك الناصر ، العالم العادل ، المجاهد المظفر ، ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون خلد الله ملكه في نيابة المقر الشريف العالي السيفي كستان الناصري ، كافل المملكة الشريفة الطرابلسية اعز الله انصاره ، باشارة المقر العالي البدري محمد بن أبي بكر شاه الدواوين المعمورة ادام الله نعمته . وكان الفراغ منه في شهر .. سنة خمس عشر وسبعماية ، وصلى الله على سيدنا محمد . تولى عمارته العبد الفقير الى الله تعالى احمد بن حسن البعلبكي » .

وهنا لا بد لنا من وقفة بمناسبة الجامع الكبير في الاسكلة ، فهذا الجامع قديم العهد وقد اعيد بناؤه في اواخر القرن الماضي على انقاض الجامع القديم ولم يبق من اثر الجامع القديم الا لوحة قديمـة مكسورة وعليها كتابة غير ظاهرة تبين ان باني هذا الجامع هو محمد بن ابي بكر ولعله محمد المذكور اعـلاه .

ونعود لوصف الجامع الكبير في البلدة فنقول ان واجهة الصلاة تطل على

صحن الجامع بسبعة عقود اكثر اتساعاً من عقود الجهة الشمالية . يشتمل بيت الصلاة على بلاطتين موازيتين لجدار القبلة تنقسمان الى / ١٤ / اسطوان تعلو كل اسطوان قبوة متعارضة فيما عدا اسطوان المحراب فتعلوه قبة قائمة على مقرنصات مقوصة . ويفصل البلاطتين صف من الدعائم الضخمة عددها ستة ويستند العقد الاخير من الجهة الغربية على دعائم ملتصقة بالجدار الغربي .

والمنبر يقع الى يمين المحراب ، مصنوع من الخشب ومزدان بزخارف ملونة اقام هذا المنبر نائب طرابلس الامير سيف الدين قرطاي بن عبدالله المنصوري المتوفى سنة ٧٣٤ هـ . ويعلو مصراعيه كتابة هذا نصها «امر بانشاء هذا المنبر المبارك العبد الفقير الى الله تعالى قرطاي بن عبدالله الناصري اثابه الله فأقام من ماله بكتوان بن عبدالله الشهابي ، تقبل الله منه ، وذلك في شهر ذي القعدة سنة ست وعشرين وسبعماية هـ » .

يتوسط الصحن بناء من عقود في وسطه نافورة ماء للوضوء يلاصقها بناء للصلاة كتب عليها ما يلي « امر بترخيم هذا المحراب المبارك العبد الفقير الى الله تعالى ازدمر الاشرفي كافل السلطنة الشريفة الطرابلسية المحروسة اعزه الله في ايام مولانا قاضي القضاة الشافعي الامام في مستهل ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة بمباشرة محمد الشاد » .

ويعلو المدخل الجنوبي الشرقي للمسجد لوحة عليها النص التالي « الحمد لله رسم بالامر العالي السلطاني الملكي المؤيدي، ابي النصر شيخ اعلاه تعالى وشرفه وانقذه وصرفه بابطال المظالم المحدثات على اهل طرابلس من التحجير على قوت العباد من القمح واللحم والخبز والطرح وغير ذلك بحيث لا يعود ويبطل ذلك جميعه في هذه الايام الزاهرة خلد الله سلطانها وادام قدرته على المسلمين بتاريخ خامس عشر ربيع الأول سنة سبعة عشر وثمانمائة والحمد لله » .

وعلى عتب الباب الشرقي المؤدي للصحن نقش ثان هذا نصه « برسم

الدخان وما يستأديه من يكون متقدماً في ديوان الحجوبية الكبرى واستأدية الديوان الشريف من سكر وخل وغير ذلـك وباعقابها من ذلك جميعه ومن طرح الصابون والزيت والبلس ومن جميع ما يحدث من ديوان النيابة والديوان الشريف وغيرها من جميع الكلف والمخادم الجارية بهـــا العادة قديماً والحادثة مستقبلاً وضع الخارندار الكافلي من التعرض لذلك واخذ شيء منه واستقرارها في حماية سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ على حكم المربع الشريف واخذ ينقش ذلك في رخام الجامع الكبير بطرابلس بأمر الكافلي المشار اليه بالمملكة الشريفة وان يسطر ذلك بتاريخ ثاني شهر الحرام سنة ثمان وتسعماية والحمد لله » .

امـا المئذنة فهي عبارة عن برج لمباردي مربعة الشكل وبكل جانب من جوانبها ثلاث عقود بثلاث نوافذ وبأعلاها محيط مربع بجدران قصيرة اقيمت لكي ينتقل المؤذن لجوانبها الاربع عند قيامه بالأذان . وقد سبق لنا ان تكلمنا عن هذه المئذنة .

مسجد عبد الواحد المكناسي

هذا المسجد من اقدم مساجد طرابلس ، حدثني احد المتقدمين بالسن نقلاً عن والده ووالده نقلاً عمن تقدمه ان سبب بناء هذا الجامع ، ان الذي اقامه عبد الواحد المغربي المكناسي ، جاء لطرابلس ونزل في بنائه الذي كان خاناً لمبيت المسافرين ، وقد اختلف مع صاحب الخان ، ولما كان على سعة ، ونكاية بصاحب الخان ، ابتاعه وحوله الى مسجد .

يقع هذا المسجد خلف سوق الصاغة ويظهر ان عبد الواحد المكناسي من الذين اموا طرابلس بعد جلاء الصليبيين عنها . يتوسط صحن الجامع نافورة ماء يحيط بهـــا حوض عليه الكتابة التالية « انشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير الى الله تعالى عبد الواحد المكناسي غفر الله له ولوالديه ولمن كان السبب فيه وذلك في تاريخ سنة خمس وسبعماية » .

وعبارة « لمن كان السبب فيه » تدل على مدى صدق الرواية التي حدثني بها احد المتقدمين بالسن كما ذكرت آنفاً .

ويتألف مكان الصلاة من عقود تقوم على دعائم ضخمة وقبة المسجد مضلعة من الخارج، ولعل منشأ هذا المسجد ادخل عليه الكثير من التعديلات لتحويله من خان الى مسجد اما المئذنة فطابعها يختلف عن بقية مآذن جوامع طرابلس ، اذ تتكون من ساق مثمنة الشكل تنتهي من اعلى بقبة نصف كروية ، وفي اعلى المئذنة ثمان نوافذ .

مسجد الامير طينال

معروف في طرابلس باسم جامع طيلان ، وهو تحريف واضح لاسم الامير طينال ، الذي ذكره ابن بطوطة في وقائع رحلته حين جاء لطرابلس . وهذا المسجد من اهم مساجد طرابلس الاثرية واجملها . يشبه مساجد القاهرة ويقع في ظاهر المدينة جانب مقبرة باب الرمل ، وكانت تقوم مكان هذا الجامع كنيسة في عهد الصليبيين ، هدمت بعد ان استولى السلطان قلاوون على طرابس ، ثم حولها الامير طينال الى مسجد سنة ٧٣٦ . تاريخ هذا المسجد منقوش على بابه الخارجي وهذا نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بانشاء هذا الجامع المبارك المقر الاشرفي العالي المولوي الاميري الناصري نائب السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة، اتماماً في ايام الملك الناصر في شهر رجب سنة ست وثلاثين وسبعماية . وهناك نقش آخر سجل فيه شروط الوقفية .

ويتألف المسجد من قسمين منفصلين الأول يتلو الثاني ، الشمالي منهما بيت للصلاة يشتمل على ثلاث بلاطات ، الاوسط افسح من البلاطتين الجانبيتين ، وينقسم هذا البلاط الى اسطوانين تعلوهما قبتان احداهما نصف كروية على مقرنصات مثلثة يتناوب في عنقها ١٢ عقداً ونافذة والقبة الثانية مشابهة لها. اما القسم الجنوبي فضريح دفن فيه الامير طينال باني المسجد ويشتمل على

تسعة اساطين ويتوسط هذا الضريح قبة كبرى تقوم على رقبة مثمنة .

وفي المسجد عمودان ربما هما من بقايا الكنيسة . اما بوابة ضريح الامير طينال فتعتبر من اجل البوابات المملوكية وتزدان بزخرفة تقوم على تناوب صفوف الحجارة البيضاء مع الصفوف السوداء .

والمئذنة آية في الفن باشتمالها على درج مزدوج احدهما يؤدي الى خارج المسجد والآخر الى الداخل وتنتهي المئذنة من أعلى بشرفة بارزة في الجدار تنفتح كل جهة منها بنافذة مستطيلة الشكل ربما كانت برج اجراس الكنيسة القديمة .

ولبيت الصلاة منبر باعلاه لوحة من الخشب نقش عليها النص الآتي :

« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله وباليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك يكونوا من المهتدين » . تكمل هذا المنبر في شهر ذي القعدة سنة ست وثلاثين وسبعماية .

وفي أدنى المنبر باعلى الباب سطر من الكتابة نصه « محمد الصفدي رحم الله من ترحم عليه » .

جامع العطار

يقع هذا الجامع في آخر سوق البزركان على الضفة اليسرى من نهر ابي علي بالقرب من خان الخياطين وخان المصريين . اسس هذا الجامع بدر الدين بن العطار ، أحد العطارين الاثرياء من طرابلس سنة ٧٥١ هـ على نفقته الخاصة لذلك نسب اليه وعمل له أربع صفف كل صفة لها مدرس له شيء معلوم يتناوله من وقف الجامع .

تاريخ هذا الجامع مسجل على لوحة باعلى عتبة باب المدخل هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا الباب المبارك والمنبر على المعلم محمد بن

ابراهيم المهندس سنة احدى وخمسين وسبعمائة » ويقول الاستاذ كرد علي ان هذا المسجد كان في الاصل كنيسة ثم تحول الى جامع .

بوابة هذا الجامع تشبه بوابة المدرسة القرطائية والجامع عبارة عن مربعة يتوسطها منبر من الخشب . والمئذنة تعتبر من افخم مآذن الجوامع في طرابلس وهي عبـــارة عن برج مربع الشكل يدور حوله عند منتصفه افريز بارز ومسطح وتنتهي المئذنة من أعلى بشرفة مكعبة الشكل ويتوسط كل وجه من وجوه الشرفة نافذة مزدوجة يقوم عقداها على عمود مركزي مشترك .

وعلى الجدار الواقع الى يمين فتحة الباب نقش كتــابي مسجل فيه مرسوم اصدره السلطان المؤيد سنة ٨٢١ هـ .

مسجد الدباغين

كان هذا المسجد يقع على الضفة اليسرى من مجرى ابي علي ، اما اليوم فقد غيرت وزارة الاشغال العامة مجرى النهر وأصبح بعيداً عنه . ولهذا المسجد بابان ، الأول في أول مطلع الجسر القديم يدخل منه الى صحن ينتهي بالباب الثاني ، وبجانب الباب الثاني لوحة من الحجر عليها كتابة تدل على انها صادرة عن السلطان قايتباي الأشرف في ٢٢ جمادى الاخرة سنة ٨٨٢ هـ عند زيارته لطرابلس يأمر فيها بابطال المكوس عن الدباغين . وقد جدد بناء هذا المسجد ابن يوسف شيخ الدباغين سنة ٩١٢هـ في عهد سلطنة الملك الأشرف قانصوه الغوري.

بيت الصلاة يقع الى يمين الصحن مستطيل الشكل وعبـــارة عن عقود مستطيلة أما المئذنة فهي مثمنة الشكل تنتهي باعلاها بقبة مضلعة .

جامع ارغون شاه

يقع في الطرف الغربي من طرابلس على الطريق المؤدية لمقبرة باب الرمل . تاريخ هذا المسجد غير معروف لكن شكله يدل على انه اقيم في خلال العهد

المملوكي وربما ان بانيه هو ارغون شاه ، لذلك اطلق عليه اسمه .

على مدخل هذا الجامع مرسوم صادر عن السلطان قايتباي في ١٥ جمادى الاخرة سنة ٨٨٠ هـ في عهد نيابة ازدمر الاشرف يأمر فيه بجماية زراع اراضي الوقف للمسجد المذكور وتسليمها الى السيد نور الدين الأدهمي الحسيني. وقد جدد بناء هذا المسجد بعد ان تهدم الجانب الجنوبي منه .

جامع الاويسية

يقع هذا الجامع على يسار طريق القلعة من محلة الصاغة . بناه محيي الدين الاويسي سنة ٨٦٥ هـ . يمتاز هذا الجامع بقبته الوسطى الكبرى التي تعود لعهد ظهور القباب التركية . باعلى المئذنة كتابة تدل على ان هذا المسجد جدد في عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١ هـ على يد رجل يدعى حيدرة .

المدرسة القرطائية

تقع بجانب الجامع الكبير المنصوري وهي من اجل آثار طرابلس وأفخمها بناءً ، بناها الامير سيف الدين قرطائي بن عبد الله الناصري . تعتبر بوابتها من أروع البوابات المملوكية ، فهي حلقة متصلة متزنة الاجزاء عليها نص كتابي فحواه « بسم الله الرحمن الرحيم، ان المتقين في جنات وعيون،ادخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » . يعلو هذا الباب عقد مخفف للضغط تتعاشق فيه سنجات من الرخام سوداء وبيضاء على التعاقب ويعلو هذا العقد تربيعة من الفسيفساء تتوسطها نجمة سوداء تخرج منها أشرطة مجدولة تمتد حول التربيعة . على الباب عمودان . المحراب تكسوه زخارف هندسية من فسيفساء ملونة وارضية المدرسة من الفسيفساء . يتوسط المدرسة حوض ماء بداخله نافورة وبأعلى الحوض قبة . يزدان الجدار القبلي للمدرسة بنقوش كتابية تنص على ان الملك الاشرف قايتباي امر في مستهل رمضان سنة ٨٢٦ بابطال المكوس الخاصة بخيل البريد.

المدارس المحيطة بالجامع الكبير

يحيط بالجامع الكبير عدد من المدارس منها المدرسة الشمسية ومنها مدرسة تقع من جهة الشمال مجهولة الاسم ومنها المدرسة الناصرية ومنها المدرسة الخيرية ومنها المدرسة النورية ، ولكل مدرسة من هذه المدارس اثر تاريخي وكلها تعود للعهد المملوكي .

جامع البرطاسي

يقع هذا الجامع على ضفة نهر ابي علي ، وقد حافظت وزارة الاشغال العامة على مكان هذا الجامع وحورت الطريق الجديدة التي يجري شقها لتعديل وتقويم مجرى النهر لاستبقاء هذا الجامع في مكانه الحالي . قامت مديرية الآثار مؤخراً بترميمه ورفع الطلاءات القديمة التي كانت تغطي جدرانه ، ودهنت ابوابه الخشبية بالدهان اللماع .

اسم منشيء هذا الجامع منقوش على بابه ونصه « بسم الله الرحمن الرحيم اوقف هذه المدرسة المباركة العبد الفقير الى الله تعالى عيسى بن عمر البرطاسي عفا الله عنه على المشتغلين بالعلم الشريف على مذهب الامام الشافعي ، واقامة الجمع والصلوات المكتوبة وشرط ان لا يرسم فيها على احد ولا يسكنه من لا حق له بذلك » ولم يرد تاريخ الانشاء ويظهر انها اقيمت في عهد المماليك كبقية الاثار .

اهم ما يتميز به هذا الجامع واجهته المبنية بالحجارة الداكنة اللون. الجوفة العليا القائمة على مقرنصات ، تعد من اجمل ما ابدع الفنانون في عصر المماليك، ولا نبالغ اذا قلنا ان اهم اثر تاريخي في طرابلس ويستلفت النظر ، هو باب جامع البرطاسي والمئذنة القائمة فوقه والتي تعد تحد للبناء في العصر المملوكي .

للجامع ثلاث قباب اهمها القبة الوسطى القائمة على جوفات مثلثة تغطيها ست مقرنصات . محراب الجامع يعد من اجمل محاريب جوامع طرابلس .

المئذنة مربعة الشكل يغلب الظن على ان المهندس الذي اقامها هو اندلسي لانها تشبه مآذن الاندلس . يتألف الجامع في الداخل من اسكوبيين ممتدين بحذاء جدار القبلة ينقسمان الى ثلاثة بلاطات الاوسط منها اكبرها اتساعاً . ينقسم البلاط الاوسط الى قسمين مربعين في الشمالي منهما نافورة مثمنة تعلوها قبة . القبة الجنوبية امام المحراب تقوم على جوفات مقوسة .

المدرسة الزريقية

تقع على الضفة اليمنى من نهر ابي علي في محلة السويقـــة وهي من اقدم مدارس طرابلس ، انشأها الامير عزالدين ايبك الموصلي لتكون مسجداً سنة سنة ٦٩٧ هـ ، تاريخهـــا مسجل على لوحة على يمين الداخل ونصه « بسم الله الرحمن الرحيم ، انشأ هذا المسجد المبارك الفقير الى الله تعالى ايبك الموصلي عفا الله عنه في تاريخ عشرين من جمادي الآخر سنة سبع وتسعين وستماية .

ايبك المذكور تولى نيابة طرابلس من سنة ٦٩٤ الى تاريخ وفاته سنة ٦٩٨ حسبما في القسم التاريخي في العهد المملوكي .

وقد اضيف الى هذا المسجد مصلى صغير سنة ٧٣٨ هـ اضافه سيف الدين كرتاي وسجله على طبـــلة عقد المدخل ونص التسجيل « بسم الله الرحمن الرحيم . امر بانشاء هذه الزاوية المباركة العبد الفقير الى الله تعالى سيف الدين كرتاي السيفي وذلك في تاريخ شهر شوال سنة ثمان وثلاثين وسبعماية » .

المدرسة السقرقية

تقع في الطرف الجنوبي المؤدي الى جبانة باب الرمل بالقرب من مسجد ارغون شاه المار الذكر . بناها سيف الدين ارطق ، صاحب نيابة طرابلس لتكون مسجداً وضريحاً سنة ٧٦٠ هـ تاريخ انشاء هذه المدرسة مسجل على جدار واجهتها الجنوبية الشرقية في شريط يمتد على كل من جـــانبي البوابة

ويتضمن تاريخ البناء والعقارات الموقوفة عليها .

يعلو الضريح قبة مضلعة في غاية الجمال تقوم على رقبة مثمنة قائمة بدورها على قاعة مربعة في اركانها جوفات مقوسة مزينة بزخارف نباتية قوامها المراوح النخيلية .

المدرسة الخاتونية

تقع امام المدرسة السقرقية ، بنتها ارغون خاتون بالاشتراك مع زوجها عزالدين ايدمر الاشرفي نائب طرابلس سنة٧٧٥ هـ. تاريخ انشاء هذه المدرسة واسماء العقارات الموقوفة وشرط الواقفة مسجلة جميعها وباعلى المدخل ونص النقش ما يلي « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين وصلى على سيدنا محمد . انشأ هذا المكان المبارك مولانا المقر الاشرفي العالي المولوي المخدومي الكافلي العزي ايدمر الاشرفي ملك الامراء اعزه لله انصاره في شركة الدرة اليتيمة الجهة المصونة ارغون تغمدها الله برحمته حسب وصيتها المتقدمة». ويلي ذلك الوقفية وتاريخها ٢٣ شعبان سنة ٧٧٣ هـ ثم اسم متولي البناء الامير جمال الدين يوسف بك العزي فزاي السيفي ثم تاريخ البناء سنة ٧٧٥ . وعزالدين ايدمر المذكور هو ايدمر بن عبدالله الداودار نائب طرابلس فيما بين سنة ٧٧٣ و ٧٧٦ كما مر في تاريخ العهد المملوكي .

المدرسة الظاهرية

مدرسة صغيرة تقع في محلة باب الحديد جنوبي المدرسة البرطاسية ، سميت بالظاهرية نسبة لبانيها الامير سيف الدين تغري برمش الظاهري بن احمد البهيني التركماني الامير اخور في عهد السلطان الظاهر برقوق لدفن ولديه سنة ٧٧٩ هـ مدخل هذه المدرسة مسدود وهي بحالة الخراب. على واجهتها كتابة ما تزال ظاهرة ونصها « بسم الله الرحمن الرحيم ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا،والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير املاً،قوله الحق وله الملك.

عمر هذا المكان المبارك المقر السيفي تغري برمش الظاهري اعزه الله انصاره مسجداً وتربة لدفن ولديه الاخوين الشقيقين السعيدين الشهيدين سيدي الامير قانتمر وسيدي الامير تغرى بردى الطفلين المنغصين على الدنيا المتحابين في آراء الدنيا والمجاورين في دار الآخرة ، تغمدهما الله برحمته واسكنهما فسيح جنانه وذلك في ثالث شهر المحرم سنة تسع وتسعين وسبعماية ، رحم الله من ترحم عليهما » ونلاحظ في اول السطر الخامس نقش يمثل رنك الساقي وهو عبارة عن صورة كأسين محفورين في ثلثي الرنك .

وفي المدرسة محراب الجزء الادنى منه مغطى باشرطة راسية من الرخام تكسو الحنية العليا زخرفة من الفسيفساء قوامها الفروع المتداخلة . ويمكننا ان نميز فيها اللون الاحمر والابيض والفيروزابادي والاسود . يقوم المحراب على عمودين يزدان بدناهما بقبوات معصورة .

ولعل دائرة الاوقاف تهتم بهذه المدرسة فتزيل عنها الخراب وتتعهدها كما تعهدت جامع البرطاسي وجامع طينال .

المدرسة الطويشية

تقع هذه المدرسة بالقرب من الجامع الكبير وتشتمل على ضريح مؤسسها الامير سيف الدين الطوشي المتوفى سنة ٨٧٥هـ وهذه المدرسة تحتوي على ظاهرتين :

١ – بوابتها الرائعة التي تشكل مثالا من اروع المثالات للمقرنصات المملوكية ، باعلاها جوفة نصف كروية على شكل محارة فيها زخرفة مشععة باربع مجموعات . عقد البوابة من النوع المخصص بفصوص نصف دائرية واخرى مثلثة على التعاقب يشبه كثيراً العقود الاندلسية . يحيط بالبوابة اطار بارز على شكل مستطيل يتوج اعلى العقد ثم يمتد طرفاه افقياً بطول جدار الواجهة يميناً ويساراً .

٢ ـ النافذة ذات العقد المزدوج بالطابق الثاني على يسار الواجهة . عقدا هذه النافذة مخصصان بجوفتين نصف كرويتين تكسوهما زخرفة على شكل محارة يحيط بها اطار مستطيل . يرتكز العقدان من الجانبين على عمود بها قنوات معصورة تشبه العقود الاندلسية ايضاً .

وقبة الضريح مفصصة ومتعددة الفصوص في محيط قاعدتيهـــا فصوص نصف دائرية .

المدرسة العجمية

تقع بالقرب من القلعة واسسها هي والتربة الملحقة بها الحاج شمس الدين محمد السكر في رمضان سنة ٧٦٦ هـ اسم هذا الرجل مسجل على منبر بمدينة دمياط سنة ٧٧١ هـ. تاريخ هذه المدرسة مسجل على عتبة مدخلهـــا وهذا نصه : امر بانشاء هذه التربة المباركة العبد الى الله تعالى محمد السكر عفا الله عنه . وكان الفراغ منها في مستهل رمضان سنة ست وستين وسبعماية .

وفي طرابلس مدارس اخرى بعضها مجهول الاسم والتاريخ وبعضها يعود للعهد العثماني منها المدرسة القاهرية والمدرسة الرفاعية ، وتقع هذه المدرسة بالزقاق الفاصل بين ساحة سراي العتيقة والشارع المؤدي لسوق النحاسين ، كان المتولي على هذه المدرسة وامام الصلاة فيها الشيخ عبدالله الرفاعي وما زالت تقام فيها شعائر الصلاة . ومنها ايضاً المدرسة العمرية ومدرسة الشيخ الوطار او الوتار على الاصح وعلى مـــا اعتقد ومنها ايضاً مدرسة في مدخل طينال معروفة في طرابلس باسم مدرسة الشيخ حسين الجسر لان الشيخ حسين رحمه الله كان يلقي دروسه الدينية والفلسفية فيها ، ولم تزل تعد ملتقى الرجال الصوفية ممن يقصدون طرابلس .

قلعة صنجيل

اتينا على وصف هذه القلعة بالتفصيل في تاريخنا لعهد مصطفى آغا بربر

فليراجع هناك .

ابواب طرابلس

كان لطرابلس خمسة ابواب كاملة تغلق اثناء الحصار اولها لجهة الجنوب باب الرمل ويطل على مقبرة باب الرمل ، ازيل هذا الباب حين شقت البلدية شارع الراهبات ، وثانيها باب بوابة الحدادين بقيت اثاره حتى هدمتها البلدية حين شقت شارع بوابة الحدادين وثالث هذه الابواب باب الحديد وما زالت اثاره في الطريق المؤدية للملوية على طريق المدرسة الظاهرية ورابع هذه الابواب باب السراي العتيقة وبقي هذا الباب قائماً حتى بعد الحرب العالمية الاولى حين وسع الشارع رئيس بلدية طرابلس اذ ذاك خير الدين بك عدره ولم يبق من الابواب المشار اليها الا الخامس والاخير وهو باب التبانة وما زال الباب كما كان عبارة عن مدخل بباب كبير تعلوه عقدة من الاحجار البيضاء علو الباب نحو الاربعة امتار ونيف وعرضه نحو المترين ، ويا ليت مديرية الآثار تحافظ على هذ الباب فترمم معالمه وتستبقيه كاثر من آثار طرابلس الحيـــة .

ابراج الميناء

اقام نواب السلطنة في العصر المملوكي عدة ابراج على ساحل الميناء للدفاع عنها من غارات الصليبيين والقبارصة وعددها سبعة ابراج كما يلي :

١ - برج راس النهر

يقع جانب الجسر الحديدي الذي اقامته شركة سكة الحديد على مصب نهر ابي علي هذا البرج اصغر الابراج حجماً ويتألف من طابق واحد مربع الشكل طول ضلعه ١٦ متراً ويختلف عن بقية الابراج اذ يقوم على اركان اربعة بركائز اسطوانية مندمجة في البناء على نحو حصن الاكراد، جميع جدران البرج

كسيت بحجارة مصقولة سطوحها ناعمة ، ولكن هذه الكسوة انتزعت من اجزاء البرج . مدخل البرج منخفض جرد من عناصره الزخرفية ويتعاقب في مداميك الباب اللونان الاسود والابيض يؤدي الباب الى قاعة تعلوها اربع قبوات متعارضة ترتكز عند تلاقيها على دعمة وسطى بينما ترتكز الجوانب الاخرى على الجدران . في الجدار القبلي جوفة محراب وفي داخل الجدار درج يؤدي الى سطح البرج .

يرجع تاريخ بناء هذا البرج الى عهد السلطان الاشرف قايتباي واغلب الظن ان بناءه يعود لسنة ٨٨٢ هجرية عند زيارة السلطان المملوكي المذكور لطرابلس .

برج السباع

اهم ابراج طرابلس الذي ما زال محتفظاً بصورته الاولى وتعمل دائرة الآثار على ترميمه . هو عبارة عن برج مكعب الشكل مستطيله . طوله ٢٨,٥٠ متراً وعرضه ٢٠,٥٠ متراً ، مشيد بالأحجار المسنمة بطريقة منسقة ويندمج في سمك البناء ابدان من الأعمدة تظهر في سطح الجدران الخارجية بارزة بروزاً طفيفاً من البناء . مدخل البرج من الواجهة الغربية ويلاحظ ان بوابة البرج بعقدها ومدخلها تبرز قليلاً عن بقية جدار الواجهة . بوابة البرج تتميز بعقدها المنكسر الذي يتناوب في سنجاته اللونان الأسود والأبيض يعلو الاطار المستطيل فوق رأسي العقد جوقة مستطيلة كانت تحدد موضع اللوحة الانشائية .

هذه اللوحة كانت قديماً مثبتة فوق باب البرج وقد روى لي بعض المتقدمين بالسن ان قنصل فرنسا في طرابلس اتفق مع بعض البحارة في الأسكلة على ان ينزعوا له اللوحة من مكانها ويأتونه بها مقابل مبلغ خمس ليرات عثمانية ذهب . وقد قاموا بالتنفيذ بالاشتراك مع بعض البنائين من الأسكلة ونزعوا اللوحة من

مكانها وسلموها للقنصل الذي نقلها الى فرنسا ولم يكن من صلاحيـة الشرطة تفتيش حقائب القنصل الذي كانت تحميه من التفتيش الامتيازات الأجنبية .

في البرج ظاهرة تشبه ظاهرة قلعة صنجيل، وهي ميل الجدران الخارجية في الجزء الأدنى ، ميلا نحو الخارج ، لتساعد دفع الأحجار المتساقطة من أعلى الشرفات في عنف نحو الأعداء .

يعلو بوابة البرج قرب سور الممشى خرجات تدعم الشرفات مدخل البرج يؤدي الى قاعة واسعة يعلوهـا ست قبوات معارضة تتكىء في الوسط على دعمتين مركزتين تقعان في نفس محور المدخل . سقف القاعدة قليل الارتفاع وجدار المدخل مزودعلى جانبي الباب بفتحتين صغيرتين احداهما تنتهي بمنفذين للسهام ، الأيمن منحرف ، والأيسر معتدل، والفتحة الثانية تؤدي الى منفذين لرمي السهام وجدار الفتحة القبلي محفور على شكل محراب . في الجدار الشمالي أربع فتحات لرمي السهام وفي الجدار الشرقي أربع أيضـاً وفي الجدار الجنوبي ست .

يتوسط القاعة بين الدعمتين فوهة بئر تتجمع فيه مياه الأمطار التي تصل اليه عن طريق السقف من قنوات خارجية بداخل البناء. ما زالت هذه القاعة تحتفظ ببعض الزخارف باللونين الأبيض والأسود وعلى الجدار القبلي أيضـاً بعض زخارف هندسية .

الدرج يدور في سمك الجدار الواقع في الواجهة الغربية ويؤدي الى الطابق العلوي ، يتألف هذا الطابق من قاعة أكثر تعقيداً من القاعـة السفلية ، فهي فسيحة تنفتح في جدرانها ثماني جوفات عميقة تعلوها قبوات نصف اسطوانية. وللبرج مسجد صغير به محراب ونافذتان ومنور علوي وخزانـة لحفظ المصاحف .

وبرج السباع مع قلعـة صنجيل وجامع البرطاسي من أهم آثار طرابلس

يضاف اليها جامع طينال .

برج الفاخورة

كان هذا البرج يقع في اول محطة سكة الحديد ، باعته الدولة او البلدية للسيد نقولا كرم ، من تجار الاسكلة ، فأزال معالمه واقام مكانه بناء كبيراً مربع الشكل يحتوي طابقه الارضي على مخازن للتجارة يعلوها بناء مؤلف من عدة غرف اجره بانيـــه بعد مد الخط الحديدي الذي يصل طرابلس بالداخل كفندق لتجار حمص وحماه وحلب . والبناء باق على حاله وقد ابتاعه السيد عادل عبدالوهاب الهندي واتخذه مسكناً .

برج الشيخ عفان

كان هذا البرج يقع على طرف الاسكلة الشرقي ، ولقب ببرج الشيخ عفان لوجود ضريح احد الاولياء المدعو عفان على جدازه الغربي . باعته الدولة للحاج عثمان علم الدين فهدمه وازال معالمه وبنى مكانه عمارة مربعة الشكل الطابق الاول مستودعات للتجارة والطابق الثاني عبارة عن مسكنين اقام فيهما هو وعائلته ، ولم يبق من معالم البرج القديم شيء .

برج السراي

كان هذا البرج يقع على مسافة / ٣٠٠ / متر من برج الشيخ عفان ، منحه احد السلاطين العثمانيين لآل الزين الكجي في الاسكلة على ان يتخذوه مسكناً ، الا ان السلطة العسكرية العثمانية فيما بعد اجلتهم عنه بالقوة ، فأرسلوا احد بني حمزة من الاسكلة الى الاستانة يحمل المستندات القانونية للمراجعة فتوفي هناك وضاعت المستندات واستولت السلطة على البرج .

كان يتألف من باب في الجهة الغربية يدخل منه الى قاعة مستطيلة الشكل بنيت جدرانها بالحجارة المقرنصة وفي الجهة الشمالية درج للطابق العلوي المؤلف من عدة غرف . اتخذته الحكومة اللبنانية كمركز للشرطة وفي خلال حوادث عام ١٩٥٨ جرى نسف هذا البرج فهدمته فيما بعد دائرة الاوقاف الاسلامية واضافته الى جامع الداكيز الذي هدم ايضاً في خلال تلك الحوادث واعادت بناء المسجد مؤلفا من المسجد القديم ومن البرج .

برج عزالدين

يقع هذا البرج في الطرف الغربي من الاسكلة على شاطىء البحر ، ابتاعه من البلدية التاجر مصطفى عزالدين واستبقى العقود القديمة واقام فوقها بناء مؤلفاً من ثلاثة مساكن ويا ليت دائرة الآثار تبتاع البناء وتعيد معالم العقود القديمة التي كانت تشكل البرج كاثر من آثار طرابلس .

عقود البرج القديمة باقية على حالها وهي عبارة عن عدة عقود كانت متصلة ببعضها فصلها السيد عزالدين وحولها لمستودعات . باق من آثار البرج فسحة سماوية بجانب البناء الحالي الجنوبي لعلها كانت مقبرة للشهداء من حراس البرج.

وكل هذه الابراج من بناء المماليك وهناك برج آخر في محلة البحصاص زالت معالمه تماماً ولم يبق منها شيء .

حمام النوري

يقع هذا الحمام بالقرب من الجامع الكبير بمحلة سويقة النوري وما زال يؤدي وظيفته كحمام ويمكن للسائح زيارة هذا الحمام في الصباح حتى وقت الظهر لانه من بعد الظهر يتحول لحمام للنساء . بني هذا الحمام سنة ٧٢٣ هـ ويتكون من غرف تعلوها قبوات وقبيبات فيها مضاوي – اي فتحات صغيرة لادخال النور – مسدودة بقيعان زجاجية ملونة. اكبر غرفه المعروفة بالبيت

الساخن او بيت النار تحيط به مجموعة من الغرف كل غرفة تحتوي على جرنين للماء الساخن والبارد . قببات هذا الحمام من النوع المفصص .

حمام عزالدين

يقع في عطفة سوق البزركان بين السوق ومدخل خان الخياطين ، بالقرب من مجرى نهر ابي علي . بنى هذا الحمـــام الامير عزالدين ايبك الموصلي سنة ٦٩٤ هـ لما كان نائباً للسلطنة في طرابلس بين عامي ٦٩٤ و ٦٩٨ هـ. توفي الامير عزالدين المشار اليه في طرابلس ودفن في التربة التي انشأها لصق الحمام نقش على بابها « بسم الله الرحمن الرحيم هذه تربة العبد الفقير الى رحمته تعالى ايبك بن عبدالله الموصلي نائب السلطنة الشريفة بالفتوحات المحروسة رحمه الله تعالى المتوفى في خامس شهر صفر من سنة ثمان وتسعين وستماية من الهجرة النبويـــة .

الحمام مبني على بقايا كنيسة صليبية ، استخدمت نقوشها واحواضها لبناء الحمام . مدخل الحمام ينفتح على الشارع بعقد مدبب على رأسه كتابة لاتينية هذا نصها :

C S Y A C O V S L

والمعتقد ان هذا الجزء من بقايا كنيسة سان جاك التي كانت تقوم هناك . على عتبة البوابة نحتت صورة حمل فصحي بين وردتين ويعلو هذه الصورة النقش الكتابي الآتي :

E C C E A C N U S O E I

يتميز الحمام من الداخل بقبواته ذات المضاوي وغرفه الثلاثة المعروفة بالبراني اي غرفة الثياب . الوسطاني – اي الدافئة – ترتفع حرارتها تدريجياً عن السابقة ثم البيت الساخن . يتألف البيت الساخن من عدة غرف حول الوسطاني في كل غرفة جرنان للمياه السخنة والباردة . الحمـــام مفتوح حتى

الظهر للرجال وبعد الظهر للنساء .

حمام الحاجب

بناه الامير سيف‌الدين اسندمر الكركجي سنة ٧٠١ بجوار المدرسة الزرقية . هدمت البلدية جانباً منه في طريق النهر ولم يبق منه الا قبوات غرف المياه الساخنة وليت دائرة الآثار تستملكها وترممهـا كما استملكت الحمام الجديد .

حمام النزهة

كان هذا الحمام يقع فوق جسر نهر ابي علي الجديد او جسر اللحامة وكان على غاية من الطرافة اذ كان بوسع المستحم ان يمتع طرفه برؤيا مجرى النهر . ازيلت معالمه حين طاف نهر ابي علي سنة ١٩٥٦

حمام الجديد

يقع هذا الحمام في محلة بوابة الحدادين في طريق باب الرمل ، وقد احسنت مديرية الآثار بابتياع هذا الحمام من مالكيه ، اسرة العظم ، وقامت بترميمه وفتح ابوابه للسواح . والحمام اية في الفن واول ما يستلفت نظر السائح بوابة هذا الحمام فهي عبارة عن عقد بشكل نصف دائرة يتدلى من وسطه حجر بشكل سلسلة متفاوتة ببعضها بعدة حلقات وجميعها من حجر واحد يدخل طرفاه او طرف السلسلة في مفتاح العقد . ومدخل الحمام يؤدي الى قـاعة مربعة الشكل فيوسطها حوض للماء بنافورة وجميعها من الرخام الابيض وعلى مختلف جوانبها مصاطب خشبية للمغتسلين . سقف القاعة قبة مؤلفة من عقد واحد على دائرها فتحات بنوافذ للنور على دائرها درف خشبية بزجاج ملون. على يمين القاعة باب يدخل منه للوسطاني الذي هو عبارة عن قاعة مستطيلة الشكل بجانبيها جزن ماء كبير من الرخام . سقف القاعة عبارة عن عقد فيه

فتحات صغيرة للنور مسدودة بكاسات من الزجاج . في جـــانبي الوسطاني غرفتان للتغسيل كل غرفة مربعة الشكل بكل من جانبيها جرن كبير يشبه جرن الوسطاني وكل جرن مصنوع من الرخام الابيض يتسع لعدة ليترات من الماء وفوق كل جرن حنفيتان للماء الساخن وللماء البارد .

والحمام تحفة أثرية ولا نكون مخطئين اذا قلنا انه يمتـــاز على كل آثار طرابلس لما فيه من الزخرفات والحمام مفتوح في اي وقت كان .

خان الصابون

في طرابلس عدد من الخانات تعود جميعها للعهد المملوكي منها خان الصابون وخان الخياطين وخان المصرية وخان البطيخ وخان العسكر .

خان الصابون يقع في محلة الصاغة في وسط البلدة وهو عبارة عن بنـــاء مربع الشكل متساوي الاضلاع بجوانبه الاربع غرف للتجارة وفي ساحته حوض كبير للماء . يعلو غرفه طابق ثان مؤلف من عقود امامها فتحات كان تجار الصابون يضعون في هذه الفتحات صابونهم لكي يجف في الهواء . الخان مفتوح طيلة النهار .

خان الخياطين

يقع في آخر سوق البزركان مستطيل الشكل فيه مخازن للخيـــاطين على الجانبين تعلو هذه المخازن غرف مسقوفة بخشب . بنى هذا الخـــان الامير بدر الدين سنة ٧٠٤ وتتصل عمارته بحمام عزالدين . يقيم بمخازنه خياطون للالبسة العربية والافرنجية .

خان المصرية

اقيم هذا الخان سنة ٧٠٩ وسنة ٧٥٦ ويقع مقابل خان الخياطين مستطيل الشكل في وسطه حوض للماء وعلى دائره مخازن تعلوها غرف وقد بني هذا

الخان ليقيم به التجار المصريون ولذلك لقب بخان المصريين .

خان العسكر

يقع في الطرف الشرقي من طرابلس بني خـــلال العصر المملوكي لسكنى العسكر لذلك لقب بخان العسكر وهو مجموعة من بناء مستطيل الشكل ذي طابقين واهم ما فيه البوابة وقد رممه الافرنسيون في عهد الانتداب وهو الآن مقر للاجئين الفلسطينيين .

خان البطيخ

في باب التبانة مستطيل الشكل على دائره مخازن مؤجرة لاصحـــاب الدواب وبحالة الخراب من داخله .

خان التماثيلي

يقع في الاسكلة مقابل الجمرك ويعود للعهد المملوكي ايضاً . له بوابة كبيرة يدخل منها لصحن على دائره مخازن تعلوهـــا غرف بعقوده . يقيم به بعض التجار والطابق العلوي يسكنه مالكوه .

سوق الحراج

يقع الى الجانب الشرقي من سوق الصاغةوهو سوق تعلوه قبوات متعارضة ترتكز على اربعة عشر عموداً يرجع بنـــاؤه الى عهد المماليك لكن بعضهم ينسبه الى العهد الصليبي وانه اقيم مكان كنيسة وشكل العقود يدل على انه مكان كنيسة .

سبيل التينة

يقع على الضفة اليسرى من نهر ابي علي تجـــاه جامع المعلق اقامه اسد

محمد زين الدين مبارك شاه العلاي سنة ٨١٦ وفي مكان اللوحة الانشائية اربع رنوات تمثل الدواة .

سبيل مصطفى آغا بربر

اقام هذا السبيل مصطفى آغا بربر خلال حكمه لطرابلس يقع في محلة باب الرمل في اول الطريق المؤدي لجامع طينال .

نقش تاريخ بنائه واسم بانيه باربعة ابيات من الشعر كانت موضوعة فوق السبيل لكن دائرة الاوقاف اعادت بناء السبيل ولم ترجع لوحة الابيات الى مكانها وقد سبق لمؤلف هذا الكتاب ان لفت نظر مدير الاوقاف الذي تعهد بارجاع الابيات واللوحة القديمة او صنع لوحة جديدة . تنقش عليها ذات ابيات الشعر .

وقد عثرنا مؤخراً على الابيات المشار اليها وهذه هي :

شاد لله سبيلا حاكم الوقت المكرم
مخلصاً لله فيه وبحسن القصد يعلم
مصطفى اغاسي بربر السيد الشهم المكرم
وله التاريخ يعطي شربة من ماء زمزم

١٢١٧ هـ

البداوي

في خلال احتلال الصليبيين لطرابلس ، حاولوا جهدهم تحويل معالمها بالنسبة لعقائدهم ، فأنشأوا في البقعة الواقعة تحت قلعة صنجيل الكنيسة التي تحولت الى الجامع الكبير المنصوري بعد احتلال المماليك لطرابلس والتي تكلمنا عنها في حينه ، كما انشأوا ايضاً الكثير من المعابد ومنها معبد البداوي .

والبداوي ، الذي يبعد عن حي باب التبانة ، نحو الكيلومترين ، يقع على الجانب الايسر من طريق سوريا وعكار ، اقيم للعبادة على اسم القديس انطونيوس دي بادوا ، بجانب نبع من الماء ، ولعلهم اقاموه خصيصاً بالنظر لوجود نبع الماء .

وحين استرجع المماليك طرابلس ، حولوا فيما حولوه هذا المعبد الى مسجد وقد حرفوا اسم انطونيوس دي بادوا الى لفظـــة « بداوي » وبقي متنزهاً لاهالي طرابلس .

وفي اواخر القرن الماضي – القرن التاسع عشر الميلادي، وكان المماليك قد خصصوا هذا المسجد بعدد من الاوقاف، اقترح معلم البناء، يوسف عرقية، على المتولي ان يقيم على مدار النبع حاجزاً من الحجر المنحوت ثم يبني بجانبه عدة غرف ويؤجر البنـــاء والحوض كمتنزه للطرابلسيين ، وقد اعجبت الفكرة المتولي ، وهكذا اقيم الحوض الحالي حول نبع الماء وبالتـــالي اجرت الغرف كمقهى .

ومن عدة سنوات اقام الوقف مسجداً متسعاً بجانب المسجد القديم الذي تتابع عليه الزمن يقصده اهالي البداوي لاقامة شعائر الصلاة .

الجامع الكبير في الاسكلة

ذكرنا شيئاً عنه في باب آثار العهد الفينيقي ، وهذا الجامع بناه محمد ابو بكر وعلى الاغلب انه كان من حكام طرابلس، وذلك في عام ١١٣٥ هجرية . والجامع على ما رواه لي المتقدمون بالسن كعبد الستار بك علم الدين والشيخ توفيق الصفدي ، كان عبارة عن عقود مقرنصة تعلو عدة دكاكين وذلك في السوق في الاسكلة . وقد رأى ، ويا للاسف ، السيد ابراهيم علم‌الدين رئيس البلدية اذ ذاك ، ان يزيل معالم هذا الجامع ويبنيه من جديد ، فهدم العقود واستبقى منها مكان الوضوء والمئذنة واللوحة التي عليهـــا اسم الباني ثم اقنع

والده عبدالقادر علم‌الدين بان انفق على بناء الجامع فوق عقود جديدة بنتها البلديـــة .

وكما قلنا اعلاه ، من الاسف انه لم يكن هناك دائرة آثار تستبقي هذا الجامع على الشكل الذي اقامه بانيه محمد ابو بكر كأثر قديم في الميناء . ولم يبق فيه من الاثر القديم سوى اللوحة والمئذنة وقد زادت مؤخراً بعلوهـــا دائرة الاوقاف وكان الاحرى بها ان تتركها على شكلها السابق الذي كان آية في الفن المعماري ، اذ كانت نوافذ المئذنة تقوم على عقود مقرنصة بفتحـــات متعددة بشكل تقي المؤذن من المطر خلال الشتاء . وقد اقام معلم البناء في المئذنة ، علامة دائمة تنبىء بوصول الشمس الى خط الهاجرة ، موعد أذان الظهر على دائر فصول السنة ، الغيت هذه العلامة الفنية حين جرى تعلية المئذنة ويا للأسف .

جامع الداكيز

بنى هذا المسجد احد افراد اسرة بني الداكيز في الاسكلة خلال العهد العثماني وكان قائماً على البحر مقابل برج الشيخ عفان وملاصقاً لبرج السراي . والجامع كان ايضاً من الامكنة الاثرية وقد ازال بناءه القديم نور علم الدين رئيس بلدية الاسكلة بعد الحرب العالمية الاولى ولم تعترض دائرة الاوقاف على ازالة هذا الاثر القديم وجدد بناءه . وقد نسف خلال حوادث عـــام ١٩٥٨ وقد سبق واتينا على ذكر ذلك .

السور القديم

بقرب حمام المقلوب في غرب المينـــاء قطعة ارض متسعة تعرف بأرض مابرو وقد جرى مؤخراً بعض الحفريات في هذه الارض وظهرت فيها معالم للسور الفينيقي القديم ، ولم تهتم مصلحة الآثار بهذا الاثر .

جامع الحجيجيات

يقع هذا الجامع في سوق الخشابة في منتصف البرطاسية في اول شارع النحاسين . باني هذا الجامع هو احمد السنيني الشهير بابن امير الحج . بناه في خلال العهد المملوكي وقد طمست اللوحة التي عليها تاريخ بنائه .

يدخل الى الجامع من صحن في وسطه حوض للماء للوضوء، وفي الجهة الشرقية الشمالية بيت الصلاة وهو مربع الشكل في وسطه منبر خشبي .

يعلو الباب مئذنة مربعة الشكل في كل جانب من جوانبها فتحتان بقنطرتين للمؤذن . والمئذنة في حالة خراب تقريباً .

خان الشاويش

يقع هذا الخان في الممر الكائن بين سوق النحاسين والتربيعة ، هذا الخان ايضاً يعود للعهد المملوكي ، يملكه الآن آل المقدم في طرابلس . بابه بقنطرة مقرنصة عليها كتابة قديمة محاها الزمن . صحن الخان مربع الشكل مكشوف على كافة جوانبه غرف . كان هذا الخان يستعمل للمبيت للتجار من الغرباء الذين يأتون لطرابلس . وقد عصفت الايام بهذا الخان فاصبح مبيتا للحيوانات ولكن السيارة قضت ايضاً على الحيوانات وهو الآن بحالة الخراب .

الجامع الحميدي في الاسكلة

بني هذا الجامع على انقاض اول مدرسة رسمية انشأها الاتراك العثمانيون في الاسكلة واهتم بها ابو الاحرار ، الوزير التركي مدحت باشا ، حين زار الاسكلة ، وقد انتسب اليها عدد من الطلاب لكنه بعد مدة قصيرة اقفلت ابواب هذه المدرسة لسبب من الاسباب اما لعدم وجود طلاب او لعدم وجود اساتذة وفي سنة ١٩٠٢ ، بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على جلوس السلطان عبدالحميد الثاني على عرش آل عثمان ، واحتفال طرابلس بمجموعها بهذا

العيد ، قامت لجنة من وجهاء الاسكلة[١] وجمعت مبلغاً من المال من المتبرعين وحولت المدرسة المشار اليها الى مسجد اطلق عليه اسم الجامع الحميدي تيمناً باسم السلطان عبدالحميد الثاني .

وهذا الجامع بسيط جداً ولا يتضمن شيئاً يستحق الذكر خصوصاً وان عهد بنائه لا يعود الى اكثر من ثلاثة ارباع القرن ولا تستدعي النظر سوى المئذنة المستديرة الشكل بخلاف اكثر مآذن مساجد طرابلس .

جامع الداكيز

هذا الجامع بنــــاه احد بني الداكيز الذي يعود وجودهم في الاسكلة الى مئات السنين كان مربـع الشكل يقع على البحر بجانب برج السراي ولم ينشىء له بانيه مئذنة الامر الذي يدل على انه كان مدرسة اكثر مما هو جامع .

وفي سنة ١٩٢٢ ، بالنظر لضيق الطريق ، وتوارد البضـــائع على جمرك الاسكلة وان نقلها يجري من امام الجامع المشار اليه ، قامت بلدية الاسكلة بهدم عقود هذا الجامع واعادت بناءه بشكل حديث مضيفة اليه من البحر ما اقتطع من الطريق . وفي خلال عام ١٩٥٨ نسف هذا الجامع مع برج السراي بالنظر لانه كان ملاصقاً للبرج المذكور ثم اعيد بناؤه مؤخراً واطلق عليه اسم جامع عمر بن الخطاب بدلاً من جامع الداكيز .

جامع غازي

بنى هذا الجامع الحاج عبدالله غازي في وسط الحي الاسلامي في الاسكلة عام ١٢٩٠ هجرية واوقف له الاوقاف اللازمة . والجامع مربـع الشكل ليس فيه ما يستلفت النظر الا العقدة على الباب المستديرة بشكـــل نصف دائرة بنيت فوقها المئذنة .

---

(١) تحت رئاسة الحاج ابراهيم علم‌الدين رئيس بلدية الاسكلة .

كنائس طرابلس

قلنا في القسم التاريخي ان الملك المنصور قلاوون ، حين احتل طرابلس هدم معالمها واجلى عنها كافة الصليبيين وابادهم لكن النصارى من ابناء البلاد، بعد ان لجأوا الى القرى المجاورة ، عادوا لطرابلس واتخذوا حياً خاصاً بهم في الطرف الشرقي الشمالي من البلدة وسمحت لهم الحكومة المحلية باشادة كنيسة في هذا الطرف من مطلع قلعة صنجيل وراحوا يقيمون شعائرهم الدينية بكل حرية في هذا المعبد .

وقد افادنا السيد موسى حيدر ، الضليع بالتاريخ الكنايسي ، ان النصارى من الارثوذكس اخذوا يعانون صعوبات بالذهاب الى الكنيسة بالنظر لان الشوارع كانت تمتلىء بالوحول ايام الشتاء ولان الكنيسة تقع في مطلع القلعة مما يجعل المتقدمين بالسن لا يتمكنون من الذهاب لاقامة الشعائر الدينية في الكنيسة الا بغاية الجهد ، لذلك طلبوا من متسلم البلدة ان يستبدل لهم هذه الكنيسة بمصبنة تقع ضمن الحي المسيحي فوافق متسلم او والي طرابلس على الطلب وتنازلوا عن كنيستهم واقطعتهم الدولة المصبنة التي حولوها الى كنيسة مارنقولا التي تقع في وسط الحي بنوها ونقلوا اليها جميع الايقونات والاشياء التاريخية ولما ضاقت هذه الكنيسة من استيعاب المصلين بالنظر لتكاثر ابناء الطائفة قام المطران صفرونيوس ببناء كنيسة مار جرجس الواقعة ايضاً في نفس الحي وذلك في عام ١٨٦٢ م .

وكل من هاتين الكنيستين مبني على الطراز البيزنطي فكنيسة مار نقولا صغيرة بالنسبة لكنيسة مارجرجس، مربعة الشكل امامها صحن متسع قامت دائرة الاوقاف الارثوذكسية اخيراً بتجديدها .

اما كنيسة مار جرجس فمتسعة، مدخلها من صحن مستطيل تدخل من باب بعقد يعلو نحو المترين ونصف . الكنيسة مقسمة الى ثلاثة اقسام متشابهة

سقفها عبارة عن عقود بقبب في الجانب الغربي من المعبد بنـــاء من خشب جدرانه شعاري من الخشب ايضاً اقيم للمصلين من النساء . جدار الكنيسة الشرقي الشمالي مغلف بصور القديسين وفي وسطه صورة كبيرة للسيد المسيح على الصليب .

في الجانب الشرقي منصة يصعد اليها ببعض الدرج اقيمت لسيادة المطران ليلقي منها عظاته .

اما في الاسكلة فهناك كنيسة مار جرجس ايضاً اقامتهـــا الطائفة بعهد الوالي ابراهيم باشا احد ولاة طرابلس في العهد العثماني سنة ١٧٣٥ م وتشبه الى حد كبير كنيسة مار جرجس التي في البلدة ولعل كنيسة البلدة أقيمت على منوالها . هي عبارة عن بناء بعقود مقرنصة مقسمة ايضاً الى ثلاثـــة اقسام القسم الغربي منها فيه بناء من خشب حجزت جدرانه بشعاري واعد للنساء من المصلين .

وهناك ايضاً كنيسة مار الياس وهي كنيسة بناها صيادو الاسفنج في الاسكـــلة .

الكنيسة مستطيلة الشكل بعقود مقرنصة علوها عن الأرض نحو الخمسة امتار .

وفي البلدة ايضاً كنيسة الفرنسيسكان وتقع امام كنيسة مار جرجس وهي عبارة عن عقود مستطيلة مبنية بالحجر المنحوت ولم نشاهد كتابة عليها تدل على تاريخ بنائها وعلى الاغلب انها لا تعود لاكثر من مائتي سنة .

وهناك ايضاً كنيسة الطائفة المارونية وهي ايضاً حديثة العهد .

كنيسة مار مخايل في السلفتانية

تقع هـــذه الكنيسة في محلة السلفتانية التابعة لمنطقة القبة وهي للطائفة الارثوذكسية . يعود بناؤها للقرن الثامن عشر على مـــا ذكره لي السيد نعمة

يازجي ، وقد بنتها الطائفة من أموال المحسنين لاقامة الشعائر الدينية للسكان في تلك المحلة .

بناؤها مستطيل الشكل بعقود مقرنصة على الشكل البيزنطي ولا تتسع لاكثر من عدد محدود من المصلين .

والكنيسة شبه مهجورة تقام فيها الشعائر الدينية خلال الاعياد .

ساعة البلدية

بمناسبة اليوبيل الفضي للسلطان عبد الحميد الثاني في حوالي عام ١٩٠٢ جرى جمع مبلغ من المال من الأهالي وساهمت البلدية بقسم آخر وكلف المهندس التركي في المتصرفية توفيق بك المهندس باقامة ساعةعامة بنيت في ساحة التل بتصميم المهندس المشار اليه بعلو /٣٠/ متراً مربعة الشكل ووضع في جانب من جوانبها وجه ساعة كانت تدور في خلال العهد العثماني على الطريقة العربية باعتبار غروب الشمس الساعة الثانية عشرة وقد عدلت فيما بعد على الوقت الزوالي .

سراي طرابلس

كانت السراي العتيقة الكائنة في الساحة المعروفة بساحة سراي العتيقة في أول البلدة على الوصف الذي اتينا به حين تكلمنا عن أبواب البلدة ، ولما ضاقت هذه السراي عن استيعاب الموظفين ، قامت الحكومة العثمانية ببناء سراي جديدة في ساحة التل أمام الساعة وذلك في عام ١٣٠٨ هـ انتقلت اليها كل دوائر الحكومة وكانت أول بناء يبنى في طرابلس خارج أبواب المدينة بعد بيت الحسيني .

وقد بنت مؤخراً الحكومة المحلية السراي الجديدة في منتصف بولفار

طرابلس وقررت البلدية هدم السراي المشار اليها وتحويل مكانها الى ساحة عمومية .

المولوية

فرقة المولوية انشأها السيد جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشريف ـ وقد سبق للمؤلف ان نشر درساً مستفيضاً عن جلال الدين الرومي المشار اليه ولخص المثنوي بشكل عصري وذلك على صفحات جريدة الجريدة البيروتية.

وفرقة المولوية في طرابلس قديمة جداً وبناؤها ايضاً قديم لكن البنـــاء الحالي يعود للقرن الهجري الماضي . وللمولوية عدة اوقاف كان ينفق ريعها على التلامذة .

كانت فرقة المولوية تحيي من آن لآخر حفلات يقوم في خلالها التلامذة بالفتل على طريقة جلال الدين الرومي ، وحين تولى رئاسة المشيخة الشيخ شفيق المولوي احدث نشأة في الفرقة وتوالت حفلاتها خصوصاً في حياة الشيخ منير الملك ، أحد المنتسبين لفرقة المولوية ، فكان في السابع والعشرين مـن شهر رمضان وفي كل سنة يقيم حفلة عامرة في الجامع الكبير في الاسكلة .

وبعد وفاة الشيخ شفيق المذكور خلفه شقيقه الشيخ انور ولضآلة الواردات لم يعد ينتسب احد لفرقة المولوية خصوصاً بعد وفاة الشيخ انور .

والسيد حمد بدر عبده ـ امد الله في عمره ـ هو من بقايا فرقة المولوية القديمة والمشيخة ابطلت اقامة الحفلات العامة بعد وفاة الشيخ انور المولوي .

بناء المولوية قائم في محلة ابي سمراء على ضفة نهر ابي علي وهو عبارة عن منزل عادي لكن في داخله قاعة كبيرة مربعة الشكل معدة لاقامة حفلات الفتـــل .

وبعد ان شق طريق نهر ابي علي اصبح بوسع السائح الوصول للمولوية بالسيارة .

حمام العتيق في الأسكلة

تولى على طرابلس عدد كبير من آل العظم من دمشق ، وقد انتبهوا لعدم وجود حمام في الأسكلة الأمر الذي يضطر أهاليها الانتقال للبلدة للاغتسال في حماميها وكان هذا الأمر من الصعوبة بمكان بالنظر لأن الانتقال للبلدة، كان على ظهور الدواب الأمر الذي تضيق به ذرعاً السيدات .

وقد استولى على قطعة الأرض الكائنة في وسط سوق الاسلام وذلك منذ أكثر من ثلاثة قرون وبنى فيها حماماً صغيراً لسكان الأسكلة . وقد توارث آل العظم هذا الحمام حتى بعد الحرب العالمية الأولى حين ابتاعه منهم المرحوم ناجي القصاب .

ويقع هذا الحمام ، المعروف بالحمام العتيق تمييزاً له عن الحمام الجديد الذي بناه نقولا كرم ، من وجهاء الأسكلة ، يقع تحت عقد الجامع الكبير ومدخله من أمام دكان السيد فؤاد طبيخ يدخل من الباب الىعقد مربع في أعلاه فتحة كبيرة مدورة الشكل وعلى داير العقد مقاعد للمغتسلين . وفي الجهة الغربية باب يدخل منه بممر الى عقد مربع الشكل أيضاً يتخذ مشلحاً لخلع ثياب المغتسلين . ومن هذا المدخل يدخل المغتسل الى قاعة أيضاً مدورة الشكل مبلطة ببلاط الرخام وفي صدره جرنان من الرخام للماء الساخن وبين الجرنين مصطبة تعرف باسم بيت النار .

وفي جانبي العقد الشرقي والغربي غرفتان كل غرفة مقسومة الى قسمين مسقوفة كل واحدة منها بعقد من الحجارة به فتحات صغيرة بلورية للنور وفي قسم من قسمي الغرفة جرن واحد تجري فيه المياه الساخنة والباردة .

حين بني الحمام لم يكن فيه مياه ، ذلك أنه لم يكن في الأسكلة مياه وقد

احتاط بانيه للأمر فحفر بئراً يرفع منه الماء بواسطة ناعورة على الهواء .

وخلال احتلال ابراهيم باشا لطرابلس في أوائل القرن التاسع عشر ، ساق ابراهيم باشا الماء الى الأسكلة. وبالتالي خصص الحمام بقسم من الماء ليستعيض به عن ماء الناعورة .

والحمام يشكل تقريباً أقدم اثر في الميناء من أيام الحكم العثماني في طرابلس.

الجمعيات في طرابلس

الجمعيات الأدبية

على اثر تأسيس الجمعيات الأدبية في بيروت ودمشق وحمص وحلب ، قام السيد اسكندر كاتسفليس بتأسيس جمعية ادبية في خلال عام ١٨٧٠ تولى الرئاسة كما تولى أمانة السر المؤرخ جرجي يني وانتسب اليها عدد من الأدباء لكنها لم تدم طويلاً وحاربها العهد الحميدي فالغيت في عام ١٨٧٦ .

ثم قام جرجي يني بتأسيس جمعية أخرى انتسبت لمدرسة كفتين التي أسسها البطريرك غرغوريس حداد وعاشت هذه الجمعية مدة سبع سنين ثم الغيت باقفال المدرسة .

المحافل الماسونية

أول من انتسب للجمعية الماسونية في طرابلس هو المرحوم خير الدين عبد الوهاب الهندي ، انخرط في عداد أعضاء محفل بيروت ، ثم انشأ في طرابلس الميناء محفل المينا الأمين وكان من المؤسسين انطونيوس باسيلي وشكري فاخوري وسليم انتكلي ونقولا النيني وأسعد البرط وجورج بنديلي

وجورج معربض وجورج بطش .

ثم تأسس أيضاً محفل آخر تحت اسم محفل فم الميزاب تولى رئاسته جورج بندلي وكان من أعضائه اسكندر بندلي ونعمة اليازجي .

وفي البلدة تأسس محفل قاديشا وكان من مؤسسيه جرجي يني وأخيه صموئيل ومحمد البابا وغيرهم .

جمعية النهضة الأدبية أو النادي الأدبي

اسس هذه الجمعية الأدبية جرجي يني وكان من أعضائها أخوه صموئيل وفرح انطون وأسعد باسيلي وغيرهم من أدباء طرابلس وقد أقفلت هذه الجمعية على أثر حوادث الأرمن وكان من هدفها القاء الخطب الادبية وإقامة الحفلات لنشر الثقافة العامة .

جمعيات دفن الموتى

أسس جمعية لدفن الموتى في الاسكلة نقولا النيني وساعده كل من الياس التاجر وانطونيوس دبو والياس المبيض ونعمة يازجي وما تزال هذه الجمعية قائمة في الاسكلة وقد تأسست على منوالها جمعية في البلدة لطائفة الروم الارثوذكس وأخرى للموارنة وأيضاً جمعية تحت اسم اخوة الحبل بلا دنس.

جمعية السيدات

أسست هذه الجمعية في الاسكلة الكاتبة المشهورة لبيبة عازار صدقة وكان من أعضائها حنة عازار وكريمة جرجورة نادر وزهية نادر صائغ وغيرهن من كرام السيدات لكن هذه الجمعية لم تعمر طريلا

جمعية مدرسة مار الياس

اسس هذه الجمعية السيد نعمة اليازجي ونال رخصة من السلطة بتأسيس

مدرسة تابعة لها لتعليم الناشئة ولم تزل هذه المدرسة قائمة في الاسكلة .

الجمعيات الاسلامية

لم يجر تأسيس جمعيات لدى المسلمين بل كان باعث النهضة الادبية في طرابلس الشيخ حسين الجسر بما كان يلقيه من دروس على الناشئة . كان الشيخ الجسر من محبي العهد الحميدي لذلك كانت دروسه تدور دائماً على مدح الجالس على عرش الاستانة .

وبعد الحرب العالمية الأولى قام كل من الشيخ جميل عدره والحاج رفيق الفتال بتأسيس جميعية اطلقوا عليها اسم الجمعية الخيرية الاسلامية واسعاف المحتاجين سعوا الى العمل على تأسيس ميتم لتربية أولاد الأيتام من الطائفة الاسلامية .

وقد نمت هذه على ايدي المحسنين أمثال الدكتور عبد اللطيف البيسار والسيد نجيب الارناؤط وقد تبرع كل منهما بالمبالغ الطائلة وتمكنت هذه الجمعية باستقامة مؤسسيها من اقامة بناء شامخ في محلة باب الرمل ثم اسست مدرسة ثانوية تحتوي اليوم على مئـــات الطلاب وخدمت الطائفة اجل خدمة وذاع صيت مدرستها لا في لبنان فحسب بل لدى سوريا الشقيقة .

جمعية الاعمال الخيرية في الاسكلة

اسس هذه الجمعية السيد حمدي الزيني في عام ١٩٢٦ وساهم في تأسيسها كل من مصطفى عبدالوهاب الهندي وديب درويشه وسعيد صيداوي ووجيه الزين وهاشم الزيني. كانت غاية هذه الجمعية معاونة الفقراء من عمال الاسكلة وقد انضم الى عضويتها جميع ما في الاسكلة من عمال وكان الاشتراك بالجمعية عبارة عن دفع خمسة قروش لبنانية في الاسبوع تدفع لصندوق الجمعية . وقد عملت هذه الجمعية على تطبيب جميع العمال ودفع اجور الاطبـــاء والعمليات

الجراحية وثمن الدواء على نفقتها مقابل الخمسة قروش التي يدفعها المشترك .

وقد لعبت هذه الجمعية دوراً كبيراً في شؤون الاسكلة فاحيت عدة حفلات خطابية وثقافية دعت اليها عدداً من ادباء وعلماء طرابلس وبيروت لالقاء محاضرات ادبية وعلمية على الاعضاء وعلى الجمع الغفير من سكان الاسكلة.

لكن السياسة لعبت دوراً هاماً في شؤون الجمعية واتهمها حاسدوها بانها تعمل لمقاصد سياسية ووشوا بها لرئيس دائرة الامن العام في الاسكلة بأنها وان اعضاءها هم المسببون لحوادث عام ١٩٣٦ وهكذا صدر قرار بحل الجمعية وتفرق اعضاؤها ولم يبق من اثرها الا فرقة الموسيقى التي احدثتها وقد احتفظ كل عضو من اعضاء فرقة الموسيقى بالآلة الموسيقية التي كان يعزف عليها .

وقد انفقت الجمعية على هذه الفرقة التي انشأتها مئات الليرات اللبنانية وابتاعت الآلات من بيروت واحضرت معلماً خاصاً درب افراد الفرقة على العزف وكان لها الصدى البعيد .

وقد اسف اهالي الاسكلة على حل هذه الجمعية ولم تخلفها في الاسكلة أية جمعية اخرى .

جمعية الخدمات الاجتماعية

هذه الجمعية قامت مؤخراً بهمة السيدة فدوى عبد الوهاب الهندي رئيستها والمؤسسات هن كل من سلام عبد الوهاب الهندي ولواحظ عبد الوهاب الهندي وآسية اللون البايقلي وزهرة طبيخة كباره وعلية عدره .

وقد قمن بعمل جبار فأنشأن مدرسة مجانية تعد للسبرتفيتكا في الاسكلة كما انشأن مشغلا لتعليم الفتيات الخياطة والتدبير المنزلي ورئيسة الجمعية السيدة فدوى عبد الوهاب الهندي كرست كل وقتها لخدمة هذه الجمعية .

الأعياد في طرابلس

في العهد الفينيقي

عرضنا في الباب الأول حين تكلمنا عن الفينيقيين انه كان لهم الهة متعددة، طبقاً لتيارات العصر وهكذا كان لطرابلس آلهتها وقد عبد الفينيقيون من صوريين وصيدانيين وأرواديين كل منهم عبد الهته وكان الإله عشتروت يعتبر بمثابة اله عام .

والأعياد كانت تقام في مواسم مخصوصة لكن أشهرها كان العيد الذي يقام في أوائل فصل الربيع وانحسار الامطار وتفتح الازهار ، فتقدم الذبائح للإله عشتروت ولغيره من الآلهة كالإله « ماكرث » إله الصوريين وغيره . وكان الفينيقيون يعتقدون ان ملوكهم انحدروا من هذه الآلهة لذلك كان الملك من أشد أنصار الاحتفال بالاعياد الموسمية .

في العهد الروماني

وفي العهد الروماني عبد الطرابلسيون آلهة الرومان وأقاموا الاحتفالات الكبيرة في الأعياد الموسمية التي كانت تقام بمناسبة حلول فصل الربيع على ما ذكرنا في العهد الفينيقي.

ثم جاءت المسيحية لطرابلس في خلال القرن الاول للميلاد وحين مر بطرس الرسول في طرابلس تبعه عدد كبير من الطرابلسيين واعتنقوا الدين الجديد الذي جاء يبشر به وبالتالي تطورت الاعياد ، فبعد ان كانت تقام للإله عشتروت ، أصبحت تقام حسب الطقوس المسيحية التي تطورت أيضاً مع الزمن فأصبح للمسيح من سكان طرابلس عدداً من الاعياد ولكن أهمها عيد ميلاد المسيح ثم عيد الفصح والاحتفال بقيام المسيح من بين الاموات ثم صعوده للسماء .

في العهد الاسلامي الأول

ترك المسلمون حين احتلوا طرابلس للمسيحيين منتهى الحرية باقامة الشعائر الدينية وهكذا ظل المسيحيون يحتفلون بعيد الميلاد ثم بأحد الشعانين ويتلوه عيد الفصح .

أما المسلمون فكان احتفالهم بحلول شهر رمضان المبارك ثم بالعيد الذي يتلو شهر الصيام ، فكانت تقام الشعائر الدينية ، وأسوة بالخليفة كان حاكم طرابلس يوم عيد الفطر يذهب لصلاة العيد في المسجد الذي أقامه المسلمون واندثر خلال العهد الصليبي . وفي عيد النحر كانت تقام الاحتفالات ويحضر حاكم البلدة صلاة العيد وربما القى خطبة العيد وبعد الصلاة يجري ذبح الخراف ويوزع لحمها على الفقراء وتعم البهجة .

وفي العهد الفاطمي ثم في عهد بني عمار كانت طرابلس تحتفل بيوم عاشوراء بذكرى الشهيد السيد الحسين ثم لما أحدث حاكم أربل العيد النبوي في الاقطار الاسلامية صار الطرابلسيون يحتفلون بذكرى المولد النبوي الشريف

في العهد الصليبي

دام العهد الصليبي في طرابلس نحو القرنين وكان الصليبيون يحتفلون بعيد الميلاد ثم بعيد الفصح وبأحد الشعانين وببقية الأعياد المسيحية حسب طقوس الطائفة الكاثوليكية وكان أسقف طرابلس يقيم قداساً حافلاً بمناسبة هذه الأعياد يحضره أمير طرابلس وجميع حاشيته .

في العهد المملوكي

بعد ان احتل المماليك طرابلس وأجلوا عنها الصليبيين وبنوا الجامع الكبير المنصوري ، أصبح هذا المسجد محور اقامة الشعائر الدينية . فبحلول شهر رمضان ، كانت تنار المنائر ليلاً ثم في خلال العشر الأخير تجري شعائر

الاعتكاف وفي يوم عيد الفطر تقام الصلاة ويحضرها حاكم البلدة من طرف المماليك . أما في عيد النحر فبعد الصلاة كانت تنحر الذبائح ويجري توزيع اللحوم على الفقراء . والأغنياء كانوا يوزعون على نفقتهم لحوم الذبائح على سكان الحي من الفقراء .

في العهد العثماني وما بعده

بعد ان فتح السلطان سليم البلاد العربية وتبعت طرابلس دمشق ، تواصل الاحتفال بسائر الاعياد كما كان في خلال العهد المملوكي وكان متسلم طرابلس يحضر بنفسه صلاة كل عيد من عيدي الفطر والاضحى . وتوالت هذه العادات حتى اليوم فما يزال محافظ طرابلس المسلم يحضر صلاة العيد أو يرسل رئيس الجمهورية أحد الوزراء لينوب عنه في حضور الصلاة .

الاعياد المسيحية

بما ان أكثر سكان طرابلس المسيحيين يتبعون المذهب الارثوذكسي لذلك فان شعائر عيدي الميلاد والفصح بقيت تقام خلال العهد المملوكي والعهد العثماني حسب شعائر الطائفة الارثوذكسية وقد أطلق الحكام الاتراك منتهى الحرية لسكان طرابلس من المسيحيين بإقامة الشعائر الدينية والاحتفال بأعيادهم حسب طقوسهم .

الباب الرابع عشر

علماء طرابلس

افردنا بابا خاصاً لعلماء طرابلس وقد قاسينا الكثير من المتاعب في العثور على ترجمة حياتهم بالنظر لان اكثر الذين نبغوا من الطرابلسيين انما عاشوا في غير طرابلس لتعاطي اسباب الرزق .

وقد وصف ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان طرابلس في باب الالف في مادة « اطرابلس » بالالف فذكر ان المتنبي وصف الطرابلسيين بقوله :

اكارم حسد الارض السماء بهم   وقصرت كل مصر عن طرابلس

ثم عاد في مادة « طرابلس » بالطاء فخلط بين طرابلس اللبنانية وطرابلس المغربية فذكر بيت المتنبي المشار له ، ثم ذكر على قسم من قصيدة احمد ابن الحسين بن حيدرة المعروف بابن خراسان الطرابلسي بقوله :

احبابنا غير زهد في محبتكم   كوني بمصر وانتم في طرابلس
ان زرتكم فالمنايا في زيارتكم   وان هجرتكم فالهجر مفترسي
ولست ارجو نجاحاً في زيارتكم   الا اذا خاض بحراً من دم فرسي

ويضيف ياقوت في مادة « اطرابلس » بقوله « وقد خرج من اطرابلس من اهل العلم منهم معاوية بن يحيى الاطرابلسي يكنى ابا مطيع ، روى عن سعيد بن ابي ايوب وعن ابي الزناد وسليمان بن سليم وخالد الحذاء ، روى عنه

بقية بن الوليد وهشام بن عمار ومحمد بن يوسف الفريابي وعبدالله بن يوسف النتيسي ، قاله الحافظ ابو القاسم الدمشقي ، قال : ومعاوية بن يحيى ابو روح الصدفي الدمشقي الاطرابلسي كان يلي بيت المال بالري للمهدي» ثم عدد ياقوت جماعة من طرابلس ممن رووا عن الكثيرين من مشاهير العلماء لم نجد ضرورة لذكرهم .

ومن المؤسف انه لم ينبغ من طرابلس الا العدد القليل من العلماء بالنظر لانها بقيت خلال مدة طويلة عرضة للفاتحين وفي عهد بني عمار كما ذكرنا في موضعه كان في طرابلس مكتبة عامرة اتلفها الصليبيون حين استولوا على طرابلس .

وفيما يلي نذكر ترجمة من عثرنا عليهم من علماء طرابلس .

الزعيم عبد الحميد كرامي – توفي سنة ١٩٥٠م :

من بناة الاستقلال اللبناني ومن دعاماته الكبرى ، قضى جميع حياته مناضلاً مكافحاً في سبيل اجلاء الاجنبي عن أرض الوطن اللبناني .

ولد في سنة ١٨٩٧م وتعلم في مدارس طرابلس ، والقيت اليه مهام منصب الافتاء في طرابلس ، وهو في عنفوان الشباب ، فقام بالمهمة أحسن قيام ، وحين جلا الأتراك عن لبنان عهدت اليه الحكومة العربية بمنصب حاكمية طرابلس ، فقاد البلدة أحسن قيادة ، وأعلن استقلال البلاد ، وتبين فيمابعد انه استعمار مغلف تحت اسم الانتداب ، فأبى أن يتعاون مع المستعمر وترك مركز الحاكمية ، وتولى زعامة طرابلس في نضالها ضد الاجنبي .

قاسى من اضطهاد الدولة المنتدبة الكثير ، ونفي مراراً وتكراراً لكنه رفض كل عروض الدولة المنتدبة للتعاون معها ، ولم يرض بديلاً عن الاستقلال التام وانسحاب الجيوش الاجنبية عن أراضي لبنان .

وحين أعلنت الحرب العالمية الثانية جاءت حكومة الجنرال ديغول ،

وأعلنت استقلال لبنان ، وجرى في سنة ١٩٤٣ انتخاب أول مجلس للنواب في عهد الاستقلال ، فانتخبته طرابلس نائباً عنها بالاجماع .

لكن المندوب السامي الفرنسي لم يرض عما قام بـه النواب ، من تعديل للدستور اللبناني وحذف المواد التي تقيد الاستقلال ، وهكذا في ليل الحادي عشر من تشرين الثاني من السنة المشار اليها ، القى عليه الجنود السنغاليون القبض، واقتادوه بملابس النوم الى المنفى هو والرئيس بشاره الخوري والرئيس رياض الصلح وغيرهم ، حيث بقوا حتى الثاني والعشرين من تشرين وهو اليوم الذي اتخذ فيما بعد عيداً للاستقلال .

وفي عام ١٩٤٥ عهد اليه بتأليف الوزارة فقام بالمهمة أحسن قيـام ومثل لبنان في تأسيس الجامعة العربية .

وفي سنة ١٩٥٠ أصيب بمرض عضال لم تنفع فيه عقاقير أطباء لندن وباريس ، فتوفي ملبياً نداء ربه راضياً مرضيا ، فأقفلت أسواق طرابلس وعم الحزن لبنان بأكمله وشيعته البلاد وسار وراء نعشه الوزراء والنواب ومندوبو الدول وكان في طليعة المشيعين رئيس الجمهورية بشاره الخوري الذي ابنه في الجامع الكبير المنصوري ورثاه بما نفذ الى قلوب السامعين .

وفي سنة ١٩٦٣ احتفلت طرابلس ولبنان باقامة تمثال للرئيس كرامي في مدخـــل طرابلس ، وحضر الحفلة الرئيس شهاب وسائر الوزراء والوفود ، وذلك اعترافاً بفضله وتخليداً لنضاله في سبيل الاستقلال .

لم يترك الرئيس كرامي آثاراً مكتوبة سوى خطبه المحفوظة في سجلات مجلس النواب اللبناني .

الشيخ ابراهيم الاحدب – توفي سنة ١٣١٥ هـ

ولد في طرابلس سنة ١٨٢٦ واحترف كبقية افراد عائلته تجارة الليمون

لكنه في خلال شهر رمضان تردد على حلقة الشيخ عبد الغني الرافعي لاستماع دروسه التي كان يلقيها في الجامع الكبير المنصوري ، وقد انتبه الشيخ المذكور الى ذكائه فرغبه بترك تجارة الليمون والانصراف الى العلوم الادبية والشرعية وهكذا انقطع الى الدرس على الشيخ الرافعي ، وبرع في العلوم اللسانية والفقهية ، ولما ضاقت طرابلس عن اشباع مطامحه ، انتقل الى بيروت وتعين في المحكمة الشرعية حيث لبث نيفاً وثلاثين سنة ، ثم تعين عضواً في مجلس معارف ولاية بيروت .

ترك من الآثار الادبية دواوين شعر تربو أبياتها على الثمانين الف بيت ، كما وضع كتاب كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان ، ونظم امثال الميداني واطلق عليه اسم « فرائد الليال في مجمع الامثال » كما وضع ثمانين مقامة نحا فيها نحو مقامات الحريري .

حرر جريدة ثمرات الفنون التي كان يصدرها عبدالقادر القباني في بيروت كما وضع عدة مسرحيات مثلت مراراً في بيروت .

من شعره قصيدة يرثي بها سليم بسترس من وجهاء بيروت :

ابى الدهر ان يرعى سليماً يسالمه	ولو كان في حضن الثريا معالمه
ولا زال حرباً للكرام يروعهم	بكل مصاب لا ترد شكائمه

ومنها :

وجاء لسان البرق لا كان ناطقاً	ينعى كريماً قد تسامت كرائمه
طواه الردى لكن بنشر ثنائه	ومن فاز منه بالأماني مسالمه
اصوغ الرثا حزناً عليه ولم اصغ	له بيت مدح في الحياة يلائمه

ومن نظمه في مدح الامير عبدالقادر الجزائري :

غيث النزيل وغيث فضل نائله	من الانامل يجري الدر في خلج
شمس انارت بلاد الشرق فابتهجت	سوريا بسناها الفائق البهج

لله غرب حساك منــــه قد فقدت ... في الغرب آثاره كالصبح في البلج

ومن قوله في الحكميات :

انفض يديك من الزمـــان واهله ... فــالشهد خل من بنيه فخله
ليل الفتى ليل السليم بهم فــلا ... يرجو سلامته بحكمــة عقله
واخو الوفــاء منهم يحل مودة ... قطعاً لمـــا ترجو بعقدة وصله
والمـــاء قد مزج التراب به فهل ... يصفو بنهل الورد منه وعــله
وإذا انجلى بصورة بشريـــة ... فاذكر لدى كدر حقيقـــة اصله

وله ايضاً :

فلا تؤمل هزيل العرض عارفة ... وان بدا لك مثل الثور من ثمن

وقد جرت مداولات شعرية بينه وبين الشيخ ناصيف اليازجي وقد اجابه على قصيدة ارسلها له الشيخ ناصيف بقوله :

تجري باسماع من يصغي لمنشدها ... جري السلامة في اعضاء منتكس

توفي في خلال شهر رجب لعام ١٣١٥ هـ .

ابن منير الطرابلسي – توفي سنة ٥٤٨

في سنة ثلاث وسبعين واربعماية ، ولد في طرابلس لمنير بن احمد ، الذي اتخذ حرفة الانشاد للاشعار والغناء في اسواق طرابلس ، ولد له طفل دعاه احمد، نشأه تنشئة ادبية وحفظه القرآن الكريم واطلعه على علوم اللغة فحفظ الكثير من الشعر من قديم وحديث كما اطلعه على كل الموشحـــات والاشعار الغزلية التي كان يحفظها وينشدها بصوته الرخيم .

كان والده عدا عن انشاده الاشعار يمتهن مهنة رفي الثياب فعلمها لولده ايضاً وهكذا اطلق عليه اسم احمد الرفاء .

بدأ احمد يقول الشعر منذ فتوته وشعره كان قوي التركيب، فصيح العبارة لكنه اشتهر بالهجاء ووصف مثالب الناس، ولما ضاقت عن مطامعه طرابلس، انتقل الى دمشق حيث الميدان أوسع ، فاشتهر هناك أيضاً بخبث اللسان والبراعة في هجو الناس ، كما اشتهر باعتناقه المذهب الشيعي بتطرف فسجنه صاحب دمشق بوري بن أتابك طغتكين ، وعزم على قطع لسانه فتقدم من شفع فيه فأطلقه ونفاه الى البلاد الشامية .

وبالرغم من تشيع ابن منير ، فقد اتصل بأعظم ملوك السنة في الشام وهما عماد الدين زنكي وولده نور الدين محمود ، وهكذا كان من الشعراء الذين خلدوا ذكر هذين البطلين العظيمين وسجلوا باعجاب معاركهما ضد الصليبيين.

مدح ابن منير عماد الدين زنكي، وأعجب بما له من سمات البطولة والاقدام وصوره لنا سيفاً من سيوف الله، سله الله ليقضي به على الطغاة ، وظلا لله على الارض ، تأوي الى عدله الأمة ، وتجد في حماه الامن والدعة والاطمئنان ، حتى إذا فتح عماد الدين مدينة الرها، مضى ابن منير يشيد بهذا الفتح ويذكر أثره في الاسلام والمسلمين ، ويوازن بين هذا الفتح وما كان من فتوح عظيمة قبلها في الاسلام ومن أرقى مدائحه قوله :

صفات مجدك لفظ جل معناه   فلا استرد الذي أعطاكه الله
يا صارماً بيمين الله قائمه   وفي أعالي أعادي الله حداه
أصبحت دون ملوك الارض منفرداً   بلا شبيه ، وإذ الاملاك أشباه

وقد وفق ابن منير بهذه القصيدة التي صورت البطل من صنع الله، ونعمة منه على الاسلام ، وبرغم الصناعة اللفظية من الجناس والطباق ، لم تضعف المعاني التي اراد الشاعر تصويرها ، اذا استثنينا قوله ، تعالت من الشعرى مشاعره ، لان الذي يتعالى عن الشعرى هو الهمة لا الشاعر .

وتغنى ابن منير بصفات البطولة هذه ، فيما انشأه من مدائح في عماد الدين، بدت فيها مقدرته الشعرية وحبه للمحسنات البديعية . ويزداد اعجابه به بعد

هذا النصر المبين على الفرنج ، حتى ليراه اجدر الناس بزعامة المسلمين وحمل لقب امير المؤمنين .

ملك اسهر عيناً لم تزل   هماها تشريد هم الراقدين
كل يوم مر من ايامـــه   فهو عيد عـــائد للمسلمين
لو جرى الانصاف في اوصافه   كان اولاهـــا امير المؤمنين
ما روى الراوون بل ما سطروا   مثل ما خطته ، ايدي السنين

ولا جرم ان ينـــال عماد الدين هذه المكانة في نفس الشاعر ، فقد رآه ينهض موفقاً لتحطيم عروش الافرنج ، التي اقاموها في ديار الاسلام ، على انقاض المسلمين المشردين .

واتسع المجال امام ابن منير عندما اعتلى العرش نورالدين محمود بن عمادالدين، فقد تعددت معاركه ضد الافرنج ، حتى صار الشبح المخوف امامهم ، واتسع الوقت امام نورالدين ، فطالت وكثرت قصائد المدح التي نظمها ابن منير فيه، وكان هو وابن القيسراني يتغنيان بوقائع نورالدين ، ويشهدان بجلالها ، ففي عقب كل معركة مع الافرنج ، قصيدة او قصائد ، تمجد انتصاراته ، وتذيع حميد جهاده ، وتشيد بخلال البطل ، وهكذا نجد لابن منير القصائد الطويلة النفس . فمن قوله بمدح نور الدين :

ما فوق شاوك في العلا مزداد   فعلام يقلق عزمك الاجهاد
همم ضربن على السماء سرادقاً   فالشهب اطناب لها وعمـــاد
انت الذي خطبت له حساده   والفضل ما اعترفت به الحساد
ان المنـــابر لو تطيق تكلماً   حمدتك عن خطبائها الاعواد
ولئن حمت منك الاعادي مهلة   فلهم الى المرعى الوبي معـــاد
ملق بأطراف الفرنجة كلكلا   طرفاه ، ضرب صادق، وجلاد

وبموت ابن منير والقيسراني ، فقد نورالدين اعظم شاعرين سجلا وقائعه .

وقد حدث بين الشاعرين تنافس دفعهما الى التهاجي وكان الهجـــاء من اهم اغراض ابن منير على ان له غزلا ومن قصائده الغزلية هذه اليائية :

من ركب البدر في صدر الرديني   ومَوه السحر في حـــد اليماني
وانزل النـــير الاعلى الى فلك   مداره في القبـــاء النهرواني
طرف رنا ام قراب سل صارمه   واغيد ماس ام اعطاف خطي
اباء فـــارس مع لين الشآم مع   ظرف العراقي في النطق الحجازي

اما في الحكمة فقصائده دعوة الى الارتحال في طلب الغنى والمجد وعدم الرضا بالعيش الكفيف وفي مكان مهين فمن قوله :

واذا الكريم رأى الخمول نزيله   في منزل فالحزم ان يترحلا
كالبدر لمـــا تضاءل جد في   طلب الكمال فحـــازه متنقلا

وذكر له ياقوت الحموي في معجم الادباء في ترجمة ابي نزار النحوي انه هجاه بهذه الابيات :

ايا ملك النحو والحاء من   تهجيه من تحت قد اعجموها
اتانا قيـــاسك هذا الذي   يعجم اشياء قد اعربوهـــا
ولمـــا تصنعت في العاصوي   غدا وجه جهلك فيه وجوها
وقالوا قفا الشيخ ان الملوك   اذا دخلوا قرية افسدوها

فأجابه ابو نزار النحوي بقوله :

ايابن منير حسبت الهجاء   رتبة فخر فبالغت فيهـــا
جمعت القـــوافي من ذا وذا   وافسدت اشياء قد اصلحوها

ثم اضاف في آخر الابيات :

فقالوا قفا الشيخ ان الملوك   اذا اخطأت سوقة ادبوهـــا

توفي ابن منير سنة ٥٤٨ هـ

الشيخ احمد الاحمدي – توفي سنة ١٠٩٢ هـ

اصله مصري جاء اهله وسكنوا طرابلس حيث ولد فيها والتحق بمدارسها وتثقف بثقافة زمنه ، وتضلع في العلوم الشرعية واللسانية وبرع في النظم والنثر . ذكره المحبي في سلك الدرر في علماء القرن الثاني عشر وقال عنه انه كان آية باهرة في العلوم وللفنون وانه بحر خضم ، جامع بين الحقيقة والشريعة . وفد الى دمشق وقد اجتمع به ثم ذكر له هذين البيتين من الشعر خاطب بهما السيد احمد البربير الدمياطي وقالها إرتجالا :

ان حمد الناس منك فضلاً فلنني لا خفاء احمد
وان يرى من حميد وصف فانت بدر التمام احمد

وقد وفد الى الاستانة وتوفي فيها سنة ١٠٩٢ وعمره ثلاثون سنة .

احمد صالح بن منصور الادهمي – توفي سنة ١١٥٩ هـ

قال عنه المرادي في سلك الدرر ما نصه :

هو العالم الفهامة والاديب المحقق ، مهذب الاخلاق ، حلو الشمائل ، ماجد الاعراق اشتغل بعلوم عصره ، وملك ازمة منطوقها والمفهوم منها . سافر الى مصر وتولى الافتاء فيها ثم تولى بعدها نقابة الاشراف ولم يلبث بهذه الوظيفة الا قليلاً حتى وافاه الاجل ومن آثاره شرح على قصيدة الشيخ احمد المقري التي مطلعها :

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا سلامه
اعمى واعشى ثم ذو بصر وزرقاء اليامه

وسماه الكواكب السنية في شرح لقصيدة المقرية ، وهو تأليف حسن يدل على فضله وسعة اطلاعه . ترك ايضاً نحو العشرين مؤلفاً في مختلف علوم عصره توفي سنة ١١٥٩ هـ ودفن في القاهرة .

محمد اسحق الادهمي قتله ابراهيم باشا سنة ١٨٣٤

ولد في طرابلس وتعلم على مشايخها اسوة ببقية علماء عصره ومال منذ حداثته لنظم الشعر فنظم في مختلف ابوابه وكان فياض القريحة ، يميل في شعره الى تضمينه الامثال العامة . الف رسالة في سيرة النبي الكريم قرظها له المرحوم خليل الثمين ، نقيب الاشراف . خدم الحكومة العثمانية فعين نائباً في عكار ثم في جبلة ولم نعثر له على ترجمة لا في تاريخ الآداب العربية للأب شيخو ولا في تاريخ جرجي زيدان . ترجم له عبدالله نوفل في كتاب علماء طرابلس ولم يذكر له شيئاً من شعره توفي سنة ١٨٣٤ مذبوحاً بأمر ابراهيم باشا مع باقي الشهداء .

المعلم عثمان الأرناؤوط توفي سنة ١٩٠٤ :

هو النابغة الذي لا يجارى في معرفة اللغات الاجنبية من المسلمين في عهده بل الوحيد في ذلك الزمن الذي كان يحسن الفرنسية والايطالية . هاجر جده من البانيا الى عكاء ثم جاء الى طرابلس فسكنها وتوفي عن ولد واحد هو حسن الأرناؤوط ، الذي انخرط في الجندية وسافر مع الجيش للقتال في الحرب التي نشبت بين الدولة العثمانية والروس وقتل هناك تاركاً صاحب الترجمة وشقيقه عمر .

وقد ولد المعلم عثمان في سنة ١٨٤٥ وحين توفي والده كان في مقتبل العمر ، درس في الكتاب ثم التحق بمعهد الآباء الطليان وتمكن من إقناعهم انه يرغب في الانخراط في رهبنتهم ، فأرسلوه الى روما ، العاصمة الايطالية والحقوه بمعاهدها الدينية فاتقن اللاتينية والايطالية والفرنسية كما اتقن العلوم اللاهوتية والفلسفية ولما شاهدوا نبوغه أرسلوه الى باريس للتعمق في اللغة الفرنسية وفي الفلسفة .

لكن حياة الرهبنة لم ترق لعينيه، فخلع الثوب واستقال من الرهبنة وعاد لطرابلس لقضاء البقية الباقية من حياته في طرابلس، وانصرف للتدريس، وصادف أخوة المدارس المسيحية (الفرير) أنشأوا في طرابلس مدرسة فعرضوا عليه التعليم بها بالنظر لانه كان الوحيد في طرابلس الذي يحسن الفرنسية كأحد أبنائها وأكثر، فقبل العرض وأخذ يعلم في معهدهم ثم أنشأ مدرسة ليلية خاصة علم فيها بعض أدباء طرابلس اللغة الفرنسية وكان من تلامذته السيد مصطفى عز الدين وعبد الستار بك علم الدين وعبد القادر الذوق وغيرهم لكن هذه المدرسة كانت قصيرة العمر لان المنتسبين اليها منعهم عملهم التجاري من مواصلة التعلم.

عبد المنعم الاشرفي – توفي سنة ١١٦٠ هـ :

ولد في حمص وهو من بيت مشهور بصحة النسب والحسب وارتحل في شبابه الى مصر وتلقى العلم على علمائها ثم سافر الى الآستانة في عهد الوزير علي باشا فقدم شرحه الذي وضعه على بدء الأمالي فأعجب الوزير بهذا الشرح وعينه مفتياً على طرابلس حيث بقي في هذه الوظيفة طيلة حياته الى ان وافاه الاجل وهو في حدود الستين وذلك في عام ١١٦٠ . لم نعثر له على غير الشرح المذكور آنفاً .

عمر بن محمد الأفيوني – توفي سنة ١١٢١ هـ :

ذكره المرادي في سلك الدرر العالم المشهور بين شيوخ العلم وذكر له كتاباً في الفقه . توفي سنة ١١٢١هـ ولم نعثر له على ترجمة في كتاب آخر .

محمود بن الشيخ محمد الامام – توفي سنة ١٣١٧هـ :

من رجال العلم في طرابلس، كان واسع الاطلاع في علوم زمانه، لين العريكة محبوباً من أبناء بلدته، انخرط في وظائف الدولة وشغل لمدة طويلة

منصب رئيس محكمة التجارة في طرابلس ثم انتقل للمحكمة الشرعية وكان في الوظيفتين مثال النزاهة .

ولما أنشأ كامل البحيري جريدة طرابلس اختار المترجم محرراً لها حيث بقي عدة أعوام وله فيها مقالات شيقة تدل على سعة اطلاعه . زاول النظم لكننا لم نعثر على شيء من نظمه .

فرح انطون – توفي سنة ١٩٢٤ :

هو الأديب الكبير ، منشىء مجلة الجامعة ، وصاحب التآليف العديدة والمقالات الرنانة . ولد في أسكلة طرابلس سنة ١٨٧٤ وتعلم في مدارسها الابتدائية ثم التحق بمدرسة كفتين الداخلية التي أنشأها البطريرك غريغوريوس حداد أثناء قيامه بمطرانية طرابلس فأتم تحصيله فيها ونال شهادتها العالية ، وكان من أساتذته فيها جبر ضومط والشيخ ابراهيم الفتال وانطون شحيبر والاستاذ لاكومب الافرنسي وغيرهم من كبار الاساتذة .

انصرف للمطالعة والدرس على نفسه حتى اتقن الفرنسية الاتقان التام ، وندب لتولي مديرية المدرسة الارثوذكسية في الاسكلة التي أنشأتها الطائفة ، لكنه مال لصناعة القلم فأخذ يراسل صحيفة الاهرام في الاسكندرية لأصحابها سليم وبشارة تقلا موقعاً مقالاته بامضاء سلامة فاستلفتت هذه المقالات أنظار قراء الاهرام ، فاستدعاه بشاره تقلا لرئاسة تحرير الاهرام وهكذا ترك أسكلة طرابلس وسافر للإسكندرية حيث قضى البقية الباقية من حياته .

اشتغل مدة في الاهرام ثم رغب في الاستقلال فأصدر مجلة الجامعة واطلق عليها اسم « الجامعة العثمانية » أصدرها نصف شهرية ثم حذف كلمة العثمانية واستقل باسم الجامعة وقال في مقدمتها انه أنشأها للافادة والاستفادة. شغلت الجامعة حيزاً كبيراً في عالم الصحافة ونجحت كل النجاح حتى انه بالرغم من مرور أكثر من نصف قرن على صدور الجامعة فإننا لا نملك اليوم مجلة علمية

أدبية تقارنها في رقيها .

صادف ان ترجم للفيلسوف الغربي ابن رشد وبسط آراءه وقارن بين الاضطهاد لرجال العلم المفكرين بين الاسلام والمسيحية مما أدى الى نشوب جدال بينه وبين مفتي الديار المصرية اذ ذاك الشيخ محمد عبده فكتب الشيخ محمد عبده كتابه « الاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية » ورد عليه فرح انطون بكتابه « ابن رشد وفلسفته » . وقد تأثر الشيخ محمدعبده من رد فرح انطون المبني على دروس المستشرقين وعلى البحث العلمي وان رد الاستاذ الامام غير مطابق لفلسفة ابن رشد . وقد ادى هذا الجدل ان حملت حاشية الاستاذ الشيخ محمد عبده على فرح انطون وجامعته فقطع عدد كبير من قراء الجامعة اشتراكاتهم بها نزولاً عند رغبة الشيخ محمد عبده .

وبالنظر لانه كان للجامعة قراء في الولايات المتحدة فقد عرض عليه ابن بلدته نعمة تادرس نقلها لمدينة نيويورك ، وهكذا سافر فرح انطون الى الولايات المتحدة حيث استأنف اصدار الجامعة بالاشتراك مع صهره نقولا حداد لكنها لم تصادف الرواج المنتظر فتوقفت عن الصدور .

فقد عاد فرح انطون للقاهرة حيث حاول استئناف اصدار الجامعة ، فأصدر منها عددين ثم توقفت لقلة المال وأخذ فرح انطون يعمل محرراً في الصحف اليومية كما اهتم بوضع مسرحيات للفرق التمثيلية المصرية .

وقد ترك فرح انطون الكثير من الآثار الأدبية منها الجامعة خلال خمسة اعوام ومنها ترجمة تاريخ المسيح لرينان ومنها ترجمة الكوخ الهندي لسان بيير ونهضة الاسد لاسكندر ديماس وكتب عدة قصص طويلة منها اورشليم الجديدة الوحش الوحش الوحش أو سياحة في ارز لبنان وتتضمن آراءه الفلسفية ومنها الدين والعلم والمال وعالج فيها قضايا العمال ورواية أبو الهول يتحرك وهي من ابدع ما كتبه فرح انطون في حياته .

اصيب في آخر آيامه بقرحة في المعدة لم تنجح في مداواتها عقاقير الاطباء كما كان احب فتاة ارمنية عارض ذووه في زواجه منها واخيراً في عام ١٩٢٢ قضى مأسوفاً عليه فبكته البلاد العربية بمجموعها وابنه الكتاب والصحف وارسل سعد زغلول ، الزعيم المصري المشهور ورئيس الوزارة في ذلك الحين كتاب تعزية لشقيقته روز انطون حداد زوجة الكاتب المعروف نقولا حداد واقيمت له فيما بعد حفلة تابين حضرها كبار كتاب العالم العربي واصدرت مجلة السيدات والرجال لصاحبتها روز انطون عدداً خاصاً عن فرح انطون .

الشيخ عبد الغني البارودي : لم نعثر على سنة وفاته .

من ادباء طرابلس في القرن التاسع عشر الميلادي ، قرأ العلم في طرابلس ثم التحق في الجامع الازهرفيالقاهرة حيث اتقن العلوم اللسانية والشرعية ثم رجع لطرابلس حيث انصرف للتعليم. ترك آثاراً لطيفة من شعر ونثرودارت بينه وبين ادباء عصره مكاتبات لطيفة ، فمن رسالة كتبها للمؤرخ جرجي يني قال :

عزيزي الافخم .. بعد سؤال الخاطر ، بالأمس حضر لدي اثنان احدهما صاحب الكرت المدرج طيه ، وطلب مني عن لسان جنابكم تاريخاً لكنيسة انشأها .. لكن الفكر خمد وجمد بحيث صار لا يفرق بين اللفيف المقرون والمفروق ونسيت ما احسنته أيام الشباب ... فعذرا لمن حط في الثمانين ان الثمانين بلغتها .

اترجو نظم الشعر ممن مضى له ثمانون عامـــاً صيرته بمعزل
نعم كنت ابني كل بيت بناؤهـا تسلمت غمدانا وان شئت اعتلي
واودعته ماء البلاغـــة جاريا فيسليك عن ذكرى حبيب ومنزل
فشعري كشعري شاب حتى كأنني لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وابيات شعري اليوم مهما بنيتها تجدها كبيت العنكبوت المهلهل

الشيخ عثمان البرادعي : لم نعثر على سنة وفاته .

عائلة البرادعي انقرضت من طرابلس وكل ما تمكنا من العثور عليه ان صاحب الترجمة كان خطاطاً ماهراً وشاعراً اديباً لكنه كان سيىء الحظ . من نظمه عثرنا على الأبيات التالية :

ليس عاراً ان لم انل رتبا ... وانما العار في اهلي وفي بلدي
هذا كلامي وذا حظي فوأسفي ... لسوء حظي وافتقار يدي

ومن قوله أيضاً:

يا جاعلاً علم الحساب وسيلة ... يصطاد فيه فاتن الالباب
ان كان في علم الحساب رزقته ... فالله يرزقنا بغير حساب

الشيخ درويش البركه : لم نعثر على سنة وفاته .

من علماء القرن الماضي ، شغل منصب قاضي طرابلس خلال سنين عديدة وتقلب في مناصب اخرى . لم نعثر على شيء من آثاره الأدبية ولا على شيء من شعره ولا على سنة وفاته .

نابليون بيرو : توفي سنة ١٩٠٨

جاء والده كلود بيرو مع حملة ابراهيم باشا وتعين صيدليا للجيش المصري في طرابلس وبقي فيها بعد انسحاب ابراهيم باشا من لبنان . وفي سنة ١٨٣٥ ولد له نابليون صاحب الترجمة ولما ترعرع الحقه والده بمدرسة عين طورا فتبحر في الفرنسية والعربية والايطالية والتركية واليونانية وحين حصل على الشهادة النهائية رجع لطرابلس وتمكن من الحصول على وظيفة مدير للبوسته الفرنسية ثم وكيلا لشركة بواخر المساجري ماريتيم الفرنسية . اتقن نظم

الشعر في العربية وفي الفرنسية لكن آثاره الأدبية ضاعت بعد وفاته توفي عام ١٩٠٨ .

الشيخ درويش التدمري – لم نعثر على سنة وفاته

هو من علماء طرابلس في القرن الثاني عشر الهجري، لكن المرادي لم يذكره في سلك الدرر ولد سنة ١٢٥٢ وتخرج على يد الشيخ عبدالغني الرافعي ثم سافر الى القاهرة حيث التحق بالجامع الازهر مكث اعواماً طوالاً اتقن في خلالها الفقه على المذهب الشافعي كما اتقن سائر العلوم اللسانية ثم رجع لطرابلس وانصرف للتدريس فتخرج على يده الكثيرون من الطلبة. كان واسع الاطلاع وتغلب عليه اللهجة المصرية . ترك كتاباً في علم المنطق وآخر في علم التوحيد وكان التدريس يستغرق كل وقته .

الشيخ خليل ابن الشيخ ابراهيم الثمين – توفي سنة ١٢٩٣

ولد في عام ١٢١٣ في طرابلس وتخرج على علمائها كباقي رفاقه ثم ذهب الى القاهرة والتحق بالجامع الازهر حيث بقي اعواماً عديدة اتقن في خلالها سائرالعلوم التي تدرس في الجامع المذكور ثم عاد لطرابلس وتعين نقيباً للاشراف وخطيباً لجامع البرطاسية .

كان طلق اللسان ومن العلماء الافاضل ، حدث ان سافر لدمشق ونزل ضيفاً على مفتيها فبهر علماء دمشق بسعة اطلاعه حتى ان احد علماء دمشق قال له « يكفي ان تتكلم بمفردك ونحن نستمع » .

ترك عدة آثار ادبية منها ارجوزة في علم الفرائض شرحها له الشيخ محمد الحسيني ومنها كتاب السراج الوضاح لايضاح كيفية اداء فريضة الحج ومنها كتاب الرحلة الحجازية ضمنه ما شاهده في الحجاز حين ادائه الفريضة كما ضمنه الكثير من اشعاره وله ايضاً تخميس ظريف لقصيدة البردة جاء في المطلع :

اجفوة الحب انست لذة الحلم ام شدة الوجد ابدت حلة السقم
ام تلك روعة صب بالغرام رمي لن تذكر جيران بذي سلم

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ومنها :

وليس لربك كي تبقى به علماً واسأله فهو الذي بالسر قد علما
ايد لروحك واتبع سنة العلما وخالف النفس والشيطان واعصهما

وان هما محضاك النصح فاتهم

وقال من قصيدة خلال سفره للديار الشريفة :

هب النسيم فذكر المشتاقا ما قاسى من ألم الصدود ولاقى
فالدمع مع صبيه كهطل سحابة والقلب من حر النوى براقا
تذكي لهيب جوارحي بمدامعي ومن العجائب هاطلاً حراقا
اني اسير محبة لا ابتغي من بعد رق دائما اعتاقا
لكن اروم العتق من نار الجفا فسعيرها اعظم به احراقا
واهدي الصلاة لخير منبعث أتى فوق البراق وجاوز الآفاقا

الشيخ يوسف الجبلاوي – لم نعثر على سنة وفاته .

هو من علماء القرن الماضي الهجري ولد في طرابلس ومهر في العلوم اللسانية والفقهية والأدبية وتصدر لالقاء الدروس ، كان من اجلاء الطريقة القادرية . ترك عدة آثار أدبية وشعرية تناولتها يد الضياع بعد وفاته .

الشيخ حسين الجسر – توفي سنة ١٣٢٧ ﻫ .

ابن الشيخ محمد الجسر الآتي ذكره . هو العالم الفاضل وصاحب المدرسة

الفلسفية الاسلامية ونابغة عصره بلا مراء حتى انه بامكاننا ان نقول انه أشهر من خرجتهم طرابلس على مدى الدهور . كان واسع الاطلاع عميم الفضل ، سلس الحديث شيقه حتى انمن استمع لحديثه لا يوده ان يسكت بالنظر لسعة معارفه وحسن القائه .

ولد في طرابلس سنة ١٢٦١ هـ. وينتهي نسبه الى بني مائي ، من اشراف مدينة دمياط في القطر المصري . ومن المرجح ان اسرة الجسر انتقلت من دمياط الى طرابلس في الديار الشامية خلال عام ١١٧٠ هـ.

نشأ المترجم يتيما فقد توفي والده وهو لم يكمل السنة الأولى من عمره فكفله عمه الشيخ مصطفى الجسر ، فاحسن الوصاية وانشاه تنشئة حسنة فقرأكتاب الله الكريم ثم انتقل الى حلقة الدروس العلمية فقرأ على الشيخ عبد القادر والشيخ عبد الرزاق الرافعي وعلى الشيخ عرابي مبادىء الصرف والنحو والفقه ثم سافر الى القاهرة حيث التحق بالجامع الأزهر واكب على تحصيل العلوم ومهد له ذكاؤه النادر الصعاب ففاقعلى جميع اقرانه في العلوم الدينيةوالعقلية واللغوية واشتهر اسمه بين اساتذته وبين سائر الطلاب في الجامع الازهر.

وفي سنة ١٢٨٤ هـ. عاد الى طرابلس بالنظر لاشتداد المرض على عمه وقد توفي عمه بعد وصوله الى طرابلس وهكذا اضطر الى البقاء في بلدته بالرغم من ميله الشديد للرجوع الى الأزهر .

اشتغل في طرابلس بالتدريسوالارشادوتعليم الطلاب من ابناء بلدتهوتهافت الناس على استماع الدروس التي يلقيها وتخرج عليه عدد كبير من أبناء طرابلس منهم الشيخ عبد الكريم عويضة والشيخ رشيد رضا صاحب المنار والشيخ أمين عز الدين والشيخ اسماعيل الحافظ والشيخ عبد القادر المغربي والشيخ محيي الدين عبس وغيره .

ولم يكتف بالتدريس بل انكب على وضع المؤلفات العلمية والفلسفية واشهرها رسالته الحميدية نسبة للسلطان عبد الحميد ، ضمنها الكثير من آرائه الفلسفية ويعد بحق صاحب مدرسة اسلامية فلسفية لم يسبق على الآراء

التي اتى فيها برسالته الحميدية ، وسبق لنا ان اتينا بمقـــالات متعددة على صفحات جريدة الجريدة البيروتية ما تضمنته الرسالة الحميديـــة من مذهب فلسفي في اصل المادة وفي القضاء والقدر والردعلىمذهب الدهريين .

وللشيخ الجسر مؤلفات اخرى منها الحصون الحميدية ومنها نزهة الفكر الذي ترجم به حياة والده وقد اتينا على ذكر هذا الكتاب في ترجمة حياة والده . تولى تحرير جريدة طرابلس التي انشأهـــا محمد كامل البحيري لمدة طويلة ثم جمع مقالاته بعدة مجلدات .

وله ايضاً عدة مؤلفات لم تطبع منها الكواكب الدرية في العلوم الادبية ضمنها الكثير من شعره . وللاستاذ الجسر قصيدة فريدة في بابها هنأ بهـــا عبد الستار بك علم‌الدين بمناسبة زواجه وضمن كل بيت منها اسم سورة من سور الكتاب الكريم ، كان بودنا ان نأتي عليها ولكن خفنا من التطويل اذ انها تربو على المائة بيت من الشعر .

ومن شعره متغزلاً :

اقول لشادن والناس سكرى   بما قد حاز من زهر وزهر
الا يا بدر لو تصغي لحـــالي   اذن لعذرتني وحمدت امري

وقد نظم في حياته اكثر من ١٣ الف بيت من الشعر ومن لطيف قوله :

وشريف ساق فعلا حسنا   ثم ابدى سيئاً طول الزمن
كلما رمت مجـــازاة له   بقبيح ذكرت نفسي الحسن

وله ايضاً :

نزل اليراع على الصحيفة واغتدت   يذرى عليها الرمل حين ظللت
فكأنه زوجٍ لها سكن الثرى   لبست عليه حدادهـــا وترملت

وله ايضاً :

يا قمراً ضاء به الغيهب   اوجهك المشرق ام زينب
تلك التي عند عذيب اللقا   اظمأ قلبي ثغرها الاشنب
تركية اللحظ ولكن الى   آل صباح وجهها ينسب
تروي عن البانة اعطافها   حديث لهن كله معجب
وعن شذا الزهر روى ثغرها   ان حديث نشره طيب

وله من قصيدة حماسية :

العز يذرى بالنفوس فيجعل   والذل لا يرضى به من يعقل
والموت في ظل الصوارم والقنا   عين الحياة صفا لديها المنهل
يستعذب البطل الكمي ورده   ويود لو منه يعل وينهل
والعيش في ظل الجبانة قد غدا   مر المذاق يقل عنه الحنظل

وله قصيدة عصماء في محاسن طرابلس ومتنزهاتها عدد أبياتها ١٠٦ وجميعها من درر الشعر وبديعه منها :

يا قاصداً داراً بها يطرب   فؤادك دونك ما تطلب
عرج على الفيحاء واقصد بها   منازها عيش بها طيب
منازل تبسم عن بهجة   وثغرها من فرح اشنب
يسلو بها الصب جمال الدمى   ينشد ما دعد وما زينب

وقد اعتلت صحته في آخر ايامه فتوفي سنة ١٣٢٧ هـ. بالغاً من العمر خمساً وستين سنة ورثاه الأديب حكمت بك شريف صاحب جريدة الرغائب بقصيدة طويلة جاء فيها :

خطب الحسين ارى أم جسرنا انتقضا   أم طود علم لجنات النعيم مضى
أواه من زمن قد دك جسر تقى   وهد ركنا من الآداب حين قضى

الشيخ محمد الجسر الملقب بابي الاحوال – توفي سنة ١٢٦١ .

هو العالم الفاضل والورع الصالح ، والد الشيخ حسين الجسر الآنف الذكر ولد سنة ١٢٠٧ هـ. وتلقى علومه على الشيخ عبدالله دبا العالم المشهور ، ثم سافر الى القاهرةحيث التحق بالجامع الأزهر وحصلعلى إجازة العلم من الشيخ محمد كتبي . ثم ذهب ليافا حيث القى دروسه على طلبتها وبعد مدة رجع لطرابلس حيث اشتغل بالتدريس وقراءة درس عمومي في الجامع المنصوري الكبير

فقدت آثاره الأدبية الا القليل من الشعر الذي نظمه في حياته فمن قوله من قصيدة مدح بها الشيخ أحمد الصاوي :

كم ليلة تمضي عليّ من الأسى أرعى النجوم بطرفي الوسنان
أمسيت محتاراً اهيم كفاقد لاليفه أو عاشق ولهان

ومن قصيدة مدح بها الشيخ الدجاني اليافاوي :

هو قطب دائرة العلوم جميعها هو ركز لتحقيق مظهر مبهم
ماذا أقول بمدحه ولقد حوى لكنوز أوصاف الجمال المحكم

توفي سنة ١٢٦١ ورثاه الشعراء والعلماء فمن قصيدة للشيخ عبد الغني الرافعي برثائه .

خطب لديه خطيب البين قد صدما أم سيد فيه هذا الدهر قد فجعا
أم حادث صبحه بالبين روعنا ليت الصبح صباح البين ما طلعا

صبحي عبدالقادر الحداد – توفي سنة ١٩٥٧ م .

هو صبحي ابن الشيخ عبد القادر الحداد ، والده من علماء الاسكلة في الفقه واللغة ، ولد في حوالي عام ١٨٨٠ م وتلقى علوم زمانه اولا على ابيه الشيخ

عبد القادر الحداد الآنف الذكر وتبحر في العلوم اللسانية والفقهية ولما انشأ الوزير مدحت باشا المدرسة التهذيبية في الاسكلة الحقه ابوه فيها فتلقى اللسان التركي ونبغ فيه ونال الشهادة النهائية وكان الوحيد من ابناء الاسكلة الذي تبحر في اللغة التركية، لذلك اختارته الحكومة العثمانية فيما بعدمديراً للمدرسة المشار اليها وتخرج على يده الكثيرون من ابناء الاسكلة ولبث في هذه الوظيفة سنين عديدة ووضع للطلبة اصولاً حديثة لتعلم التركية كانت من اسباب نجاح تلامذته .

لكنه فيما بعد استقال من وظيفته وانصرف للتجارة واصبح من تجـــار الاسكلة المعروفين وبالرغم من ذلك لم تلهه التجارة عن الادب والفقه ، فتعين خطيباً موقتاً لجامع غازي في الاسكلة وكان اهاليها يزدحمون يوم الجمعة لاستماع خطبه الرنانة . وبالنظر لعلاقاته التجارية مع البلاد الشقيقة كجبلة وطرطوس واللاذقية كان اهالي هذه المدن يغتنمون فرصةوجوده فيها ويدعونه لالقاء الخطب يوم الجمعة وكانت خطبه دائماً تنحو ناحية جديدة بالنسبة لمقتضى الحال .

لم يترك المترجم سوى مجموعة خطب منبريةواصيب في آخر حياته بالحصاة بالمثانة لم تنفع فيها علاجات الاطباء فتوفي في عام ١٩٥٧ وراح مأسوفاً عليه من جميع من عرفه ولما كان عليه من ود صادق وفتاوى حديثة حتى انه كان عبد الكريم عويضة يلقبه « بفقيه الميناء » .

محمد كامل البحيري – توفي سنة ١٩١٧ :

ولد في طرابلس وتعلم فيها ومال الى الصحافة منذ فتوته فنال من الحكومة العثمانية امتياز جريدة سياسية اطلق عليها اسم طرابلس فصدرت اسبوعية وتولى رئاسة تحريرها الشيخ حسين الجسر . كانت طرابلس تنـــاصر الحكم الحميدي لكنها بعد الدستور مالت لمناصرة رجال الاتحاد والترقي ورجـــال

تركيا الفتاة وبقيت تصدر حتى قبيل وفاته .

ثم استأنف اصدارها صهره الأمير أسعد الايوبي مستبدلاً اسم طرابلس باسم صدى الشعب ثم الديك واخيراً توقفت عن الصدور وخدم الامير الايوبي في المصالح الحكومية .

الشيخ محي الدين البحيري – لم نعثر على سنة وفاته .

لم نعثر على ترجمة كاملة له بل كل ما عرفناه عنه انه كان من علماء طرابلس في خلال القرن الهجري الماضي ولم نعثر على سنة وفاته .

الشيخ اسماعيل الأحمدي الملقب بالحافظ – توفي سنة ١٢٨٨ هـ.

هو الشيخ اسماعيل الأحمدي ، نسبة الى قبيلة بني أحمد ، ولد في قرية بني أحمد التابعة لمديرية المنيا في القطر المصري الشقيق ، وامتاز عن بقية رفاقه بقوة الحافظة ، حتى انه استظهر القرآن وصحيح البخاري باسانيده ، واتصل بالشيخ أحمد الصاوي ، من مشاهير علماء الأزهر ، فأعجب بذكائه وقوة حافظته واطلق عليه لقب « الحافظ » وغلب عليه هذا اللقب في مستقبل حياته .

انخرط في عداد الطريقة الخلوتية وحصل على اجازتها ، ثم ترك مصر وسافر الى الحجاز لأداء فريضة الحج وجاور في مكة مدة وقرأ على علمائها ، ثم جاء الى طرابلس واشتغل بخدمة الطريقة الخلوية ، واهتم بالإرشاد وإلقاء الدروس وبرع في استخراج الفتاوى واختاره مفتي طرابلس أمينا للفتوى وبقي في هذه الوظيفة حتى أشرف على الشيخوخة .

ترك تعاليق وحواش على شرح الدر المختار في فقه الحنفية كما ترك الكثير من الفتاوى والخطب المنبرية ونظم الشعر في جميع أبوابه . ولم نتمكن من

العثور على شيء من شعره لنشره مع هذه الترجمة . زاول الخطابة في جامع سيدي عبد الواحد المكناسي خلال سنين طويلة وكان المصلون يتهافتون يوم الجمعة للاستماع الى خطبته .

الشيخ عبد الحميد الحافظ – توفي سنة ١٣٠٣

إبن الشيخ اسماعيل الحافظ الآنف الذكر . ولد سنة ١٢٧٠ وتلقى علوم زمانه على والده الشيخ اسماعيل الحافظ كما قرأ على الشيخ عبد الحميد الخطيب والشيخ عبدالرزاق الرافعي ووجهت إليه بعد وفاة والده وظيفة التدريس في المدرسة الخاتونية ووظيفة الخطابة في جامع سيدي عبدالواحد المكناسي فقام بالوظيفتين خير قيام .

كان ميالاً للأدب فحفظ الكثير من أشعار المتقدمين وله نظم قليل ، فمن قوله معتذراً على مجانبة بعض اخوانه :

وأخ قطعت وصاله لا عن قلى　　يفضي الى نسياني الميثاقــا

لكنني ما زلت اعتب وده　　حتى جعلت من العتاب فراقا

الدكتور أسعد الحداد – توفي سنة ١٩٢٠ .

هو من نطس الأطبــاء في القرن الماضي ، ولد في سنة ١٨٥٣ م. وتلقى علومه الأولية في طرابلس ، ثم جاء الى بيروت حيث التحق بالكلية السورية الانجيلية (الجامعة الأميركية اليوم) وتعلم فيها الطب ونال شهادة الدكتوراه سنة ١٨٧٢ ورجع لطرابلس زاول فيها مهنة الطب،ثم سافر للاستانة للحصول على شهادة الكولكيوم التي كانت في ذلك العهد تقدم في الاستانة وعاد بعد ان حصل على هذه الشهادة التي تخوله مزاولة المهنة في جميع المدن العثمانية .

واتخذ طرابلس مركزاً لاقامته ، ثم سافر الى بلاد الانكليز فاطلع على اخر ما وصلت اليه الاكتشافات الطبية ثم قصد الاسكندرية حيث عين طبيباً في الجيش الانكليزي لفرق الشرطة وبقي في هذه الوظيفة لحين وفاته في عام ١٩٢٠ م .

له من الآثار الادبية والعلمية عدد لا يستهان به من المقالات في مجلة المقتطف القاهرية ، اهمها مداولات جرت بينه وبين الدكتور اسكندر رزق‌الله تدور حول مرض البلهارزيا المنتشر في القطر المصري .

الشيخ نجيب الحامدي – توفي سنة ١٣٢٩ هـ .

ولد في طرابلس وتلقى علومه فيها على مشايخها ثم سافر الى القاهرة حيث التحق بالجامع الازهر وبقي يواظب فيه حتى حصل على الشهادة النهائية فعاد لطرابلس وظل معتكفاً على الوعظ والتدريس حتى توفاه الله في سنة ١٣٢٩ هـ .

ترك بعض التعاليق والشروح على مختلف الكتب الفقهية كما ترك شيئاً من الشعر ولم نعثر على شيء من شعره .

جبرائيل حداد – توفي سنة ١٩٢٣ م .

ولد في طرابلس سنة ١٨٦٥ م وتلقى علومه فيها في مدرسة طرابلس الاميركية ثم تعرف على الرحالة الانكليزي « كمرون » وسافر معه مترجماً الى العراق والى البلاد العربية ولما عاد لطرابلس كان قد اطلع على الكثير من شؤون الشرق العربي ، فالتحق بالجامعة الأميركية في بيروت وحصل على شهادتها النهائية ثم سافر للاسكندرية وانخرط في عداد موظفي الحكومة المصرية بوظيفة مساعد لمدير الضابطة ثم نقل الى وزارة الداخلية وفي خلال الحرب العالمية الاولى انتقل للجيش الانكليزي واعجب به الجنرال اللنبي ولما احتلت الجيوش العربية سوريا ولبنان واعلنت ملكية الأمير فيصل ملكاً على سوريا،

استدعى صاحب الترجمة لتنظيم شؤون الدرك وانعم عليه برتبة « جنرال » ثم عينه الملك فيصل معتمداً له في لندن .

وفي عام ١٩٢٣ انتقل الى الديار الباقية وترك مؤلفاً قيماً عن السودان وشؤونه الخاصة والعامة . وللمترجم في صباه صداقات ومساجلات مع ادباء طرابلس ، مدحه احد ادبائها بقصيدة غزلية سار بذكرها الركبان وحصلنا منها على هذين البيتين :

شد الزنار على الخصر رشأ يوري بسنا العمر
جبر جبري برضاه وان اضحى غضبان فوا كسري

الشيخ عبدالقادر الحسيني – توفي سنة ١٣٢٨ هـ .

من علماء طرابلس في القرن الماضي ولد سنة ١٢٥٥ وتوفي سنة ١٣٢٨ هـ . ترك الكثير من الآثار الأدبية المكتوبة تناولتها يد الضياع وحدثني عنه المرحوم السيد أحمد عويضة انه كان حاضر النكتة خصوصاً في الأشعار التي نظمها خلال حياته – ولم نعثر على شيء من شعره . توفي سنة ١٣٢٨ .

الشيخ محمد الحسيني – توفي سنة ١٩٤٣ م.

هو أشهر علماء طرابلس في النصف الأول من القرن الحالي . تلقى علومه على الشيخ حسين الجسر وفرد بالقاء الدروس على الطلاب في حلقته الخاصة في قهوة التل العليا يفسر لهم مايرغبون من العلوم العصرية والفلسفية ، وهكذا كانت حلقته في القهوة المشار إليها تكتظ بالطلاب يستمعون ما يقوم بشرحه لهم من حديث نبوي وفقه وفلسفة وخلافها . وبالرغم من انه كان لا يحسن لغة أجنبية ،فإنه كان على اطلاع على ما كتبه الفلاسفة الأوربيين بشأن المادة وحدوثها ينقل إليه تلميذه وصديقه الاستاذ عزت المقدم آراء الفلاسفة المشار اليهم

فيقابل بينها وبينما أتت به الشريعة الإسلامية وما تضمنه كتاب الله الكريم بشأن الآراء المشار اليها .

حاول كتابة تفسير حديث للقرآن بقالب عصري يختلف عن بقية التفاسير فكتب ثلاثة أجزاء ، ثم داهمه المرض والشيخوخة ولم يمد الله أجله لاستكمال التفسير .

وقد عرف فضله ومكانته عدد من المستشرقين منهم المستشرق الفرنسي « ماسينيون » أثناء مروره بطرابلس ولما استمع الى حديثه بواسطة صهره المرحوم الأستاذ بارودي قال له انه من المؤسف أن يبقى في طرابلس ولا يرتاد جامعات أوربا ليلقي محاضرات فلسفية على الطلاب .

لم يترك من الآثار المكتوبة سوى التفسير الآنف الذكر وبعض الردود على المستشرقين من الفلاسفة الذين يروجون للالحاد .

الشيخ عبدالحميد الخطيب – لم نعثر على سنة وفاته .

من علماء طرابلس في القرن الماضي ، شغل منصب السجادة الشاذلية في الازهر في القاهرة وبرع في نظم الشعر . عثرنا له على قصيدة يمدح بها محمدباشا المحمد ، من أعيان طرابلس جاء فيها :

امانا فارس العليا أمان   جوادك لا يود له عنان
إذ جردت ماضي العزم يوماً   فما أحد يقام له سنان
ملكت الفضل في جد وجد   فحزت السبق في يوم الرهان

ابراهيم خلاط – توفي سنة ١٩٠٥ .

من أدباء طرابلس في القرن الماضي ولد في طرابلس سنة ١٨٢٥ وتلقى علومه في مدارس طرابلس وعلى الخوري أسبيرودون صروف وشغل في

طرابلس عدة وظائف آخرها رئيس كتبة المجلس البلدي . كان أديباً وله بعض منظومات شعرية تناولتها يد الضياع بعد وفاته .

لطف الله خلاط – توفي سنة ١٩٦٢ .

من أدباء طرابلس في النصف الأول من هذا القرن ولد في طرابلس وتعلم فيها وكان شغوفاً في الصحافة فأنشأ بالاشتراك مع الشاعر الكبير ، شاعر الفيحاء الاستاذ سابا زريق ، جريدة الحوادث لخدمة بلدته . وقد نقم عليه الاتراك لوطنيته ونفوه خلال الحرب العالمية الأولى الى الانضول ولما عاد بعد الحرب واصل جهاده باصدار الحوادث .

توفي سنة ١٩٦٢ ولم يترك آثاراً مكتوبة سوى جريدة الحوادث

نسيم خلاط – توفي قبل الحرب العالمية الاولى .

من أدباء طرابلس في أواخر القرن الماضي تعلم على الرهبان الفرنسيين وحذق الفرنسية والانكليزية والايطالية وكان واسع الاطلاع . زار أوربا عام ١٩٠٠ وكتب ما شاهده في خلال رحلته بكتاب شيق طبعه على نفقته وهو أحد الأفاضل الذي تأسست مدرسة كفتين على يدهم .

توفي في خلال العقد الاول من هذا القرن

جرجس موسى الخولي – توفي سنة ١٩١٦ .

من علماء طرابلس في القرن الماضي . ولد في أسكلة طرابلس وتعلم في المدرسة الارثوذكسية واتقن الفرنسية والتركية وتعاطى التجارة في شبابه في أسكلة طرابلس ثم نزح الى مرسين حيث تعاطى تجارة الاخشاب واستقر فيها حتى سنة وفاته عام ١٩١٦ .

ترك عدة تآليف في العربية منها كتاب الجمانة العثمانية جمع فيه الكثير

من الطرائف الادبية وكتاب الدليل الشرقي بحث فيه عن الاديان والمعتقدات وله عدة مساجلات أدبية مع جرجس نعوم ومخايل ديبو ، من أدباء أسكلة طرابلس .

الدكتور ابراهيم الخولي – توفي سنة ١٩٣٢ .

هو من نطس أطباء طرابلس خلال النصف الاول من هذا القرن اشتهر بمقدرته على معرفة الامراض والاصابة في تشخيصها .

ولد في طرابلس وتعلم الطب في جامعة القديس يوسف في بيروت ثم زاول المهنة في طرابلس فنبغ فيها وقصده المرضى من جميع الانحاء .

كتب الكثير من المقالات في مجلة المقتطف تدور حول الامراض وعلاجاتها وخبرته في ما شاهده من تطور في انواع الأمراض . كان سريع النسيان وكثيراً ما كان يمزق عدة وصفات اثناء معاينة مرضاه .

الدكتور ميشال خولي – توفي سنة ١٩٥٠ .

ابن الدكتور ابراهيم الخولي الانف الذكر ولد في أواخر القرن الماضي وتعلم في مدرسة الفرير ثم انتقـــل الى بيروت حيت تعلم الطب في جامعة القديس يوسف ثم ذهب لباريس حيث تعمق في درس التحليل الطبي .

زاول التعليم في مدرسة الفرير في طرابلس واختص في التحاليـــل وكان الوحيد في عهده في طرابلس .

اشتغل بالسياسة وكتب الكثير من المقالات في مختلف الشؤون السياسية في جرائد باريس وعلى الخصوص جريدة الطان وجريدة الدبيا .

توفي سنة ١٩٥٠ عازباً

الشيخ درويش (الطرابلسي) – توفي خلال القرن الحادي عشر الهجري .

ولد في طرابلس ٩٨٧ هـ ونشأ وتأدب فيها على الشيخ نافع والشيخ محمد الشافعي وفي سنة ١٠١٤ جاء الى دمشق حيث حضر مجالس العلم على علمائها ثم ترك دمشق وسافر الى القاهرة حيث اخذ الفقه عن الشيخ نور الدين الزبادي والشيخ سالم التستري والشيخ ابراهيم اللقاني ثم ترك مصر وذهب الى الاستانة وتتلمذ على علمائها ومنها قصد المدينة المنورة حيث جلس للتدريس .

كتب عنه ابن معصوم في كتابه سلافة العصر في محاسن شعراء العصر انه كان ممن برعوا الأدب والشعر وترك عدة مؤلفات في الأدب منها شرح على تائية الصفدي كما ترك الكثير من النظم فمن قوله مستغيثاً بالحضرة النبوية :

يا من بـه كل الشدائد تفرج ... وبذكره كل العوالم تلهج
وعليه املاك السماء تنزلت ... وبمدحه لله حقاً تعرج
يا قطب دائرة الوجود باسره ... يا من لعلياء البرايا قد لجوا
قد جئتكم ارجو الوفاء تكرما ... لكنني للعفو منـه احوج
وحططت احمال الرجاء لديكم ... فعساكم ان تنعموا وتفرجوا

ومن قوله مؤرخاً :

بشراك يا من جار الكريم ... بطيب عيش انت به مقيم
اصبحت في خدمة خير الورى ... ترفل في روض جنان النعيم
بنيت ايواناً به قد سما ... بنبروزى للصديق الحميم
بغاية الاحكام تاريخه ... مقعد انس شاده عبد الكريم

وكتب الى بعض احبابه :

يا غائباً يشكر اقباله قلبي ... ويشكو بعده الناظر
اوحشت طرفي واتخذت الحشا ... داراً فأنت الغائب الحاضر

جعفر بن علي بن سواس – قمر الدولة لم نعثر على سنة وفاته .

من شعراء طرابلس المعدودين ، مصري الاصل جاء لطرابلس وسكنها وتوفي فيها . فمن شعره في شيخوخته :

لا يظن العدو ان انحنائي كبراً عندما عدمت شبابي
ضاع مني اعز ما كان فيّ فأنا ناظر له في التراب

له متغزلاً في حسناء اسمها در :

تعجبت در من مشيبي فقلت لها لا تعجبي فطلوع البدر في السدف
وزادها عجباً ان رحت في سمل وما درت ان الدر في الصدف

وله ايضاً :

انصار مولاي ذا يسار فانني ذاك المقل
كالشمس ان زيدت ارتفاعاً يقصر فيء لها وظل

وقال في المشيب :

لما رأيت الشيب في الشعر الاسود قد لاح صحت واحزنني
هذا وحق الاله احسبه اول خيط سدى في الكفن

بيوس حبيب دوبا – توفي سنة ١٩٢٦ م .

ولد سنة ١٨٥٨ في طرابلس وتعلم في مدرسة الارض المقدسة –التراسنتا– واتقن الفرنسية والايطالية ومال للمطالعة ثم رغب في تعلم مهنة الصيدلة فالتحق بصيدلية التقلجا في طرابلس وكان الصيدلي الوحيد في طرابلس الحائز على الدبلوم في الصيدلة من الاستانة . ولما اتقن صاحب الترجمة معرفة تركيب الأدوية، ذهب للاستانة وتقدم للجنة الفاحصة لطلاب الصيدلة،

كان العربي الوحيد من المتقدمين للفحص ويحسن التركية ، لذلك فقد تمكن من الحصول على الدبلوم في الصيدلة فرجع لطرابلس واستلم الصيدلية التي أنشأها الدكتور مخايل لطفي تحت إسم صيدلية مار مخايل وبقي يعمل فيها حتى وفاته .

وبالنظر لبراعته في علوم الكيمياء فقد شغل منصب أستاذ الكيمياء في مدرسة الفرير في طرابلس وفي المدرسة الرسمية بخلال سنين طويلة وأكثر الشبان في طرابلس كانوا من تلامذته .

كان واسع الاطلاع في فنه واسع الصدر في الدروس التي يلقيها على الطلاب وترك محاضرات عديدة في علم الكيمياء وهي المحاضرات التي كان يلقيها على الطلاب وعلى الاغلب أنها تناولتها يد الضياع بعد وفاته .

الدكتور سليم دياب – لم نعثر على سنة وفاته.

ولد سنة ١٨٤٨ م. ودرس على والده يوسف دياب ، ثم التحق بالكلية الأميركية في بيروت في القسم الطبي ونال الشهادة النهائية مع لقب دكتور في الطب . جاء لطرابلس حيث زاول مهنته ثم سافر للقطر المصري واختار الاسكندرية مقاماً يتعاطى الطب حتى توفاه الله .

وبالرغم من مهنته الطبية فقد كان أديباً وشاعراً ونظم قصائد كثيرة في مختلف المواضيع نشرها في مجلات القاهرة كالمقتطف والهلال وغيرها فمن شعره في رثاء سمعان كرم من أبناء طرابلس :

تلك الشبيبة قادتني الى الهرم ... والهف قلبي عليها كيف لم تدم
وما انتفاعك يا نفسي ويا لهفي ... الا تحسر موجود على عدم
وان بعضي لبعضي مؤذ باذى ... وذا المشيب عوار غير محتشم
تأتي الرزايا بانواع المصاب بنا ... ونحن رهن البلى لحم على وضم

ومنهـــا :

يا لهف نفسي على سمعان من علم قد صار رهن البلى نار على علم
جرى به البين جري الماء مندفقا أو جري دمع على مثواه منسجم

وقال مقرظاً رواية نكث العهود للاستاذ جرجي يني :

اهدى لنا جرجس المفضال حادلة اغنت مسامعنا عن لذة النظر
راقت فرقت معاني حسنها فبدت تهتز عجباً بثوب التيه والخفر

لم نعثر من سنة وفاته

مخايل ديبو – توفي سنة ١٩٢٣ .

ولد في اسكلة طرابلس ودرس في مدرستها الاميركية على يد يوسف ابي دياب الضرير ثم انتقل به والده الى البترون فلازم الشاعر خليل فتوح وهكذا نشأت به فكرة نظم الشعر . ثم سافر سنة ١٨٥٨ م الى بيروت حيث تعرف على الشيخ ناصيف اليازجي، ثم رجع لطرابلس حيث تعين قنصلاً لدولة العجم وتعاطى تجارة الكتب .

انشأ في الميناء محلاً لبيع وتأجير الكتب المختلفة وبقي يزاول هذه المهنة حتى وفاته وكان حاضر النكتة ان نثراً أو شعراً يرغب في المداعبة فمن قوله في المرحوم اسكندر الحلبي وكان مختاراً للطائفة الارثوذكسية في الميناء واشتهر بأنه لا ينهي معاملة عهد بها اليه إلا بشق الانفس قال :

اذا بـــدت مشكلة مـوجهـــة للشعب
فتش ترى مصدرها مـــن حركات الحلبي

ومن قوله يهجو صرافاً اسمه حنا :

صرافنا النحس حنا من فرط أكل الشعير
دنونا منه لبطنـــا واللبط طبع الحمير

أما آثاره الأدبية فكثيرة ، وقد تولع بوضع المسرحيات واخراجها فألف فرقة تمثيلية من شباب الاسكلة ودربهم على التمثيل . فمن المسرحيات التي وضعها وأخرجها ، مسرحية داود وشاول استمدها من الكتاب المقدس ومسرحية غرائب الغرام أدبية غرامية ، ومسرحية شهيدة العفاف ومسرحية عائدة ، وجميع هذه المسرحيات اخرجها بنفسه ومثلت على مسارح طرابلس والاسكلة .

جمع شهرة في حياته بديوان بثلاثة اجزاء . فمن قوله وقد ارسله لصديقه جرجس الخولي :

يا قاضي الحب اقض بالجنون على ... من قال لا جنة في الارض تلقاها
هذي ابنة الحور من تحت الشعور بدت ... يجلي على طور قلبي نور مرآها
واخضر لمسمعي الخضر من بها ... عودي وما عاودتني الروح لولاها

وقال يهنىء المطران الكسندروس طحان لما اسندت اليه اسقفية طرابلس :

الفضل ينمو والفضيلة تثمر ... والخلف يهدم والوئام يعمر
تبدو الكوارث للجهول كبيرة ... ولدى الحكيم صغيرة لا تكبر
كامامنا المولى الجليل وحبرنا ... الراعي النبيل ومن دعاه المنبر
مولى له في كل مكرمة يد ... وعليّ منها منة لا تنكر

ومن مراثيه في سمعان كرم :

اعن الذي يبكي على اعيانه ... وامسح كثيف الدمع من اعيانه
وارفق بمن فرقت ايدي النوى ... ما بين اسعده وبين بنانه
تتصاعد النفثات من انفاسه ... كتصاعد الدخان من بركانه
فيرش ناظره الدموع كأنه ... من حرها يخشى على انسانه
كرم اقر الحاسدون بفضله ... وكفى به فخراً على اقرانه

وبكى عليه النيل وهو رفيقه   إذ كان يسعده على اقرانـــه

وقال يوصي سليم باسيلي :

خليلي من لي ان دمعي اديمه   دماً وفؤادي شق عن اديمه
وهل يسعد العينين دم مفرح   قد استنزفت منه دماء كلومه
وقطوع اماء اللقا من حبيبه   اذا ما بكاه الدهر منذا يلومه

وقال يرثي اسكندر كاتسفليس :

لما نعى الناعي لنا   اسكندراً لسد المنيع
من آل كاتسفليس من   لمقـــامهم عز القريع
تتضاءل الانساب كاسفة   واصلهم نصيـــع

وقال يمدح رشيد كرامه :

ايا ابن المصطفى تفديك روحي   وقد تفدي مواليهـــا العبيد
اذا جار القضـــاء علي يوماً   فلا اخشى ومفتينـــا الرشيد

توفي طاعناً بالسن سنة ١٩٢٣

اسعد باسيلي توفي سنة ١٩٤٣ .

ولد في اسكلة طرابلس في اواخر القرن الماضي بحدود ١٨٧٧ / ١٨٨٠ وتعلم في مدارس طرابلس الابتدائية ثم الحقه والده وشقيقه انطونيوس بمدرسة كفتين حيث تخرج الكثير من اقرانه ونال شهادتها النهائية ومال لحرفة الادب وراح يكتب المقالات الطوال في صحف القاهرة كالاهرام والمقتطف والهلال كما زاول تجارة الخشب مع والده .

ثم اتفق مع صديقه ورفيقه فرح انطون ونزحا للاسكندرية حيث اصدرا مجلة الجامعة العثمانية وكتب فيها الكثير من المقالات التي استلفتت نظر القراء مثل مقالات اختيار الزوج وهو موضوع فريد في بابه .

لكنه رأى فيما بعد ان تجارة الادب كاسدة فتركها واخذ يتعاطى تجارة الاخشاب بشراكة شقيقه انطونيوس فتمكن من جمع ثروة لا يستهان بها .

توفي في سنة ١٩٤٣ في الاسكندرية ورثاه الادباء والشعراء وجمعت مراثيه في كتاب خاص .

يوسف بن عمر النوق – لم نعثر على سنة وفاته .

من علماء القرن الحادي عشر الهجري ذكره المرادي في خلاصة الاثر انه ولد سنة ١١٢٥ واخذ العلم عن علمـــاء بلدته كالشيخ محمد التدمري والشيخ عبدالحق المغربي ثم جاء للقاهرةوالتحق بالجامع الازهر وتلقى العلم على اساتذته ولما نال الشهادة رجع لطرابلس وقد ارادوه لتولي القضاء فلم يقبل. كان كثير النظم اكثر ما نظمه في التصوف فمن قوله :

تجلت فجلت عن شبيه صفاتها وعزت علاء ان ترى لك ذاتها
فريدة حسن مهرها النفس هكذا روى عن علاها في التجلي رواتها
فمن لم يجد بالنفس لم يدر ما اللقا ولا عبقت في انفه نفحـــاتها
بروض تجليها لدى سحب وجودها بكى مزنها فاستضحكت زهراتها

ومنها :

بها عين تسنيم الحدائق طرد وعن ذوقها يروي شذاها ثقاتها
فلا تخشى بأساً ان سكرت بخمرها فقد حكمت بالحل فيه قضـــاتها

وقال من قصيدة يمدح بها الشيخ عبدالقادر الكيلاني :

رويدك يا حادي اليعملات فما اقوى على حث نجيب يمت طللاً اقوى
لعل بريقاً عندما سح مدمعي وارعدني شوقي يلوح به شكوى
اسارق امال الاماني به كما تساوقني وعداً وتسبقني عدواً
لساحـل بحر ساجل المزن كفه بفك عرى قد ذررتها يد البلوى

جنـــاب اظلته سحاب مدائح على ثقة منه فامطرت الجدوى

وقال يصف فسطاطاً على ساحل البحر :

انظر لموج البحر فوق الشط في حركاته مذ مد يحكي العسكرا
لمقـــام ابراهيم يأتي لائذا صفا فصفا ثم يرجع قهقرى
فكأنه قد جـــاء مستنجدا ومقبلا من تحت ارجله الثرى

وقال في رحلة الى حماه :

حماة حماة قد ابادوا العدى على صواهل جرد دأبها طلب القاصي
ومدوا رواق الامن فيها لطائع وقد دار قهراً في ازقتها العاصي

وقال عنه المرادي في ترجمة حياته :

نور حدقة الدهر زنور حديقة العصر ، من خطت في صحف الدفـــاتر اخباره لقراءتها بعيني وانا جاره ، فهو ان كان در معارفه في صدف هذه الاوقات يتيم ، لكنه عن در حقائقهـــا غير فطيم لا برحت زواهر الجواهر تستخرج من بحوره ، وسطور الطروس تتحلى بقلائد سطوره ، ولا برحت عيون العيون له ناظرة بوجوه بشر ناضرة يستضيء بها هذا الداعيّ في دياجي البؤس ، ويؤمل من عالي الجناب ، تقرير ما هوالصواب على السؤال والجواب ، المرسل داخل الكتاب وامضاءه مع الختم لاننا عورضنا من غير دليل يركن اليه القلب النبيل ، وكنا كتبنا له ابياتاً نسأله عن الفرق بالدليل والبيانات ، فأجاب يقال وقيل ، فعرفنا امره وقبلنا عذره فـــالامر اليكم لتنوير سبيله والسلام » .

وله غير ذلك شعر كثير ولم نعثر على سنة وفاته .

الشيخ عبدالحق المغربي — لم نعثر على سنة وفاته .

من علماء طرابلس في القرن الحادي عشر وفي اواخر القرن العاشر . لم

له نعثر على ترجمة يركن اليها توفي في اوائل القرن الحادي عشر .

الشيخ محمد التدمري – لم نعثر على سنة وفاته .

على علماء طرابلس في اواخر القرن العاشر واوائل القرن الحادي عشر لم نعثر له على ترجمة الا انه كان واسع الاطلاع ولم نعثر على سنة وفاته .

الشيخ عبدالغني الرافعي – توفي في اواخر القرن الثاني عشر الهجري .

الشيخ عبدالغني الرافعي ، هو العلامة الكبير والكاتب النحرير والشاعر المفلق . ولد في طرابلس في سنة ١٢٢٦ هـ وقرأ القرآن على الشيخ مصطفى الحفار وتلقى العلم على الشيخ ابراهيم الزيلعي والشيخ نجيب الزعبي . كان قوي الحافظة حاد الذهن ، مفرط الذكاء سافر الى دمشق واخذ عن علمائها كالشيخ عبدالرحمن الكزبري والشيخ عبدالله الحلبي ثم توجه للحجاز لاداء فريضة الحج واخذ في مكة العلم عن الشيخ محمد الكتبي ثم عاد لطرابلس حيث اخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ رشيد الميقاتي وانقطع لالقاء الدروس في الجامع الكبير المنصوري حيث تخرج عليه الكثيرون ومنهم الشيخ ابراهيم الاحدب ، كما ذكرنا في ترجمته .

ترك الكثير من الآثار الادبية منها تعليقاً على حاشية ابن عابدين ومنها شرح بديعة صفي‌الدين الحلي ومنها كتاب ترصيع الجواهر في التصوف ومنها رسائل في فنون شتى ومجموعة فتاوى .

من نثره في وصف قرية بخعون في قضاء الضنية :

الحمد لله فاتح اقفال القلوب ، بمفاتيح الغيوب ، وكاشف الاسرار ، بخفايا الاعتبار ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له فسبحان من لا يغرب عن علمه مثقـال ذرة في السماوات والارضين واشهد ان محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم وبعد فيقول العبد

الفقير عبدالغني بن احمد الرافعي قد منّ الله عليه تعالى في هذا العام التخلي عن شواغل الخواطر ، وكدرات السرائر ، فانتهزت الفرصة بابواء الى قرية بخعون نزهة الخواطر وقرة العيون :

دار تناهت بالجمال فازهرت   عدنا وما تخفيه للأبرار

ونزلت منها في روض بهيج ذي منظر اريج ، اشجاره مؤلفة ، وانهاره متدفقة ، انفردت به عن كل جليس .

حتى غلبت نشوة السكر فأنشدت اقول ولا فخر :

اسكرتني بلطفها الصهباء   فليقل العذال بي ما شاؤوا
انا صب اهوى الملاح حظي   منهم اللطف في الهوى والذكاء
وحبيبي من الحبيب المعاني   والمعالي لا الصورة الحسناء
واصطفائي روح الجمال وغيري   لكثيف الاشباح منه اصطفائي
قد شجاهم برق الحمى وشجاني   در ثغر عنه تهدى الثناء
وعناهم رمز العيون واني   بمعاني الرموز مني اعتناء

والمقالة طويلة ،

اما مناصبه العلمية فقد تقلد منصب الافتاء في طرابلس لمدة ثلاث سنوات ثم تعين قاضياً لمدينة تعزّ في اليمن ثم لرئاسة محكمة استئناف الحقوق في ولاية صنعاء وقد توفاه الله في مكة المكرمة في وافدة الهواء الاصفر .

من شعره في صباه :

وحيا فأحيا قلب صب متيم   وماس فازوى بالغصون النواضر
فمالت غصون البان شوقاً لقده   واخجل هندي الظبا بالفواتر

ومن قوله ايضاً :

اغـــار على خديه من اعين الورا   فيا ليتهم يعمون عن حسف شكله
من مذهبي في شرعة الحب انني   اغـــار على ورد الرياض لاجله

ومن قوله من قصيدة :

تذكر عهد ربات الوشاح فراح من الهوى سكران صاحي
ومثل للضمير ديار لبنى فامسى وهو يهتف بالنواحي
يحن الى ابتسام البرق وهنا كما يهفو لانفاس الرياح

ومنها :

هضيمة ملتوى الكشحين خود ممتعة باطراف الرماح
ودون منالها بالطيف وهناً وصافحة المنايا بالصفاح
لهوت بها وغصن العيش غنى يرف على ليالينا الصباح
كأن العيش اخضر في سناها عذار لاح في خد الملاح
كأن حديثنا والليل ارخى ذوائبه علينا كاس راح
وقامت وهي باكية بروحي فتور لحاظها المرض الصحاح
توصيني بحفظ الود هلاّ ، لنفسك كان يا لبنى انتصاحي

الشيخ مصطفى الحفار – لم نعثر على سنة وفاته .

من علماء طرابلس في القرن الماضي لم نعثر على ترجمة له يركن اليها ولا على سنة وفاته .

الشيخ اعرابي الزيلعي – لم نعثر على سنة وفاته .

من علماء طرابلس في القرن الثاني عشر الهجري كان واسع الاطلاع في العلوم الدينية والفقهية لم نعثر على سنة وفاته .

عبد الحميد الرافعي – القاضي – توفي سنة ١٩٠٧ .

ولد في طرابلس سنة ١٨٥٥ وتلقى علومه الابتدائية على مشايخها ثم رحل

للقاهرة وانتسب للجامع الازهر ثم سافر للاستانةودخل مكتب القضاة وتعين قاضياً في مختلف الولايات العثمانية وكان محبوباً من المتقاضين .

ترك عدة احكام تشهد له بالمعرفة والتجرد وقد فقدت آثاره الادبية وتوفي قاضياً سنة ١٩٠٧ .

الشيخ عبدالقادر الرافعي توفي سنة ١٢٣٠ هـ .

هو اول من تلقب بالرافعي من آل الرافعي بسبب ان احد مشايخه قال له : انت من رافعي لواء العلم ، وهكذا لقب بالرافعي وهو من عائلة البيسار وعائلة البيسار والرافعي واحدة .

ولد صاحب الترجمة في طرابلس ووالده الشيـخ عبد اللطيف البيساري صاحب الزاوية المعروفة بمحلة العوينات وقد تعـلم على الشيخ محمد الكردي وسلك على يديه طريق الخلوتية وكان معجباً بشيخه المذكور حتى انه كان يوقع رسائله بكلمة ، عبدالقادر الرافعي خادم القطب الكردي وبعد وفـاة الشيخ الكردي في القاهرة عاد المترجم الى طرابلس وأخذ يدرس في الجامع الكبير الكنصوري كما تعاطى التجارة . له شعر في غاية الرقة فمن قوله بمدح شيخه الكردي :

بحمدك مولاي يرتاح ناطقـه ... وتبدو لارباب اليقين بوارقـه
فما كل لحظ في القلوب مؤثر ... ولا كل روض الفضل تزهو شقائقه
فسبحان من اجرى حقائق فضله ... بقلب أولي العرفان فاعتز ناطقه
اذا حل سر الله في قلب عارف ... تجلت على عرش القلوب دقائقه
لسيـدنا المحمود في كل خصلة ... على خلق المختار جاءت خلائقه

وله رسالة طويلة أرسلها لعلي باشا الأسعد ، حاكم طرابلس كما مر معنا في القسم التاريخي ، كما له مقامة بالمفاخرة بين حمص وحماه . وله أيضاً تشطير للبردة الشريفة . وحين توفي رثاه الشيخ عبدالله الحلبي بقوله في المطلع :

دروس العلم بعدك دارسات وافلاك المعـــالي سافلات

ورثاه أيضاً المعلم بطرس كرامة بقصيدة جاء فيها :

وأنا شديد الحب لاثم راحة تهمى بدر كلما فجر رعد

الشيخ عبداللطيف البيساري -- لم نعثر على سنة وفاته .

من علماء طرابلس في القرن الحادي عشر الهجري وصاحب الزاوية المعروفة باسمه بمحلة العوينات . ترك آثاراً أدبية وابتهالات تناولتها يد الضياع .

الشيخ محمود الرافعي – توفي سنة ١٢٦٥ ﻫ .

من علماء طرابلس في القرن الماضي ، ولد في طرابلس وتعلم في الجـــامع الأزهر وعاد لطربلس واتخذ الوعظ والأرشاد مهنة له وتخرج على يديه كثيرون من علماء طرابلس منهم الشيخ حسين الجسر والشيخ محي الدين الفاخوري والشيخ زكريا كنعان فقدت آثاره الأدبيـــة ولم نعثر على شيء من شعره . توفي سنة ١٢٦٥ ﻫ. بوافدة الهواء الأصفر .

الشيخ مصطفى الرافعي – لم نعثر على سنة وفاته .

شقيق الشيخ محمود الآنف الذكر . تعـلم في الأزهر ودرس في طرابلس ورحل للاستانة وعرض عليه منصب القضاء فأبى . فقدت آثاره الأدبيـة وتوفي في أوائل القرن الهجري الحالي

الشيخ محمد كامل الرافعي – توفي سنة ١٩١٨ م.

ولد سنة ١٢٧١ ﻫ. وتلقى العلم على مشايخ آل الرافعي بطرابلس ثم دخل في خدمة الحكومة وتقلب في عدة وظائف منها مأمورية الأجراء ومنها كتابة

العدل توفي سنة ١٩١٨ م.

ترك الكثير من الآثار الأدبية من نظم ونثر فمن شعره في مدح محمد باشا المحمد المرعبي لبنائه مدرسة في عكار .

عن الدين والعلم الحنيفي والعلى تقدم بافراد الزمان لك البشيرا
ونشر من طيب المدائح في الورى لعلياك ما يزكو الوجود به عطرا

ومنهـا :

لذاك أمير المؤمنين ادامـه إله الورى يستخدم لك العز والنصرا
فاولاك من احسانه وامتنانه من الفخر ما مات الحسود به قهرا

عبدالحميد بك الرافعي – توفي سنة ١٩٤٠

بلبل سوريا وشاعر الفيحاء . ولد عبد الحميـد بك الرافعي في طرابلس وتعلم فيها ومال لقرض الشعر ومدح الكثيرين وعلى الاخص الشيخ ابا الهدى الصيادي شيخ السلطان عبدالحميد فمن قوله بمطلع قصيدة بمدحه :

قعد الحظ به حتى اقتعـد غارب السير ومن جد وجد

تقلب في عدة وظائف في الحكومة آخرها كتابة العدل في طرابلس شغلها حتى قبيل وفاته. نفته الحكومة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى للانضول بسبب انضمام نجله للحكومة العربية فنظم هذين البيتين بمناسبة عيد الأضحى قـال :

أتى العيد والاحباب عني نوازح فاحزنني والعيد في عيدها تهنا
نحرت دموع العين فيه مكبرا على زمن قد صير العيد لي حزنا

ومن قوله قصيدة في أحد القضاة الشرعيين وقد سارت بذكرها الركبان قال في مطلعها :

اعرني طرف زرقاء اليامة لانظر ما وراء تلك العمامه

ومن قصيدة اخرى :

آه منها وعليها ظبية ملت اليها
كلما ردت وصالاً قطبت لي حاجبيها

ومن شعره قصيدة في وصف الشيب قال :

عجلت يا شيب على لمـــتي فبالله يا ابن النور ما اظلمك

ومن قوله من قصيدة اخرى :

سلوها لماذا غير السقم حالها ترى شغفت حباً والا فمالها
ارى هوى الغزلان قد هد حيلها فاني رأيت الريم يوماً قبالها

وقبيل وفاته اقيمت له حفلة تكريمية انشد فيها شعراء العصر القصائد الرنانة في مدحه وجمعت في كتاب على حدة .

توفي سنة ١٩٤٠ .

عبدالقادر الداكيز – توفي سنه ١٩١٥ .

ولد في اسكلة طرابلس وتعلم فيها ومال لقرض الشعر على مختلف اقسامه. شغل وظيفة مأمور طابو في عكار ولكنه لم ينقطع عن النظم ومن المؤسف اننا لم نعثر على شيء من شعره الذي تناولته يد الضيـــاع الا على شطرة من تشطير بيت من الشعر وهو :

حجبوك عن مقل الانام مخافة يا كعبة سجدت لها الاقمار

وباقي البيتين هما :

فتوهموك ولم يروك فأثرت من وهمهم في خدك الابصار

الشيخ نجيب الزعبي – لم نعثر على سنة وفاته .

من علماء طرابلس في القرن الحادي عشر الهجري ، ولد في طرابلس وتعلم فيها ثم سافر للقطر المصري حيث التحق بجامعة الازهر واتقن العلوم الفقهية واللسانية على مختلف المذاهب ثم عاد لطرابلس وعين خطيباً للجامع الكبير المنصوري ومدرساً في الجامع المشار اليه ومن مشاهير تلامذته الشيخ عبدالغني الرافعي الآنف الذكر والسيد احمد سلطان قاضي طرابلس وغيرهم من العلماء وبقى في هذه الوظائف حتى توفاه الله . له بعض الآثار المكتوبة من الشروح والحواشي كما له عدد من الخطب المنبرية . لم نعثر على سنة وفاته .

الشيخ فتحالله الزعبي – توفي سنة ١٩٢٢ .

من علماء طرابلس في اوائل هذا القرن ولد في طرابلس وتعلم فيها وانقطع للتدريس والخطابة في جامع العطار . له عدد من المؤلفات الدينية المخطوطة كما له عدة شروح وتعاليق وابحاث في الفقه والحديث .

الشيخ عبدالفتاح الزعبي – توفي سنة ١٩٣٥ .

من علماء طرابلس في اوائل هذا القرن ونقيب السادة الاشراف وخطيب ومدرس الجامع الكبير المنصوري ولد في طرابلس وتعلم فيها ومال الى الادب والفقه . ترك عدة مؤلفات مخطوطة منها على مـــا قال لي حفيده مؤلف في تاريخ طرابلس .

المطران سيلييستروس زرعوني – توفي في اوائل هذا القرن .

من اساقفة طرابلس ولد سنة ١٨٥٦ وتلقى علومه فيها ومال لاعتناق الرهبنة فالتحق بدير البلمند حيث اتقن العلوم الدينية ثم تقلب في الوظائف الكهنوتية وتعين مطراناً لديار بكر له بعض التآليف الدينية لم نعثر على تفاصيلها .

انطوان زريق – توفي سنة ١٩١٥ .

من شهداء البلاد في سبيل الاستقلال . ولد في طرابلس سنة ١٨٧٧ وتعلم فيها ثم سافر للولايات المتحدة الاميركية حيث انشأ جريدة جراب الكردي وراح يحمل حملات شعواء على الحكم العثماني ولما اعلنت الحرية عاد لطرابلس وبعد قليل اعلنت الحرب العامة فخاف من حملاته السابقة على الدولة وهرب لقرية انفة احتساباً للطوارىء لكن الاتراك القوا القبض عليه واستاقوه وشقيقه توفيق الى دمشق ونسبوا اليهما الخيانة الكبرى واعدما رمياً بالرصاص في ١٢ ايلول سنة ١٩١٥ .

للمترجم رواية الزوج السري ومقالاته في جريدته جراب الكردي .

اسكندر زمور – توفي سنة ١٩١٦ .

من ادباء طرابلس ولد سنة ١٨٤٥ وتعلم في مدارسها ثم عكف على التبحر في اللغة الافرنسية فاتقنها واتقن ادابها وراسل جريدة الاندباندنس الفرنسية وله فيها مقالات جمة تعبر عن معرفته الواسعة باللغة الفرنسية . علم الكثيرين هذه اللغة .

عبد القادر محمد الزين – توفي سنة ١٣١٥ هـ.

آل الزين سكنوا أسكلة طرابلس منذ مئات السنين وصاحب الترجمة ولد حوالي عام ١٢٣٥ هـ. وتعلم على مشايخها وتعاطى تجارة الامانات كوالده وعمه السيد ديب الزين وكان ميالاً لقرض الشعر ولمطالعة كتب الأدب .

جمع في حياته مكتبة عامرة ولما سمع ان مطابع القاهرة أخرجت كتاب الاغاني أرسل لصديق العائلة بالاسكندرية السيد سعدالله حلابه فابتاعه له.

كان محترماً من أهالي الأسكلة وترك مجموعة من الشعر الذي نظمه في حياته

تناولتها يد الضياع ولم نعثر الا على المقطوعة التالية من قصيدة غزلية :

يا من لقلبي قد كوى   وحـاد عني بالدوا
ايحل في شرع الهوى   قتلي ولا حول ولا
قوة لي في ذا البلا

وجيه عبدالقادر الزين – توفي سنة ١٩٦١ م.

ابن المتقدم ذكره ولد حوالي عام ١٨٧٧ م.وتعلم على الشيخ عبدالفتاح النصري فأتقن القراءة والكتابة ولما كان جده محمد الزين أوقف عدة عقارات على الجامع الكبير في الأسكلة على حياته بالرغم عن انه كان يتعاطى تجارة الامانات كبقية بني الزين .

كان حسن الصوت وقد جمع سفينة من الشعر اطلق عليهـا اسم سفينة الاشعار في الانشاد والاذكار رتبهـا حسب أيام الجمع في السنة فوضع لكل جمعة عدداً من الأبيات لتنشد في المأذنة قبل الصلاة ثم عدداًمن الأبيات لتنشد في كل جمعة أيضاً على السدة قبل ألقاء الخطيب لموعظة الجمعة وفي البابالثالث من السفينة المذكورة رتب أبياتاً لتنشد بعد صلاة العشاء في المأذنة خلال الأشهر الحرم أمـا في الأبواب التي تلي فقـد رتب القصائد النبوية التي يحسن أنشادهـا خلال تلاوة المولد النبوي الشريف وخلال الاذكار ، هذا عدا عن الموشحات الغزلية والقصائد الربانية ومختلف الادوار وبكلمة مجملة فالسفينـة مجموعة شعر وأدب وهي باقية بخطه الجميل على الطريقةالفارسية بالحبر الاسود.

أحمد سلطان – توفي سنة ١٣٠٨

ولد في طرابلس سنـــة ١٢٢٤ وتعلم فيها على الشيخ نجيب الزعبي ، ثم ذهب للاستانة واخذ عن علمائها وسنة ١٢٦٢ عينته الحكومة العثمانية قاضياً على طرابلس وبقي في هذه الوظيفة حتى عام ١٢٨٦ حيث جرى نقله قاضياً

على اللاذقية ، فقدم استقالته وخدم أبناء بلدته في وظائف أخرى .
ترك شرحاً لمقامات الحريري وكتاب في المعـاني ومراسلات شتى جرت بينه وبين أدباء زمانه عدا عن ديوان من الشعر فمن قوله تقريظا لمجموعة من الشعر لفارس الشامي :

تبينت ما ابدت بدائع فارس من النظم والنثر المصونين من در
كذلك ما يروى لاعلام عصرنا   سراة بني الآداب بل بهجة العصر
فالفيته نذر قليلاً وان علا   ولم يلغ القدر اليسير من العشر
على انهم غاصوا البحار واخرجوا   لالىء آثار تعز على الدهر
وحاشا علاهم عن قصور وانما   محاسن خورشيد تجل عن العصر

ومن قوله وفيه تورية :

فقالت أما ترضى السواك اجبتها   وحقك مالي حاجة بسواك

ومن قوله أيضاً :

تماثل دمعي والشقيق وخدها   تماثل حظي والظلام وشعرها
تعادل همي والرقيب وردفها   تعادل جسمي والبهاء وخصرها
توافق مطلي والرديني وقدها   توافق قلبي والصباح وجيدها
تناسب خمري والوصال وريقها   تناسب صهري والنسيج وهجرها
تشابه شرحي والمدام ولحظها   تشابه قلبي والجباه وقرطها
تشاكل جسمي والسراب ووعدها   تشاكل عيشي والصخور وقلبها

المحامي أحمد سلطان – لم نعثر على سنة وفاته .

المحامي والصحافي الطرابلسي ولد سنة ١٢٥١ هـ وتعلم في طرابلس واتقن مهنة المحاماة ثم انشأ جريدة المحامي وبقي يصدرها حتى سنة وفاته وقد ضمنها الكثير من المرافعات والآراء والاجتهادات الحقوقية حتى كان مرجعاً في القانون .

عبداللطيف السلكا – توفي سنة ١٨٩٩ م .

ولد سنة ١٨٣٤ وتعلم في طرابلس وانتظم في خدمة الحكومة واتقن العربية والتركية وتقلب في عدة وظائف . توفي سنة ١٨٩٩ تاركاً بعض المراسلات الادبية وبعض المقالات في الصحف .

الاب شمعون السمعاني – توفي سنة ١٨٢١ م.

من اسرة السمعاني في قرية حصرون ولد سنة ١٧٥٢ م وتلقى علومه الابتدائية في طرابلس ثم سافر الى رومة حيث اكمل تحصيله واتقن الايطالية والفرنسية واللاتينية ، ثم جال في ربوع مصر والشام وعاد الى رومة حيث اهتم بجمع المخطوطات الشرقية فعهدت اليه كلية بادوا في ايطاليا بتعليم اللغات الشرقية وبقي في هذه الوظيفة حتى وفاته سنة ١٨٢١ .

ترك مؤلفاً عظيم الاهمية في تاريخ عرب الجاهلية في مجلدين ضخمين يعد مع كتاب الاستاذ جواد علي العراقي اهم مرجع لتاريخ العرب قبل الاسلام وطبع كتابه في ايطاليا ونفذ ويا ليت دور النشر في بيروت تعيد نشره . ترك ايضاً كتاباً آخر في وصف آثار الكوفة هذا عدا عدد من المقالات نشرها في الصحف الايطالية التي تبحث عن شتى المواضيع التاريخية .

المونسنيور يوسف السمعاني – توفي سنة ١٨٦٨ م .

ولد في طرابلس سنة ١٦٨٧ م وتلقى علومه الاولية فيها ثم سافر الى رومة حيث انكب على التحصيل وفاز بشهادة الملفنة في الفلسفة ثم جاء للشرق وجمع الكثير من المخطوطات النادرة استعان بها على وضع مؤلفه الضخم المشهور تحت اسم تاريخ المكتبة الشرقية ، فاعجب به البابا وعينه محافظاً على مكتبة الفاتيكان ثم رقاه لرتبة اسقف .

ترك من الآثار كتابه الآنف الذكر في اربعة مجلدات ضخمة وتاريخ

سوريا في تسعة مجلدات وعدداً من الكتب الدينية وجدير بدور النشر في بيروت أن تعيد طبع تاريخ سوريا المشار اليه لانه يشكل حلقة مفقودة في التاريخ بالنظر لما تضمنه من معلومات لا توجد في سواه .

الشيخ محمد السندروسي – توفي سنة ١١٧٧ هـ .

ولد في سنة ١١١٠ هـ وتلقى علومه فيها وانقطع للتدريس وللافتاء حتى وفاته ترك كتاباً في تاريخ الصحابة .

عبدالجليل السنيني – توفي سنة ١١٠٢ هـ.

من علماء طرابلس إلا أنه كان معجباً في نفسه ينتقد كل من سلفه من العلماء حتى توقاه كل علماء عصره وتجنبوه ولم يعد أحد يحضر دروسه .

ترك بعض الشروح والتعاليق .

الشيخ محيي الدين سلهب – لم نعثر على سنة وفاته .

من شعراء طرابلس ، ولد سنة ١٢٥٠ ، تلقى على الشيخ عبد الغني الرافعي

ثم تعين رئيساً لكتبة المحكمة الشرعية في عكار وانتقل منها لوظيفة قاض في حصن الأكراد ثم في حيفا ثم أميناً للفتوى في طرابلس واقامه المجلس البلدي وكيلاً عنه في الدعاوى التي أقامها على شركة الترامواي فربحها كلها .

ترك ديوان شعر كبير فمن قوله مداعباً :

قالت وقد رأت الشراريب التي علقتها الناس على افراسها
ما هذه الاذناب تخفق في الهوا فوق الرؤوس ولم نجد تأسيسها
فأجبتها الناس ماتوا وانقضوا وخلت جميع الأرض من مانوسها
واستخلفتها بهائم اذنابها للعكس فقد خلقت باعلى رؤوسها

ومن نظمه في السيد الرفاعي :

على مدد القطب الرفاعي أحمد ‏ شؤون جميع الأولياء تدار
ولا مدد في الكون يوجد الورى ‏ لعمرك الا من سناه يعار
لقد بت يوماً والخطوب تنوبني ‏ وفي القلب من عظم الكروب أوار
فناديت يا شيخ الغريب اغث فتى ‏ له في هواكم ذمة وجوار
ونمت فوافاني لدى سنة الكرى ‏ وقد ادهشتني هيبة ووقار
وانشدني ذا الليث وهو الذي يلي ‏ وفيه لتفريج الكروب يشار
ومن كان للقطب الرفاعي ينتمي ‏ فلا يخشى ضيما وليس يضار
وقمت واقداح المسرة والصفا ‏ على يسر ابن البتول تدار

وله غير ذلك موشحات وقصائد وأناشيد رنانة :

توفي في أوائل القرن الهجري الحالي ولم نعثر على تاريخ السنة .

عبدالمولى السيري – توفي سنة ١١٢٦ هـ.

من علماء طرابلس أشتهر بعلم الكيمياء والعمل على تحويل المعادن لذهب ويقال انه نجح بعض النجاح وأشتغل أيضاً بعلم الفلك والنجوم ووضع تقاويم فلكية توفي سنة ١١٢٦ هـ.

عمر السيري – توفي سنة ١١٥٩ هـ .

ذكره المرادي في تاريخه انه من علماء القرن الثاني عشر وانه كان على جانب كبير من العلم والمعرفة . له عدة رسائل تدل على علو كعبه في الادب .

الامير محمد السيفي توفي سنة ١٠٣٢ هـ .

من عائلة بني سيفا امراء طرابلس ذكره المحبي في خلاصة الاثر انه كان بارعاً في نظم المواليا ولم ينظم القريض . توفي مسموماً .

درويش الشنبور – ١٨٨٢ م .

من رجالات طرابلس لم يترك آثاراً ادبية ولكننا آثرنا ترجمته بالنظر لما قيل لنا ان له ايادي بيضاء على طرابلس وخدم مدينته الخدمات الجلى .

الشيخ محمد الشهال – توفي سنة ١٩١٨ .

نابغة طرابلس بلا مراء وعالمها الذي لا يجارى ولد سنة ١٨٦٨ م وأكب على تحصيل سائر العلوم بلا ملل ولا كلل وانقطع لسماحة الشيخ حسين الجسر ولازم على دروسه ففاق اقرانه ثم انقطع للتدريس والنظر في سائر العلوم . انتخبه البطريرك غرغوريوس للتدريس في مدرسة كفتين لتدريس العربية .

سافر للاستانة للتبحر في العلوم وبعد رجوعه الف رسالة في علم الفلك ثم اخذ في تفسير القرآن باسلوب وجيز مفهوم والف رسالة في تربية دود القز ونال عليها جائزة من الحكومة العثمانية مع وسام ذهبي ثم اتبعها برسالة اخرى في كيفية استخراج الزيوت من النباتات . في خلال الحرب العالمية الاولى وانقطاع ورود المواد الاولية ، راجعه الدباغون لمعرفة المواد الكيمائية التي بامكانهم الاستعانة بها في دبغ الجلود فهداهم وتمكنوا بفضله من انتاج مصنوعات في غاية الاتقان .

حدثني عنه والدي انه كان عبقري ونابغة في كل شيء وانه تمكن من تركيب المتفجرات (الديناميت) بدون ان يكون له معرفة بطريقة نوبل السويدي صاحب الجوائز وان زاويته بقرب الجامع الكبير كانت ملتقى الاصحاب من تلامذته . كان يحسن صنع السكاكر ما يعجز عنه ارباب الصنعة وفي كل مرة يزوره الذي يميل اليهم كان يطعمهم شيئاً لم يسبقلهم ان تذوقوه. وقد اضاف والدي في حديثه عنه انه في خلال العهد الحميدي كان ارباب العلم والارشاد يعفون من الخدمة العسكرية بشرط تقديم امتحان امام لجنة فاحصة وكانت اللجنة تتقاضى من المتقدمين بالسر ما فيه النصيب ولما جاء

دور الشيخ محمد الشهال قال للسمسار انه لا يدفع بارة الفرد وعلى اللجنة ان تلقي عليه ما تريد من الاسئلة . وفي خلال الامتحان ادهش اللجنة باجوبته التي كان اعضاء اللجنة لا يحسنونها وهكذا اعفى من الخدمة العسكرية بمقدرته.

علم في مدرسة الفرير مدة ثم لأمر طائفي استبدلته مدرسة الفرير بالمعلم داود موسى من الاسكلة .

توفي سنة ١٩١٨ على اثر اصابته بحمى التيفوس

الشيخ محمود الشهال – توفي سنة ١٣٤٠ هـ .

ولد في سنة ١٢٥٢ هـ. في طرابلس وتعلم على علمائها ودخل في سلك موظفي الدولة وعين مديراً على الاسكلة ثم عضواً في المجلس البلدي وتقلب في عدة وظائف .

كان حسن المحاضرة رخيم الصوت ماهراً في تلحين الموشحات ، ونظم الكثير من فمن قوله في تهنئة أحد مشايخه في قدومه من الحاج الشريف .

يا حادي الركب ان لاحت قباب قبا　　قف بالديار وادي بعض ما وجبا
واقرأ السلام على جيران كاظمة　　فان لي في مغاني حبهم عربا

ومنها :

حديث الاحبة قد اصفت رئارها　　واظهرت بيننا ما كان محتجبا

ومنها :

بماء زمزم لما فزت مغتنما　　وحزت من عرفات باللقا اربا
ومذ نزلت بماء الخيف مبتهجا　　امنت من كل خوف يعقب العطبا

وقال يهنىء الشيخ عبد الغني الرافعي بقدومه لطرابلس :

ان اجتماع الشمل بعد شتاته　　يحيي قتيل الشوق بعد مماته

فسرت نسيمات اللقا سحراً على غصن الفؤاد فحركت سكناته
انعم به يوماً وحيداً قد قضى يعقوب اشواقي به حاجاته
في خد قطر الشام اصبح شامة زال الزمان بحسنها وجناته
فجمال هذا العصر بعض جماله ومحاسن الايام من حسناته

ومن قوله برثاء درويش الشنبور :

تصبر فدتك النفس ان تستطع صبراً على زمن بالحزن جرعنا الصبرا
اذا ما تلا الراوون آيات ذكره يفوح اريج المدح من وصفه عطرا
سروا فوق اعناق الرجال بنعشه مقصصة الاسلاب من رزئه قهرا

وكتب على صورة :

كسيت بحمد الله اجمل صورة واخلصت احبابي صفاء مودتي
ولما رأيت البعد عني يهمهم نقشت على لوح الصحائف صورتي

عبداللطيف سلطان – توفي سنة ١٩٣٧ .

من ادباء طرابلس وشعرائها ولد في اواسط القرن الماضي وتعلم في طرابلس واتقن العربية والتركية وتقلب في وظائف الحكومة وشغل لمدة طويلة وظيفة امين سر المتصرفية في العهد العثماني وكان على معرفة وثيقة بكيفية سير المعاملات في سائر شؤون الدولة ، يحب النكتة اينما وجدت ويخدم ابناء بلدته بوجه بشوش ولا ينفك يلبي رغباتهم بكل ما يمكنه .

نظم الشعر وراسل شعراء زمانه فمن قوله بمدح حضرة صاحب الرسالة :

ان رمت ان تدري مقام محمد وتقول وصفاً قد يفي بعلاه
فانظر الى عظم الاله وقل به ما فوق قدر محمد الا هو

وارسل له الشيخ عبدالله المؤذن هذه الابيات :

بمنظار النجوم لنا سؤال نريد جوابه الشافي المهذب

نرى فيه البعيد غدا قريباً على الرائي ام المرئى تقرب
مناظر قد دعتني في عجاب حقايقها وفيها البحث يطلب

فأجابه بقوله :

مجاز في الحقيقة مـــا نراه فلا الرائي ولا المرئي تقرب
بل المنظار ذو قلب نقي صفى من الزجاج قد تحدب
وفي حال التوسط كل قلب يقرب او يبعد ان تقلب
وهذا القلب والمنظار طبعاً صفاء كليهما للكشف يطلب
اما يوري الفؤاد لنـــا بعيداً سهيل عنده للعـــين اقرب
وما التقريب والتبعيد شيئاً نجانب نكتة في البحث اقرب
يرى المنظـــار تجسيماً لجرم دقيق من حواس الناس يحجب
على ان الحقـــائق قدارتنا لهـــا فعلاً به الاساد تغلب
اجوهر ما يرى فيها مزاداً ام الابصار في عرض تقلب
قل عدم ولا عجب تبدي فكل الكون من عجب تركب
الا ان الحقيقـــة كل شيء خيال خلا الخلاق يحسب

وله الكثير من الشعر خصوصاً المنـــاظرة التي جرت بينه وبين الشيخ عبد المجيد المغربي في التفضيل بين السيف والقلم .

وعلى ذكر صاحب الترجمة نرى ان نورد شيئاً من شعر الصديق الذي لا نسميه بالنظر لان نفثاته الشعرية تنم عليه وتشهد بطول الباع وحسن التصوير فمن قوله بوصف لعبة البوكر وقد احسن الوصف قال :

آه منهـــا لعبة لذّ فيها اللعب جداً
وزعوا الاوراق خمساً عددوا الاشكال عداً
قـــال كرتاً قلت ثان يا علند

ومنها :

قـــال سرفي قلت ايضاً يا مفدي
ثم دار اللعب حتى رافق التوفيق ....

وقد كتنا مرة نصطاف في خصرون فتبارى الشعراء الحاضرون على ان ينظم كل منهم قصيدة تكون لا معنائية اي عامرة الابيات ولكن لا معنى لكل بيت ونذكر من قصيدته ما يلي :

قال في المطلع :

لمعت بوارق ثغرها كخناجر سبكت بقالب حسنها المتكسر
فكأنها بقر المهى وكأنها اسد يجول بوقفة المتحـــاذر
رضيت اقاربها بصون عفـــافها وصغت الى طمع الحبيب النافر

ومنها :

فدعوا غرامي ساكتاً متألماً متعــذباً طرباً بقول الشاعر
عبثاً يحاول ابن آدم ان يرى ملكـــاً على جزر وبحر زاخر

والقصيدة جميعها غاية في الابداع لم يسبقه على نظم مثيل منها احد ولولا الاطالة لذكرناها بمجموعها .

وله من قصيدة عذراء مملوءة بالدعابة في وصف احد فنادق حصرون ابدع فيها كل الابداع بدعاباته الفريدة قال :

دعبل الدهر من قديم جبالاً شك فيها الاشجار كالاوتاد
وسقى الارض من نقاح مياه جاريات في سفحه والوادي
تقذف الصخر في الطريق اقتداراً كيعتنا بصوتهـــا المعتاد

ومنها :

فضوا اللوكس ساطعاً باوتيل اصحـــابه كل يوم بازدياد
ان اليا ومرعبا ثم حنـــا ثم خاتون نجمة بالنادي

اطعموناً من اللحوم قديداً قطعة اللحم انتنت بالفساد
وضعوا الفلفل اللعين عليها هل تغطى السماء بالسجاد

والقصيدة طويلة وكنت قد اقترحت عليه نظمهـــا على روي قصيدة ابي العلاء المعري التي قال في مطلعها :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شادي

وله ايضاً من قصيدة يداعب فيها جبور صاحب فندق في حصرون :

جبور اليك تحيتنا جبور ألا اسمع قصتنا
جئنا حصرون لكي نصطاف وتغدو عالأ صحتنا
نازار يقدم صحن الأكل اخي فتقلب معدتنا
مجوى الايدي وله بزة حاكت خيشاً قد قرفنا
رطل الصابون غدا يكفي في العام وهذي مصيبتنا

ثم ينهي القصيدة بابيات غزلية فيصف الشعر القصير وكانت الموضة في قص الشعر حديثة فيقول :

ماري يكفيك دلالا قص الشعر فتسحر مهجتنا
جمعت الشعر فأدهشنا منك التجميم واطربنـــا
وادال تهز الردف على الجنبين لذيذ ينعشنـــا

ويا ليت الصديق يجمع شعره في ديوان بالنظر لما يتضمنه من مواضيع فريدة ومن ابداع في دقة الوصف .

الشيخ خليل صادق – توفي سنة ١٣٣٣ هـ .

ولد في طرابلس وتلقى علومه في الجامع الازهر ، ثم رجع لطرابلس واهتم بالتدريس لكنه كان قليل الاختلاط بالناس يرغب في العزلة . له عدة مؤلفات منها شرحه على حزب البر للامام الشاذلي وكتاب مناداة الجليل وكنز

الصلاة في جمع الصلواة وجميعها مطبوعة وترك ايضاً عدة مخطوطات عدا عن ديوان شعر في مختلف ابوابه .

الياس صدقه – توفي سنة ١٨٧٥ م .

ولد في طرابلس سنة ١٨١١ وتعلم فيها ومال لدرس الحقوق فاتقن هذا العلم على نفسه واصبح ضليعـاً في سائر القوانين فاختاره فرنقو باشا متصرف لبنان رئيساً لمحكمة الكورة وبقي يتتلب في الوظائف الحكوميــة حتى اعتزاله الخدمة .

كان واسع الاطلاع ، وضع تاريخاً لمصطفى آغا بربر حاكم طرابلس الذي أتينا على ذكره في القسم التاريخي ومن المؤسف ان هذا الاثر التاريخي ضاع مع ما ضاع من آثار المترجم وقد سمعنا ان في مكتبة المرحوم عيسى اسكندر المعلوف نسخة منه كما ان المؤرخ جرجي يني كان لديه ايضاً نسخة من هـذا التاريخ تناولتها يد الضياع أيضاً .

مخايل صدقه – توفي سنة ١٨٧٠ م.

ولد في طرابلس سنة ١٨١٢ م. ومال منذ فتوته الى الادب والى قرض الشعر فمن باكورة نظمه قصيدة بمدح نعمة الله غريب جاء فيها :

وغادة حسن اشهرت من لحاظها	حساماً وقلوب العاشقين له غمد
وتاهت على العشاق في حسن مطلع	هو الكوكب الزاهرا يحق له الرصد
وباهت على نجد برونق جيدها	حجازية دانت اعزتهـــا هند
فنعمان خديها تركنا بجمرة	ومذ لفظت قالوا هنا سمرقند
ولما خـــال ندى بخدهـــا	تفتت قلوب المسك واحترق الند
يتيمة در قـــد يعز منالها	فما قبلها بل وما بعدها بعد

مليكة حسن تحت رايات حسنها　　معاشر اهل الحسن طرأ لها جند

واشتغل بالتجارة فسافر الى مصر ومنها الى دمشق واصيب بوافدة لم تمهله الا عدة ايام . رثاه الشيخ ناصيف اليازجي بقصيدة جاء فيها :

املاك نور لمخايـــل معتقه　　قامت تكلله في ارفع الطبقه
نواحنـــا جنح الليل مختلف　　وتلك الحانها في السبح متفقه
يا صاحب الصدقات البيض مرحمة　　احوالنا السود مما يقتضي الشفقه
يبكي صبائك من خنف واسفا　　باعين كنت نفسها منزل الحدقة
تصدق والتاريـــخ حامده　　امااستحى الدهر ان يسترجع الصدقة

جبرائيل صدقة – توفي سنة ١٨٧٤ :

ولد سنة ١٨٠٣ ولم يكتف بما تعلمه في مدارس عصره ، بل واظب على المطالعة والتعلم على نفسه حتى نبغ في نظم الشعر وراسل كبار شعراء عصره كناصيف اليازجي وخليـــل الخوري ونقولا النقاش وغيرهم وشرح القصيدة الانفة الذكر في ترجمة مخايل صدقة وراسل الشيخ ناصيف اليازجي ببديعية من نظمه اجابه عليها الشيخ ناصيف بقصيدة من قوله :

ومنها :

خود من العرب عافت شيمت الكرم　　تضن حتى بحـــرف النفي في الكلم
ومن يسل عن أخ يرعى الزمان قل　　جبريل من صدقات الله ذي النعم
ذاك الصديق السليم القلب من وضر　　والصادق البارع الآداب والشيم

وقد مدح المترجم فؤاد باشا الوزير التركي حين جاء سنة ١٨٦٠ الى لبنان بقصيدة جاء فيها :

ثق يا مريد فقـــد بلغت مراداً　　وارقد هنيئاً قـــد امنت سهاداً
ها قد اتى حامي الحماة وكاشف　　الكرب الذي بالغوث جدا وجادا

قل للمضيع في الخطوب فؤاده هلعـــاً هنيئاً فقد وجدت فؤادا
هــذا فؤاد الملك كن متشجعاً بثباتــه فترى فؤادك عــادا

وكتب الى صديقه جبرائيل حبيب يطلب اعارته مجلة لبنان .

جنانـــك حر ان تعره ترده جنـــاني رق رده فوق امكاني
اعرني جنانـــك يا مليك جناني فما حكم مطلوق كمن تحت السلطاني

وقال مؤرخاً زفاف انطون الصراف :

ربحت بموسم عرسك الافراح اهنى انفعاش هكذا الأرباح
قد لاح مجناك المنير بليـلة ما النور عن شمس الورى الوضاح
صان الاله سنا زفافك بالهنـا وكللتـه سعادة ونجـاح
ابدا نؤرخه باسمى بهجـة ربحت بموسم عرسك الافراح

المطران مكاريس صدقة – توفي سنة ١٧٩٨ :

اسمه قبل اعتناقه للرهبنة موسى ولد سنة ١٧٣٠ وتعلم في طرابلس ومال الى الرهبنـــة فترهب سنة ١٧٥٧ م في دير سيدة الناطور وسمي مكاريوس وتدرج في الوظائف الكهنوتيـة الى ان انتخب مطراناً على صور وصيدا ثم استدعاه البطريرك سيليبسترس الى دمشق واتخذه وكيـــلاً عنه ثم في سنة ١٧٧٤ م سيم مطراناً على بيروت وتوفي سنة ١٧٩٨ م .

ترك بعض الآثار الأدبية والدينية منها صلوات وشروح على الاناجيل .

انطون الصراف – توفي سنة ١٨٢٨ م.

ولد في طرابلس سنة ١٧٧٧ م. وتعلم فيها ومال لحرفة الادب وسافر سنة ١٨١٤ الى جهات فلسطين والف كتاباً وصف فيه ما شاهــده في رحلته كما وصف عادات اهالي فلسطين والرحلة مخطوطة لدى حفيدة يعقوب الصراف .

الشيخ عبدالرؤوف الصفدي – توفي سنة ١٢٩٨ هـ.

من علماء اسكلة طرابلس ولد فيها ودرس في الجامع الازهر في القاهرة وتولى القضاء في الاسكلة ثم سافر في عهد السلطان عبد المجيد ودعي لحضور حفلة ختان اولاد السلطان وحظي بالمثول بين يديه ولم يقبل يد السلطان، الأمر الذي دعا السلطان لزيادة احترامه فمنحه هدايا ثمينة وعاد مشمولا بالانظار السلطانية .

ترك ديوان شعر وبعض الشروح والتعاليق على بعض الكتب الدينية والف رسالة في قوانين الوقف ضاعت جميعها بعد وفاته .

الشيخ محمود الصعدي – توفي سنة ١٣١٥ هـ.

من علماء أسكلة طرابلس ولد فيها وتعلم على علماء زمانه واحترف الوظائف الدينهة كبقية آل الصفدي في اسكلة طرابلس وتعين خطيباً ومدرساً وإماماً في جامع غازي في الاسكلة .

نرك مؤلفا قيما في التاريخ ذكر فيه تاريخ العرب قبل الاسلام ثم تناول العهد الاسلامي حتى وصل للعهد العثماني فذكر حوادثاً كثيرة في تاريخ سوريا ولبنان وعلى الاخص تاريخ طرابلس معتمداً في مصادره على سجلات الاوقاف وعانى مشقات كثيرة للوقوف على الحقائق . ومع الاسف ان هذا المؤلف القيم الذي يعد مرجعاً ثابتاً وحقيقياً لتاريخ طرابلس تناولته يد الضياع بعد وفاته وبيع كورق للصر ممن لم يدر قيمته التاريخية .

الشيخ عبد الحليم الصفدي - توفي سنة ١٣٠١ هـ.

من علماء طرابلس في خلال القرن الهجري الثالث عشر ولد في طرابلس وتعلم في الجامع الازهر ثم عاد للاسكلةوتولى التدريس والخطابة في جوامعها . توفي سنة ١٣٠١ وترك شروح وتعليق فقهية فقدت بعدوفاته .

الشيخ حسن الصفدي – توفي سنة ١٩٢٨ م

ولد في اسكلة طرابلس وتعلم على علمـــاء طرابلس وتخصص في الفتاوى والقانون فتعين خطيباً ومدرساً في الجامع الكبير في الاسكلة ثم انتظم في سلك القضاء الشرعي فتعين قاضياً على احد مدن الانضول ومنها نقل قاضياً على طرابلس الغرب حيث بقي لسنين طويلة حتى اعتداء الايطاليان على هذا القطر العربي واحتلاله ، فرفض ان يتعاون مع المستعمرين وسافر للاستانة حيث تعين قاضياً على بغداد وهرب لما احتل الانكليز العراق رافضاً التعاون معهم ايضـــاً فعينته الحكومة العثمانية قاضياً في طرابلس ثم نقلته قاضياً على حمص ولبث في الوظيفة حتى احيل على التقاعد .

توفي سنة ١٩٢٨ م وترك شروحاً فقهية وتعاليق واجتهادات على المذهب الحنفي ضاعت كما ضاع بقية آثار بني الصفدي في الاسكلة .

لبيبة صوايا صدقة – توفت سنة ١٩١٦ م

الاديبة والشاعرة الطرابلسية ولدت سنة ١٨٧٦م وتلقت علومها في مدرسة الاميركان للبنات في طرابلس ونالت شهادتها النهائية ومالت وللمطالعة فرقت معلوماتها ثم اقترنت بالتاجر المعروف السيد سليم صدقة لكنها ظلت تهتم بسوق الأدب وفي القاء الخطب في شتى المناسبات فاغتنمت ظل الحكم الحميدي الظالم ووضعت رواية تحت اسم حسناء سالونيك كانت بمثابة تاريخ للحركة الاصلاحية التي قام بها رجال جمعية الاتحاد والترقي نشرتها بعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ وقد لاقت روايتها اقبالاً منقطع النظير .

كانت في خطبها تتلاعب بمسامع الحاضرين وتنشر من ان لآخر مباحث قيمة في مجلة المباحث للاخوين يني .

من شعرها نقتطف هذه الأبيات :

تعظم رب هذي الكائنات مؤسسها على ركن الثباب

إله عـــادل يحي ويغني ويغمر سائليه بالهبـات
إله سلطا الانسان عفوا على كل الوحوش الضاريات
وميزه بعقل بــل بنطق وروح خالد بعـد الوفاة
فلا تعجب اذا شاهدت بونا بازياء الخلائق والفتاة

ومنها : اخص تنافروا بين البرايـــا يشاهد في لباس الحاضرات
فيا بنت الاكارم حدثينا عن الازياء في كل الجهات
فبين العرب والافرنج بون فهاتي ما يسر السامعات
ففي وضع العوينات افتخار وزينة كل شاب وفتـــاة
فليتني مت في زمن قديما وليتني لم أر المتفرنجات

ومن نظمها تهني نسيبة لها بزواجها :

مهاة انس على كل الأنام غدت مليكة وقد عزت مراقيها
اذا بدت أخجلت بدر السما وإن تكلمت فاح طيب المسك فيها
كأنها ضرة للشمس خلقت فكلما احتجبت قامت تحاكيها

توفت خلال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦ م في حمص حيث كانت تدير مدرستها الوطنية .

محمد الصوفي – لم نعثر على سنة وفاته .

كل ما وصلنا اليه من ترجمة حياته انــه كان من أدباء طرابلس وشعرائها وانه كان فصيح اللسان طلقه نظم القصائد وراسل شعراء عصره وراسلوه ومدحهم ومدحوه بقصائد كثيرة لم نعثر على شيء من آثار قلمـــه ولا على سنة وفاته .

عبد الله الصوفي – لم نعثر على سنة وفاته .

شقيق المترجم الآنف الذكر توج القضاء في مختلف البـلاد العثمانية وعلى

الأخص في صنعاء في اليمن واتهمه والي صنعـــاء بالتآمر على الدولة فسيق للاستانة حيث ظهرت براءته ونال الحظوة لدى رجال الدولة .

فقدت آثاره الأدبية كما فقدت آثار شقيقه ولم نعثر على سنة وفاته .

عبد اللطيف الصوفي – توفي سنة ١٣٢٥ هـ

ولد في طرابلس سنة ١٢٦٦ هـ وتلقى علومه فيها وأتقن التركية والعربية والفارسية ثم أتقن الافرنسية والانكليزية وتقلب في عدة وظائف ادارية وقد ترك بعض الآثار الأدبية تناولتها يد الضياع بعد وفاته في سنة ١٣٢٥ هـ.

الشيخ عبد الرحمن الصوفي – لم نعثر على سنة وفاته .

من علماء طرابلس وشعرائهـا في القرن الماضي . ولد في طرابلس وتلقى علومه فيها وقرض الشعر وانتظم في الوظائف الحكومية وتقلب فيها وراسل شعراء زمانه فمن قصيدة أرسلها للشيخ ناصيف اليازجي :

بلغت مقاماً لم تنله الأوائل وحزت كمالاً تبتغيه الأفاضل
ولست غير فضلك يرتجى لكل ملم فيه تدعى الصيافل
ولعلك لم تدر العلوم بأنهـا تجل وان قد بان منها دلائل

فأجابه الشيخ ناصيف بقصيدة منها :

منازل عسفان فدتك المنازل اراجعـــة تلك الليالي الأوائل

ترك ديواناً عامراً من الشعر ولم نعثر على سنة وفاته .

احمد طرابلسي – توفي سنة ٨٨٤ هـ :

ولد في طرابلس سنة ٨١٨ هـ وتعلم فيها وتوسع في الفنون الادبية وقرض الشعر على شتى انواعه فمن نظمه هذا المواليا :

عارضك والخال ذا مسكي وذا ندى ... واللحظ والقد ذا خطى وذا هندى
والشعر والفرق ذا وصلى وذا صدى ... والخد والثغر ذا حرى وذا بردى

من قوله ايضا موال :

عني تسليت واسياف الجفا سليت ... عني تخليت في قلبي غصص خليت
قتلي استحليت فيه النحر ما حليت ... في القلب حليت مرى بالوصال حليت

نصرالله الطرابلسي -- توفي سنة ١٨٤٠ م :

من ادباء وشعراء طرابلس ولد سنة ١٧٧٠ م وتعـلم في طرابلس واتقن الفرنسية والتركية عدا عن العربية وفرض الشعر وراسل شعراء زمانه فمن قصيدة ارسلها للمعلم بطرس كرامة :

زند القريحة مذ علقت بـكم ورى ... يا من شهرت بحبكم بـين الورى
ما كنت اشتاق النسيم هبوبه ... إلا لعلمي انـه عنكم سرى
فسقي طرابلس السحـاب وليه ... سحا وتهتـانا يرى متفجرا
بلد كان الدهر عاندني بهـا ... فاستاق اهلى قبل ان اطأ الثرى
لو فاخرت كل البـلاد بان في ... هـا بطرس تكفي بذاك اعمرا

ومن قوله ايضاً لبطرس كرامة :

زارت بلا موعد ما كان احلاها ... فهل ارى البدر ام ذي الشمس اوفاها
غراء يروى من الضحاك مبسمها ... وقد روت عن ابي ذر ثناياهـا
وريقها العذب يروي في تسلسله ... عم لـبرد والوردي خداهـا
وطرفها من مكحول روى سندا ... كما روى ابن هلال عن محياها
تجلو الظلام بظلم العس من شيم ... ويجلب الليل بعد الصبح فرعاها

وله ديوان حافل على هذا النمق توفي سنة ١٨٤٠ م .

صلاح الدين محمد الطرابلسي - توفي خلال القرن التاسع الهجري :

ذكره صاحب نظم العقيان في اعيان الاعيان انه من علماء القرن التاسع الهجري بانه صلاح الدين محمد الحنفي الطرابلسي وانه ولد سنة ٨٢٣ ﻫ. وجاء الى القاهرة حيث لازم على الشيخ امين الاقشراني وتفقه في الامور الشرعية واصبح مدار مشيخة الاشرفية وترك آثاراً نشهد له بالمقدرة .

لم يذكر سنة وفاته .

الشيخ درويش بن قاسم الطرابلسي–توفي خلال القرن الحادي عشرالهجري

ولد في طرابلس عام ٩٨٧ ﻫ. وتأدب على الشيخ نافع والشيخ محمدالشافعي ثم رحل الى دمشق وحضر مجالس العلم ثم انتقل الى القاهرة حيث تلقى على علمائها علوم اللغة والفقة ثم سافر الى الاستانة واخذ عن علمائها ولما وثق من نفسه هاجر للمدينة المنورة وانقطع للتدريس بها في المسجد النبوي .

كتب عنه ابن معصوم في سلافة العصر في محاسن شعراء العصر بان له الشعر العذب والتأليف الزاهرة فمن قوله مستغيثا بالحضرة التبوية .

يا من به كل الشدائد تفرج	وبذكره كل العوالم تلهج
وعليه املاك لسماء تنزلت	وبمدحه لله حقا تعرج
قدجئتكم ارجوالوفاء تكرما	لكنني اللعفو من احوج

وكتب لبعض احبابه :

يا غائبا يشكر اقباله	قلبي ويشكو بعده للناظر
اوحشت رقي واتخذت الحشا	داراً فانت الغائب الحاضر

توفي خلال القرن الحادي عشر الهجري .

الخوري الياس المر – توفي سنة ١٩٢٨م

من رجال الكهنوت الارثوذكسي في اسكلة طرابلس . كان المتمكنين في

اللغة العربية وله مواعظ دينية عديدة وابحاث ادبية نشرهافي مجلات المقتطف والهلال . ولد سنة ١٨٦٤ في اسكلة طرابلس وسمعت من ذويه انه ترك آثاراً ادبية مخطوطة . خدم ابناء الطائفة مدة طويلة .

الشيخ عبد الكريم عويضة – توفي سنة ١٩٥٥ م

عالم طرابلس كما كان يلقبه الشيخ أسعد الشقيري ، ولد في طرابلس وتعلم على الشيخ حسين الجسر ثم سافر الى القاهرة حيث التحق بالجامع الأزهر وقضى عدة سنوات ملازماً الدرس والتحصيل على مختلف مشايخه حتى أتقن العلوم اللسانية والفقهية ثم عاد لطرابلس حيث انقطع للتدريس والتأليف والقاء الخطب الرنانة في الاصلاح الديني والاجتماعي والقاء الدروس في التفسير والحديث وكانت حلقته تكتظ بالمستمعين إن كان من الرجال أو النساء بالنظر للسهولة والوضوح في الدروس التي يلقيها .

وفي خلال الحرب العالمية الأولى سافر الى الاستانة مع الوفد الذي ألفته الحكومة العثمانية لزيارة المواقع الحربية في الدردنيل فسافر مع أكابر علماء سوريا تحت رئاسة الشيخ أسعد الشقيري وألقى خطاباً في جامع السلطان أحمد كان وقعه حسناً جداً لدى السلطان محمد رشاد وشمله بعنايته وأهداه الغازي أتاتورك بندقية مكافأة له على دفاعه عن الوطن في خطبه الرنانة .

وحين عاد لطرابلس القى في الجامع الكبير المنصوري خطاباً شرح فيه رحلته واتبعه بقصيدة عامرة الأبيات جاء في مطلها :

دُعينا فلبينا دعاء اولي الأمر وزرنا جنود الله في ساحل البحر

وفي خلال الحرب العالمية الأولى نظم موشحاً لطلاب المدارس أنشدوه في مختلف الحفلات جاء في مطلعه :

يا أمة الاسلام ان الجهاد الآن للحرب يا فرسان لبوا نداء السلطان

نظم الكثير من الشعر ووضع عدة مؤلفات في النحو والبيان والعروض وغيرهـــا من فنون الأدب ومن المؤسف ان كل آثاره الأدبية تناولتها يد الضياع .

كان متدفق الحديث جهوري الصوت خصوصاً أثناء القاء خطبه ومواعظه.

احمد عويضة – توفي سنة ١٩٣٧ :

ولد في طرابلس حوالي سنة ١٨٥٥ وتثقف فيها على يد الشيخ محمد الميقاتي العالم والشاعر المشهور وصاحب ديوان حسن الضيافه في جوهر البلاغة ومال منذ فتوته الى قرض الشعر والى مزاولة فنون الادب ، فأقنع والده بارساله لتلقي العلم في الجامع الأزهر في القاهرة وفاز بأمنيته وارسله والده الى القاهره بصحبة الشيخ محمد الادهمي .

انتسب للجامع الازهر واخذ ينهل من العلم على مختلف علمائه وفي الوقت ذاته اخذ يتردد على مختلف الاندية الادبية وبقي في الازهر حتى اتقن علوم اللغة العربية بتمامها ثم عاد لطرابلس على امل الرجوع لاتمام تحصيله ، لكن وفاة والده ارغمته على الانخراط في الوظائف الحكومية فدخل الجمرك وتعين اميناً للصندوق وبقي خلال مدة تسعة عشر سنة يشغل هذه الوظيفة ثم نقل الى اللاذقيـــة رئيساً للكتبة فاثر الاستقالة وقبض تعويضه وانصرف لمزاولة التجارة .

وبالرغم عـــن وظيفته في الجمرك ، فقد بقي اميناً لفنون الأدب وقرض الشعر في شتى المناسبات فمن شعره الغزلي هذين البيتين وضمنها الاكتفاء قال:

عن دمي خدك هذا العندم خذه واحكم بيننا يا مؤتمن
قال ما هذا دم قلت وما ؟ قال : هذي صبغة الله ومن ..

ومن قوله مداعباً :

راودتهـــا عن نفسها فتمنعت وتشاغلت بتـــلاعب العصفو
وغدت تسائلني اسمه اذ اقبلت فأجبتها ذات المحاسن دوري

ومن قوله وقد طلب مني اعارتـــه كتابي المنفلوطي النظرات والعبرات فسوفت بتحقيق رغبته فأرسل لي هذين البيتين مع ابنه :

انني في كل شوق بانتظار النظرات
واسبلت عبراتي للقـــاء العبرات

وله الكثير من الأبيات الشعرية التي تتضمن التاريخ .

كان حلو الحديث شيقه يرغب في النكتة وقد حدثنـــا القراء في القسم التاريخي عن البيتين من الشعر داعب فيها الشيخ عبد القادر المغربي ، اجابه لرغبة الشيخ منير الملك في جريدته المدلل .

كان ذا حافظة قوية يروي الكثير من الشعر ان كان للشعراء المتقدمين أو المتأخرين يتذوق الأدب كما يتذوق النقد . حين نظم الشيخ عبد الحميد الرافعي قصيدته بمدح الهدى التي مطلعها : قعد الحظ به حتى اقتعد — انتقد صاحب الترجمة كلمة اقتعد بانها نابية .

ومن المؤسف جداً انه لم يجمع شعره بديوان بل كان ينظمه بالنسبة لواقعة الحال وهكذا ضاع شعره .

الحاج عبدالرحمن عزالدين – توفي سنة ١٣٣٣ هـ.

ولد في سنة ١٢٨٧ هـ. في طرابلس وتعلم على علمائهـــا وتعاطى في شبابه التجارة لكنه مال لحرفة الأدب وللسياسة ولمـــا اعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ أخذ يخطب في الجماهير مناديا بالحريـــة والاخاء والمساواة ومناصرة رجال تركيا الفتاة ثم اصدر جريدة « شمس الاتحاد » اتخذ منها لساناً لحزب الاتحاد والترقي .

لم يترك آثاراً ادبية غير مقالاته الرنة في صحيفته المذكورة .

علي بن محمد الملقب بعلاء الدين – الطرابلسي – توفي سنة ١٠٣٢ هـ.

ولد في طرابلس سنة ٩٥٠ هـ.وتعلم فيها واتقن القرآت ووضع عدةتآليف اشهرها شرحه على ملتقى الابحر كما وضع كتآبا في علم التجريد سماه المقدمة العلائية كما ترك ديوان شعر . تقلب في عدة وظائف دينية .

توفي سنة ١٠٣٢ هـ. ورثاه ابن هلال الشاعر الحمصي بقوله :

لقد فارقت نفسي وانبعاثي   الى ايام حزني وانبعـــاثي
كتكرار نواحي في النواحي   وتجديد القوافي والمراثي
على من كان في الدنيا ملاذي   وملجأ غربتي وانبعاثي

عبدالله بن عمر – الطرابلسي ابو محمد – لم نعثر على سنة وفاته

ذكرة صاحب سلك لدرر انه كان جيد الشعر ومن قوله :

يا مودعــا قلب المتيم حرقة   بفتور جفن للبريـة فــاتن
هل منك وصل مطفىء نار الحشا   ولهيب وجد في الاضالع ساكن
فاجابني والجفن يذرى دمعه   وصلي محال للشجي الواهن
فأملأ كؤوس العين مني نظرة   يطفي بها حر الغرام الـكامن

ومن نظمه ايضاً .

خل بيني وبين نظم القريض   ان فيــه شفاء كل مريض
فهو عوني لهجو كل لئيم   وامتداح لذي النوال المفيض
لي يراع براع كل هزبر   منه اذ فاق فتك سمر وبيض
غرر تشبه العقود نظامـا   اشرقت شمسها بافق القريض

لم نعثر على سنة وفاته .

فريدة عطية -- سنة ١٩١٧

ولدت في طرابلس سنة ١٨٦٧ وتلقت علومهـــا في المدرسة الاميركية للبنات وكان استاذها العالم الفاضل جبر ضومط وبعد أن نالت الشهادة النهائية درست على نفسها ثم تعينت معلمة في المدرسة المشار اليها ، لكن مهنة التعليم لم تشغلها عن مزاولة حرفة الأدب فوضعت رواية بين عرشين وصفت بهـا العهد الحميدي ورجال تركيا الفتاة والانقلاب العثماني ثم ترجمت الى الانـكليزية ايام بومباي الاخيرة هذا عدا عن المقالات التي كانت ننشرهـــا في مختلف المجلات الأدبية .

محمد آغا شلبي الملقب بالغندور -- لم نعثر على سنة وفاته

هو جد آل الغندور في الثغر أصله من حلب من عائلة خلاصي ، جـاء لطرابلس وأسس عدة مصانع للحياكة وترك ولداً اسمه محمـد لقب بالغندور بالنظر لما كان يتصف به من التأنق في ملبسه .

كان صاحب الترجمة يميل الى الأدب جمع مكتبة عامرة تناولتها يد الضياع كما تناولت بعض الآثار الأدبية التي تركها .

يعقوب غريب -- توفي سنة ١٨٩٧ م

ولد في طرابلس سنة ١٨٣٢ م وتعلم فيها وكان أديباً لطيفاً خفيف الروح يحسن عدا عن العربية التركية والايطالية وقرض الشعر بشتى فروعه .
فمن شعره وفيه النكتة :

ان قال داود واو من سلب   قولوا له عمرو اخذها وهرب

ألف مسرحية تحت اسم أبي محمد مثلث في طرابلس ومسرحية تحت اسم الامير جوزيف وثالثة لم نعثر على اسمها .

الدكتور اسكندر غريب – توفي سنة ١٩٥٠ م

من اطبـــاء طرابلس المشهورين خلال النصف الأول من القرن العشرين الميلادي ، ولد في طرابلس وتعلم مهنة الطب في جامعة القديس يوسف في بيروت ونال شهادتها بتفوق ثم مارس المهنة في طرابلس وحاز شهرة كبيرة .

كتب الكثير من الابحاث الطبية في مختلف المجلات الطبية .

الدكتور حنا غريب – توفي سنة ١٩٥٥ م :

ابن شقيق الدكتور اسكندر غريب ، ولد في طرابلس وتعلم في جامعـة القديس يوسف وظهر نبوغه وهو طالب ونال الشهادة النهائيـــة واختص في الامراض الجلدية ونشر عدة ابحـــاث عنها في مختلف الصحف خصوصاً في جريدة الاوريان البيروتية .

الاستاذ محمد عارف تاج الدين – توفي سنة ١٣٦٨ ﻫ :

ولد في طرابلس وتعلم اللغة العربية على يد مشايخها واتقنها كل الاتقان ثم رحل الى الاستانة حيث دخل مكتب الحقوق ونال الشهادة النهائية ثم جاء لطرابلس وزاول مهنة المحاماة خصوصاً في القضايا الشرعية الاسلامية وكان مرجعاً في هذه الأمور .

ترك عدة مرافعات لها قيمتها كا ترك مكتبة قيمة في فرع القانون .

الشيخ ابراهيم الفتال – توفي سنة ١٩٠٣ :

هو الاستاذ الكبير وأول من تعاطى مهنة المحامـــاة بصورة قانونية في طرابلس ، تلقى علومه في بلدتة وواظب على المطالعة في المؤلفات القانونيـة فاتقن عدا عن اللغة العربية علم الفقه الشرعي وعلم القانون واخذ يلقي دروسه على الشباب الطرابلسي ولمـا انشأت مدرسة كفتين اختارته عمدة المدرسة

استاذاً فيها وذلك سنة ١٨٨١ فلبى الطلب وتخرج على يده عدد لا يستهان به من الشباب .

ولما اقفلت المدرسة المذكورة ابوابها عاد لطرابلس وتعاطى مهنة المحاماة في طرابلس . ترك آثاراً قانونية تناولتها يد الضياع .

الشيخ محمد شمس الدين القاوقجي – توفي سنة ١٣٠٥ :

من اكابر علماء طرابلس في القرن الثالث عشر الهجري ولد سنة ١٢٢٠ هـ وتلقى علومه الابتدائيه على يد ابيه وعلى يد مشايخ طرابلس ثم التحق بالجامع الازهر في القاهرة حيث فاق أقرانه وأخذ في التصنيف فوضع تفسيراً للقرآن دعاه بريح الجنان في تفسير القرآن وروح البيان في خواص النبات والحيوان ، واختصر موطأ الامام مالك بن انس وشرح الاجرومية كما ترك ايضاً عدة دواوين من الشعر فمن نظمه في مدح الشيخ ابراهيم الدسوقي :

إلهي باهل الحي والروضة الغنا ومن ناح وداً في المحبة أو غنا
بكاس مدام في السرور يديره نديم دوام البشر في رائق المعنى

بعجلى تجـــلى مشهد العز والعـــلا
على طور سينا القرب في الموقف الاسنى

فشعشع لنا خان المعارف واسقنا عوارف كاسات اليقين وانعشنا
بغيث الورى القطب الدسوقي غوثنا اليك بـــه في كلل قصد توسلنا

وله الكثير من المدائح النبوية التي ينشدهـــا الطرابلسيون في حفلاتهم الدينية كما ترك القصة المولد النبوي نظماً .

ادوار كاستفليس – توفي سنة ١٩٠٩ م .

من شعراء طرابلس في القرن التاسع عشر الميلادي ولد سنة ١٨٤٣ م

وتعلم في مدارس طرابلس فاتقن العربية كل الاتقان كما اتقن الفرنسية ومال لحرفة الادب وقرض الشعر فنظم القصائد الرنانة وعينته دولة اليونان قنصلاً لها في طرابلس .

فمن شعره مهنئاً ابن عمه شارل في زفافه :

سرت روحي تزفك بدر تم على شمس بليل صار فجرا
فسبحان الذي اعطاك شمساً وسبحان الذي بالعبد اسرى

ومن لطيف نظمه ايضاً :

اني اقول لعاشق غدرت به هيفاء نكث الود من عاداتها
ان كنت من دنياك تطمع بالبقا فاطمع بحفظ الود من نياتها

وله من قصيدة حكمية :

دع غرور النفس وافعل فعل حر قد تعقل
واعتزل كل مريب من الدنيا تنصل
واجتنب فعل قبيح ان من يرذل يرذل
كن على الصدق حريصاً ان من يكذب يهمل

يوسف الفاخوري – توفي سنة ١٩٥٥ م :

من علماء طرابلس في اوائل هذا القرن والمرجع في اللغة العربية وقواعدها ولد في طرابلس وتعلم في مدارسها ثم انتقل لجامعة القديس يوسف في بيروت فاتقن اللغة العربية اتقاناً تاماً فعينته المدرسة الاعدادية في الجامعة المذكورة استاذاً للغة العربية حيث بقي عدة سنين ، وفي اواخر الحرب العالمية الاولى عاد لطرابلس ولما انتهت الحرب عينته ادارة مدرسة الفرير في طرابلس مديراً للدروس العربية وبقي في هذة الوظيفة حتى وفاته .

اصيب بمرض في المعدة ومنعه الاطبـــاء من تناول الطعام إلا السوائل ، هكذا عاش كل حياته على الحليب .

ترك من الآثار الأدبية « الزهرات » بثلاثة أجزاء وهي مجموعة خطب ومقالات ملقاها على تلامذته كما ترك قصائداً رنانة في مختلف المواضيع ومجموعة مسرحيات مثلت على مسارح الجامعة الاميركية في بيروت ومدرسة الفرير في طرابلس .

فمن شعره كتبه تحت رسمه

اني كمن عاشوا اموت وانطوى ابداً وتبقى صورتي يتمثـــل
فأنا الخيال وتلك طيف خياله أثر سيتبع عينـــه فتأملوا

كان دمث الاخلاق محبوباً من تلامذته صديقاً لهم بعد المدرسة .

اسكندر كاتفليس – توفي سنة ١٩٠٤ م :

من ادباء طرابلس ولد سنة ١٨٣٧م وتعلم في مدارسها واتقن اللغة الفرنسية والانكليزية وجمع مكتبة عامرة وقرض الشعر وترك ديواناً قيماً . فمن قوله في وصف قلعة بعلبك .

بيني وبينك بعلبك نسمة رمزية عنها النهي لا تزهل
كنت لشمس الافق اعظم هيكل واليم قلبي للغـــزالة هيكل

من آثاره سعيه الحثيث لتأسيس مدرسة كفتين

جواني كاتفليس – توفي سنة ١٩١٩ م :

من ادباء طرابلس ولد سنة ١٨٤١ م واتقن اللغة العربية والفرنسية وقرض الشعر وراسل ادباء عصره كالشيخ اسكندر العازار وغيره ترك ديوان شعر ومسرحية التنكيت على بعض المتفرنجين .

قيصر كاتفليس – توفي سنة ١٨٨٩ م :

ولد في سنة ١٨٤٦ وتعلم في مدارس طرابلس واتقن اللغات الاجنبية عدا عن العربية وترجم من الفرنسية تاريخ الرومان فمن قوله :

ومليحة في ثوبها الزهري قد   طلعت كشمس من وراء شباك
من لي بضمة ذلك الصدر الذي   برزت بـــه لتهتكي نهداك
رباه هل يرجى لذلك موعد   رباه قبل فضيحتي وهلاكي

ومن قوله ايضاً :

في مهجتي حر وجد ظل يكويها   ولوعة لست ادري كيف اخفيها
ان رمت كتمانها فالدمع يرويها   او رمت افشاءها اخشى دواهيها
فصرت في حالة صعب تداويها

يزداد في كل يوم بالهوى ولهي   واسهم اللحظ لا تنفك تفتك بي
كيف السبيل اصيحابي الى الهرب   والقلب موثق والاحشاء في لهب
من الغرام وعين الدمع يدعيها

علي كرامة – توفي سنة ١١٦٢ هـ .

من علماء طرابلس في القرن الثاني عشر الهجري تولى منصب الافتاء في طرابلس مدة طويلة ثم انتقل لهذا المنصب في حلب . راسله ادباء زمانه وترك ديوان شعر نظمه في حياته .

عمر كرامة – توفي سنة ١١٦٠ هـ .

من علماء طرابلس ايضاً كان بارعاً في قرض الشعر ، تلقى علومـــه في الجامع الازهر في القاهرة . ترك آثاراً ادبية منها ديوان شعر .

الشيخ عبدالقادر المغربي – توفي سنة ١٩٥٦ م .

اشهر علماء طرابلس في القرن العشرين الميلادي ، ولد في طرابلس وتعلم على الشيخ حسين الجسر واتقن اللغة العربية كل الاتقان كما اتقن سائر العلوم العربية ، وسافر في شبابه الى الاستانة حيث تلقى دروساً على الشيخ جمال الدين الافغاني ثم عاد لطرابلس وزاول الامور السياسية واصبح في عداد الرجال المقاومين للعهد الحميدي ، فلاحقته الحكومة العثمانية ، ففر بواسطة اقربائه بني علم الدين الى القاهرة حيث التحق في عداد محرري جريدة الظاهر ثم في جريدة المؤيد للشيخ علي يوسف ، وكان بوده الحصول على وظيفة قاض لكنه وجد العمل بالصحافة انسب وقد نالت مقالاته في المؤيد استلفات الجمهور المصري .

بقي في القاهرة حتى اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م فعاد لطرابلس وأصدر جريدته البرهان وأخذ يناضل في سبيل الاصلاح وتحرير المرأة وكان من اكبر دعاة رفع الحجاب وقاسى في ذلك الكثير من الاضطهاد من علماء زمانه المحافظين ومنهم الشيخ منير الملك الذي حمل عليه اشد الحملات في جريدته « المدلل » كما سبق وبيناه في القسم التاريخي .

ظل يصدر البرهان حتى عام ١٩١٥ حين استدعاه أحمد جمال باشا القائد التركي لدمشق لتولي رئاسة تحرير جريدة الشرق التي اصدرهـا للدفاع عن اعماله فكتب في الشرق مقالات تشهد له بطول الباع في الشؤون الاسلامية منها مقالته المشهورة « النهضة الدينية في الامة الاسلامية وغيرها وكان لمقالاته الاثر الطيب في الاصلاح الديني حتى قال عنه المنفلوطي الكاتب المصري حين قرظ ادباء عصره « ان المغربي يدور في دائرة الاصلاح الديني ان خرج عنها ادركه العثار » .

وبعد الحرب العالميه الأولى وجلاء الاتراك عن البلاد العربية ، دعاه الامير فيصل بن الحسين لمواصلة إصدار الشرق واستبدال اسمها بالشمس فرفض العرض مبيناً أنه ليس بوسعه الكتابة مخالفاً مـا سبق له وقاله في الدولة العثمانية .

ولكي يكافئه الامير فيصل ، انشأ المجمع العلمي العربي وعهد بشؤونه اليه وبقي يحرر مجلة المجمع العلمي التي اصدرها المجمع المذكور حتى وفاته .

عينته الحكومة المصرية عضواً في مجمعها اللغوي . كان سريع البداهة حدثني انه في خلال اجتماعات المجمع اللغي، استلفت نظر الملك فؤاد، العاهل المصري في زيارة له للمجمع وكان الشيخ المغربي في عداد مستقبلي الملك ، فالتفت الملك فؤاد لرئيس المجمع وسأله عن الشيخ المغربي فأجابه انه من علماء سوريا ولبنان فمد له يده مصافحاً وقال : هل انت من العلماء الذين يعتقدون ان الدنيا محمولة على قرن ثور ؟ فابتسم الشيخ المغربي لهذه الدعابة وقال : يا صاحب الجلالة ان هذا الاعتقاد كان من جملة اعتقادات المصريين القدماء الذين كانوا يعبدون الثور وقد زال بزوالهم . فهز الملك فؤاد رأسه ولم يعجبه دفاع الشيخ للمغربي عن نفسه .

من آثاره الأدبية كتابه البينات بثلاثة اجزاء وهو مجموعة مقالاته في جريدة المؤيد والاشتقاق والتعريب ومحمد المراة ومحاضراته القيمة في المجمع العلمي .

كان على جانب كبير من الذكاء والتفوق العلمي واتقن اللغة الفرنسية وهو في أوائل عهد الكهولة . والخلاصة ان الشيخ عبد القادر المغربي يعد كفخر لطرابلس شهر اسمها عالياً في الاندية العلمية من عربية وافرنجية وعينته المجامع العلمية في أوروبا عضواً فيها :

الشيخ محمد المغربي – توفي سنة ١٣٢٨ هـ.

من علماء طرابلس كان اميناً للفتوى . برع في العلوم الفقهية ولم نعثر على شيء من آثاره الأدبية .

عبد الستار السلطي – توفي سنة ١٩٥٥م .

ولد في ظرابلس وتعلم فيها ومال لقرض الشعر خصوصاً في الادب

المكشوف وغاص على درر المعاني والالفاظ ونظمها بشعر حتى انه حين أنشد امير الشعراء شيئاً من شعره أعجب فيه وقال له :انه لم يسبقه أحد على هذه المعاني

نظم في شتى حقول الشعر من وصف ومدح وهجاء وله قصيدة في وصف حالة الجنود العثمانيين خلال الحرب العالمية الاولى ومن ضمنها بيت من الشعر لو وصل لأولياء الامر لكان نصيبه الاعدام ، ذلك ان الجنود كانوا في حالة يرثى لها من عري وجوع فقال في ختام القصيدة المشار اليها .

لا تعجبوا يا ناظرين لحالتي فلباسي من أمجاد حال دولتي

ترك ديوان حافل بالقصائد الرنانة ولعل ولده يعمل على طبعه .

عزت المقدم – توفي سنة ١٩٥٤ :

ولد المترجم في أواخر القرن الماضي وانتسب الى المعاهد العثمانية واتقن اللغة التركية وشيئاً من الفرنسية ومال منذ فتوته الى التبحر في العلوم فسافر الى الاستانة وانتسب الى معاهدها ونال الشهادة النهائية فائز على اقرانه .

ثم ترك الاستانة وذهب الى سويسرا ودخل في احدى كليات جنيف ثم لوزان حيث اتقن العلوم الزراعية ونال الشهادة النهائية وفي اوائل عام ١٩١٤ عاد لطرابلس ولما اعلن النفير العام تجند برتبة ضابط حيث ارسل للاستانة على رأس عدد كبير من الجنود ثم اعيد لسوريا وكانت نشبت الثورة العربية ففر من الجيش والتحق بالجيش العربي تحت قيادة الامير فيصل برتبة قائد مائة .

ثم لما انتهت الحرب العالمية الأولى واعلن الانتداب على لبنان كان في عداد مقاوميه وسافر الى اوربا للدفاع عن الوطن السوري اللبناني وتعريف اوربا به وقاسى الكثير من الاضطهادات .

ثم التحق بكلية التربية والتعليم في طرابلس استاذاً للطبيعيات والزراعة حيث بقي الى قبيل وفاته يعلم الناشئة بدون ان يتقاضى بارة الفرد اجراً .

ترك من الآثار الادبية كتاب « الوعي القومي » وكتاب ميزان التربية وكتاب « خاطرات الماضي وكتاب احلام المستقبل وغيرها من الآثار الادبية وكان يطبع كتبه على نفقته ويوزعها مجاناً على الطلبة وعلى اصحابه .

كان هادئاً دمث الاخلاق واسع الاطلاع حلو الحديث لا يعمل مسمعته من الانصات لما يقوله .

اصيب في أواخر ايامه بمرض السكري وتوفي في سنة ١٩٥٤ م فبكاه الطلاب من تلامذته وفقدت طرابلس بموته احد بناة النهضة العلمية والسياسية وبناة الاستقلال .

نقولا منصور – توفي سنة ١٨٩٧ م

من ادباء طرابلس ومربيي الناشئة فيها ، وولد عام ١٨٣٢ وتعلم في طرابلس واتقن العربية والفرنسية فاختارته الطائفة الارثوذكسية مديراً لمدرستها الوطنية ثم وكيلاً لمدرسة كفتين حيث بقي عدة سنين ثم استقال وتعاطى مهنة المحاماة .

ترك بعض الآثار الادبية المخطوطة وتوفي سنة ١٨٩٧ م

الشيخ حسين منقاره – توفي سنة ١٣٢٠ هـ :

من علماء طرابلس درس في الجامع الأزهر في القاهرة وبرع في العلوم اللسانية وتولى مشيخة رواق الشوام في الأزهر ، ترك بعض الآثار الأدبية .

احمد منيني – توفي سنة ١١٧٢ . هـ

ولد في طرابلس سنة ١٠٨٩ هـ وتعلم فيها ثم رحل لدمشق حيث بقي حتى وفاته . ترك من الآثار الأدبية رسالة في أصول الفقه وديوان شعر تحت عنوان النسمات السحرية في مدح خير البرية ومنها الاعلام في فضائل الشام . اشعاره

رائقة ومن قوله متغزلاً :

أقول لمـــا بدا كالغصن يخطر في برد حكى الجلنار الغض في الورق
جل الذي فتنـــة الناس صورته
قوموا انظروا كيف يسري البدر في الشفق

الشيخ عبد الله المؤذن – توفي سنة ١٣٤٣ هـ

ولد سنة ١٢٩٥ هـ وتلقى علومه في طرابلس وتولى منصب القضاء في عدة مدن منها درعا وطرطوس . كان شاعراً رقيباً له مساجلات مع عبد اللطيف سلطان وردت في ترجمته .

مصطفى أفندي الميقاتي المعروف بمصطفى افندي الحكيم توفي سنة ١٩٠٤م

ولد في طرابلس وتعلم فيها ورأى أن بلدته بحاجة لطبيب صاحب شهادة فسافر الى القطر المصري وانتسب للقصر العيني الذي يعلم فيه الطب وهي الكلية التي أنشأها محمد علي باشا وعهد بادارتهـا الى الطبيب الفرنسي كلوب بك . واصل الدرس والتحصيل حتى حصل على الدبلوما التي تخوله مزاولة المهنة . ثم عاد لطرابلس وأخذ يتعاطى التطبيب فذاع صيته وكان الدكتور كرنيليوس فانديك الاميركي يقول لمن يراجعـــه من طرابلس : لا تأتوا لعندي فلديكم مصطفى افندي الحكيم الطبيب الحاذق .

لم يترك آثاراً مكتوبة إلا مجموعة من الشعر تناولتها يد الضياع . كان حلو الحديث حاضر النكتة . سأله مرة عبد الستار بك علم الدين – كيف تعلمت الطب يا دكتور ؟ فأجابه على الفور – لم اتعلم الطب إلا حين ملأت المقبرة من الموتى ..

- من شعره :

نزلت السوق أبغي حمارا فناداني المحرج وهو عابس
ألا تدري بان الكل صاروا بهذا العصر من اعضاء المجالس

ومن قوله مادحاً أديب نظمي من أساتذة المدارس الرسمية والمميز فيها :

أتانا من دمشق شهـم جميع الفضل والآداب محرز
وميزنا الجميع ولا عجيب اذا كان الأديب هو المميز

ومن قوله أيضاً :

قالوا اصطنعت دواء للحبيب لما لم تصنع مثـله للناس كلهم
فقلت ذا مرهم ذوبت شحمته من شحم قلبي واما زيته فدمي

الشيخ محمد الميقاتي - توفي سنة ١٣١٥

ولد في طرابلس ونعلم فيها وبرع في العلوم العربيـة وقرض الشعر ففتح مدرسة لتعليم الناشئة للافادة والاستفادة واخذ ينظم القصائد الرنانة في مدح عائلات طرابلس تارة واخرى في هجوهم للانتقام منهم مما كانوا يثيرونه للحصول على شعره . راسل شعراء عصره فمدحهم ومدحوه . جمع صديقه السيد رشيد جبلص شعره في ديوان نشره بعد وفاته تحت عنوان جوهر الصياغـة في شعر البلاغة .

كان يعشق الجمال العذرى فمن قوله من قصيدة عارض فيهـا ابن منير الطرابلسي وقد ذكرناها في ترجمته قال في وصف محبوبه عمر :

الدهر يأتي بالعبر والعين تذهب بالاثر
والمرء يجهد ان يفر من القضاء ولا مفر
هيهات تغنى عـبرة او يتبع الاثر الاثر

ومنها :

لهفي على عمري فقد ضيعت عمري في عمر
قمر ولكن للفؤاد بحسن طلعتـه قمر

ومن شعره بمدح درويش الشنبور :

احيا قدومك ميت الاحيـاء وامات من عـاداك في الاحياء
واعاد بالسراء عودك للحمى أرواحنا من وصمـة الضراء

ومن قوله متغزلاً :

اباحت نهب ما تحت الغلائل   فتاة والالال لهـــا دلائل
طلبت وصالها طلبت فؤادي   وما انا بالذي طلبت بباخل

وقال مادحاً الشيخ ناصيف اليازجي :

لم اقض يوم البين ذمة واجب   ان لم امت بلواحظ وحواجب
ما الموت الا في ظبا لحظ الظبا   لا تحت نقع عجاجة وكتائب
مالي وللغيد الحسان جزفن في   خفضي وهن على الغرام نواصبي
هلا رفعن لظى الغرام بصحة   من لين عامل قد هن لطالب

وقال يشكو زمانه :

الدهر شيمته يبدي لنا العجبا   فلا تكن من فعال الدهر محتجبا
ولا تثق بشراب منه وقت صفا   فيستحيل سرابا صفوه وهبا

وقد اصيب في أواخر حياته بداء عضال استلزم عملية جراحية فذهب لبيروت واجرى له العملية الدكتور بوسط الشهير وابى ان يشرب المرقد بل رضى ان يقعد محبوبه امامه خلال العملية ولم يتأوه البتة .

الشيخ محمد الميقاتي – توفي سنة ١٩٣٠ م .

من آل الميقاتي ومن علماء طرابلس ولد وتعلم فيها وقرض الشعر ترك من الآثار المكتوبة كتاب تكلم فيه عن آثار جده الميقـــاتي . نظم الكثير من الشعر ولم نتمكن من العثور على بعض منظوماته .

كان حاضر النكتة حلو الحديث ، كبير الجثة ، ولكن خفيف الروح .

الشيخ عبدالقادر نجا – توفي سنة ١٢٨٦ هـ .

من علماء طرابلس الافاضل ، ولد سنة ١٢٢٢ هـ وتلقى علومه فيها ثم

رحل الى القاهرة وانتسب للأزهر ولما انتهى تحصيله عاد لطرابلس وزاول التدريس والتأليف . له من الآثار الادبية كتاب روضة الانوار وجـــامع الاسرار وله ايضاً كتب اخرى لم نقف على اسمائها .

اسكندر نحاس – توفي سنة ١٩١٠ م .

ولد سنة ١٨٤٥ ودرس في المدرسة الوطنية واشتغل في الصحافة فكان من محرري جريدتي الجنان والجنة للمعلم بطرس البستاني. ثم رحل للاسكندرية حيث عين مراسلاً لجريدة لسان الحال البيروتية. من آثاره مقالاته في الصحف التي تولى تحريرها .

نقولا النحاس – توفي سنة ١٨٥٠ م .

من شعراء طرابلس في القرن التاسع عشر ، تعلم في طرابلس وولد فيها ونبغ في قرض الشعر وراسل شعراء زمانه كالشيخ ناصيف اليازجي وجبرائيل صدقه وخليل الخوري فمن شعره :

لله ظبي جفا من غير معذرة   فمسنى من جفاه طارق الكلف
فالعقل في نقم والقلب في ضرم   والجسم في سقم والروح في تلف

وقال مادحاً يوسف شريف حاكم طرابلس :

ته بالادارة ما عليك مدير   واحكم بأمرك ما عليك امير
راق من المجد الاثيل مراقباً   عن مثلها باع العدو قصير

وقال مادحاً ابراهيم باشا المصري :

اليوم حكمك في البغاة لقد بدا   وتحققت مقدار سطوتك العدا
كانوا بليـــل من تغفلهم وقد   لمعت سيوفك عاينوا سبل المدى

الشيخ محمود نشابه – توفي سنة ١٣٠٨ ه :

ولد في طرابلس وتعلم في الجامع الأزهر وعاد لطرابلس وانقطع للتدريس

والتأليف . وضع حاشية على متن مصطلح وحاشية على همزية الابو صيري وتعليق على شرح الضناوي للمنطق .

جرجس نعوم – توفي سنة ١٨٩٥ م :

ولد سنة ١٨٤٤ م وفقد بصره وهو في الثالثة من عمره فنشأ كفيفاً لكنه كان حاد الذكاء فعكف على دراسة العربية وآدابها وقرض الشعر وكان يملك قوة حافظة قصوى فحفظ قصائـد كثيرة من اشعر العرب قديمهم وحديثهم ووضع عدد من المسرحيات منها مسرحية المروؤة والوفـــاء ومسرحية السيد ونظم عدداً كبيراً من القصائد جمعها في ديوانه فمن قوله بوصف طرابلس :

سفرت عن الوجه الوسيم الانور   فزها على البدر المنير المقمر
وتفاخرت عجباً بفرط جمالها   هيفاء تخطر بالوشاح الاخضر
جليت محاسنها كطلعة زهرة   يا ليتهـــا مقرونة بالمشتري

وقال يصف فصل الصيف :

جلا الصيف وجه الجو لما تقدما   فاشرق بالانوار ما كان اظلمـا
وقد شاب جنح الليل للخوف مذراى   اتى الصبح فتاكا عليـــه ليهجما

يعقوب نعوم – توفي سنة ١٩٢٢ م :

ولد سنة ١٨٧٧ وتلقى علومـــه في مدرسة الفرير ثم التحق بمدرسة عين طورا فاتقن العربية والفرنسية ومال للنظم ثم سافر لمدينة اودسا حيث اسس محلا تجارياً بشراكة شقيقيه امين وسليم وتمكن من جني ثروة حتى عد من كبار اغنياء روسيا .

ولما نشبت الثورة البلشفيكية عاد وأخوه امين الى طرابلس حيث اصيب بمرض عضال لم يمهله إلا عدة ايام فتوفي سنه ١٩٢٢ م :

من نظمه هذه القصيدة :

نشدتك الله زرود بما حكمك الله على المبتلي
هل عيشنا الماضى له رجعة وهل لنا ذلك من مأمل
حيث الحمى زاو وغصن النقا دان وحقل الوصل لم يفتل

ومن قوله حين سافر لروسيا :

زريني للسفين وللبحور فاني قد عزمت على المسير
فلا أرض الشام لنا بارض ولا دور هناك لنا بدور
الى بلد بملك الروس ناء نشق اليه طاغية البحور

وله ديوان شعر لم يطبع .

امين نعوم – توفي سنة ١٩٤٥ م .

شقيق المترجم الآنف الذكر تعلم في طرابلس مع شقيقه وبرع في الفرنسية ومارس النظم والكتابة فيها وله مقالات في الصحف الفرنسية وعدد من التآليف المخطوطة .

سليم دي نوفل – توفي سنة ١٩٠٢ م.

ولد عام ١٨٢٨ م وظهرت عليه دلائل الذكاء منذ طفولته فألحقه ابوه بمدرسة عين طورا حيث اتقن اللغة الفرنسية عدا عن العربية فنال الشهادة النهائيـة وعاد لطرابلس وانكب على الدرس على نفسه . وفي سنة ١٨٥٨ م عهد اليه بوكالة البواخر الروسية فاتقن الروسية بعض الاتقان وفي السنة ذاتها زار طرابلس الغراندوق قسطنطين الروسي وطلب من البطريرك الارثوذكسي ان يهديه لشاب يحسن الفرنسية والعربية لوظيفة استاذ الآداب العربيـة في في جامعة بطرسبورج فأشار عليه البطريرك بالمترجم وهكذا عين في هذه الوظيفة وسافر الى بطرسبورج وعانى بسفره الكثير من المصاعب .

وقد اتصل بالقيصر في اثناء إقامته في روسيا فعينه ترجمانا له ومنحه لقب

شرف فصار يدعي سليم دي نوفل ثم توالت عليه الانعامات وعين مندوبا عن الحكومة الفرنسية في لجنة المستشرقين .

كان يحسن العربية والفرنسية والانكليزية والتركية والروسية وايضاً تعلم اللغة الحبشية وترك آثاراً ادبية تشهد بفضله منهـــا مطابقة الدين الاسلامي للمدنية وكتاب في تاريخ حياة الرسول كما وضع عدداً من الروايات .

نوفل نعمة نوفل – توفي سنة ١٨٨٧ م .

اشهر علماء طرابلس في القرن التـــاسع عشر كان واسع الاطلاع ولد في سنة ١٨١١ في طرابلس وتعلم فيهـــا ثم نزح مع والده لمصر على عهد محمد علي الكبير فدخل والده الوظائف الحكومية والحق ابنه بمدارس القاهرة حيث اتقن العربية والتركية والفرنسية وتوظف في الحكومة المصرية ثم عاد مع والده لطرابلس فتعين ترجماناً لقنصلية المانيا وباشكاتباً في الجمرك .

وأخيراً اعتزل المناصب وانقطع للتأليف فوضع مؤلفات قيمة منها زبدة الصائف في اصول المعارف وزبدة الصحائف في سياحة المعارف وصناجـــة الطرب في علوم العرب وسوسنة سليمان في العقائد واديان جميعها مطبوعة وله ايضاً مؤلف كشف اللثام عن حوادث سوريا ولبنان ومن المؤسف ان هـــذا الكتاب القيم الذي يؤرخ اموراً ما زالت مجهولة ما زال مخطوطاً في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت التي وهبهـــا كتبه قبل مماته تحت رقم /٦٠/ مخطوطات وقد اعتمدنا عليه فيتاريخ طرابلس في العهد المصري وليت الجامعة الاميركية تهتم بطبعه .

نقولا نوفل – توفي سنة ١٨٩٥ :

ولد في طرابلس سنة ١٨١٧ م وتعلم في طرابلس وتقلب في عدة وظائف منها ترجماناً للجنة التي حققت حوادث عام ١٨٦٠ م وحين اعلن السلطان

عبد الحميـــد الدستور لأول مرة سنة ١٨٧٧ انتخب نائباً عن طرابلس في مجلس النواب العثماني .

ترك ديواناً من الشعر وبعض المخطوطات .

وديع نوفل – توفي سنة ١٨٧٤ م :

من ادباء طرابلس ولد سنة ١٨٥٤ م وتعلم فيها وقرأ على نفسه وتعين في الجمرك وهو اول من وضع تاريخاً لطرابلس نشره في مجلة الجنـــان البيروتية وحاولنا كثيراً العثور عليه لنتخذه مرجعاً فلم نتمكن .

ترك ايضاً ديوان شعر وتوفي سنة ١٨٧٤ م .

نجيب مراد توفي سنة ١٩٤٤ م.

شاعر طرابلس في النصف الاول من هذا القرن، كان خفيف الروح حاضر البديهة يقول الزجل عفوا اشترك مع المحامي زخريا زخريا فاصدر جريـــدة هزلية تحت اسم « ابجد هوز » دامت عدة سنين .

من زجله يهجي احد المتفنجين .

بدخلك يا بن شقطيطه حاجة تشد البرنيطة
امر الله ابن القنصل فرنجي وصاحب برنيطة
حاجي تحكي فرنساوي وتزقزق مثل الصرصور
لمـــن بقلك تازي فو قلي برضون وبونجور

وله عدة قصائد زجلية انتقادية .

حكمت شريف يكن – توفي سنة ١٩٣٤ م.

ولد في طرابلس وتعلم فيها وظهر نبوغه واتقانه للأدب العرب منذ فتوته فأصدر في طرابلس جريدة «الرغائب» واهتم بالتأليف فوضع كتاباً في تاريخ

سيام وهو فريد من نوعه وراح يراسل الصحف كلسان الحال والمقتطف والنور وغيرها واهتم بوضع تاريخ لطرابلس تناولته يد الضياع .

وفي اواخر أيامه نزح الى اللاذقية وتعين أميناً للمجلس البلدي فيها .

ترك آثاراً أدبية ضاعت بعد وفاته كما ترك مكتبة عامرة كان لي الحظ بأن وجدت بعضاً منها لدى أحد باعة الكتب القديمة في اللاذقية منها طبقات الاطباء ومنها تاريخ ابن الأثير ومنها دواني القطوف لعيسى اسكندر المعلوف وغيرها .

محمد بك يكن – توفي سنة ١٣٢٧ هـ

والد صاحب الترجمة السابقة ولد في طرابلس وتعلم فيها وتقلب في عدة وظائف وكان ميالاً للأدب ترك آثاراً مخطوطة ضاعت بعد وفاته .

الحاج محمود الكراكيزي – توفي سنة ١٩٣٥ م

كان كراكيزي ولكنه كان نابغة في روي الشعر العربي على مختلف أنواعه حافظاً لفصول كركوز وعيواظ حاضر النكتة يضع خيمته في قهوة العسل ويجلس وراءها ويلاعب الخيالات ويروي القصص والنكت بشكل لا تترك هماً للمشاهد .

يتوقى الألفاظ الشائنة أو الأدب المكشوف ويتجمع في القهوة التي يلاعب فيها فصوله سراة البلدة في خلال فصل الشتاء للاستماع عليه ، وبالرغم عن انه لم يترك آثاراً مكتوبة فقد اثرنا ترجمته بالنظر لما كان عليه من نبوغ .

أبو علي أنبوبا توفي سنة ١٩١٧ م

اسمه عبد الغني العناني وأصله من دمشق ولقب بأنبوبا سكن طرابلس في أواخر القرن التاسع عشر الماضي واتخذ صنعة تجارة مصنوعات الشام لكنه

كان يقص في قهاوي الاسكلة الحكايات القديمـــة وما قاساه في حياته من الشدائد اثناء سياحته في الاقطار العربية وبلاد فارس والهند والاستانة والانضول وكان من أرباب الشقاوة وعرف السجن مراراً . كان حاضرالنكتة ولو كانت عليه ، وما زال في الاسكلة بعض ممن يحفظون من نكته وحكاياته والحوادث التي عاناها تنيف على المائة وأصيب بفقد البصر في اواخر حياته وضاقت به الحال حتى طلب الصدقات ليعيش . توفي سنة ١٩١٧ م وقـــد اثرنا ذكر ترجمته للسبب الوارد في ترجمة الحاج محمود الكراكيزي .

اسحق يني – توفي سنة ١٨٦٣ م

من ادباطرابلس ولد سنة١٨٢٧م وتعلم في طرابلس وتعاطىالتجارة لكنه كان ميالا لحرفة الادب ترك آثاراً مكتوبة تناولتها يد الضياع بعد وفاته .

صمونيل يني – توفي سنة ١٩١٩ م .

شقيق المؤرخ جرجي يني ورفيقه في مجلة المباحث .

ولد في طرابلس سنة ١٨٦٥ وتعلم في المدرسة الاميركية على الدكتور يعقوب صروف وجبر ضومط وسعيد البستاني ثم انتقل للكلية الاميركية في بيروت حيث ظهر تفوقه في العربية . ثم عاد الى طرابلس واخذ بمراسلة مجلة المقتطف والهلال والجامعة وترجم عدة كتب من الفرنسية ثم شارك شقيقه باصدار مجلة المباحث التي حازت مركزاً مرموقاً في الوطن والمهجر .

جرجي يني – توفي سنة ١٩٤١ م .

الكاتب والمؤرخ الشهير وصاحب مجلة المباحث ولد في طرابلس وتعلم فيها ومال لحرفة الادب فوضع تاريخاً لسوريا يعد من اوفى المراجع بل الوحيد

من نوعه وقد عانى متاعب كبيرة في تأليفه ثم اصدر بالاشتراك مع شقيقه صموئيل مجلة المباحث واخذ يدرج فيها البحوث التاريخية الشيقة فنشر كثيراً من المواضيع النادرة خصوصاً تاريخ مصطفى بربر .

لاقت المباحث رواجاً في الوطن والمهجر .

الشيخ محمد مراد – توفي سنة ١٩٤٥ م .

من علماء الاسكلة ولد فيها وتعلم على الشيخ محمد الجسر وانقطع للمطالعة والتأليف وقرض الشعر والتدريس . وضع سيرة المعراج نظماً كما نظم قصة المولد النبوي الشريف وجاء في مطلع قصة المعراج :

من مكة والبيت الاجد   للقدس سرى ليلاً احمد

زاول الخطابة والامامية في جوامع الاسكلة ووضع في آخر حياته شرحاً مختصراً لمقامات الحريري .

عبدالحليم مراد – توفي سنة ١٩٢٧ م .

من ادباء الاسكلة ولد وتعلم فيها ثم هاجر الى القاهرة حيث اصدر بالشراكة مع الشيخ رشيد رضا مجلة المنار ثم جريدة « ابو الهدى » ثم عاد لطرابلس وتعين مديراً للنفوس في بيروت ثم موظفاً في الجمرك في طرابلس. انقطع في آخر حياته للمطالعة آثارة مقالاته في جريدته « ابو الهدى » .

صلاح مراد – توفي سنة ١٩١٣ م .

ابن عبد الحليم مراد الآنف الذكر ولد فياسكلة طرابلس وتعلم فيها ومال لمهنة الصحافة وانخرط في عداد حزب الاتحاد والترقي وأصدر جريدة هزلية للانتقاد أصدرها تحت اسم « كراكوز » وراح يحمل فيها على اعداء الحرية .

الشيخ منير الملك – توفي ١٩٤٧ م .

الاديب والعالم العصري والخطيب الذي فقدته منابر مساجد طرابلس . ولد فيها وتعلم على مشايخ زمانه ومال لحرفة الادب والعلوم الفقهية والارشاد فتعين خطيباً ومدرساً في جامع غازي في الاسكلة ثم اصدر جريدة « المدلل» هزلية انتقادية راح يكيل فيها لمـا يطلقون عليه « التجدد » او التفرنج ومنه كشف الحجاب ودارت بينه وبين الشيخ عبد القادر المغربي الذي كان يصدر البرهان ومن دعاة كشف الحجاب حملات كان لها اثرها في طرابلس .

أوقف الجريدة في اوائل الحرب العالمية الأولى وتعين في المحكمة الشرعية في عكار ثم استقال وانقطع للخطابة والامامية والتدريس في الجامع الكبير في الاسكلة . ترك مجموعة خطب منبرية .

الشيخ محي الدين عبس – توفي سنة ١٩٤٥ م .

ولد في اسكلة طرابلس وتلقى العلم على الشيخ حسين الجسر وكان من رفاقه الشيخ رشيد رضـا والشيخ عبد القادر المغربي والشيخ عبد الكريم عويضة . اتخذ مهنة تعليم الناشئة فاتخذ كتاباً في الاسكلة وكان من حفظـة كتاب الله الكريم . ترك مجموعة شعرية فقدت بعد وفاته .

توفي سنة ١٩٤٥ وكان تقياً ورعاً شغل منصب إمام وخطيب جامع الداكيز في الاسكلة مدة طويلة .

الشيخ محي الدين الحفار – لم نعثر على سنة وفاته .

من علماء طرابلس وتلاميذ الشيخ حسين الجسر . زاول تعليم الناشئة طيلة حياته وكان تقياً ورعاً . ترك آثاراً مخطوطة ولم نعتر على سنة وفاته .

المعلم داوود موسى – توفي سنة ١٩٢٥ م .

ولد في اسكلة طرابلس وتعلم في مدارسها واتقن العلوم اللسانية ثم تعين

استاذاً للغة العربية في مدارس الفرير في طرابلس وفي خلال الحرب العالمية الأولى انشأ مدرسة في الاسكلة لها عدد كبير من شباب الاسكلة . كان قوي الحافظة . وضع كتاباً في الصرف والنحو سهل العبارة املاه على طريقة السؤال والجواب . جمع مكتبة عامرة تحتوي على كثير من المؤلفات النادرة .

نظم عدة قصائد وطنية تغناها الطلاب منها .

بني وطني بني عثمان هيا فوقت فخاركم ابدا تهيا
وعلوا الراية العليا سويا سناها قد غدا نوراً بهيا
عليكم يا اهالي بالسلاح اذا مارمتموا خير الصلاح
فان مامات كهل في الكفاح فان الارض تنبته صبيا

ومن شعره في قصيدة ترحيبية :

عندليب السعد انشد اطيب الالحان
ولسان الانس ردد اية الامنان

الشيخ علي العمري – توفي سنة ١٣٢١ .

ولد في دمشق وينتسب للخليفة عمر بن الخطاب ونشأ في حجر والده وكان من اولياء الله الصالحين فمشى على خطاه ثم ترك دمشق وجاء الى بيروت ومنها الى طرابلس ثم تركها وذهب الى اللاذقية حيث بقي مدة ثم تركها وساح في البادية السورية - العراقية ثم عاد للاذقية حيث تزوج منها وبقي عدة سنوات فيها رجع بعدها لطرابلس حيث بقي حتى وفاته .

لم يكن الشيخ العمري من العلماء ولم يترك آثاراً مكتوبة ويقال انه كان امياً لكنه ترك آثاراً لا تمحى من كراماته الخارقة ومؤاساته للمرضى ونصائحه الثمينة .

وهكذا عاش الشيخ العمري موفور الكرامة محترماً من جميع سكان طرابلس وقد وضع الشيخ محمد كامل البابا مؤلفاً قيماً في ذكر مناقبه .

رشيد يحي – توفي سنة ١٩٢٥ م.

من ادباء اسكلة طرابلس ولد فيها وتعلم على مشايخها واتقن العربية والتركية وتقلب في عدة وظائف حكومية الا انه كان ميالاً لقرض الشعر ولوضع المسرحيات فوضع عدد منها مثل على مسرح زهرة الفيحاء .

لحن قصيدة عائشة التيمورية في ابنتها توحيدة التي مطلعها :

ان سال من غرب العيون بحور فالدهر باغ والزمان غيور

وادخلها في مسرحياته .

ضاعت جميع آثاره الادبية بعد وفاته .

حمدي الزيني – توفي سنة ١٩٦٢ م :

ولد في عام ١٨٩٨ وتعلم في المدارس العثمانية واتقن التركية والعربية وظهر عليه الاندفاع في القضايا الوطنية . تعين استاذاً في المدرسة الرسمية في الاسكلة ولما نشبت الحرب العالمية الاولى سافر للاستانة ودخل المدرسة العسكرية وتخرج منها ضابطاً في الجيش العثماني وتعين استاذاً في المدرسة المذكورة ثم انتسب للحملة التي احتلت رومانيا .

ثم عاد للاستانة وعين ضابطاً في الحملة التي جردت للدفاع عن العراق تحت قيادة علي فؤاد بك فقاسى الأهوال ولما ثار الحسين بن علي على الدولة وشاهد صاحب الترجمة ظلم الاتراك هرب من الجيش قاصداً الانتساب للثورة العربية لكن القي القبض عليه وسيق للديوان العسكري حيث حكم عليه بالاعدام وارسل الحكم للاستانة للتصديق وتأخر التصديق بسبب وفاة السلطان محمد رشاد .

وقد سهل له تأخير تصديق الحكم الفرار ثانية الى العراق فوصل الى بغداد وسلم نفسه للسلطة العسكرية التي عينته رئيساً على فرقة الدرك فبقي حتى انتهاء الحرب حيث عاد لطرابلس فعين رئيساً لمستودعات الجمرك في الاسكلة .

لكن تظاهره بالوطنية العربيـة ادى الى اضطهاده من جانب الفرنسيين فاتهموه بسرقة ستة براميـل من المستودع وحكموا عليه احكاماً جائرة فاستأنف الحكم الى المحاكم المختلطـة التي برأته بالاجمـاع . ولم ترض السلطة الفرنسية بارجاعه الى وظيفته . اسس جمعية في الاسكلة للاعمال الخيرية لكن السلطة الفرنسية لاحقته وألقته في السجن لمدة وألغت الجمعية .

ومن المؤسف ان الحكم الوطني بعد الاستقلال لم يعد له حقوقه ولم يرجعه لوظيفته مع انه كان بريئاً مما نسب اليه ظلماً وعدواناً .

اصيب في آخر حياته بمرض الفيليبيت من أثر جهاده في خلال الحرب في الجيشين التركي والعربي فتوفي في سنه ١٩٦٢ م .

ترك مذكرات تصف ما قاساه في خلال حملة رومانيـا وحملة العراق تناولتها يد الضياع .

امين الصوفي السكري - توفي سنة ١٩٣٣ م

من أدباء طرابلس ولد وتعلم فيها وأتقن التركية والعربية وانتسب للوظائف الحكومية وكان حسن الخط على الطريقة الفارسية وتقلب في وظائف الدولة آخرها رئيس كتبة المتصرفية .

كان ميالاً للأدب فوضع كتاباً مفردا في بابه دعاه سمير الليالي بجزئين مشى فيه على خطة المستطرف للابشيهي فذكر في أوله جغرافية البـلاد العثمانية وفصل ولاياتها وطريقة الحكم فيها وعدد السكان والفرق الدينية ثم أتى على كل شيء طريف وجعل هذا الكتاب موضوع تسلية لليـالي الشتاء الطويلة .

طبع سمير الليالي للمرة الأولى في مطبعة الحضارة ثم نفدت نسخه بسرعة

فأعاد طبعه ثانية مدخلاً عليه الكثير من التعديلات كما أضاف اليه ملحا ونوادراً عديدة .

محمد أديب عرابي – توفي سنة ١٣٧١ هـ

ولد في أسكلة طرابلس وتعلم القراءة والكتابة فيها ومال لحفظ الأشعار وكان رخيم الصوت فحفظ الكثير مما تقضي به وظيفته كمؤذن في جامع غازي في الاسكلة . فمن شعره مطلع قصيدة تهنئة بولادة المؤلف لم نعثر إلا على مطلعها :

سميحنا لما أتى   حوطه في هل أتى

وله قصيدة عامرة الأبيات في رثاء المرحوم خير الدين عبد الوهاب .

وضع سفينة تربو صفحاتها على الألف صفحة جمع فيها كل انواع الشعر مما يصلح للغناء والابتهالات وللموالد والاذكار عدا عن الموشحات والأدوار ، والسفينة ما تزال مخطوطة لدى ولده فؤاد ويا ليته يهتم بطبعها واخراجها للجمهور فهي كنز والذي تتضمنه لا يوجد في غيرها بسبب أنه قضى الشطر الكبير من حياته بجمعها .

ومع انه كان من ذوي الدخل المحدود فقد جمع مكتبة عامرة تتضمن المؤلفات النادرة تناولتها يد الضياع بعد وفاته منها قصة القلوب المتحدة في الولايات المتحدة وهي أول قصة طويلة وضعت في العربية .

وقد وضع سفينة أخرى دعاها بسفينة الأشعار في الموشحات والأشعار ولدي نسخة منها مكتوبة بخط يده . كان صوته يشبه لحد بعيد صوت الشيخ محمد رفعت المصري وكان من جملة تلامذة رشيد يحي الآنف الذكر ومثل في مسرحياته .

أصيب في آخر أيامه بمرض عضال ألزمه الفراش وتوفي سنة ١٣٧١ هـ

الشيخ عبد الرحمن مرحبا – توفي سنة ١٢٨٠ هـ .

من علماء طرابلس في القرن الثالث عشر الهجري ولد في طرابلس وتعلم في مدارسها ثم ذهب للقاهرة وانتسب للجامع الازهر وتبحر في العلوم الفقهية الاسلامية والشرعية ثم عاد لطرابلس وتعين في المحكمة الشرعية وبقي فيها حتى قبيل وفاته .

شغل عدداً من الوظائف الدينبة كالتدريس والخطابة والامامية وترك عدداً من المؤلفات المخطوطة في الحديث والفقه .

احمد بن الحسين حيدرة – توفي سنة ٤٩٧ هـ .

من علماء طرابلس في العهد المملوكي ، ذكره صاحب مراة الزمان توفي سنة ٤٩٧ هـ على أثر ضربه بالسياط لنظمه قصيدة في هجاء بني عمار .

ابو الفرج ابن العبري المعروف بابي الفرج الملطي – توفي سنة ١٢٨٦ م .

من علماء طرابلس ترك آثاراً أدبية قيمة أشهرها تاريخه المعروف بتاريخ ابن العبري أو مختصر الدول كما ترك كتابـاً مماثلاً في اللغة السريانية في دائرة المعارف للبستاني ترجمة وافية له .

محمد بن بكتوت الظاهري – توفي سنة ٧٣٥ هـ.

من علماء طرابلس ، ذكره صاحب السلوك وصاحب النجوم الزاهرة وترك عدة مؤلفات في علوم زمانه توفي سنة ٧٣٥ هـ .

عماد الدين النويري – توفي سنة ٧١٧ هـ .

من علماء طرابلس ذكرة صاحب السلوك وذكر له عدة مؤلفات .

القاضي تاج الدين البارنباري – توفي سنة ٧٥٦ هـ .

ذكره صاحب النجوم الزاهرة انه من علماء طرابلس وانـــه ترك عدة

مؤلفات في مختلف العلوم توفي ٧٥٦ هـ .

القاضي شمس الدين الدمشقي – توفي سنة ٧٦٩ هـ .

من علماء طرابلس ذكره صاحب النجوم الزاهرة توفي سنة ٧٦٩ .

الاسقف يعقوب الحلبي – توفي سنة ١٢٢٠ م.

أشتهر في الطب خلال العهد الصليبي وتوفي سنة ١٢٢٠ م. تاركاً بعض الآثار الطبية .

وليم الطرابلسي – توفي سنة ١٢٣٠ م.

من علماء طرابلس في العهد الصلبي صنف كتباً في اللاتينية اخذها عن العربيه وتوفي سنة ١٢٣٠ م.

الدكتور عبد اللطيف بيسار – توفي سنة ١٩٤١ م .

الجراح الوحيد في طرابلس خلال نصف قرن كامل . ولد في طرابلس وتعلم فيها ثم جاء للاستانة ودخل مدرسة الطب وبقي فيها حتى نال الشهادة النهائية لا بتفوق فحسب بل كان دائماً الأول بين رفاقه . ثم عاد لطرابلس وأخذ يتعاطى الطب. ذهب الى المانيا حيث التحق بجامعاتها وحذق الجراحة ثم رجع الى طرابلس وأخذ يطبب أبناء بلدته بكل اخلاص . كان يواسي الفقير ولا يكتفي بوصف الدواء له بل كثيراً ما كان يمنحه ثمن الدواء ويجري له العمليات مجاناً بدون مقابل .

اهتم ايضاً بالقضايا السياسية وقاوم الانتداب ونفاه الفرنسيون الى ارواد حيث بقي مدة من الزمن .

توفي سنة ١٩٤١ فبكته طرابلس واغلقت المدينة يوم وفاته .

الشيخ احمد عبد الجليل – توفي سنة ١٢٥٠ :

من علماء طرابلس أصله من اللاذقية سكن طرابلس واهتم بالتدريس والخطابة تلقى علومه في الجامع الأزهر . آثاره الادبية فقدت بعد وفاته .

عبد الرزاق عبد الجليل – توفي سنة ١٢٣٠ هـ :

ابن الانف الذكر ، هاجر الى مصر وتعلم فيها الطب في القصر العيني وسكن الاسكندرية ولم يعد لطرابلس .

الشيخ محمد عبد الجليل توفي سنة ١٣١٠ هـ :

شقيق الآنف الذكر الذي تعلم على يد ابيه ثم رحل للقاهرة حيث انتسب للجامع الازهر ثم تولى منصب الافتاء في دمياط ولم يعد لطرابلس .

الدكتور عفيف عفيف – توفي ١٩١٦ .

ولد في أسكلة طرابلس وتعلم فيها ثم ذهب الى بيروت وانتسب للكلية الطبية في جامعة القديس يوسف لليوسوعيين ونال الشهادة النهائية ثم عاد لطرابلس حيث زاول مهنة الطب وبرع فيها . وضع مؤلفاً بحث فيه مرض الهواء الاصفر – الكوليرا – أتى فيه على أوصاف المرض وأسبابه وطرق الوقاية والعلاج .

الياس لبان – توفي سنة ١٩٥٠ م.

ولد في اسكلة طرابلس وتعلم في جامعة القديس يوسف ثم عاد لطرابلس وفتح فيها صيدلية لكنه كان ميالاً للادب فتولى مراسلة جريدة الحوادث وله فيها مقالات شيقة .

الحاج عارف كبارة – توفي سنة ١٩٢٠ م.

اول صيدلي قانوني في اسكلة طرابلس درس فن الصيدلة على الصيدلي التقلجا

ثم ذهب للاستانة حيث أكمل دروسه وعاد للاسكلة حيث فتح صيدلية كان صيدلي وطبيب ومواسي في ان واحد وله ابحاث في فن الصيدلة .

الدكتور مخايل ماريا – توفي سنة ١٩٣٥ م.

من اطباء طرابلس المشهورين ولد في طرابلس وتعلم الطب في الجامعة الاميركية في بيروت على عهد الدكتور فانديك والدكتور ورتبات والدكتور بوسط حين كانت الدروس تلقى في العربية .

وحين نال الشهادة عاد لطرابلس وتعاطى مهنته بكل امانة وترك بعض الآثار الأدبية ضاعت بعد وفاته .

البطريرك انطون عريضة – توفي سنة ١٩٥٢ م.

ولد في طرابلس وتعلم فيها ثم ذهب الى رومية حيث اتقن العلوم اللاهوتية عدا عن الفرنسية والايطالية واللاتينية ثم عاد لطرابلس حيث سيم مطرانا عليها للطائفة المارونية وبعد وفاة البطريرك الحويك انتخب بطريركا على الكرسي الانطاكي للموارنة .

ترك آثاراً ادبية منها تفاسير دينية ومنها رسائل ادبية عمرانية . كان من رجال الاقصاد الذين يخدمون وطنهم فقد اهتم بانشاء شركة كهرباء قديشا وبانشاء شركة الترابة اللبنانية .

خير الدين عبد الوهاب الهندي – توفي سنة ١٩٤٤ م.

من أدباء ووجهاء أسكلة طرابلس ورئيس بلديتها ولد في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وتعلم في مدرسة كفتين وجاهد في حياته كعصامي فبنى نفسه بنفسه حتى توصل لأعلى المراكز الادبية والسياسية وشغل حتى وفاته رئاسة بلدية الاسكلة. كان خيراً ينفق المال الوفير على الفقراء والمساكين.

تعاطى في حياته مهنة تفريغ البضائع من البواخر وجمع ثروة لا يستهان بها كان كلما انفق منها في سبيل الخير كلما زادت .

كان أديباً يتذوق الادب ويحفظ الاشعار ولم يترك آثاراً مكتوبة لكنه ترك ذكراً لا يمحى على ممر الأزمان ويكفي ان يوم وفاته أغلقت أسواق الاسكلة من مسلمين ومسيحيين وتعالى قرع أجراس كنائس الاسكلة لأول مرة في التاريخ حزناً على وفاة مسلم وقد مشى فيجنازته الرسميين والعلماء والوجهاء وجميع أهالي الاسكلة وفي يوم الاربعين لوفاته منحته الحكومة اللبنانية وسام الاستحقاق .

عادل عبد الوهاب الهندي – توفي سنة ١٩٦٦م.

شقيق الآنف الذكر ولا يقل عنه فيأعماله الخيرية ولد في أسكلة طرابلس في أواخر القرن التاسع عشر وتعلم في مدرسة الاميركان في البلدة ثم هاجر الى البرازيل حيث مكث مدةعاد منها لطرابلس واشترك مع شقيقه خيرالدين في تجارة افراغ البضائع من البواخر .

جمع ثروة لا يستهان بها انفق منها الكثير في سبيل المبرات كان حلو الحديث شيقه لدرجة ان المستمع اليه لا يريده يسكت بالنظر لما كان فيحديثه من طلاوة .

عبد الستار بك علم الدين – توفي سنة ١٩٦٥م .

من وجهاء الأسكلة ولد في خلال القرن التاسع عشر الميلادي وتعلم في مدرسة الاسكلة الرسمية واتقن التركية والفارسية ثم انقطع للتجارة فجمع ثروة كبيرة لكنه كان شديد الميل للأدب فجمع مكتبة قيمة وكان داره ملتقى الأدباء والشعراء ورجال الدين والعلم .

كان حلو الحديث لم يسبق له البتة ان خرج فيحديثه عن دائرة الأدب ولا

يسمح البتة لأحد ما ان يذكر شخصاً بسوء أمامه .

الشيخ خالد العمادي – توفي سنة ١٩٦٣ م .

ولد في طرابلس سنة ١٨٧٧ وسمي على اسم جده الشيخ خالد العمادي من اصحاب الطرق الصوفية . تلقى علومه في طرابلس على الشيخ خليل صادق والشيخ محمد نشابة والشيخ محمد الحسيني وحصل على اجـــازة بالتدريس من شيوخه وتولى التدريس في مسجد الحجيجة والامامة في مسجد الصقوقيه وانابه الشيخ عبدالكريم عويضة في التدريس عنه في الجامع الكبير المنصوري .

انشأ مجلة الرياض سنة ١٩٤٦ ونولى عضوية المجلس الاسلامي .

ترك عدة مؤلفات منها الرسالة الحميدية في الفنون الدينية والمناقب الدرية في الشمائل المحمدية وتحذير الاصحاب عن النرد والالعـــاب وزبدة الواعظين وتنبيه الغافلات فتلقى من المشيخة الاسلامية رسالة شكر على كتابه الاخير .

توفي في ١٠ كانون الاول من عام ١٩٦٣ ونعته الاذاعة اللبنانية وجميع صحف طرابلس .

الشيخ عبدالرحمن عزالدين – لم نعثر على سنة وفاته .

ولد سنة ١٢٨٧ هـ. وتعلم في طرابلس وتعاطى في شبابه التجارة لكنه مال الى حرفة الادب كما مال الى السياسة ولمـــا اعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ « اخذ يخطب في الجماهير منادياً بالحرية والإخاء وبمناصرة رجال تركيا الفتاة ثم اصدر جريدة سياسية اطلق عليها اسم « شمس الاتحاد » اتخذ منها لساناً لحزبي الاتحاد والترقي .

لم يترك آثاراً ادبية سوى الصحيفة الآنفة الذكر .

الحاج مصطفى حولا – توفي سنة ١٩١٧ م.

من اكبر المحسنين لابناء الاسكلة خلال الحرب العالمية الاولى وقد افردنا

فصلاً خاصاً في تاريخ حياته اثناء بحثنا حوادث طرابلس خـــلال الحرب العالمية الاولى .

الدكتور مخايل لطفي – توفي سنة ١٨٩٠ م.

من اطباء طرابلس تعلم الطب على الطريقة العربية ونبغ فيه على حدود زمانه ولما سنت الحكومة العثمانية القانون الذي يوجب على الاطباء الحصول على شهادة تخولهم مزاولة مهنة الطب واجرت فحوصاً على الاطباء القدماء ، في الاستانة العاصمة العثمانية ، فسافر الدكتور لطفي الى الاستانة ورافقه بيوس دوبا وتقدم الى اللجنة الفاحصة ، واخذ بيوس دوبا ينقل للجنة المشار اليها اجوبة الدكتور لطفي من العربية الى التركية . وقد فاز في الفحص وحصل على الاجازة التي تخوله مزاولة مهنة الطب في طرابلس

الدكتور لطف‌الله لطفي – توفي سنة ١٩٥٥ م.

ابن الدكتور مخايل لطفي الآنف الذكر ولد في طرابلس وتعلم فيجامعة القديس يوسف وزاول مهنة الطب في طرابلس وشغل وظيفة طبيب البلدية خلال اكثر من ربع قرن . كان على جانب كبير من الاستقامة لا يخشى في مهنته لومة لائم وكان يتولى معاينة ارباب الحرف ومن المستحيل ان يسمح لمصاب بمرض ما بتعاطي اية مهنة .

كان اديباً في اللغة الفرنسية وله مقالات متعددة وديوان شعر افرنسي نظمه برثاء زوجته بعد وفاتها .

الصيدلي زامر لطفي – توفي سنة ١٩٦٦ م.

من صيادلة طرابلس المشهورين ادار صيدلية مار مخايل التي انشأها والده ، بعد وفاة بيوس دوبا ، وكان على دراية تامة لا في فن الصيدلة فحسب بل في الاقرابذين على مختلف الانواع وكثيراً ما كان يواسي المرضى من الفقراء ويصف

لهم الادوية اللازمة عمل في حياته على تركيب دواء لمنع تساقط الشعر، لكن الظروف لم تدعه يكمل تجاربه .

الدكتور انطونيوس نحاس – توفي سنة ١٩٣٨ م.

اول طبيب للعيون في طرابلس حامل شهادة من بيروت كان على جانب كبير من المعرفة في فنه لكن عمره كان قصيراً فتوفي وهو في عنفوان شبابه .

الدكتور سيوفي توفي سنة ١٩٤٥ م :

من اطباء طرابلس المشهورين في علم الدياكنوستيا – وصف المرض وتشخيصه – وللآن وصفاته مسجلة في صيدلية لطفي وهناك عدد من المرضى شفوا بواسطتها .

كان دمث الأخلاق وافر الذكاء في فنه وكثيراً ما كان المرضى في طرابلس يلجؤون الى اطباء بيروت فيعطونهم الوصفة التي أشار بها الدكتور سيوفي .
له بحوث طبية في بعض الصحف .

الدكتور حنا غنطوس – توفي سنة ١٩٦٥ .

من مشاهير اطباء طرابلس في الأمراض الداخلية ولد في طرابلس وتعلم في جامعة القديس يوسف في بيروت ورجع لطرابلس وزاول مهنة الطب .

كان ميالاً للأدب وله الكثير من المحاضرات في مختلف ميادين الطب القاها في طرابلس في المجتمعات كان لها الوضع الحسن بالنظر لما تضمنته من معلومات .

الدكتور حسن رعد – توفي سنة ١٩٦٢ م :

من اطباء طرابلس المشهورين ولد في طرابلس وتعلم فيها ثم انتسب لكلية

الطب في دمشق ونال شهادتهـــا وسافر الى الاستانة حيث اكمل مدة التمرين وعاد لطرابلس يتعاطى مهنة الطب . ترك بحوثاً في الطب الداخلي وفي مرض السكري .

عبد القادر النابلسي – توفي سنة ١٩٦٢ م :

مارس مهنة الطب ودرسها على نفسه بدون ان يكون لديه شهادة . كان بارعـــاً في تشخيص المرض وكثيراً ما اصاب في التشخيص مما شهد له به اطباء بيروت .

الاستاذ واصف بارودي – توفي سنة ١٩٦٠ م :

المربي المشهور ولد في طرابلس وتعلم فيها وانتسب لوزارة التربية الوطنية فكان استاذاً ومديراً ثم مفتشاً عاماً وأميناً لدار الكب الوطنية. اكمل ثقافته في باريس ووضع عدداً من المؤلفات التربوية .

الشيخ توفيق الصفدي – توفي سنة ١٩٤٢م .

ولد في أواخر القرن التاسع عشر وكبقية آل الصفدي مال للعلوم الفقهية لكنه انتخب مختاراً على الأسكلة فقضى عمره في هذه الوظيفة . وقد مـال لعلم الانساب فاهتم فيه كل الاهتمام ووضع كتابـــاً سلسل فيه جميع عائلات الأسكلة الى أصلها وتاريخ سكناها الاسكلة ومن المؤسف ان هذا الكتاب النفيس الذي يحفظ لنا تاريخاً فربداً ضاع بعد وفاته .

اهتم أيضاً بعلم الزايرجه للتسلية . كان لا يعرف إلا البيت والمطالعة وجمع مكتبة في حياته ضاعت بعد وفاته .

زكريا الياس المر – توفي سنة ١٩١٣ م .

شاعر الاسكلة المشهور ولد في الاسكلة وتلقى علومه فيها ومال لقرض

الشعر تعين استاذاً للعربية في حمص . توفي في سنة ١٩٠٣ في شرخ الشباب بوافدة لم تمهله إلا اياماً .

ترك ديواناً كما ترك كتاب المرأة الوضيعة في الأحكام السليمانية ترجم فيه اشعار لافونتين ـ الشاعر الفرنسي ـ بالعربية شعراً .

نعمان حكيم – توفي سنة ١٩٠٠م .

ولد في أسكلة طرابلس وتعلم في كفتين ومال لقرض الشعر لكن المنون لم تتركه بل وافته وهو ما زال شاباً يافعاً .

ترك ديوان شعر ضاع بعد وفاته .

نعمان نصر–توفي سنة ١٩٢٥ولدفي طرابلس وتعلم في مدرسة الفرير واتقن العربية كل الاتقان ونظم الشعر في مختلف فنونه واستلفت نظمه صحف بيروت الأدبية وحين أجرت مجلة المرأة الجديدة مسابقة في وصف الطفولة البريئة ، نالت قصيدته الجائزة الأولى .

ترك مجموعة شعرية لم نعلم مصيرها .

توفي في شرخ الشباب سنة ١٩٢٥ .

توفيق البطش – توفي سنة ١٩٥٨م .

ولد في خلال القسم الاخير من القرن التاسع عشر وتعلم في مدارس الفرير فأتقن الفرنسية والانكليزية وقبيل الحرب العالمية الاولى نزح الى اليونان وبقي طيلة الحرب حيث اتقن اليونانية. كان نابغة في اصول المعاملات البحرية واهتم بالقضايا الاقتصادية فكان من مؤسسي شركة قاديشا وشركة الترابة

اللبنانية. لم يترك مؤلفات ولكن كان له المركز المرموق بين رجال الاقتصاد.

يحيى مرحبا – توفي سنة ١٩٣٧ م .

ولد في طرابلس وتعلم فيها واهتم في درس القانون الشرعي كبقية بني مرحبا ثم رحل للاستانة حيث اتقن قانون المحاكم الشرعية كل الاتقان . رجع لطرابلس واهتم بشرح قانون المحاكم الشرعية فجـــاء شرحه سفراً تاماً كاملاً وشكل المرجع الوحيد في اصول المحاكمات لدى المحاكم الشرعية .

الشيخ وهيب البارودي – توفي سنة ١٩٤١ .

ولد في طرابلس وتعلم فيها واتقن علوم الفقه والحديث وتعين امـــاماً وخطيباً في مساجد طرابلس وكان مرجعاً في الامور الفقهية يؤخذ رأيه فيها. اتقن ايضاً علوم الحديث ووضع مؤلفاً ضخماً في الحديث الشريف دعـــاه « الفوز الادبي في الحديث المحمدي » . كان تقياً ورعاً .

سليم الشغري توفي في اواسط القرن الثاني عشر الهجري .

ليس سليم الشغري بالعـــالم ولا بالشاعر ولا بالاديب بل كان امياً لا يقرأ ولا يكتب وقد آثرنا ترجمته بين علماء طرابلس بالنظر للأعمال الفريدة التي قام بها .

ولد سليم الشغري في القلمون واخذ يكسب خبزه بعرق جبينه لكنه كان على جانب كبير من الذكاء جعلهذكاؤه يتفوق على اقرانهوبالتالي الىحسدهم له.

ولخلاف بينه وبين اقرانه قام بعمل استلزم سجنه بالقلعة « قلعة صنجيل» التي كان يتخذها الاتراك سجناً للمجرمين، ولما كان موقناً ببراءته فكر بالهرب وبسبب شدة الرقابة لم يستطع الهرب من باب القلعة فما كان منه الا ان عمد الى مظلة –شمسية– فربط جوانبها بحبل دقيق وامسك بها ثمرمى بنفسه منعلى سطح القلعة فوصل للارض سالماً وكان اول مخترع للمظلة التي يستعملهـــا

الطيارون في هذا العصر للنجاة حين تصاب الطائرة بعطل ما .

وخلال الزلزلة التي حدثت في طرابلس في عهده ، انفتحت ثغرة في مجرى نهر ابي علي بقرب المولوية وغارت مياه النهر في هذه الثغرة وانقطعت عن جنائن طرابلس واوشكت هذه الجنائن ان تصاب بالتلف وضج الملاكون.

جاء سليم الشغري الى متسلم طرابلس وعرض عليه ان يقوم بسد هذه الثغرة مقابل العشرين مجيدي من عملة ذلك العصر فاستكثر المتسلم هذا المبلغ ولكن امام اصراره وامام الحاجة القصوى رضي .

قام سليم الشغري بقياس طول الثغرة وعرضها ثم عمد الى عدد من اغصان شجر الزنزلخت – المساميك – ربطها ببعضها بالحبال متقابلة ثم ادلاها بمعونة الاهلين مربوطة بالحبال بالثغرة التي يتسرب اليها الماء حتى استقرت وبعد ذلك قام ايضاً بمعونة اهالي طرابلس بطرح الردم فوق الاغصان فاستقر هذا الردم على – المساميك – وطمر الثغرة وعادت مياه نهر ابي علي الى مسيلها كما كانت في السابق .

كان سليم الشغري على جانب كبير من خفة الروح يدعى الى الافراح للقيام بما يضحك الجمهور وهكذا عاش طيلة حياته حتى توفي في أواسط القرن الثاني عشر الهجري .

نجيب الارناؤوط – توفي سنة ١٩٣٥ م.

ولد في طرابلس وتعلم فيها ثم رحل للاستانة حيث انتسب لاحدى جامعاتها واتقن التركية . عاد الى طرابلس واشتغل في التجارة وجمع ثروة تقدر بعدة الوف من الليرات الذهب ورزق بولد ذكر توفي خلال الحرب العالمية الأولى في شرخ الشباب .

اثرت عليه وفاة ابنه فانصرف للاعمال الخيرية فوقف القسم الأكبر من

ثروته على كلية دار التربية والتعليم واشاد لها بناء شاهقاً على نفقته كما وهب بقية المؤسسات الخيرية ما تبقى من ثروته .

كان ينفق بسخاء كلي على الاعمال الخيرية .

جورج سيوفي – توفي سنة ١٩٥٥ م :

ولد في طرابلس وهو نجل الدكتور سيوفي الآنف الذكر وتعلم في طرابلس ثم سافر الى باريس حيث التحق بكلية الحقوق فيها حتى نال الدكتوراه في الحقوق وحصل على لقب دكتور بتفوق وتقدم باطروحة عن الحقوق والواجبات نالت استحسان اساتذته .

ثم عاد لطرابلس حيث تعين في سلك القضاء وتمكن من الوصول الى اعلى المراكز ، ترك عدا عن الاطروحة المذكورة عدة بحوث قانونية .

راشد سلطان – توفي سنة ١٩٦٢ م :

من اشهر محامي طرابلس ولد فيها وتعلم في المدارس الرسمية ثم التحق بجامعة الحقوق في دمشق ونال شهادتها . عاد لطرابلس واشتغل بالمحاماة واشتهر بأنه لا يوكل بدعوة خاسرة .

ترك مرافعات تشهد له بطول الباع في القضايا الحقوقية .
تولى رئاسة بلدية طرابلس عدة سنوات .

هاشم سلطان – توفي سنة ١٩٦٤ م :

ابن عم راشد سلطان الآنف الذكر وشريكه في مكتب المحاماة . ولد في طرابلس وتعلم في مدارسها ثم انتسب لمكتب الحقوق في الاستانة ونال شهادته النهائية وعاد لطرابلس حيث زاول مهنة المحاماة بشراكة ابن عمه . تولى قائمقامية طرابلس ورئاسة بلديتها خلال عدة سنين. ترك بعض المرافعات

التي تشهد له بطول الباع .

شكري فاخوري – توفي سنة ١٩٢٣ م.

ولد في صيداء وتعلم في الكلية السورية الانجيلية – الجامعة الاميركية اليوم – ونال شهادة البكلوريوس علوم بتفوق وعزم على الهجرة الى السودان لدى احد اقربائه، لكن الدكتور يرا هاريس الذي كان يدير المستشفى الاميركي الذي انشأته البعثة البروتستنتية الاميركية في اسكلة طرابلس اقنعه بالعمل معه كمعاون طبيب ونائبا عنه في القضايا التبشيرية .

انصرف صاحب الترجمة الى مساعدة الدكتور هاريس في العمليات الجراحية واتقن علم تشخيص الامراض كما اتقن الجراحة وعلم وصف العقاقير وبقي يعمل ان كان في الطب او في القاء المواعيظ الدينية في الكنيسة البروتستنتية في اسكلة طرابلس بدون ملل من عام ١٨٩٠ حين جاء لطرابلس حتى عام ١٩٢٣ حين اغتالته يد أثيمة بدون مسوغ فاطلقت عليه بضع رصاصات واردته قتيلاً بينما كان يقوم بالقاء العظة الدينية يوم الاحد .

وقد اسفت طرابلس على فقده وابنه في الكنيسة عدد كبير من الادباء والشعراء ثم في ذكرى الاربعين لوفاته اقيمت له حفلة تأبين القيت فيها الخطب الرنانة وابنه عدد كبير من الادباء منهم الاستاذ ناصرالدين الذي حرك العواطف وجعل الحاضرين يذرفون الدمع اسفاً على الفقيد الراحل بالنظر لما له من أياد بيضاء على المرضى .

ترك عدداً من العظات وكتب عدة مقالات وبحوث طبية في المقتطف وغيرها .

الدكتور يرا هاريس – توفي سنة ١٩١٥ م.

ولد في الولايات المتحدة وتعلم الطب فيها ثم في سنة ١٨٨٣ جاء لاسكلة

طرابلس وتولى رئاسة المستشفى الاميركي في اسكلة طرابلس خلفاً للدكتور بوسط كما تولى رئاسة البعثة التبشيرية الاميركية في طرابلس وبقي يطبب اهالي طرابلس حتىوفاته سنة ١٩١٥ بعد ان انفق شطراً كبيراً منماله الخاص في سبيل اطعام الفقراء خلال الحرب العالمية الاولى .

ترك عدة بحوث طبية في المجلات الاميركية .

الدكتور هنري يونس – توفي سنة ١٩٦٠

اميركي الجنسية ايضاً ولد في الولايات المتحدة واتقن الطب في مدارسها وجاء الى اسكلة طرابلس سنة ١٩٢٢ وتولى رئاسة المستشفى الاميركي خلفاً للدكتور هاريس وبقي يدير المستشفى حتى وفاته سنة ١٩٦٠ ، ترك عدة بحوث طبية نشرها في المجلات الاميركية .

كان طبيباً حاذقاً دمث الاخلاق وقد ذاعت شهرته ليس في طرابلس فحسب بل في حمص وحماه وجميع القرى المجاورة . وحين توفي أسف عليه جميع سكان طرابلس والمدن المجاورة من القطر الشقيق .

الشيخ عبد المجيد المغربي – توفي سنة ١٩٣٤ م .

من علماء طرابلس المشهورين ولد في أواسط القرن التاسع عشر وتعلم في طرابلس على الشيخ حسين الجسر وبرز في العلوم الفقهية والشرعية ومال للأدب ولقرض الشعر .

سافر للآستانة والتحق بحلقة الشيخ جمال الدين الافغاني واستمع لدروسه وتمكن من مقابلة ولي العهد . لكن آراءه الجريئة في الاصلاح الديني والسياسي خلال العهد الحميدي اكسبته البقاء فيالسجن بدون محاكمة خلال سنةمنالزمن.

انقطع للتدريس وحين جلا الاتراك عن لبنان وسوريا انتدب ليكون ممثلاً لطرابلس في المؤتمر السوري المنعقد في دمشق والقى عدداً من الخطب الرنانة

في المؤتمر كان لها الوقع الحسن .

ترك عدداً لا يستهان به من المؤلفات منها كتاب الكوكب في الطبيعيات وشرح نظرية لابلاس وبيان ما فيها من اخطاء ولهذا المؤلف قيمته العلمية بالنظر لما تضمن من آراء ومنها كتاب في علم الفرائض يدرس في معهد الحقوق ومنها الفرائد الجمالية في فقه الحنفية ومنها النضال في دعوى وضع اليد على العقار ومنها المنهاج في المعراج ومراة الاكوان عدا عن ديوان شعر . وما زال الطرابلسيون يذكرون المساجلة الشعرية التي جرت بينه وبين الأديب الشاعر عبد اللطيف سلطان حول السيف والقلم وكان يوقع قصائده بحرفي ع . م كما كان عبد اللطيف سلطان يوقع قصائده بحرفي ع.س وقد دخل في المساجلة شخصاً ثالثاً المحامي سليم غنطوس . اتقن الشيخ المغربي العربية والتركية والفارسية عدا عن الفرنسية والانكليزية .

اشترك في تأليف الكتلة الوطنية وشغل منصب أمانة الفتوى لسنين طويلة.

الشيخ محمود المغربي – توفي سنة ١٣٢٨ هـ .

والد الشيخ عبد المجيد المغربي الآنف الذكر ولد في طرابلس وتلقى فيها العلم وأدرك قسطاً وافراً منه وتولى عضوية محكمة الحقوق في طرابلس ثم شغل منصب امانة الفتوى .

الشيخ محمد الجسر – توفي سنة ١٩٣٦م .

نائب طرابلس في مجلس المبعوثان العثماني ثم رئيس مجلس الأعيان ثم النواب اللبناني ووزير الداخلية ثم التربية الوطنية . ولد في طرابلس وتعلم على والده الشيخ حسين الجسر وتقلب في عدة وظائف خلال العهد العثماني وحين استقلت البلاد وانفصلت عن الدولة العثمانية شغل منصب رئيس محكمة الجنايات ثم انتقل لمنصب الوزارة ومن بعده لعضوية ورئاسة الاعيان ثم

النواب كما مر آنفـاً . وحين انتهت مدة رئاسة الرئيس شارل دباس ، قرر النواب انتخابه لمنصب رئاسة الجمهورية الامر الذي لم يرض عنه المفوض السامي الفرنسي فحل المجلس والغي الدستور .

اعتزل السياسة اخيراً وتوفي سنة ١٩٣٦ م .

عبد القادر الحداد – توفي سنة ١٩٢٠م .

من علماء اسكلة طرابلس ولد وتعلم فيها واتقن العلوم اللسانية وانقطع لتعليم الناشئة وللخطابة في جـــامع غازي في الاسكلة . كان مرجعاً في الأمور الشرعية وترك عدة خطب منبرية .

جمال الملاح – توفي سنة ١٩٤٩ م :

اشتهر آل الملاح في طرابلس بالعلم والأدب ذكرهم الحنبلي في شذرات الذهب :

ولد صاحب الترجمـة في طرابلس عام ١٨٨٩ والتحق بدار المعلمين في بيروت وتخرج منها في عام ١٩٠٩ واتقن الفرنسية والعربية والتركية وبعض اللغات الآسيوية .

مال لقرض الشعر وترك ديواناً حافلاً بالقصـــائد الرنانة في شتى حقول ابواب الشعر فمن قوله في كارثة فلسطين حين اتى عليها العيد :

يا عيد عدت على الانام بمــــاذا ... أبم جرى ام منقذاً استاذا
هذي فلسطين اشتكت لك امرها ... ايكون وجهك ملجأ وعياذا
في كل يوم صيحـــة وجريمة ... بلغت من الصبر الجميل نفـــاذا
سيل من الغرباء سال بأرضنـــا ... كانوا هم الطـــرداء والشذاذا
سلبوا الامان من البلاد تعديـــاً ... متسللين الى البـــلاد لواذا

وديوانه يمتلىء بالعاطفة كان بودنا ان نأتي على بعض مقاطعه الشعرية لولا

ضيق المقام .

يوسف اسكندر نصر – توفي سنة ١٩٤٠ .

احد أصحاب جريدة الرقيب ولد في طرابلس وتعلم فيها ثم استقل بجريدة الرقيب وبقي يصدرها خلال سنين عديدة حتى وفاته .

عبد القادر باشا المنلا – توفي سنة ١٩١٢ .

من رجال طرابلس الافذاذ الذين اهتموا باقتصادياتها ولد في خلال النصف الثاني من القرن الماضي وتعلم في طرابلس وظهرت عليه آثار الذكاء منذ فتوته فلم يلبث ان عين عضواً في مجلس طرابلس البلدي الذي انشىء بعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٨٧٧ .

وبعد ان أوقف السلطان عبد الحميد مفعول الدستور ، ارسل مدحت باشا الملقب بابي الأحرار والياً على سوريا وجاء الى طرابلس ورغب باحداث اصلاحات جمة بها بالنظر لما شاهد في طرابلس من محاسن . كان المتصرف يترأس المجلس البلدي وكان مدحت باشا بوصفه الوالي على سوريا ، حين يأتي لطرابلس يحضر جلسات المجلس البلدي وكان من عادة الاعضاء ان يوافقوا بدون مراجعة على ما يقترحه المتصرف باعتبار أنه ممثل جلالة السلطان ولا مرد لما يريده السلطان وصادف ان تقدم المتصرف بمشروع وافق عليه الاعضاء بدون مراجعة بحضور مدحت باشا ، بخلاف عبد القادر المنلا الذي اعترض على المشروع المشار اليه ورفض الموافقة عليه .

وقد استلفت هذا الاعتراض نظر مدحت باشا واستدعى عبد القادر المنلا اليه وأنعم عليه برتبة البكوية ثم تداول واياه الحديث وأبدى له فكرة انشاء شركة تراموای بين البلدة والاسكلة وشركة شوسيه بين طرابلس وحمص وحماه.

استحسن عبدالقادر المنلا الفكرة وبهمة الشباب قام بعد اجتماع مع متمولي

طرابلس وأسس شركة تحت رعاية مدحت باشا وجمع رأس المـــال الكافي وجرى طلب الحافلات من انكلترا ومد الخط الحديدي بين البلدة والاسكلة وقد أتينا على ذكره في القسم التاريخي .

وهكذا جرى في تأسيس شركة الشوسيه فقد جمع رأس المال وقام ببناء عدة جسور بين طرابلس وحماه وحمص وقامت شركة الشوسيه بتسيير عرباتها يومياً بين طرابلس وحمص وحماه على ما ذكرناه آنفاً .

وقدأنعم عليه مدحت باشا بالنظر لما قام به من أعمال اقتصادية لمنفعة بلدته برتبة الباشوية مكافأة له وهكذا منحه السلطان عبد الحميد الرتبة المشار اليها.

وحين كان يتغيب المتصرف عن طرابلس ، كان عبد القادر باشا المنلا يقوم بالوكالة عنه بإدارة أمور البلدة الادارية .

توفي سنة ١٩١٢ بعد ان ترك آثاراً اقتصادية لا تمحى خلفــه على رئاسة شركة الترامواي شقيقه محمود بك المنلا ودامت الشركة المشار اليها الى سنة ١٩٣٣حين ابتاعتها شركة فرنسية والغيت حافلات شركة الترامواي المذكورة في سنة ١٩٣٣ .

المعلم الياس صدقة - توفي سنة ١٨٨٠م .

ولد في طرابلس سنة ١٨٤٣ م ودرس فيها وتعلم على المعلم نقولا منصور وثابر على المطالعة والدرس حتى حذق العربية وآدابهـــا عدا عن الانكليزية فاختاره المرسلون الأميركان لتعليم اللغة العربية في مدارس الذكور والاناث في طرابلس ثم نقلوه لبيروت فعلم في مدارسهم وكان قوي الحافظة جداً.

ثم ترك التعليم وسافر للولايات المتحدة الاميركية حيث توفي هناك .

له بعض الآثار وبعض المخطوطات الشعرية لكننا لم نقف على شيء منها

الدكتور يعقوب لبان – توفي سنة ١٩٦٨ .

أبو الفقراء ومواسيهم في أمراضهم ومداويهم من أوجاعهم ولد في أسكلة طرابلس وتعلم في مدارسها ثم رغب في تعلم مهنة الطب ، فالتحق في الجامعة الأميركية في بيروت وظهر نبوغه بين جميع اقرانه وكان الأول في صفه وأخيراً تمكن من الحصول على الشهادة النهائية التي تخوله ممارسة مهنة الطب بدرجة ممتازة جداً .

عاد لطرابلس سنة ١٩٠٣ وكانت وافدة الهواء الأصفر على اشدها وتقضي كل يوم على العشرات ، فلم يمنعه الخوف من العدوى بل راح يؤاسي المصابين ويداويهم حسب ما كانت تسمح به العقاقير لانه في ذلك الحين لم يكن بعد قد تم اكتشاف اللقاح ولا ميكروب المرض .

وبقي في أسكلة طرابلس يزاول مهنة الطب حتى الحرب العالمية الأولى فجندته الدولة مع من جندت من الاطباء ، وهكذا تمكن من مساعدة أبناء بلدته بكل ما لديه من وسائل فكان يمنحهم اجازات النقاهة ويواسي المرضى ويطببهم بما يجب .

وعاد بعد الحرب وواصل عمله الانساني ، وفي مهنته كان لا يجارى وكثير ما ظهر خطأ زملائه في تشخيص مرض ما وصح ما قرره هو . اذكر مرة ان ولدي اصيب بحمى فنقلته للمستشفى الاميركي فشخص الأطباء حمى التيفوئيد ولما ذهبت الى الدكتور لبان ، ورجوته بفحصه ، ذهب للمستشفى وأعاد الفحص وبين للأطباء خطاهم وان الطفل مصاب بنزلة صدرية ولا اثر للتيفوئيد. وقد شفي بناء على وصفات الدكتور لبان .

ومن مشاهداتي لأعماله الخيرية أنه عدا عن انه كان يطبب الفقير بالمجان، فقد كان يعطيهم الدواء ، كنت مرة في عيادته وكان لديه امرأة فقيرة ومعها ولدها ولما انتهى من فحصه وكتب له الوصفة قالت له : « يا دكتور ما معي

إلا سبعة فرنكات » فضحك الدكتور لبان رحمه الله وقال لها : « ابقيهم معك ، ثم عمد لخزانة الأدوية وقال لها مضيفاً : وهاك الدواء أعطيه لولدك ثم راجعيني ... »

وهكذا بقي ٦٥ عاماً ونيف وهو يطبب ابناء الميناء وفضله على جميع سكانها . وقد لبى داعي ربه الاثنين في ١٢ شباط من عام ١٩٦٨ فأغلقت مخازن الميناء أبوابها حزناً على فقده وفي الساعة الثالثة من يوم الثلاثاء ١٣ شباط مشى السكان جميعهم يحملون نعشه على الأكف الى كنيسة مار جرجس حيث احتفل في الصلاة عن نفسه ثم واصل الموكب المسير نحو المقبرة يحيط بالنعش اكثر من خمسة آلاف نسمة يتقدمهم رجال الدين والجمعيات الخيرية ونقابة الأطباء ونقابة الصيادلة وبقية النقابات المهنية وبعد ان ووري التراب أخذ الناس يعزون أنفسهم على فقد أبي الفقراء ومطببهم في مرضهم .

الشيخ عبد اللطيف نشابه – توفي سنة ١٩٣٠ م :

من علماء طرابلس في اوائل القرن الحالي ، ولد في طرابلس وتعلم فيها ثم التحق بالجامع الأزهر حيث أتم علومه ورجع لطرابلس وانقطع للتدريس والوعظ والارشاد .

ترك ديواناً من الشعر ما يزال مخطوطاً كما ترك عدة مؤلفات فقهية .

الشيخ محمود نشابه – توفي سنة ١٣٠٨ هـ

من علماء طرابلس المشهورين ولد في طرابلس وتعلم في الجامع الأزهر ثم عاد لطرابلس وانقطع للتدريس والوعظ والارشاد .

ترك عدة مؤلفات منها حاشية على شرح ايزاغوجي في المنطق وشرح البيكوجية في مصطلح الحديث وشرح الاسئلة النحوية التي تبادلها مع الشيخ عبد الغني الرافعي .

من تلامذتـــه الشيخ محمد الحسيني والشيخ محمود منقاره والشيخ محيي الدين الخطيب .

الشيخ محيي الدين الخطيب – توفي سنة ١٩٥٥ م :

من علماء طرابلس المشهورين ولد في طرابلس وتعلم في الجامع الأزهر ثم عـــاد لبلدته وانقطع للتدريس في المدرسة العلمية التي كانت انشأتها مديرية الأوقاف وعهدت بمديريتها الى الأديب الشاعر السيد سعدالله سلطان .

ترك مخطوطاً في علم الأصول وعدة شروح وتعاليق دينية .

الشيخ عبد القادر شارقية – توفي سنة ١٩٥٧ :

من علماء طرابلس اشتهر بمدرسته في حي التربيعة وبخطه الجميل على مختلف النماذج . لم يترك مؤلفات .

الشيخ سعيد كرامي – توفي سنة ١٩٣٠ :

من علمـــاء طرابلس ، درس في الجامع الأزهر وعاد لطرابلس وانقطع للتدريس . كان قوي الحجة متضلعـاً بسائر العلوم الشرعية والمنطق عدا عن سائر فروع الادب .

الشيخ عبد الرحمن المغربي – توفي سنة ١١٩١ هـ :

هو عبد الرحمن بن عبد القادر بن عبدالله بن احمد التونسي المغربي من آل درغوث في تونس وهي محرفة طورغود وهو اسم جدهم الأصلي طورغود باشا امير البحر التركي المتوفى عام ٩٧٢ هـ .

ولد المترجم له في بيت علم وقضاء وتعلم في طرابلس وتولى منصب الافتاء في اللاذقية وفي طرابلس .

ذكره المرادي في سلك الدرر .

الشيخ مصطفى المغربي – توفي سنة ١٣٠٤ ﻫ :

من علماء طرابلس وتعلم على يد الشيخ العريف والشيخ عرابي وكان من رفاقه الشيخ ابراهيم الاحدب ثم تلقى العلوم الفقهية على يد الشيخ رشيد الميقاتي والشيخ يوسف الاسير . وفي سنة ١٢٦٨ ﻫ ذهب الى القاهرة والتحق بالجامع الازهر واتقن سائر العلوم الفقهية واللسانية واجازه اساتذته . وعاد لطرابلس لكن والده توفي بعد مدة قليلة فسافر الى دمشق وتولى منصب القضاء الشرعي في محلة الميدان في دمشق وأخذ بالتأليف في العلوم الشرعية التي اتقنها وأقام في دمشق نحو ثماني سنوات .

ثم اقتضت الظروف ان يعود لطرابلس فعاد اليها وتعين عضواً في مجلس ادارة طرابلس لكنه بعد ان اتم مدة عضويته انقطع للعبادة خصوصاً بالنظر لانه كان لا يوافق على قرارات مجلس الادارة مما أدى لخلافات بينه وبين المتصرف ابراهيم باشا .

ترك عدة مؤلفات في القضايا الشرعية .

يوسف بك كرم – توفي سنة ١٨٨٩ .

لعب يوسف بك كرم دوراً هاماً في السياسة اللبنانية ، وان كان دوره بسيطاً بالنسبة لطرابلس لكننا آثرنا ترجمته مع علماء وأدباء طرابلس بالنظر لمكانته بين ابناء الشمال معتمدين على كتاب الاستاذ سمعان الخازن الذي أمدنا بالمعلومات القيمة عن يوسف بك كرم المشار اليه ونقدم له جزيل الشكر .

ولد يوسف بك كرم في قرية اهدن في أواسط شهر أيار عام ١٨٢٣ ووالده الشيخ بطرس كرم من زعماء شمال لبنان وانتسب لمدرسة البلدة ثم رغب والده في تثقيفه وتعليمه مما لا تتسع له دروس المدرسة المذكورة ،

لذلك استقدم له استاذاً لفنه الفرنسية وآخراً تعلم عليه الايطالية عـدا عن اتقانه للعربية على يد الخوري اسطفان يزبك. وقد تعلم أيضاً الفروسية وفنونها والعاب السيف وركوب الخيل .

وبعد وفاة والده حل مكانه في الزعامة وحين حدثت خلافات بين سكان بعض قرى لبنان، انتدب لكي يكون واسطة صلح بين الاهالي وبين البطريرك ولما لم ينجح في المهمة التجأ الى قنصلية فرنسا .

وحين نشبت حوادث عام ١٨٦٠ لعب يوسف بك كرم دوراً هامـاً في هذه الحوادث ، وكان من نتيجتها ان أرسلت فرنسا عشرة آلاف جنـدي فرنسي تحت قيادة الجنرال بوغور لتهدئة الخواطر وتقرر تعيين يوسف بك كرم قائمقاماً على لبنان وصدر الفرمان القاضي بذلك في ١٧ تشرين الثـاني سنة ١٨٦١ .

وفيمابعد انشىء نظام جديد للبنان وتعين داود باشا متصرفاً عليه فوقعت خلافـــات بينه وبين المتصرف الجديد ، قدم يوسف بك كرم استقالته من القائمقامية وعاد الى اهدن .

وحدثت فيما بعد بعض اضطرابات اتهمه داود باشا المتصرف بأنه السبب المباشر لهذه الاضطرابات ومنعاً لكل سبب أخذه معه فؤاد باشا الوزير التركي الذي جاء من الآستانة لحل الخلافات بين الدروز والموارنة ، قلنا اخذه معه الى الآستانة على ظهر سفينة تركية حيث بقي مدةثم غادرها الى القطر المصري حيث بقي مدة ايضاً ، ثم رحل الى أزمير ثم غادرها قاصداً لبنان على ظهر باخرة اقلته الى اسكلة طرابلس حيث وصلها في ١٢ تشرين الثـاني من سنة ١٨٦٤ ومنها انتقل الى زغرتا .

لكن القلاقل تواصلت وعمل داود باشا كل ما في وسعه على ابعاد يوسف بك كرم عن لبنان ونزولاً عند رغبـة قنصل فرنسا غادر يوسف بك كرم

بيروت على ظهر دارعة فرنسية أقلته الى ثغر الجزائر ثم غادرها الى فرنسا ومنها الى بلجكا ثم الى ايطاليا وبقي متنقلاً بين هذه البلاد حتى عام ١٨٨٩ حين انتقل الى نابولي من أعمال ايطاليا فأصيب بنزلة صدرية شديدة قضى على اثرها في السابع من نيسان سنة ١٨٨٩ .

وقد نقلت رفاته فيمابعد الىقرية اهدن حيث أودعت في كنيستهاالكبرى واقيم له في سنة ١٩٣٢ تمثالاً نصب في ساحة الكنيسة المشار اليها .

السيد محمد الطرابلسي – توفي سنة ١١٧٧ هـ .

الفقيه والعالم والمضطلع في الامور الشرعية لكنه كان يأتي بفتاوى مغايرة لما يفتي به بقية العلماء مما أثار عليه المعارضة . وجهت اليه وظيفة الافتاء في طرابلس فبقي فيها مدة يسيرة ثم عزل عنها لافكاره وكثرة طيشه فطلب وظيفة منصب نيابة الشرع فكانت سبباً لاحراق داره . اقلع فيما بعد عن افكاره الى ان مات في سنة ١١٧٧ هـ .

الف كتاباً في اسماء الصحابة .

محمد الحنفي – توفي سنة ١١١١ هـ .

من علماء طرابلس ترك من التآليف حاشية على تفسير البيضاوي وحاشية على كتاب الخيالي وغير ذلك من الآثار الادبية .

يوسف رئيس الاطباء – توفي سنة ١١١٥ هـ .

طرابلسي الاصل عاش في دمشق وكان ماهراً في علم الطب حتى ترأس على اطباء دمشق وكان يلقب بابقراط زمانه ، ماهراً في وصف العلاجات النافعة . لم نعثر له على آثار مكتوبة .

عبدالله الطرابلسي المعروف بالافيوني – توفي سنة ١١٥٤ هـ .

الاديب والشاعر ترجم له المرادي في سلك الدرر في ست صفحات كاملة

وذكر الكثير من شعره . ولد في طرابلس وتلقى علومه في الازهر ثم قدم لدمشق ثم ارتحل لحلب حيث اقام مدة ثم رجع لدمشق . ترك شرحاً على البردة ورحلة الى مصر وديوان شعر حافل من شعره قوله :

بجمالك الباهي المهيب وبقدك الغصن الرطيب
وبدر مبسمك الشهي وصارم اللحظ الغضوب

ومن قوله في مطلع قصيدة :

اما وشهد رضاب زانه الضرب وطلعة من سناها الشمس تحتجب

عبداللطيف الشافعي العشاري – توفي سنة ١١٨٥ هـ .

من علماء طرابلس كان عالماً في سائر العلوم الشرعية مواظباً على الصلوات لم تعهد له خصلة ذميمة. عارض بعض اهل الجذب فاذوه بجرح توفي على اثره.

علي الاسكندري – توفي سنة ١١٦٩ هـ .

من علماء طرابلس في فني المنثور والمنظوم لم يعهد له لحن البتة . اديب وفقيه لكنه كان يلزم داره . ولم نعثر له على آثار مكتوبة .

سعيد السعسعاني – توفي سنة ١١٨٣ هـ .

اديب وعالم وشاعر تولى قضاء طرابلس خلال عدة سنين ، وبعدها انتقل الى قضاء دمشق . ترجم له المحبي في سلك الدرر بأكثر من عشر صفحات وذكر الكثير من شعره .

عبدالرحمن المغربي – توفي سنة ١١٩٢ هـ .

عبدالرحمن بن عبدالقادر المغربي الحنفي الطرابلسي شغل وظيفة الافتاء في

طرابلس واللاذقية نحو خمس واربعين سنة متوالية . سافر الى دار الخلافـة / ١٧ / مرة وحصل على نظارة المارستان في طرابلس . اخوه الشيخ عبدالله المغربي كان ايضاً من افاضل علماء طرابلس .

توفي الشيخ عبدالرحمن سنة ١١٩٢ ولم نعثر له على آثار مكتوبة .

...

سليم خير – توفي سنة ١٩٢٠ .

نابغة طب الاسنان في طرابلس خلال القرن الماضي . اصله من قرية دوما في لبنان الشمالي، ولد في القرية المذكورة وكان والده من كبار الملاك في دوما . تعلم في مدرسة القرية لكن نبوغه ومطامحه كانت اكبر من البقاء في دوما لذلك انتقل لطرابلس واخذ ينتقل من صنعة لاخرى فاتقن عدداً كبيراً منها واخيراً استقر على صنعة الساعاتي ففتح حـانوتاً في طرابلس لاصلاح الساعات وقصدة الطرابلسيون لاصلاح ساعاتهم بالنظر لخبرته التامة في هذه الصنعة .

لكن هذه المهنة لم تكن كافية لمطامحه كما قلنا اعلاه ، وهكذا هاجر الى مدينة بور سعيد ، وكانت مدينة بكراً بعد فتح قناة السويس وهنـاك استهوته مهنة طبـابة الاسنان ، فتتلمذ على احد اطباء الاسنان في بورسعيد وبسرعة اتقن هذه المهنة كل الاتقان منقلع الاسنان وتلبيسها بالذهب ثم صنعة الاسنان المستعارة . ولما ايقن إتقانه لهذه المهنة عاد الى طرابلس واتخذ عيادة في طلعة قهوة التل العليا واشتهر بحذقه ومعرفتـه وقصده الطرابلسيون وابناء القرى المجاورة وهكذا جمع من طب الاسنان ثروة لا يستهان بها .

توفي في سنة ١٩٢٠ في نحو الستين من عمره وعدا عن الثروة التي تركها خلفه في مهنته ثلاثة من ابنائه منهم الطبيب حبيب خير والطبيب اسكندر خـير .

الباب الخامس عشر

مكتبات طرابلس

من المؤسف والمؤسف جداً ان نقول انه لا يوجد في طرابلس مكتبات عامة تنطبق عليها معاني اللفظة سوى مكتبتي بلديتي طرابلس والميناء وكلتاهما حديثة العهد انشئت الأولى سنة ١٩٦٤ والثانية سنة ١٩٦٦ .

والمكتبتان لا تحتويان إلا على التآليف الحديثة ومكتبة بلدية طرابلس تحتوي على ما قدمه لها كل من السيد عدره من مكتبته القديمة وعلى ما قدمه أولاد المرحوم الشيخ خالد العمادي من مكتبة والدهم لكن كتب مكتبة عدره ومكتبة العمادي بحالة رثة وجميعها تحتاج لاعادة تجليدها تجليداً حسناً خصوصاً ان بين كتب مكتبة العمادي عدداً من المؤلفات الدينية النادرة الوجود[١] .

مكتبة بني عمار :

سبق ان اتينا على ذكر مكتبة بني عمار في خلال حكمهم لطرابلس وعلى الاغلب ان هذه المكتبة تأسست فيما بين عامي ٥٤٢ هـ و ٥٠٢ وقد جمع فيها بنو عمار الكثير من المؤلفات من قديمة وجديدة عدا عن عدد كبير من المصاحف ومن كتب التفسير والحديث .

ونعتقد ان هذه المكتبة قامت على آثار مكتبة قديمة كانت موجودة في طرابلس فقد ورد ان ابا العلاء المعري جاء لطرابلس وطلب العلم فيها ولا بد ان سبب مجيئه انما كان للاطلاع على ما في مكتبتها من مؤلفات . وقد اباد الصليبيون هذه المكتبة حين احتلالهم لطرابلس .

---

(١) جرى تجليد الكتب المشار اليها مؤخراً .

في العهد الصليبي :

لم نعثر على ذكر مكتبة عامة اثنـــاء احتلال الصليبيين لطرابلس لكن المماليك بعد ان بنوا طرابلس الجديدة خصصوا كل جامع من جوامعها بمكتبة.

مكتبة مدرسة الديا :

كانت هذه المكتبة في مدرسة الديا وكان فيها عدد كبير من المصاحف والتفاسير وقد تناولت يد الضياع والسرقة كتب هذه المكتبة ولم يبق فيهـا ما يستحق الذكر .

مكتبة الجامع الكبير المنصوري :

تقع هذه المكتبة في الطرف الغربي من صحن الجامع انشئت منذ عشرات السنين بمعرفة القاضي الشيخ امين عز الدين وتحتوي على عدد كبير من المؤلفات الدينية والتفاسير وكتب اللغة والفقه وعلى نسخة من دائرة المعارف القديمـة للمعلم بطرس البستاني اهداها اياهـا السيد خير الدين عبد الوهاب الهندي . وليس فيها من المخطوطات من يستحق الذكر . وأهم كتاب كان فيها كتاب الام للامام الشافعي الذي طبعه على نفقته احمد بك الحسيني العالم والمحامي المصري القاهري . وبعد وفـاة القيم الشيخ خالد العمادي قلما تجد ابوابها مفتوحـــة .

مكتبة السيد عدره :

انشأ هذه المكتبة السيد عبدالله عدره بمعونة الاستاذ عبد الرحمن غنوم لطلاب المدارس وقد احتوت على عدد كبير من الكتب القديمـة والحديثة ثم تنازل السيد عدره عن هذه المكتبة لمكتبة البلدية العامة . وكتبها من قديمة وحديثة كما قلنا آنفاً بحاجة الى حبك جديد ..

مكتبة بلدية طرابلس العامة :

بقيت طرابلس خلال سنين عديدة بحاجة الى مكتبة عامة لتزويد الطلاب والادباء بما يرغبون بمطالعته من كتب . وقد بحثت هذه الفكرة خلال تولي المرحوم السيد سميح العكاري محافظة طرابلس ثم نامت الفكرة خـــلال سنين عديدة .

وفي عام ١٩٦٤ عاد المشروع لحيز الوجود فأنشأت بلدية طرابلس مكتبة عامة وعينت ثلاثة موظفين لادارتها وابتاعت بضعة آلاف من مختلف الكتب من عربية وافرنسية وانكليزية والنية منصرفة لزيادة عدد هذه الكتب . وقد ضمت اليها كتب مكتبة آل عدره كما تبرع اولاد المرحوم الشيخ خالد العمادي بجميع كتب مكتبة والدهم للمكتبة المشار اليها .

ويزداد عدد رواد هذه المكتبة يوماً بعديوم بالنظر لانها المكتبة الوحيدة في طرابلس .

مكتبة الاميركان :

قبـــل الحرب العالمية الأولى انشأ الاميركان في طرابلس غرفة عمومية للمطالعة ضموا اليها عدداً من صحف بيروت ودامت هذه المكتبة عدة سنين ثم اغلقوها في المدة الواقعة بين الحربين .

مكتبة النقطة الرابعة الاميركية :

في اوائل الحرب العالمية الثانية انشأت النقطة الرابعة الاميركية مكتبة عامـــة للمطالعة وكانت تعير كتبها للمطالعين لكن في حوادث سنة ١٩٥٨ اغارت الغوغاء على هذه المكتبة وفقدت كتبها وبالتالي الغيت .

مكتبة بلدية الاسكلة :

تهتم بلدية الاسكلة بانشاء مكتبة عامة للمطالعة وقد ابتاعت لها كميات

كبيرة من الكتب تربو على الألفي كتـــاب وسيجري الاحتفال بتدشينها في مطلع عام ١٩٦٨ [١] .

المكتبات الخاصة

مكتبة الشيخ عبد الفتاح الزعبي :

جمع الشيخ عبد الفتاح الزعبي نقيب الاشراف وخطيب الجامع الكبير المنصوري مكتبـــة خاصة تحتوي على الكثير من التفاسير وكتب الحديث والكتب الدينية والتفاسير وقيل لي ان اكثرها باق بعد وفاته لكنها بصورة خاصة ولا يستفيد منها أحد سوى اولاده واحفاده .

مكتبة الشيخ خالد العمادي :

جمع الشيخ خالد العمادي في حياته مكتبة قيمة احتوت على تفسير الخازن وشرح القسطلاني على البخـــاري والترغيب والترهيب وعدد كبير من كتب الحديث والفقه وقليل من الكتب الادبية . وبعد وفاته وهب اولاده جميع مكتبـة والدهم لمكتبة طرابلس العامة التي افردت لها جناحاً خاصاً وقامت بتجديد تجليدهـــا ، وقد شكرت البلدية أولاده على هذه الاريحية التي تخلد ذكرى والدهم تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنانه .

مكتبة جرجي يني :

جمع العالم والمؤرخ والصحافي المرحوم جرجي يني صاحب المباحث مكتبة قيمة جداً احتوت على مختلف التواريخ كتاريخ ابن خلدون وتاريخ ابن الاثير وتاريخ ابن الشحنة وتاريخ بيروت وتاريخ حلب وطبقــات الاطباء ووفيات الاعيان وفوات الوفيات وكثير منالكتب النادرة التي جرى طبعها في مطبعة

---

(١) دشنت هذه المكتبة وفتحت ابوابها للمطالعين .

بولاق ولم يجر اعادة طبعها . لكن جميع هــذه الكتب النادرة تناولتها يد الضياع والسرقة بعد وفاته وقيل لي ان خادمته كانت تسرق من هذه الكتب وتبيعها لباعة الكتب القديمة بأبخس الأثمان . واخيراً باع ورثته ما تبقى من هذه الكتب الى صاحب مكتبة عامة في حمص .

مكتبة حكمت شريف :

كان حكمت شريف صاحب جريدة الرغائب له هوس كبير في جمـع الكتب فأسس مكتبة عامرة ابتاع لها كل ما صدر في زمانه من مطبوعات بيروت والقاهرة وحين انتقل الى اللاذقية أخذ مكتبته معه .

وبعد وفاتــه لم يعرف ورثته قيمة هذه الكتب فأعطوها جميعها لصاحب مكتبة في اللاذقية لبيع الكتب القديمة فباعها بأبخس الأثمان وهكذا تناولت يد الضياع هذه المكتبة الثمينة .

مكتبة الدكتور موسى الدوماني :

كان الدكتور موسى الدوماني شغوفاً بجمع الكتب وكان على ثقافة كاملة كما ورد في ترجمته . وقد تضمنت مكتبته عدداً من الكتب النادرة كدائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني والساق على الساق للشدياق وغيرها . وبعـد وفاته جرى بيع قسم كبير من هذه الكتب وسرق قسم كبير منها كما فقد القسم الآخر .

مكتبة خير الدين عبد الوهاب :

كان السيد عبد الوهاب ايضاً شغوفاً بجمع الكتب فابتاع من ورثة الدكتور موسى الدوماني دائرة المعارف وعدداً من بقية الكتب كما جمع بنفسه مكتبة عامرة لم تزل محفوظة لدى نجله السيد عبد الغني ومن بينها مقدمة الاليـاذة للشيخ سليمان البستاني .

مكتبة الشيخ رامز الملك :

الاستاذ ملك من افاضل علمـــاء طرابلس امد الله بعمره ولديه مكتبة عامرة تحتوي على عدد كبير من المؤلفـــات العلمية والفقهية ومختلف التفاسير وكتب الحديث عدا عن الكتب الادبية .

مكتبة عبد القادر الزين – في الأسكلة .

اتينا في القسم التاريخي الخاص بأدباء طرابلس على ترجمة عبد القادر الزين، وكان المشار اليه مولعاً بجمع الكتب ومطالعتها وبالنظر لصداقته مـع السيد سعد الله حلابه الحمصي الأصل والتاجر في ثغر الاسكندرية فقد تمكن بواسطته من ابتياع ما كانت تخرجه مطبعة بولاق من الكتب الأدبية وهكذا كان أول من حاز على كتاب الأغاني لابي الفرج الاصبهاني في طبعته الأولى. ومن الكتب التي ابتاعها أيضاً الطبعة الاولى من الشرح الكبير لمقامات الحريري للأديب الاندلسي « الشريشي » والطبعة الأولى من حيـاة الحيوان الكبرى للدميري وكتاب إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي وكتاب طبع مرة واحدة على الحجر وهو كتاب المرزبان نامه أو كتاب مرزبان وهو عبارة عن قصص تشبه كليلة ودمنة والف ليلة وليلة بامثلة على لسان الحيوانات ترجمه عن الفارسية ابن رعب شاه وكتاب فقه اللغة وكتاب درة الغواص للحريري وغيرهـــا من الكتب النادرة .

ومن المؤسف ان هذه المكتبة تناولتها يد الضياع بعد وفاته وباعتها زوجة ابنه الأمية بأبخس الاثمان ولم يبق منها شيء .

مكتبة الدكتور مخايل ماريا :

اخبرني نجله الصديق جورج ماريا ان والده كان ولوعـــاً بجمع الكتب الأدبية والطبية فجمع مكتبة لا يستهان بها احتوت على آخر مـا طبع في زمانه من المؤلفات الطبية في اللغة العربية كاجمع عدداً من الكتب والمخطوطات

النادرة طالعها بمجموعها ، لكنه قبيل وفاته بقليل باع هذه المكتبة النفيسة ولم يترك منها إلا القليل .

مكتبة الشيخ توفيق الصفدي – في الأسكلة :

أولع الشيخ توفيق الصفدي في علم الانساب على ما ورد في ترجمته وقد جمع مكتبة عامرة تحتدي على المؤلفات في علم الانساب وفي علم الزايرجه الذي أولع فيه أيضاً واحتوت هذه المكتبة على بعض المخطوطات . كان شغوفاً بالمطالعة لا يترك الكتاب يقع من يده. يأوي الى داره قبيل المغرب وينصرف لمطالعة ما لديه من مؤلفات .

ضاعت كل كتبه بعد وفاته .

مكتبة الشيخ عارف تاج الدين :

جمع الأستاذ تاج الدين مكتبة عامرة تحتوي على جميع الكتب التي تهتم بالقضايا الحقوقية الشرعية والفقه بلغ عددها المئات وفيها من الكتب النادرة كتاب الأم للامام الشافعي ولغيره من أصحاب المذاهب كما فيها كتب التفسير والحديث والفتاوى . وقد ضاع اكثر هذه الكتب بعد وفاته .

مكتبة الشيخ حسن الصفدي – في الأسكلة :

بوصفه قاضياً شرعياً ، جمع الشيخ حسن الصفدي مكتبة تحتوي على كتب الفقه والفتاوى الشرعية كان ينقلها معه حيث يعين لمنصب القضاء .

وقد استولى على هذه المكتبة ولده رياض ونقلها الى حمص حيث شغل وظيفة استاذ في المدارس الرسمية ولا نعلم مصير هذه المكتبة .

مكتبة الاستاذ واصف بارودي :

علىماسبق وحدثنابه الاستاذ بارودي قبلوفاته أن لديهمكتبة عامرة فيها

عدد كبير من مختلف المؤلفات التربوية والادبية ولا نعلم مصيرها بعد وفاته .

مكتبة الاستاذ محمود الادهمي :

الاستاذ محمود الادهمي ليس بالصحافي فحسب فهو الاديب الذي يهتم بالادب كل الاهتمام ولديه مكتبة عامرة تحتوي على العدد الكبير من المؤلفات من قديمة وحديثة منها نسخة من كتاب الاغاني طبعة الساسي بالفحامين بالقاهرة وهي النسخة التي طبعت مطابع بيروت عنها الطبعة البيروتية من كتاب الأغاني بعد ان ضبطت الأبيات بالشكل الكامل وفسرت الالفاظ الغضة منها .

ولهذه الطبعة حكاية على جانب من الطرافة . كان السيد عبد الحليم مراد قد ابتاع حين كان في القاهرة نسخة من الاغاني من طبعة الساسي وقد اعارني الجزء الأول منها فرددته اليه وقلت له ان هذا الكتاب ليس للاعارة بل للاقتناء . وبعد وفاته ابتعت من ولده مفيد اجزاء الاغاني ينقصها الثلاثة الاخيرة . ثم عرضتها على الصديق ابو خليل الزين صاحب دار الفكر في بيروت فقبل ان يطبعها بعد ان شرطت عليه ان يبيع الجزء بليرة واحدة . ولما وصل للاجزاء الاخيرة اكد علي بوجوب العثور عليها لاكمال الطبعة. وقد علمت بأن الاستاذ الادهمي يملك كامل اجزاء الاغاني ولما حدثته بالامر قبل - ويشكر على ذلك - ان يقدم الثلاثة اجزاء الاخيرة لطبعها واكمال السلسلة وهكذا تمكن صاحب دار الفكر من اكمال طبع كتاب الاغاني واخراجه كاملاً لعالم الادب .

مكتبة المؤلف :

ترك لي والدي عدداً من الكتب التي جمعها في حياته وقد شغفت منذ الصغر بشراء الكتب وهكذا تمكنت من جمع مكتبة عامرة هي الوحيدة من نوعها في الاسكلة ولدي عدد من الكتب النادرة كخزانة الادب لابن حجة الحموي ومجمع الامثال للاحدب ودرة الغواص للحريري وريحانة الالباء

للخفاجي وغيرهـــا من الكتب التي جرى طبعها في مطبعة بولاق ولم تطبع مرة ثانية .

مكتبة محمد اديب عرابي في الاسكلة :

كان محمد اديب عرابي اديباً بالسليقة وهكذا كان يوفر مبلغاً من المــال يخصصه لشراء الكتب ومطالعتها في أوقات فراغه .

وهكذا جمع مكتبة كبيرة كان يحرص عليها اشد الحرص ، احتوت على المؤلفات التي صدرت في زمانه كتاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ آداب اللغة العربيـــة والمستطرف وحياة الحيوان ومقامات الحريري وغيرهـا من الكتب النادرة .

وقد فقدت هذه المكتبة بعد وفاته وضاعت محتوياتها بين احفاده واولاده ولم يبق منها إلا السفينة التي جمعها في حياته على ما فصلناه في ترجمته .

مكتبة المعلم داود موسى في الاسكلة :

جمع المعلم داود موسى في حياته مكتبة عامرة تحتوي على ألف مجلد ونيف ومنها الطبعات الاولى لدائرة المعارف للبستاني وقطر المحيط ومحيط المحيط وطبقـــات الاطباء وحياة الحيوان ومقامات الحريري ومقامات الهمذاني واليازجي ومن كتب اللغة شرح الفية ابن مالك وشذرات الذهب وشذور الذهب وغيرها من الكتب النادرة .

ولم نتمكن من معرفة مصير هذه المكتبة وعلى الاغلب انه قد تناولتهـا يد الضياع بعد وفاة نجله مكاريوس الذي توفي بدون عقب .

مكتبة دير قزحيا – قرية قزحيا :

في دير قزحيا بالقرب من اهدن في لبنان الشمالي مكتبة عامرة تحتوي على

اكثر من ألفي مجلد من اهم الكتب القديمة في اللغـــات العربية والسريانية والكفرونية وهذه الكتب موضوعة في غرفة خاصة في دير قزحيـــا عرضة للحشرات ولا يستفيد منها سوى الاب علم القيم على هذه المكتبة . ويا ليت صاحب الغبطة ، بطريرك الطائفة المارونية، التابع له دير قزحيا ينظر في أمر هذه المكتبة وما تحتويه من الكتب النادرة يوافق على نقل هذه الكتب الى طرابلس وضمها الى مكتبة بلدية طرابلس وذلك خدمة للادب ولعدم ضياع هذه المؤلفات النادرة وتركها عرضة للتلف وللحشرات ، فيستفيد منهـــا الطلاب ، ويضيف مبرة اخرى الى مبراته .

مكتبة مدرسة الفرير في طرابلس :

انشأت مدرسة الفرير في طرابلس قبل الحرب العالمية الاولى مكتبة عامرة وضعتهـا تحت تصرف الطلاب اكثرها بالفرنسية . وقد تناولت يد الضياع اكثر كتب هذه المكتبة خلال الحرب فما سلم منها الا القليل . وبعد الحرب استعاد الفرير مدرستهم واهتموا باعادة تنظيم هذه المكتبة وتزويدها بالكتب من قديمة وحديثة . والمكتبة الآن تعد من اهم المكتبات الخصوصية وتحتوي على آلاف الكتب اكثرها بالفرنسية وجميعها موضوعة تحت تصرف الطلاب للمطالعـــة .

مكتبة المدرسة الثانوية الرسمية للصبيان :

في المدرسة الثانوية الرسمية للصبيان في طرابلس مكتبـــة تحتوي على عدد من المؤلفات الأدبية والعلمية اكثرها في اللغة العربية جمعت بهمة مدير المدرسة الاستاذ الدكتور حسن الحجة وقدجرى وضعها تحت تصرف الطلاب للمطالعة.

مكتبة كلية دار التربية والتعليم :

لدى الكلية المشار اليها مكتبة تحتوي على عدد كبير من مختلف المؤلفات الأدبية والعلميـــة جمعت بمعرفة إدارة المدرسة وجميع كتبها موضوعة تحت

تصرف الطلاب للمطالعة .

مكتبة الشيخ عبد الكريم عويضة :

جمع الشيخ عبد الكريم عويضة في حياته مكتبة عامرة وشغف في الحصول على الكتب النادرة خصوصاً حين كان منتسباً للجامع الأزهر فقد ابتاع كل ما صدر في ذلك الحين من مؤلفات فقهية وأدبية ودواوين شعرية وقد أتيح لي الاصلاع على هذه المكتبة ووجدت فيها الكثير من المؤلفات القيمة. ولا أدري بما صارت اليه هذه المكتبة القيمة بعد وفاته .

مكتبة الشيخ عاصم رضا :

لدى الشيخ عاصم رضا في قرية القلمون القريبة من طرابلس مكتبة قيمة تحتوي على جميع اعداد مجلة المنار للشيخ رشيد رضا وعلى الكثير من مختلف المؤلفات من فقهية وأدبية جمعها الشيخ عاصم وفيها من الكتب النادرة التي جرى طبعها مرة واحدة ولم يعد طبعها كما فيها عدد من التفاسير المختلفة والدواوين الشعرية .

مكتبة الشيخ عبد الحميد الحامدي :

مكتبة الشيخ عبد الحميد الحامدي مكتبة خاصة تحتوي على التآليف الفقهية والأدبية ولديه عدد من مطبوعات بولاق عدا عن مختلف الكتب الفقهية والشعرية والشيخ الحامدي مشهور بأنه واسع الاطلاع في جميع الفنون الأدبية .

مكتبة الشيخ محمد كامل البابا :

الشيخ محمد كامل البابا يميل للقضايا التاريخية لذلك فقد جمع مكتبة قيمة في الناحية التاريخية تحتوي على كل ما له صلة بالتاريخ القديم والحديث كما

تحتوي على المؤلفات الفقهية والتفاسير المختلفة

مكتبة ممدوح النملي :

الصديق ممدوح النملي شغوف في ابتياع الكتب وقد جمع مكتبة قيمة جداً ولكن اكثر كتبه في اللغة الفرنسية التي يتقنها كأحد ابنائها ولديه من الكتب ما لا يوجد في طرابلس عند احد غيره .

مكتبة محمد الخراط :

الاستاذ محمد الخراط صاحب جريدة الامان يملك مكتبة عامرة هي الأولى من نوعها في طرابلس وتحتوي على نحو الفي مجلد في سائر انواع الثقافة كما تحتوي على عدد من المؤلفات الافرنجية .

مكتبات ابرشيات طرابلس

مكتبة الابرشية المارونية :

هذه المكتبة قديمة جداً أسسها المطارنة عهد مرور الزمن وقد زاد عليها الكثير من المؤلفات الدينية والادبية كل من البطريرك عويضة حين كان مطراناً على أبرشية طرابلس والمطران انطون عبد المطران الحالي .
لكنها لا تتضمن إلا الكتب والمباحث الدينية على ما قلنا اعلاه وفيها عدد لا يستهان به من المؤلفات الافرنجية .

مكتبة الابرشية الارثوذكسية :

وأيضاً لدى الابرشية الارثوذكسية مكتبة عامرة تتضمن الكتب التاريخية والدينية وقد زودها البطريرك الكسندروس بالكثير من المؤلفات وهي تحت تصرف سيادة المطران والاكليروس الارثوذكسي للمراجعة .

مكتبة الابرشية الكاثوليكية للروم :

مكتبة أبرشية الروم الكاثوليك تتضمن عدداً لا يستهان به من المؤلفات الدينية القديمة والحديثة والمطران فرح ، المطران الحالي على الابرشية على ثقافة واسعة ويزود المكتبة من آن لآخر بما يراه لازماً من مختلف المؤلفات .

مكتبة مدرسة مار الياس في الأسكلة :

هذه المكتبة حديثة انشأها الاستاذ مكاريوس موسى حين كان رئيساً للمدرسة وما تزال وقد زيد عليها مؤخراً بعض التآليف وهي تحت تصرف طلاب المدرسة .

مكتبة الاستاذ الخازن :

الاستاذ الخازن من رجال الرعيل الأول ومن ايمة القانون ، امد الله بعمره ، فعدا انه من المتشرعين ، فقد مال الى التاريخ وكتب تاريخ اهدن وتاريخ يوسف كرم ولديه مكتبة عامرة تحتوي على قسم كبير من المؤلفات النادرة منها تاريخ الامير حيدر الشهابي وغيرها مما يندر وجوده .

وقد وضع مكتبته المشار اليها تحت تصرفنا للاعتماد على ما بها من الكتب التي لا توجد الا في مكتبته وله منا الشكر .

مكتبة الاستاذ منيف رستم :

الاستاذ منيف رستم من رجال الصحافة والادب ولديه مكتبة ، وان تكن حديثة العهد ، فهي تحتوي على عدد كبير من المؤلفات المهمة .

مكتبة الاب جوهر :

الاب جوهر بالرغم من انه من رجال الدين، فهو اديب بالسليقة وشغوف

بالصحافة وله المقالات الرنانة في الصحيفة التي يديرها . ولديه مكتبة عامرة تحتوي على عدد لا يستهان به من المؤلفات من قديمة وحديثة .

مكتبة الاستاذ سابا زريق :

الاستاذ سابا زريق – شاعر الفيحـــاء ، لديه مكتبة من اهم مكتبات طرابلس تحتوي على عدد كبير من الدواوين الشعرية من قديمة وحديثة ولا غرابة في ذلك فهو ليس بشاعر الفيحاء فحسب بل شاعر لبنان .

مكتبة صاحب الفضيلة الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس :

صاحب السماحة والفضيلة الشيخ نديم الجسر ، مفتي طرابلس ، ليس هو بالعالم الديني فحسب ، بل هو ايضاً الأديب والشاعر والمتشرع ، وقبل أن يتولى مركز الافتـاء في طرابلس شغل عضوية محكمة بداية طرابلس ثم كان قائمقاماً لعكار ثم القاضي الشرعي في طرابلس خلال سنين عديدة وأخيراً تولى منصب الافتاء .

ولدى صاحب السماحة والفضيلة مكتبة عامرة تحتوي على مؤلفات قيمة في سائر الفروع الادبية والقانونية وتعد في طليعة مكتبات طرابلس الخاصة ولصاحب السماحة والفضيلة عدة مؤلفات آخرها مؤلفه ، قصة الايمان ، الذي سد فراغـاً كبيراً في عالم التأليف الديني العصري ، ولاقى ويلاقي بين القراء الاقبـــال المنقطع النظير ، وأعيد طبعه مرات ، وما ذلك إلا نتيجة علمه الواسع واطلاعه على شتى العلوم من عصرية وخلافهــا ان كان في العربية أو في غيرها .

مكتبة الاستاذ عدنان الجسر :

الاستاذ عدنان الجسر من اشهر المحامين في طرابلس ونقيب سابق للمحامين

ولديه مكتبة حقوقية قلمـــا يوجد لها نظير حتى في العاصمة ، وتحتوي على سائر الاجتهادات في التشريع الحقوقي والشرعي والجنائي من عربية وافرنجية.

مكتبة الاستاذ محمد علي عكاري :

الاستاذ محمد علي عكاري، مدير أوقاف طرابلس ، اديب وكاتب وخطيب وواسع الاطـــلاع ولديه مكتبة عامرة تتضمن مئات الكتب المختلفة من عربية وافرنجية في شتى أنواع العلوم والفنون .

مكتبة الاستاذ محمد علي العجم :

الاستاذ محمد علي العجم اديب ، يتذوق الادب الرفيع ، ولديه مكتبة تحتوي الكثير من الكتب الادبية ، ووالده قبله كان شغوفاً بكتب الأدب وهو في البلدة أول من اقتنى كتاب الأغاني في طبعته الأولى ابتاعها من ورثة بني الزين في الاسكلة . والاستاذ محمد علي شغوف بالمطالعة ، وواسع الاطلاع في شتى العلوم والفنون .

مكتبة الآباء الكرمليين :

مكتبة الآباء الكرمليين هي الوحيدة في طرابلس التي تحتوي على مؤلفات في العربية واللاتينيـــة والافرنسية ، وجميعها موضوعة تحت تصرف طلاب مدرستهم في البلدة .

مكتبة مدرسة الاميركان في القبة :

من اقدم مكتبات طرابلس اسسها الدكتور بوسط الشهير ، والدكتور نلسن حين كان مديراً للمدرسة وتحتوي عدداً كبيراً من سائر المؤلفـــات ، وعدة طبعات من دائرة المعارف البريطانية .

مكتبة مدرسة الراهبات :

لدى مدرسة الراهبات للبنات في البلدة مكتبة تحتوي على الكثير من المؤلفات العربية والفرنسية موضوعة تحت تصرف الطالبات .

مكتبة الاستاذ محمد علم الدين :

الاستاذ محمد علم الدين ، خريج جامعات بلجيكا ، على ثقافة ممتازة وشغوف باقتناء الكتب ولديه مكتبة عامرة تحتوي فيما تحتويه على النسخة الحديثة من دائرة المعارف البريطانية عدا عن مختلف المؤلفات .

مكتبة الاستاذ عامر هاجر :

الاستاذ عامر هاجر ، عدا عن انه المهندس البارع ، فهو اديب وواسع الاطلاع بكل ما في الكلمة من معنى وشغوف باقتناء الكتب الادبية ومطالعتها ولديه مكتبة عامرة تحتوي على مختلف المؤلفات في جميع فنون الادب .

مكتبة الاستاذ رأفت المقدم :

الاستاذ رأفت المقدم الكاتب العدل في طرابلس ، خريج جامعات سويسرا وباريس ، فعدا عن أنه يحمل الشهادات المقرة بتبحره في الحقوق والسياسة ، فهو اديب يتذوق الادب والشعر ولديه مكتبة عامرة تحتوي على مختلف المؤلفات ان كان في الحقوق المدنية والسياسية أو في الادب والشعر .

مكتبة الاستاذ فؤاد اشراقية :

من مكتبات طرابلس الخاصة ، ولدى الاستاذ اشراقية طائفة لا بأس بها من مختلف المؤلفات الشرعية بحكم وظيفته في المحكمة الشرعية وفي مساجد طرابلس إذ يتولى الخطابة فيها كما لديه ايضاً طائفة من مختلف كتب الادب بما

فيها كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني .

مكتبة الأستاذ مارون خوري :

الاستاذ مارون خوري شاب على ثقافة عالية يتولى التدريس في مدرسة مار الياس ، له عدة تآليف ولديه مكتبة عامرة تحتوي على مختلف المؤلفات العربية والفرنسية وله هوس ايضاً باقتناء المؤلفات الحديثة ، وتعد مكتبته في طليعة مكتبات الاسكلة الخاصة .

فلسفة تاريخ طرابلس وخاتمته

واخيراً انتهينا من كتابة هذا السفر الطويل مبينين ما مر على طرابلس من المراحل في خلال جميع عهودها . فطرابلس انشأها الفينيقيون لتكون مجتمعاً لهم وبالتالي لتجمع بينهم وقد ازدهرت طرابلس خلال العهد الفينيقي اتباعاً لسنة النشوء والارتقاء وبحسب تقدم تجارة وصناعة الفينيقيين . لكن هـــذا العهد انطفأ بعد ان استولى الاسكندر على هذه البقعة من الشواطىء اللبنانية وانزوت طرابلس في خلال العهد الروماني ولا نجد لها ذكراً إلا حين انتشرت الديانة المسيحية .

وفي العهد العربي الأول بقيت طرابلس ميناء لبنان لبناء السفن وتوالى هـــذا العهد عليها ، فلا نجد لها مركزاً يذكر إلا خلال سنين محدودة حين استقلت خلال الحكم العماري حين استقل بنو عمار بطرابلس .

واتى الحكم الصليبي فعادت طرابلس وانزوت وكثرت فيها الخلافات ثم جاء المماليك فهدموها باجمعها وبنوها على بعد ميلين واصبحت مدينة ثانوية . وتلا العهد العثماني العهد المملوكي وحكم طرابلس عدد كبير من الولاة كما فصلناه في الفصول السابقة وكان هذا العهد عهد انزواء وظلم ثم عرفت العهد المصري خلال عشر سنوات تقريباً ثم عادت للحكم العثماني ولم تعرف طرابلس الازدهار

في هـــذا العهد إلا ما بين سنتي ١٩١٢ و ١٩١٤ حين اتصل الخط الحديدي بالداخـــل لكن هذا العهد انكفأ بسرعة وعادت طرابلس بعد الحرب الى الانزواء في خلال الانتداب .

وهي الآن في مدينة ثانوية بالنسبة لبيروت العاصمة التي استولت على كافة موارد التجارة ولم يعد ثمة من تاجر في طرابلس بمد تحدده الكلمة من معنى .

ولا شك ان قارىء تاريخ هـــذا يرى جهودي في البحث والتدقيق فقد قضيت السنين الطوال باحثاً كما قلت آنفاً ، مدققاً في مختلف كتب التاريخ التي وضعت على مدى الازمان وتتضمن شيئاً عن طرابلس وكم عانيت مـــن المتاعب واكثر مراجعي اضطررت لابتياعها لانه لا يوجد في طرابلس مكتبة عامة ثم ان عدداً من هذه المراجع اصبح بحكم المفقود واضطررت الى اللجوء الى مكتبة الجامعة الاميركية ومثلا كتاب دواني القطوف لعيسى اسكندر المعلوف فهو في حكم المفقود وايضاً تاريخ السمعاني الذي عثرت عليه في مكتبة مجلس الخدمة المدنية وتكرمت السيدة سيوفي امينة المكتبة بان وضعته تحت تصرفي واشكرها كما اشكر امين مكتبة الجامعة الاميركية الذي لم يبخل علي بكتاب كشف اللثام المخطوط لنوفل الطرابلسي والذي نقلت عنه الكثير عن تاريخ طرابلس .

ولا انكر المتقدمين بالسن الذين ساعدوني بمعلوماتهم امثال عبد الستار بك علم الدين والشيخ توفيق الصفدي وسليم الذوق وغيرهم وقد رجعت كثيراً للشيخ توفيق الصفدي في تاريخ عائلات طرابلس .

وآمل ان يكون كتابي هذا سد فراغاً في تاريخنا اللبناني .

ولا يسعني ان انهي كتابي هـــذا بدون ان أبدي خالص شكري للسيد علي السلطي ، عضو المجلس البلدي في طرابلس الذي لاقيت منه كل مساعدة

في تصحيح ما جمعته عن حوادث طرابلس خلال النصف الأخير من القرن الحالي ومابعده والرئيس سمعان الخازن الذي امدني بكل ما لديه عن طرابلس ووضع مكتبته تحت تصرفي، ثم لرئيس دائرة السياحة في طرابلس الذي أمدني بكل ما لديه من خرائط ورسوم شمسية عن آثار طرابلس القديمة وفي الوقت ذاته أبدي اسفي لعدم تمكني من ارفاق كتابي بخريطة مفصلة لمدينة طرابلس، ذلك ان دائرة الهندسة في البلدية لم تزودني بالخريطة المطلوبة محتجة بأن الخرائط التي لديها كبيرة الحجم ، وليس باستطاعتها إعطائي اية خطريطة لطرابلس لأنشرها بكتابي .

وكما قلت في المدمة امل ان يجد الطرابلسيين في كتابي هذا تاريخاً عاماً لمدينتهم يسبق ان نشر على مر السنين .

اهم مراجع هذا الكتاب

كما عرضنا في المقدمة اننا عانينا الكثير من المتاعب في استخلاص تاريخ طرابلس من مختلف المؤلفات وفيما يلي اهم هذه المراجع :

١ – تاريخ سوريا لجرجي يني
٢ – لبنان في التاريخ للدكتور فيليب حتى
٣ – تاريخ سوريا ولبنان لحتي
٤ – تاريخ العرب للمومي اليه
٥ – تاريخ امم البحر المتوسط لجواد بولص
٦ – الكامل في التاريخ لابن الاثير
٧ – تاريخ الأوائل لابن الشحنة
٨ – تاريخ ابي الفداء
٩ – تاريخ البلادري
١٠ – تاريخ ابن العديم
١١ – النجوم الزاهرة لابن تغري بردي
١٢ – تاريخ بيروت لصالح بن يحيى
١٣ – ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي
١٤ – صبح الاعشى للقلقشندي
١٥ – نهاية الارب للنويري

١٦ – لبنان في محافظة لحليم ابي عز الدين
١٧ – تاريخ سوريا للمطران الدبس
١٨ – الروم لاسد رستم
١٩ – طرابلس شام في عهد الاسلام للدكتور سالم
٢٠ – اخبار الاعيان للشدياق
٢١ – تاريخ الامة العربية لاسعد طلس
٢٢ – الحروب الصليبية للدكتور عاشور
٢٣ – مصطفى بربر للاب اغناطيوس خوري
٢٤ – سوريا في العهد العثماني ليوسف الحكيم
٢٥ – النكبات لامين الريحاني
٢٦ – معجم البلدان ليلقوت الحموي
٢٧ – وفيات الاعيان لابن خلكان
٢٨ – فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي
٢٩ – تاريخ سوريا للاب لامنس
٣٠ – مشاهير الشرق لجرجي زيدان
٣١ – تاريخ آداب اللغة العربية للمذكور
٣٢ – تاريخ التمدن الاسلامي لزيدان
٣٣ – آداب اللغة العربية للاب شيخو
٣٤ – تاريخ لبنان ليوسف مزهر
٣٥ – كشف اللثام لنعمة نوفل – خط
٣٦ – الوثائق التاريخية لاسد رستم
٣٧ – ابراهيم باشا في سوريا للمجهول
٣٨ – دائرة معارف لاروس ١٠ اجراء
٣٩ – دائرة معارف البستاني
٤٠ – تاريخ الدولة العثمانية لمحمد فريد
٤١ – معجم الادباء لياقوت
٤٢ – المنجد للاب معلوف
٤٣ – مذكرات رئاسة بشاره الخوري
٤٤ – مذكرات رئاسة سامي الصلح
٤٥ – قصة الحضارة لويل ديورنت

وهناك ايضاً بعض المراجع أم نات على ذكرها عدا ما اقتطفناه من افواه المتقدمين بالسن من الطرابلسيين .

فهرس ابجدي لأسماء علماء طرابلس

الفهرس

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥	١٨	جل	جبل
٢٥	٢٢	أقاموها	منها
٣٠	١٧	تشكيل	صنع
٤٦	١٩	جامع التوبات	جامع الحجيجيات
٥٤	١٢	وبدورها	وبدوره كان
٨١	٩	في الجنس	للجنس
٨٣	١٣	سنجيل	صنجيل
١٠٠	٩	كما رحب بابن	بوصفه ابن
١٠٠	١٠	حلف والده	الحلف
١٠٧	١٩	أي مع برتراند	اي رجال برتراند
١١٦	٧	لجا	اسرع
١٣٦	١٢	بها الصليبيون	الصليبيون فيها
١٦٦	٤	طرطوس	طرسوس
١٨٦	١١	حسين باشا	يوسف باشا
١٩٦	٧	حسين باشا	حسن باشا
١٩٨	٢٢	حسن باشا	قرا حسن باشا
٢١٢	٣	ودبوا	وذوبوا
٢١٢	١٥	وكان	وكاد
٢١٢	١٦	وعضهم	وعضه
٢٥٥	٧	ولما رأوا	ولما رأى
٢٥٧	١٤	ارلي	الى
٢٦٨	١١	فوله	قوله
٢٨٩	١٢	طرطوس	طرسوس

فهرس الرسوم

مطابع قدموس الجديدة

فرن الشباك – شارع المنتزه

تلفون ٢٨٦٢١٦

٢٩٢	٤	الزيقي	الزيني
٣٠٨	١٣	النركان	البزركان
٣٣١	٣	كاتب	كانت
٣٣١	٩	كان	كانت
٣٤٣	٤	التمدن	النجوم
٣٥٣	٢	اسم شقيقه	اسماء شقيقه
٣٥٣	٧	باشا من	باشا احداً من
٣٥٣	١٠	تداخل	تدخل
٣٩٤	١٦	المنازل	المنازيل
٤٢٩	١٨	وعلى	على
٤٤٠	١٢	حول ونبع	حول نبع
٤٤٧	٥	درسا	بحثاً
٤٤٧	١٧	حمد	محمد
٤٤٨	٨	استولى	استولى حاكم طرابلس من بني العظم
٤٥١	١١	هذه	هذه الجمعية
٤٥٧	١١	الزعيم	الرئيس
٤٧٧	١٧	كان	كان الشيخ
٥٠٢	٨	على	على ان يتولى احد بني الزين وظيفة الآذان في الجامع الكبير لقاء ريع هذه العقارات فقد قام بالوظيفة طيلة.
٥١٥	٧	انفعاش	انتعاش
٥١٦	٦	يونس	بويس
٥٢٠	٦	نضر	نصر
٥٢٠	١٠	ورى	الورى
٥٣١	١٧	ريوان	ديوان
٥٤٢	١٤	واديان	والأديان

